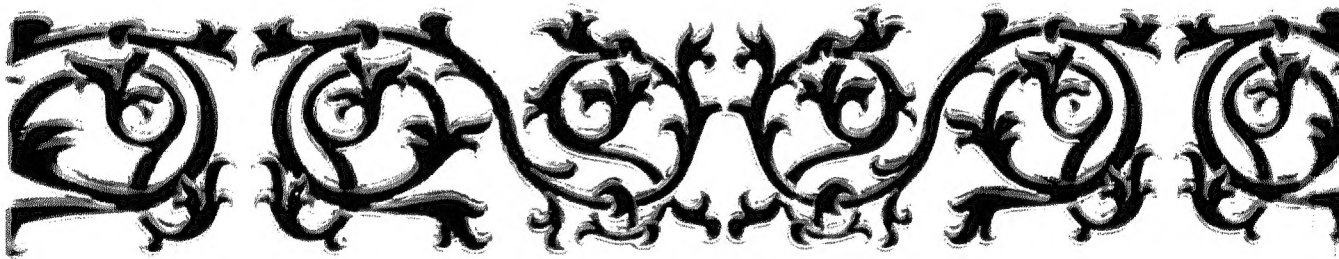


اللہجات العربية القدیمة

في غرب الجزيرة العربية

تألیف
تشییم رابین

ترجمہ و قدم له وعلق علیہ
الدكتور عبد الكريم مجاهد



اللهجات العربية القديمة

في غرب الجزيرة العربية

اللهجات العربية القلبية في غرب الجزيرة العربية
تشييم راين / مؤلف من بريطانيا
ترجمة د. عيد الكرم بجاهد / الأردن

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢

حقوق الصبغ محفوظة



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

للمركز الرئيسي :

بيروت ، الصنائع ، بناية عيد بن ساءم ،

ص.ب : ٥٤٦٠ - ١١ ، العنوان البرقي : موكيالي ،

هاتففاكس : ٧٥٢٣٠٨ / ٧٥١٤٣٨

التوزيع في الأردن :

دار الفارس للنشر والتوزيع

عنان ، ص.ب : ٩١٥٧

هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتففاكس : ٥٦٨٥٥٠١

E-mail : mkayyali@nets.com.jo

تصميم الغلاف والإشراف الفني :

رشاد برس / بيروت

الصفء الصواني :

مطبعة الجامعة الأردنية

All rights reserved . No part of this book may be reproduced , stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher .


جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر .

اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية

تأليف
تشيم راين

ترجمه و قدّم له و علّق عليه
الدكتور عبد الكريم مجاهد


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية
كتب عربي
(شراء)



طبع الأصل الإنجليزي في

London, Taylor's Foreign Press

2 Guilford place, W.C.I

1951

حقوق طبع الأصل الإنجليزي (١٩٥١) محفوظة لـ

London, Taylor's Foreign Press

أعد الأصل الإنجليزي وطبع في بريطانيا العظمى من قبل

Lund Humphries Co. Ltd. London and Brandford

إهداء الأصل الإنجليزي إلى
ج.ي . أس . أي راين
مع الحب والعرفان

المحتويات

13	❖ تقديم الترجمة :
27	❖ مقدّمة المؤلف :
29	❖ المراجع :
32	❖ الاختصارات :
35	❖ الفصل الأول : مقدمة
41	❖ الفصل الثاني : علماء اللغة العرب واللهجات
59	❖ الفصل الثالث : آراء في أصول العربية الفصحى
75	❖ الفصل الرابع : اليمن
107	❖ الفصل الخامس : حمير
125	❖ الفصل السادس : الأزد
141	❖ الفصل السابع : شمال اليمن
163	❖ الفصل الثامن : هذيل
189	❖ الفصل التاسع : الحجاز - مقدمة :
195	❖ الفصل العاشر : الصوائت
243	❖ الفصل الحادي عشر : الصوامت
287	❖ الفصل الثاني عشر : الصرف
315	❖ الفصل الثالث عشر : النحو
357	❖ الفصل الرابع عشر : طيء
382	❖ إضافات
385	❖ الفهارس

تقديم الترجمة

لقد شدّني إلى كتاب Ancient West-Arabian غزارة مادته العلمية و ثراؤه الفكري فيما يخص لغتنا العربية الشريفة ولهجاتها القديمة ؛ إضافة إلى الغاية الأولى التي كانت ، في مقدمة مقاصد المؤلف Chaim Rabin ؛ وهي رغبته في أن يثبت في كتابه هذا أن هناك لغة عربية تكوّنت من ائتلاف اللهجات في غرب الجزيرة العربية ، معتمدة في الدرجة الأولى على لغة أهل الحجاز ، في مقابل لغة شرقية جوهرها لغة أهل عيم ولكنها ائتلاف من عدة لهجات في شرق الجزيرة ؛ ومن سماتهما ائتلفت العربية الفصحى التي يمثلها النص القرآني خير تمثيل ؛ ففي أثناء هذه الدراسة كان يتعامل مع اللهجات العربية في غرب الجزيرة وكأنها مع اللهجات في شرقها مرحلة لغوية سابقة تاريخياً على العربية الفصحى . و يبدو ذلك واضحاً من عنوان الكتاب الذي لو ترجمناه حرفياً فلن يكون سوى «العربية الغربية القديمة» ؛ عدا أنه كان في معالجته اللهجية يقارنها باللغات السامية الأخرى كالعبرية والعربية الجنوبية والآرامية والإثيوبية (الحبشية) وغيرها ، وكأنها لغة في مقابل هذه اللغات . وفي اعتقادي أن المؤلف ، وإن كان لنا بعض التحفظ على ما أورده ، قد أراد أن يقدم وجهة نظر جديدة أو رأياً جديداً مساهمة منه في حل إشكالية قديمة في الثقافة العربية حول اللغة العربية الفصحى التي تمثلها لغة القرآن ولغة الشعر الجاهلي : أهى لغة قريش المنتقة خاصة أم هي ائتلاف من لغة قريش وغيرها من لغات العرب في الجزيرة ؟

لقد أبدى المؤلف نوعاً من الإيجابية برفضه صراحة وجهة نظر فولرز ، التي بين مضمونها في مقدمة هذا الكتاب ، حول لغة القرآن الكريم ، ثم اعترافه الواضح بنبوة سيدنا محمد [ﷺ] وقداسة القرآن الكريم ؛ فلطالما وردت وبكثرة كلمة Prophet يعني بها نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام ، في الوقت الذي لم يخف فيه ميله وتعصبه أحياناً للعبرية ، ولم يستطع التخلص تماماً من يهوديته بذكره مرة أن «محمداً اقترضها من العربية الجنوبية» يعني كلمة «بعل» القرآنية وهو ما رددنا عليه في مكانه .

ويمكنني أن أجمل الدوافع التي كانت حقاً وراء ترجمة هذا الكتاب بما يأتي :
* أولاً : سعة اطلاع المؤلف على كتب التراث وغزارة المعلومات التي وردت في الكتاب وشمولها وإحاطتها ؛ حتى يمكن اعتبار الكتاب مرجعاً في بابه ، فلا تكاد تجد دراسة لغوية حديثة عن اللهجات العربية القديمة تخلو من إشارة أو إحالة أو اقتباس منه أو تضمين .

* ثانياً: الدقة في قراءة النصوص اللغوية مع قدرة واضحة على التحليل واستخلاص النتائج .

* ثالثاً: يمتاز الكتاب ببساطة في التحليل والتعليل والمقارنة وأمانة النقل وصحة التوثيق .

* رابعاً: الرد على ما جاء في الكتاب من مغالطات تاريخية وتجاوزات غير موضوعية وإن كانت قليلة .

والكتاب في مضمونه يبحث في الظواهر اللهجية العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية التي يكاد يحصيها عدداً دون أن يفلت شيء ذو بال منها ، وانصبَّ جهد الباحث على لهجة أهل الحجاز من جميع جوانبها : الصوتية والنحوية والصرفية ، وعلى خصائص لهجة اليمنيين خاصة لهجتي حمير والأزد ، إضافة إلى لهجتي هذيل وطيء ، عدا ما ساقه من مقدمات نظرية في أصول العربية الفصحى ، وتاريخية عن اهتمام علماء اللغة العربية باللهجات . وعليه فإنني سأقوم بكل ما يلزم الترجمة من تعليق أو توثيق أو مراجعة أو تفسير ، وكأنه نص تراثي عربي .

لما سبق من الأسباب ؛ عكفت على ترجمة الكتاب ثانية بعد اطلاعي على الترجمة التي قام بها الدكتور عبد الرحمن أيوب ، التي لم تكن على مستوى الكتاب بلغته الأصلية ، فإنَّ ما عرفناه عن الدكتور أيوب من التزام بالمنهجية العلمية في الضبط والتحقيق والتدقيق في مؤلفاته ، رأينا ما يناقضه في الترجمة التي قام بها لهذا الكتاب بما يمكن أن نفضله بالملاحظات الآتية :

أولاً: عدم رجوعه إلى النص الأصلي في مظانّه ، وإنَّما كان يقوم بترجمة النص الإنجليزي بلغته . والأوّل في مثل هذه الحالة أن ينقل النص بلفظه العربي من مصدره ؛ لأن هناك فرقاً بين النص بلغته الأصلية وبين النص مترجماً إلى الإنجليزية ثم إعادة ترجمته إلى العربية . ولا يخفى ما في ذلك من تغيّر في فهم النص ؛ إذ النص الإنجليزي تعبير عن مفهوم المؤلف ، ونقل النص الإنجليزي إلى العربية تعبير عن مفهوم المترجم ، وهكذا تعددت المفاهيم وأصبحت كأنها هي الأصل . وكان الأحرى بالأستاذ أن يتفصّل باقتباس النص الأصلي ولو في الهامش ؛ لأن الترجمة الإنجليزية قد تكون غير دقيقة . وذكر النص الأصلي العربي يتيح للقارئ ، خاصة الباحث ، المقارنة والتمييز بين فهمه وفهم ناقله إلى الإنجليزية . فانظر ، أيها القارئ ، كيف كانت ترجمة النص الأصلي وهو «تيامنا عن كشكشة تيم وتياسروا عن كسكسة بكر» حيث يقول المترجم العربي عن النص الإنجليزي (ص ٣٥ ، فقرة ز) : «تجنّب كشكشة تيم عن عيينها ، وكسكسة بكر عن يسارها . . . ١٩. إنها ترجمة حرفية

لا معنى لها تمت دون الرجوع إلى النص الأصلي .

وبما يمكن إلحاقه بالملاحظة السابقة الثقل التي يذكرها المؤلف بإجمال ، ويشير إلى مصدرها ، وفي تصوري أن المسألة في ترجمة الكتب التي تعالج موضوعاً تراثياً ، تكون أقرب إلى التحقيق الذي يقتضي من المترجم الاعتناء بالتوثيق ، بأن يرجع إلى المصدر الذي نقل عنه المؤلف ، ويقتبس النص في الهامش على الأقل ؛ لأن فيه وضوحاً ودقة أكثر . وقارن معي بين ما ذكره المترجم (في الفقرة ص/ ص ٥٤) : «إن القرآن بأكمله نزل بهذه اللهجة (يقصد لهجة قريش) لأنها عذبة صافية» ، وبين ما جاء في النص الأصلي «إن كلام قريش سهل لين واضح» . وأظنك تدرك معي أن السهولة والوضوح غير العذوبة والصفاء ، فالوصفان الأخيران يصلحان وصفاً للماء أكثر من صلاحيتهما وصفاً للكلام . وفي الموضع نفسه ذكر المترجم ما نصه : «ليس في القرآن من مفردات غير قرشية سوى ثلاث كلمات» ، واعتقد أن الباحث أو القارئ لا بد أن يتوق إلى معرفة هذه الكلمات ، ولكن المترجم لم يرجع إلى النص في مصدره ، والكلمات المقصودة هي : «فَسَيُغْضَبُونَ» (٥١ - الإسراء) ، وهي بمعنى يحركون رؤوسهم ، و«مُقيتاً» (٨٥ - النساء) ، بمعنى مقتدر ، و«فَشَرَّدَ بِهِمْ» (٥٧ - الأنفال) . وانظر معي أيضاً هذا النص الذي ابتسره المؤلف وتابعه المترجم دون الرجوع إلى أصله وقد جاء في الإتيان (ط البابي الحلبي ، ط الثانية ١٣٥/١) لبيان حكم القراءتين في الآية الواحدة ، وهو : «حكى أبو الليث السمرقندي قولين : أحدهما أن الله قال بهما جميعاً ، والثاني أن الله قال قراءة واحدة ، إلا أنه أذن أن نقرأ بقراءتين ثم اختار توسطاً وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغير الآخر فقد قال بهما جميعاً ، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين مثل : «حَتَّى يَطْهَرُونَ» (٢٢٢ - البقرة) . وإن كان تفسيرهما واحداً فإنما قال بأحدهما ، وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعود عليه لسانهم فإن قيل : إذا قلتم إنه قال بأحدهما ، فأبي القراءتين هي؟ قلنا التي بلغة قريش» . وقد جاءت ترجمة هذا النص ص ٥٤/ فقرة ص كالتالي : «ويستعمل أبو الليث السمرقندي عنصر اللهجات في نقد النصوص فيقول : إذا اتفق معنى قراءتين فإن هذا يدل على أن النبي قرأ بواحدة منهما ولكنه سمح لأبناء القبائل الأخرى بتلاوة القرآن وفقاً لاستعمالاتهم اللغوية . فإذا سأل سائل إذا قلت بأن النبي قد قرأ بطريقة واحدة فما هي هذه اللهجة؟ قلنا إنها هي الطريقة التي تتفق مع لهجة قريش» . وهذا الكلام عندما تقارنه بالنص الأصلي تجده أقرب إلى التلفيق الصحفي قام به المترجم مريحاً نفسه من عناء ترجمة النص الإنجليزي بلفظه ، ومن الرجوع إلى النص الأصلي العربي ؛ إذ النص الذي ذكره المترجم تنقصه الدقة والتفصيل اللذان جاء في النص الأصلي .

وهناك نص آخر أورده المؤلف نقلاً عن النيسابوري الذي أخذه عن ابن فارس من كتابه الصاحبى ، وقام المترجم بنقل النص إلى العربية دون الرجوع إلى أصله في مصدره وهو كتاب الصاحبى الذي جاء فيه : « كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسلسها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة عن النفس ومن أفواهم أخذنا العربية الفصحى . » وقد جاء مترجماً عن النص الإنجليزي كالتالي : « إن قريشاً تفوق كل العرب في دقة اختيارها للألفاظ ، فقد كان كلامهم سهلاً سائغاً ، وكان لهم إحساس مرهف باللغة وقدرة فائقة على التعبير عن أفكارهم ومن أقوالهم دُوِّنت الفصحى » . وهذه رواية بالمعنى لا باللفظ ، والفرق بينهما واضح فإن قوله : كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، غير قول المترجم : إن قريشاً تفوق كل العرب في دقة اختيارها للألفاظ ، فالدقة غير الفصاحة ، وهكذا . . .

ومن هذا القبيل ما ابتسره رابين ص ٧٤ حين ذكر قصة الأعرابي الذي أساء فهم كلمة «وثب» الحميرية حيث جعل الملك الحميري يقول : «ليس عندنا عربيت» . وكنت أتمنى على المترجم أن يذكر الحكاية بالتفصيل كما وردت في كتب التراث ، وهي كما جاءت في اللسان مادة وثب : «الوثب القعود في لغة حمير ، ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير فقال له الملك : ثب أي اقعد ، فوثب فتكسر . فقال الملك ليس عندنا عربية كعربيتكم ، قال ابن سيده : وهو الصواب عندي ، لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه من العرب» .

ويذكر المؤلف رابين فيما أورده المترجم ص ٩٩ : «إن استعمال الأداة أم في لغة حمير وفي نقوش الهمداني وفيما قالته أم وهب» ويجدر هنا أن يبين المترجم من هو وهب؟ وماذا قالت أمه؟ وهب هو ابن منبه وقد قالت والدته : «رأيتك» (أي رأيت) بنحلم كوكلك (أي ولدت) ابناً من طيب» .

ثانياً : وما يتبع هذا الأمر أو يعتبر من قبيله مما أهمله المترجم من عدم توثيقه أبيات الشعر أو تحقيقها ، خاصة أن المؤلف كان يعالج أمثلة أو شواهد لغوية يقتبسها من أبيات من الشعر لا يذكرها ، وكان على الأستاذ المترجم أن يبحث عن هذه الأبيات في مظانها ويذكرها في الهامش . مثال ذلك ما جاء في ص ٣٣ من أن الأندلسي يعتقد بأنه سيجد في الشعر كي بمعنى كيف ، وإما أن يكون هذا في لهجة الشعر أو أن الفاء قد سقطت للضرورة الشعرية . (نقلاً عن الأستراباذي في شرح الكافية ١١٧/٢) . ولم يذكر المؤلف بيت الشعر ، وكان على المترجم أن يحقق المسألة في المرجع المذكور حيث يقول في شرح الكافية ١١٧/٢ :

«وجاء في كيف ، كي ، قال :

أوراعيان لبُعْران شَرَدَنَ لَنَا

كي لا يُحَسِّن من بُعْراننا أُنْراً

قال الأندلسي : إمّا أن يقال : هي لغة في كيف أو يقال حذف فاء كيف ضرورة . وفي موضع ثانٍ يقول المؤلف : «والكلمة المقترضة من اليونانية إقليد ، أي المفتاح ، مأخوذة من اللهجة اليمنية ؛ لأنها وقعت في سطر شعري معزوّ إلى تُبْع» ولم يذكر بيت الشعر ، وهنا لا بدّ أن يظهر جهد المترجم ؛ لأن القارئ في هذه الحالة يتوق إلى معرفة بيت الشعر الذي جاءت فيه هذه الكلمة ، وهو البيت الذي جاء على لسان تُبْع حين حج البيت فقال :

وأقمنا به من الدهر سَبْتاً

وجعلنا لبابه إقليدا

وكذلك يذكر المؤلف رابن ص ٦٩ : «إن الفعل (عطا) يُعَدَّى أحياناً بإلى» معتمداً على شرح شواهد المغني للسيوطي ، ولكنه لم يذكر البيت الشعري الذي يشهد لذلك ، وفات المترجم كذلك أن يرجع إلى المرجع المذكور ويقتبس الشاهد في الهامش وهو :

ويوماً توافينا بوجه مقسّم

كأن ظبيّة تعطو إلى وارق السَلَم

وشبيه بما سبق ما ذكره رابن ص ٧٤ من أن صيغة فُعَال تأتي للمذكر ، كما هي للتأنيث ، وقد ذكر أن ذلك قد ورد في معلقة لبيد العامري في البيت الثاني والخمسين ، حيث اسم الكلب الذّكر سُخام ، إلى جانب الأُنثى كُساب . ولم يكلف المترجم نفسه أن يذكر البيت في الهامش وهو :

فتقصّدت منها كُسابُ ، فضرّجت بدم

وغودر في المكرّ سُخامها

وبما استدعي الرجوع إلى الشاهد الشعري في مظانّه وتوثيقه ، ما أورده المؤلف رابن وجاءت روايته مغلوطة عند المترجم ص ٧٨ ، ويحتاج إلى تصحيح وتعليق ، وهو الشاهد على نُطْقِ (أم) بدلاً من (أل) التعريف العربية حيث ورد في الترجمة :

ذاك خليلي وذو يعاتبنبي

يرحّب ورائي بمسّهم ومسلّمه

والرواية الصحيحة كما أوردها البغدادى في شرحه على شواهد شرح الرضوي على

الشافية ٤/٤٥١ :

ذاك خليلي وذو يعاتبنسي

يرمي ورائي بامسهم وامسلمه

والفرق بين الرويتين واضح ، ولكن المترجم لم يحقق البيت ، ولم يكلف نفسه عناء شرحه فكلمة السلمه جمعها السلم أو السلام وهي الحجارة . وقد وردت رواية أدق من هذه في المرجع نفسه ٤/٥٢٢ ، وجاءت كذلك في شرح الأشموني ١/١٩٢ ، منسوبة إلى بجير ابن عنمة الطائي وليس ابن عنمة أو عتمه حيث يرى شارح الأشموني أن النحاة قد ركبوا هذا البيت من اثنين مع تغير في صدر أولهما والصواب في الأمر أن ينشد كالتالي :

وإن مولاي ذو يعاتبنسي

لا إخنه عنده ولا جرمة

ينصبرني منك غير معتذر

يرمي ورائي بامسهم وامسلمه

والجدير بالذكر أن هذه اللهجة ما زالت متداولة في اليمن في لواء إب ، وقد سمعتها من أحد طلابي بجامعة صنعاء من سكان مدينة جبلة حيث يقول : امسجد وامدرسة ولكن بكسر الهمزة ، وقد ذكر لي أحد الطلاب أن هذه اللهجة موجودة أيضاً في منطقة ذباب بلواء تعز وأنشدني قول شاعرهم :

حنان على زعرو

حتى امطيور تبكي

وزعرو قضى ستيين

وامقلب يبردشي

وزعرو اسم رجل كان يتصف بالشجاعة على ما يبدو ، أو إنه محب . وامطيور وامقلب ، أي الطيور والقلب . ويبردشي أي لم يبرد قلب زعرو حتى بعد وصوله سن الستين . وقد يذكر المترجم بيتاً من الشعر ص ٨٢ نقلاً عن الأصل الإنجليزي بصورة خاطئة في مثل :

ما زال شيبان شديداً خبصه

حتى أتاه قرنه فوقصه

وكان عليه أن يرجع إلى نص البيت في مظاهره ، وخبصه ؛ الصحيح فيها خبصه وهو العذو الشديد . وفي رواية اللسان هبصه وليس حبصه أو خبصه . والهبص هو النشاط والعجلة ، والوقص هو الكسر .

وقد نجد المؤلف راين يقول فيما أورده المترجم ص ١١٣ : إن سيبيويه يستشهد ببيت من الشعر يهجو قبيلة عنزة ، وكان شيئاً جميلاً من المترجم لو ذكر هذا البيت في الهامش حتى يضع القارئ في الصورة ، والبيت لزياد الأعجم وهو :

عجبت والدهر كثير عجبته

من عَنَزِي سَبْنِي لم أَضْرِبْهُ

ثالثاً : قد حدث في الآيات القرآنية مثل الذي حدث في أبيات الشعر ، حيث كان المؤلف راين يذكر رقم السورة ورقم الآية فيها ، فمثلاً في الفصل الرابع بعنوان اليمن ، الفقرة «ر» يذكر رقم السورة بالأرقام اللاتينية xxxviii ورقم الآية ١٣٥ ، ويقوم المترجم في مثل هذه الحالة وغيرها بترجمة هذه الأرقام إلى أرقام عربية وينتهي الأمر عند هذا الحد . وهو لم يُصِبْ في ذلك ؛ بل عليه أن يذكر اسم السورة ورقم الآية ، وفي الهامش يذكر الآية ؛ ليترك للقارئ فرصة للتمييز بين المعاني في مثل : كلمة (بعل) التي ترد بمعنى الرب في الآية الكريمة التي ذكر رقمها آنفاً وهي (أَتَذْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) وفي آية أخرى تذكر مع سورتها رقمياً فقط (Xi-72) أي سورة ١١- آية ٧٣ ، والمقصود طبعاً الآية ٧٢ من سورة هود التي ترد فيها كلمة بعل بمعنى زوج ، وهنا يفترض أن يذكر الآية بنصها وهي (قَالَ يَا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) . وأعتقد أن الاكتفاء بذكر أرقام السور والآيات لا يجدي القارئ نفعاً ، بل قد يتركه في حيرة وضيق .

رابعاً : عدم عناية المترجم بشرح المصطلحات أو تفسيرها مثل المصطلحات اللهجية التي تصف ظواهر لهجية وردت في كلام بعض القبائل : مثل عنعنة تميم وتلتلة بهراء والرثة واللخلخانية في العراق وفشفشة تغلب وتضجّع قيس وعجرفية ضبة ، التي يمكن تفسيرها كالتالي : العننة : إبدال العين من الهمزة مثل : أُن-أعن التلتلة : وهي كسر حرف المضارعة مثل : تعلم وتلدري .

اللخلخانية : من لَخَّ في كلامه بمعنى جاء به ملتبساً ، وقيل هي العجز عن إرداف الكلام بعضه ببعض ، وقيل هي عجمة وَلُكْنَةُ في المنطق كما ورد في اللسان . وأما في فقه اللغة للثعالبي ص ٧٣ فهي ما يعرض في لغاب أعراب الشحر وعُمان كقولهم : مشا الله كان ، يريدونه : ما شاء الله .

والشفشفة : لم أجد لها تفسيراً عند أحد . وأما التضجّع : فقليل إنه إمالة الحرف إلى الكسر . والعجرفية : جفاء في الكلام . والرثة لها أكثر من معنى في اللسان كالعجلة في الكلام ، وقيل هي قلب اللام ياء ، وقيل هي العجمة ، وقيل الأرت هو الذي في لسانه عقدة

وحبسة .

وقد وردت أسماء كثيرة في النص الإنجليزي تحتاج إلى بيان مثل : المشناه وقد ذكرها المترجم دون تعليق أو تحقيق وهي : مجموعة القوانين غير المكتوبة التي جُمعت حوالي ٢١٠ بعد الميلاد ، وتشكل أساس التلمود اليهودي . وكذلك المليلاه العبرية وهي كتاب بالعبرية للمؤلف رابين يبحث في علاقة اللهجات العربية القديمة بالعبرية . ومثل ذلك السامخ ص ٦٣ وهو أحد الحروف العبرية وهو غير السين وإن التبس لفظه بلفظ السامخ في مرحلة لاحقة .

ومثل ذلك مصطلح Proto- Arabic ص ٣٥ وتفسيره أن بعض الدارسين يعتقدون أن العربية قد مرّت في نشأتها بأكثر من مرحلة ، ومرحلتها الأولى المسماة Pre- Arabic أي المرحلة التي كانت جزءاً غير منفصل عن السامية الأم . والمرحلة الثانية Proto- Arabic وهي المرحلة التي ذكرها المؤلف وبها استقلت العربية عن السامية الأم ، ولكنها في هذه المرحلة لم يكتمل نضجها لتصبح لغة أدبية ، وتأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة وهي مرحلة النضج والاكتمال ، أي اللغة التي تصلح للشعر والكتابة . ومثل ذلك مصطلح شعر الزوامل ص ٧٥ ، والزُمَل في اللسان هو الرجز ، والزاملة بغير يُحمل عليه المتاع والطعام ، ويبدو أن المقصود بشعر الزوامل هو ما يقوله الشعراء في حُداء الإبل في أثناء السفر مع القوافل التي تحمل فيها الإبل الأمتعة وعروض التجارة .

وكذلك وردت بعض الألفاظ المبهمة (ص ٨٩) التي تحتاج إلى تفسير وشرح وهي : الغُثم بمعنى النطق بلكنة أعجمية ، والتُّوك بمعنى الحمق ، والتعقُد أي صعوبة الفهم . وكذلك تنوين الترَنَم ص ٩٧ ، وفي المغني (٣٧٧/١-٣٧٨) هو : الترَنَم اللاحق للقوافي المطلقة بدلاً من حرف الإطلاق الذي قد يكون الألف أو الواو أو الياء وذلك في إنشاد بني تميم . وقد صرّح سيبويه . . أنه جيء به لقطع الترَنَم ، وإن الترَنَم هو التغني ، يحصل بأحرف الإطلاق لقبولها مد الصوت فيها ، فإذا أنشدوا ولم يترنموا جاؤوا بالنون في مكانها ولا يختص هذا التنوين بالأسماء ، ومن أمثلته :

أَقْلِي اللوم عاذل والعتابَـن

وقولي إن أصبتُ لقد أصابَـن

والأصل العتابا وأصابا . وقد جاء في شرح الكافية ١٤/١ : «وأما تنوين الترَنَم فهو في الحقيقة لترك الترَنيم عند بني تميم في رويٍّ مطلق» .

ومثل ذلك : الأصوات الأسنانية ص ٧٧ مثل التاء والثاء والذال والذال فيقال : امتعب ، أمثلاثة ؛ فلا تدغم لفظاً مع التالي لهل مثل آل . وكذلك الصوامت الصفيرية

كالسین والزای فیقال : افسیف ، امزهر ، بعكس ما إذا كانت مع آل فإنهما يدغمان معها لفظاً . وكذلك الأصوات الهسیسیة ، ص ۹۹ كصوت السین وهي نوع من أنواع الأصوات الصفیریة . وكذلك المقطع المقفل ص ۱۱۱ وقد سماه المترجم المقطع المقفل أي من قفل وهو خطأ لغوی واضح ولم یفسره كذلك ، وهو المقطع الذي ینتهی بصامت أو أكثر (أي : ص ح ص) مثل لم (ل+فتحة+م) فی حال وصل الكلام . أما فی وقف الكلام مع التنین فیکون المقطع طویلاً مقفلاً بصامتین (أي : ص ح ص ص) مثل : بحرٌ التي یوقف علیها بحرٌ .

خامساً : لقد ورد فی النص الإنجلیزی ما یمتثل لتعلیق وإبداء الرأي فیہ ولكن المترجم لأمر ما كان یتفاداه یتجاوزه بأن لا یذكره أو لا یعلق علیہ ، مثال ذلك ما ذكره المترجم ص ۷۴ فقرة : a «أما بقية أنحاء الجزيرة فقد كان لها لغة مختلفة تماماً عن الفصحى ، وهذه اللغة هي الأصل الذي نشأت عنه اللهجات الحضرية » ووقف عند هذا الحد ولم یكمل مقولة فوللرز التي یدکرها المؤلف رابین وترجمتها : « وهي التي نزل بها القرآن الکریم وأعيدت کتابته بأسلوب العربیة الفصحى » وهكذا یرى فوللرز أن الفصحى التي رواها اللغویون العرب ووجدت فی القرآن ونسج علی منوالها الشعراء إنما هي مصنوعة وینکر أنها كانت حية فی مكة ، فی عهده صلی الله علیہ وسلم . وهل هذا حدیث یمکن إهماله وتجاوزه وغض الطرف عنه وعدم الرد علیہ؟! بل إن الدكتور عبد الرحمن آیوب قد ارتكب خطأین منهجیین أولهما : حذفه جزءاً من النص الأصلي . وثانیهما : عدم تعلیقه علی هذا الجزء . وكيف یمکن للمؤلف الجرأة علی الطعن فی لغة قرآننا ولا نملك الجرأة علی الرد علیہ؟!

وأما ادعاء فوللرز بأن النحاة هم الذين اصطنعوا ظاهرة الإعراب إذ لم یکن لها وجود حقیقی فی مكة ، فی رأیه ، فقد وجد من المستشرقین من یرد علیہ مثل نولدکه الذي أثبت أن النهایات الإعرابیة لا یمکن أن تكون من صنع النحاة ، وما قاموا به إنما هو تسجيل لما وجدوه فی الشعر جاهلیّ وإسلامیّ وفی القرآن الکریم .

وما ذكره المؤلف فی النص الإنجلیزی ص ۲۰ وسکت عنه المترجم ولم یأت علی ذكره فی النص المترجم ما جاء فی الفقرة التالیة : من ص ۵۲ : «لم یصِف ثقیفاً إلا بالبراعة فی استعمال القلم . وقد تكون نسبة هذه الشهرة إلى ثقیف ذات هدف سیاسي . . . » وهنا یمثل المترجم الفقرة من عنده بقوله : هو أن تؤید الفكرة التي شاعت من أن لغة القرآن حجازیة » فی حین أن المؤلف فی النص الإنجلیزی قد ذكر شیئاً آخر وهو : «الترویج لإعجاب الحجاج للقرآن الکریم» وهنا لا بدّ لی أن أسجل ملاحظتین أولاهما : أنه لم یجر علی یدی الحجاج أية مراجعة أو تنقیح Revision للقرآن الکریم والمعلوم تاریخياً لدى الدارسین أن

إعجام القرآن الكريم أي نَقَطُهُ قد حصل أيام ولايته على العراق بأمر من عبد الملك بن مروان ، على يدي نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني ، وثانيهما : هي أن الأصوب في ترجمة Revision الإنجليزية بكلمة الإعجام العربية ، وليس التنقيح أو المراجعة ليصبح الأمر أقرب إلى ما ثبت تاريخياً ؛ لأن التنقيح أو المراجعة يوحيان بما أراد فوللرز الترويج له وبموافقة رابين له أيضاً . وهكذا يكون المترجم قد سمح لنفسه التغيير في النص الإنجليزي الذي هو :

To give wider currency to Hajjaj's revision of the Koran

وقد قدمت ترجمتها بإيجاز غير مخل وهو بعيد عن قول المترجم : « تؤيد الفكرة التي شاعت من أن لغة القرآن حجازية » فانظر ، وتأمل أخى القارئ ، ما وقع فيه من خطأ علمي ومنهجي .

وقد ورد في الفصل الرابع فقرة d في النص الإنجليزي ص ٧٢ كلمة « يعل » بمعنى الرب : « وأنها بهذا المعنى يمكن أن يكون محمد [ﷺ] قد اقترضها من العربية الجنوبية » ... « ... "In this sense the word may have been borrowed by Muhammad..."

وانظر كيف ترجمها الدكتور أيوب ص ١٦ : « وقد تكون الكلمة القرآنية اقتراضاً من العربية الجنوبية » وهكذا يتغاضى مرة أخرى عن النص الأصلي ويسكت عن هذا السم الذي بثه رابين ؛ لأنه بإسناد الاقتراض في القرآن الكريم لسيدنا محمد [ﷺ] ترويج للمقولة المفتراة على القرآن الكريم وعلى الإسلام بأن القرآن من وضع محمد عليه الصلاة والسلام ، وليس منزلاً عليه ؛ مما يعني أنه ليس نبياً مرسلًا من عند الله . ولا أستطيع تسوينغ إغفال المترجم لهذا النوع من الافتراء .

وما تغاضى عنه المترجم كذلك في ص ٤٦ ما سماه رابين في النص الإنجليزي بالسهل اليهودي في فلسطين . ومن الحقائق الجغرافية المعروفة أنه لا يوجد سهل بهذا الاسم في فلسطين .

سادساً : وقوع المؤلف في أخطاء في الترجمة نفسها ، كقوله مثلاً ص ٦١ : « الطبقة اللغوية السفلى التي سبقت دخول العربية لهذه المناطق كانت قليلة الشأن » وهو هراء لا معنى له ، وأدق منه أن يقال : « إن المادة الأساسية من العربية السابقة على عزيبتنا Pre- Arabic كانت طفيفة أو قليلة جداً » . كذلك لقد جاء في ص ٦٥ (فقرة ظ) ما نصه مترجماً : « أنا أفصحُ العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد » ثم يردفه المؤلف وينقله المترجم : « ولهذا الحديث في رأيي تفسير واحد هو : لولا أني من قريش ونشأت في بني سعد لكنت

أفصح العرب أو رغم أنني من قريش ونشأت في بني سعد فأنا أفصح العرب» ومن يقرأ هذه الترجمة يدرك خطأها فلا يفهم منها سوى عكس ما أريد منها ؛ فما أورده المترجم يعني أنه [عليه السلام] ليس بأفصح العرب لأجل ولادته في قريش ونشأته في بني سعد ، وحاشاه أن يكون كذلك . وعليه فإن الترجمة الصحيحة – التي يستفاد منها أنه أفصح العرب بسبب ولادته في قريش ونشأته في بني سعد ، وهو الأمر الطبيعي – هي كالتالي ترجمة لقول المؤلف : «ينبغي أن أكون من أفصح العرب من أجل أنني ولدت في قريش ونشأت في بني سعد» أو ربما نفهم منه أيضاً : «أنا أفصح العرب لأنني ولدت في قريش ونشأت في بني سعد ، ويعزو ابن هشام سبب ذلك إلى البيداء» وينتهي كلام المؤلف وقد حذف المترجم منه قوله (ويعزو ابن هشام سبب ذلك إلى البيداء) . وما يؤيد ترجمتي السالفة هو ما أضافه رابن في الهامش ما ترجمته «يمكنني أن أعتبر أن (نشأت) بمعنى قد نشأت وذلك يعني : أنني أتكلم بأفصح عربية ؛ وذلك لأنني ولدت في قريش ونشأت فيما بعد في سعد» وإن مراجعة دقيقة من المترجم كانت ستجعله يدرك خطأ ما نقله في ترجمته .

وقد ورد خطأ آخر للمترجم ص ٩٦ حين يذكر الفقرة ز : «وفي لغة اليهود الصفديين في غرب أوروبا» والترجمة الصحيحة هي : «واليهود الشرقيون (السفارديم) في غرب أوروبا» وعليه يكون قد ترجم كلمة Sephardic التي وردت في الأصل بكلمة «صفديين» ، وكأنه لا يعلم أن اليهود قسمان سفارديم وهم الشرقيون وأشكنازيم وهم الغربيون ، ولا محل لكلمة الصفديين هنا . وفي موضع آخر ص ٧٩ نجده يأتي بكلمة أخرى وهي (بربري) التي لا محل لها في قوله (اقصد المترجم) : «ومن هذا يمكن أن نفترض أن معنى كلمة طميطيم كان في الأصل ضعيف العقل ثم تطور إلى بربري» والترجمة الصحيحة في رأيي هي : «ربما كانت طميطيم (وليس طميطيم كما وردت عند المترجم) في الأصل ، الأحق أو الأبله وبعد ذلك صارت تعني الغثم وعدم الفصاحة» وعليه فكلمة بربري لا معنى لها هنا ، إلا أن يكون المترجم قد نقل الكلمة الإنجليزية نفسها أي بلفظها دون معناها . وأما ما ذكره لكلمة طميطيم وليس (طميطم) فلأنه لم يرجع إلى نص البيت الذي قاله عنتره ، وإنما اعتمد على الضبط الأجنبي لها فخذع ، والبيت هو :

تأوي له حِرَقُ النعام كأنها

حِرَقُ يمانية لأعجم طميطم

والبيت له أكثر من رواية في اللسان وفي صحاح الجوهري ، والحِرَق هي الجماعات أو الفرق . ونجده كذلك يذكر مصطلحاً آخر لتغوير القاف أي النطق الحنكي لها ويسميه

التصليب الإدغامي ص ١٠٨ وهي ترجمة بعيدة عن المعنى المقصود ، في رأيي . وفي الصفحة نفسها يترجم القات ، وهو النبات الذي يمزق في اليمن ، بقوله : « قات النبات المخدر المستعمل في اليمن » والقات لا يحدّر عند استعماله بل يقوم بعملية تنشيط ذهني كما يقول اليمنيون فكان طلابي في الجامعة يستعينون به في أيام امتحاناتهم ليعينهم على السّهر والاستيعاب .

ومن متابعته المؤلف فيما وقع فيه من خطأ ما أورده ص ١١٣ في رواية البيت الثاني :

وقال ربيعههم لما أتانا

بكفّه قومة أو فومتان

والصحيح فيها « ربيّهم » وليس ربيعههم فلورجع إلى النص في مصدر تراثي كاللسان لوجدها كذلك ؛ لأنه لا معنى لوجود ربيعههم ؛ وكان عليه أن يشك في الأمر .

سابعاً : وهو بما يمكن إلحاقه بالملاحظة السابقة ويتمثل فيما أورده المترجم من أخطاء في الأعلام ، فمثلاً في ص ٧٦ ترجم بدو الخا إلى بعض مخا ، والخوا ميناء يمني غرب مدينة تعز بحوالي ٧٠ كم ويقطن حوله بدو . وفي ص ٧٨ ، يذكر المترجم غر بن طولب بدلاً من النمر ابن تّولب ؛ وهو خطأ ناتج عن عدم رجوعه إلى النص الأصلي ، وفي ص ٨٩ يذكر : خضر وسحلان ويحضب والصحيح فيها : حضر وسحلان ويحضب كما وردت في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني . وفي ص ٩٠ يضبط كلمة زُبيد بضم الزاي وفتح الباء والصحيح فيها فتح الزاي وكسر الباء أي زبيد وهي مدينة يمنية مشهورة بالعلم والعلماء في علوم اللغة والدين الإسلامي . وفي ص ٩٢ يذكر المترجم : ظنفر بدلاً من ظفار ، والكَلع بدلاً من الكُلاع ، وكتب بدلاً من قتاب ، والمعافير بدلاً من المعافر ، وأبيان بدلاً من أبين وكلها مناطق في اليمن . وكذلك يتكرر عنده قوله اليمن الشمالية بدلاً من شمال اليمن ، وهو خطأ واضح لأن المؤلف راين لا يقصد المصطلح السياسي وإنما يقصد التقسيم الجغرافي اللغوي ؛ لأنه يفرد فصلاً خاصاً بعنوان اليمن ، وفصلاً آخر بعنوان شمال اليمن .

كذلك يذكر في ص ١٠٠ : السبيحي ورايما ويارم متبّعاً فيها الضبط الأجنبي والصحيح فيها : الصبيحي ، ورَيمة ويرم ، وهي أسماء لقرى يمنية .

وفي ص ١١٣ يذكر اسم الشاعر يعلى بن الأحول الشكري ، أو اليشكري ، الأزدي - وهو الاسم الصحيح للشاعر كما جاء في الخصائص ص ١٢٨/١ - خطأً حيث يورده يعلو بن الأحول الشكري . وفي الصفحة نفسها يذكر كذلك قبيلة كلب بدلاً من كلاب ، ولورجع إلى النص الأصلي في شرح الكافية ١١/٢ لوجدها : « بنو عقيل و كلاب يجوزون حذف الوصل » .

ثامناً : يذكر المؤلف أحياناً بعض السمات اللهجية المتوارثة ولا يضرب مثلاً يوضحها من اللهجات الحديثة ، ويعفي المترجم نفسه كذلك من هذا الأمر . مثال ذلك ما يورده ص ٤٠ عن المميز اللهجي -كُ الحميرية ، ولا أعتقد أن القارئ مهما بلغت درجة استيعابه يستطيع أن يفهم هذا المميز دون أن يوضح بمثال ، وهي ظاهرة لهجية مميزة باليمن في منطقة إب ، حيث سمعتهم يقولون : قَا قُلْكُ لك ، وأخذك وحفطكها الدرس ، أي : قد قلت لك ، وأخذت وحفطتها الدرس .

وفي مكان آخر ص ٥٦ يذكر المترجم : إن الفتحة الطويلة لا تتحول إلى ضمة نصف ضيقة أو ضمة طويلة ، في أي مكان في اليمن . والأمر عند القارئ بحاجة إلى توضيح هنا أيضاً ، ويجدر بالمترجم العربي أن يغتنمه ليفيد القارئ العربي . والتوضيح كما استوحيته من كتاب فقه اللغات السامية لبروكلمان ص ٥٣ (ترجمة د . رمضان عبد التواب) وبيانه : لا يحصل في اللهجة اليمنية أن تتحول الفتحة الطويلة (الألف) في مثل كلمة (سالم) إلى ضمة طويلة ، أي تصبح (سولم) كما يحدث في العبرية والآرامية الغربية أو السريانية الغربية حيث تتحول ة إلى ة ، فمثلاً (قاتل) العربية نجدها في العبرية Kōtēl وفي الآرامية الغربية Kōtel.

ويذكر المترجم الشنشنة ص ٩٨ وهي قلب كاف المخاطبة شيئاً ، وهي ظاهرة لهجية «تشيع في العربية الجنوبية الحديثة التي تقلب الكاف شيئاً دون شروط ، وفي لهجة حضرموت تصوير الكاف الأخيرة شيئاً في بعض الحالات مثل : عليش - عليك» . والحقيقة في هذا الأمر أن الكاف التي لم تقلب شيئاً ليست أية كاف أخيرة وإنما كاف المخاطبة فقط وهي الشنشنة ، وهي غير الكشكشة التي تقلب فيها الكاف حرفاً مزجياً (تش) دون شروط أقرب إلى لفظ الحرف اللاتيني ch ولم يجد علماؤنا القدامى حرفاً أقرب إليه من الشين فرسموه شيئاً . و الشنشنة مسموعة ومعروفة في جنوب اليمن وقد سمعتها بنفسني من رجل في تعز ، وهو يسأل طفلة صغيرة كانت تبكي فقال لها : مالش؟ بشين محققة تماماً ، وهي لهجة معروفة في حضرموت ، وقد ذكر لي أحد طلابي في كلية التربية - تعز شيئاً من أغنية معروفة عندهم :

يا مَرَحِبَا بِشْ وَبَهْلَشْ

وبالجمال اللي رَحَلْ بِشْ

أي : يا مرحبا بك وبهالك ، وبالجمال اللي رَحَلْ بك . (أي مرحباً بك وبأهلك وبالجمال الذي رحل بك) .

وفي ص ١١٣-١١٤ يذكر المترجم تقصير حركة الضمير المتصل ، ترجمة عن المؤلف

حيث جاء : «يظهر الضمير ساكناً وقبله ضمة وهو مماثل لهذا الضمير في اللهجات المعاصرة وهو شبيه بنفس الضمير في العبرية الذي يظهر في صورة ضمة طويلة» . ويحتاج هذا الأمر إلى توضيح مفاده بأنه يقصد ضم ما قبل الهاء بإلقاء حركة الهاء على ما قبلها في مثل عَجَبُهُ وأَضْرِبُهُ من بيت الشعر المستشهد به ولم يذكره المؤلف في المتن ، ولا المترجم في الهامش وهو :

عجبت والدهر كثيراً عجبت
من عنزي سبني لم أضربته

وقد حلت هذه الحركة محل الهاء في اللهجات العربية المعاصرة وقد وقع مثل ذلك في العبرية أيضاً ، حيث لا يظهر من الهاء المضمومة الدالة على الغائب سوى ضمة مماله (انظر بين العربية ولهجاتها والعبرية ، للدكتور محمد بحر عبد المجيد ص ٩٩) والدكتور أنيس فريجة يرى أن مثل هذا الأمر موجود في السريانية ، وقد تأثرت به اللهجة اللبنانية في قولهم كتابو في كتابه . (انظر : اللهجات وأسلوب دراستها ص ٨٧) . وهذه الظاهرة عامة في اللهجات العربية المعاصرة كلها .

وبعد ، فإن هذه الملاحظات لا تقلل من الجهد الذي بذله الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أيوب ، راجياً أن يتسع صدره لهذه الملاحظات ، ومثله جدير بذلك ، ولا نية لي من ملاحظاتي هذه سوى استكمال ما ينقص الكتاب ، من وجهة نظري ، فإذا وافقني عليها الدكتور أيوب فبها ونعمت ، وإذا لم يوافقني أكون قد اجتهدت بنية الوصول إلى الصواب وكمال النفع والفائدة ؛ إذ الكتاب ، في أصله الإنجليزي ، ينبى عن اطلاع واسع على التراث ويدل على غزارة في المعلومات ، وعمق وإحاطة بجوانب موضوعه ، وأحببت أن تكون الترجمة العربية على مستوى الكتاب في نصه الإنجليزي ، خاصة أنه يعالج موضوعاً تراثياً . فأرجو أن تكون ترجمتي لهذا الكتاب مساهمة فعالة ثانية أضيفها لجهد الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أيوب لتقريب مستوى النسخة المنقولة إلى العربية من مستواها في لغة مؤلفها . وأرجو كذلك ، أن تساهم هذه المراجعة لترجمة الدكتور أيوب ، بنصيب ما في إرساء منهجية علمية واضحة وثابتة عند نقل الكتب الأجنبية التي تعالج موضوعاً يخص تراثنا ؛ حيث يجب أن يضاف ، من وجهة نظري ، إلى جهد الترجمة جهد التوثيق والتحقيق والشرح والتعليق ما أمكن ذلك أو لزم .

وعلى الله قصد السبيل ، ومنه السداد والتوفيق والله نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه ، .

مقدمة المؤلف

كانت هذه الدراسة في بدايتها عام ١٩٣٧م ، أطروحة بعنوان «دراسات في اللهجات العربية القديمة» قدمتها في عام ١٩٣٩ للحصول على درجة الدكتوراه (في الفلسفة) من جامعة لندن . في ذلك الوقت انصبَّ اهتمامي ، بتأثير من فولرز (Vollers) على «لهجات شرق الجزيرة العربية» ، ولم أدرك إلا فيما بعد الموقع الخاص للهجات غرب الجزيرة ، وأنه كان هناك وجود للغة عرب الجزيرة ، ومن ثم قرّرت البدء بها في أبحاثي عن اللغة العربية . وأمل أن أنشر في تاريخ لاحق المواد التي جمعتها عن لهجات شرق الجزيرة وكذلك مجموعاتي المعجمية في هذا الصدد . وعندما بدأت بحثي حول الموضوع ، كان ذلك مشروطاً ضمناً بأنني سأتحلى عن هذه الدراسة ، إذا لم أجد بعد ثلاثة شهور من البحث ما يكفي من المواد للاستمرار فيه ، وسرعان ما اكتشفت أن هناك من المواد أكثر مما يمكن استيعابه طوال حياتي . ولذلك فإن المادة المقدمة في هذا الكتاب لا تعدو كونها مجرد مختارات من المواد المتوفرة ؛ ولذلك لا أتوقع للكتاب أكثر من أنه سرعان ما ستتجاوزه الدراسات المماثلة حول الموضوع . فإن الأهمية الكامنة الكبيرة للهجات العربية التي سبقت اللغة الفصحى (Pre- classical Arabic dialects) لدراسات اللغة العربية ، وفي النحو المقارن ازدادت بروزاً في السنوات الأخيرة على أيدي الخبراء الكبار في هذا المجال أمثال كامبفماير (Kampffmeyer) وريكندورف (Reckendorf) وما يدل على تجديد الاهتمام بهذا الموضوع – وهو اهتمام جدير بكل ترحيب – الدراسات الممتازة التي قام بها المأسوف عليه الدكتور كوفلر (Dr. H. Kofler) ، وزميلي في الدراسة في سنوات ما قبل الحرب الدكتور إبراهيم أنيس .

غير أن هذا السّفر يسير على خط مغاير تماماً لأبحاثهما ، وفي بعض الحالات ، يستكمل ما قاما به من أبحاث .

وما يروق لي من أداء واجب هو التقدم بالشكر لكل أولئك الذين ساعدوني في إعداد هذا الكتاب . ولا بد لي ، أولاً وقبل كل شيء في هذا الصدد ، من شكر الأستاذ الدكتور جيب (Professor H. A. R. Gibb) ، الذي غمرني بنصائحه وتشجيعه في جميع مراحل إعدادي للكتاب ، ففي الساعات الطوال التي كرسها بكل سخاء لقراءة المسودات المتعاقبة ومناقشة ما كان يعترضني من شكوك ومصاعب ، ولّد الكثير من الأفكار التي لا يمكنني القول إنها بنات أفكاره أو أفكاره . وهكذا كان له نصيب كبير وحقيقي في هذا الكتاب ، وإن كان من المستحيل توثيق ذلك بالتفصيل .

ولا يكاد يقلُّ عن ذلك ما يطوَّق عنقي من عرفان للأستاذ الدكتور تريتون (A. S. Tritton) ، والمُشرف على دراستي ، أخذ بيدي في خطواتي المترددة الأولى ، وأغدق علي ملاحظاته القيمة النابعة من اطلاعه الواسع ، وجنَّبني الكثير من المزالق ، أما فيما يتعلق بالنصائح القيمة المتعلقة بالتفاصيل فإنني مدين كثيراً لكل من الأستاذ الدكتور فيرث (Professor W. R. Firth) والدكتور بيتسون (Dr.A.F.L. Beetson) والدكتور شاخست (Dr. J. Schacht) والأستاذ الدكتور (Professor Marcel Cohen) والدكتور كرنكو (Dr.F.Krenkow) كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور درايفر (Professor G. R. Driver) والدكتور سيرجنت (Dr. R. Serjant) ، وإدموند بيك (P. Edmond Beck) والأستاذ الدكتور كانتينو (Professor J.Cantineau) والدكتور غليزر (Dr. S.Glazer) لاتصالهم بي ولسماعهم لي باستخدام نتائج أبحاثهم غير المنشورة .

كما أتقدم بالشكر إلى العاملين في معهد غريفيث (Griffith Institute) ومكتبة بودليان (Bodleian Library) بجامعة أكسفورد والمتحف البريطاني ومكتبة كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ؛ لما أبدوه من صبر ولطف في تسهيل مهمتي ، وأخص بالذكر مكتبة المركز الهندي (India Office) لإعارتي مرتين ولفترات زمنية طويلة المخطوط النفيس لكتاب التسهيل لابن مالك .

استخدمت طريقة نقل الحروف (من العربية إلى اللغة الإنجليزية) التي وضعتها الجمعية الآسيوية الملكية ، ولكنني أضفت همزة في أول الكلمة وأوضحت الألف المقصورة عندما تكتب بالعربية ألفاً مقصورة بالرمز ة والمدَّة فوق الحرف هنا ليس لها أي دلالة صوتية على طريقة اللفظ (انظر النص الإنجليزي الفصل العاشر الفقرة bb). وأشارت إلى الإمالة في اللغة الفصحى بالرمز æ ، والإمالة الحجازية بالرمز e (انظر النص الإنجليزي الفصل العاشر الفقرة x) . أما التنوين والتاء المربوطة فقد حُذِّفا حيثما لا يؤدي هذا الحذف إلى أي غموض أو إبهام . ووضعت «ا» في نهاية الحروف التي يفترض أنها «حروف» كانت في اللغة العربية الأصلية . وللتقليل قدر الإمكان من علامات الحركات فقد حذفتها من أسماء القبائل العربية المعروفة . أما الكلمات العامية فقد وضعت تهجئة لها كما هي في المصادر التي استقيتها منها .

أما فيما يتعلق بالاستشهادات من القرآن فقد اتبعت الطريقة الحديثة المتمثلة في وضع أرقام الآيات أولاً ، وهي الطريقة التي اتبعها فلوجل (Flügel) ؛ وبعد ذلك إذا كان هناك اختلاف اتبعت نظام جمعية القرآن المصرية الملكية ، وبالنسبة للتواريخ فالأرقام الأولى هي بطبيعة الحال للتواريخ الهجرية والتالية للميلادية .

ثَبَّتَ المراجع

الكتابات الحديثة التي تعالج اللهجات العربية

- أنستازي ماري (P. Anastase Marie) : اللغات واللهجات ، المشرق ، العدد الرابع ص ٢٥٩-٣٦ ، ص ص ٥٨٩-٩٣ . عبارة عن قائمة بالمصطلحات الوصفية التي تطبق على اللهجات بصورة رئيسية وتعتمد على عدة مصادر .
- أنيس ، إبراهيم : اللهجات العربية ، القاهرة ، حوالي ١٩٤٦ . دراسة نقدية ، تعتمد على اطلاع واسع ويهتم المؤلف بصورة رئيسية بالاختلافات الصوتية ويقلل من قيمة المعلومات النحوية والتركيبية .
- بارث ، جي (Barth, J) : (Das arabische s- Suffix der zweiten (person sin. Fem., (Wzkm ، المجلد ٤١ (١٩١٠) ، ص ص ٢٨١-٢٨٦ .
- بلاو ، أو (Blau, O) : (Altrabische Sprachstudien, ZDMG, xxv (1817) 525-92 ، يهتم بصورة رئيسية بالاختلافات بين اللهجات في القرون الميلادية الأربعة الأولى .
- برافمان ، إم (Bravmann, M) : (Materialien und Untersuchungen zu den Phon-etischen Lehren der Araber, Göttingen, 1934. وله كذلك : Some aspects of the development of semitic Diphthongs, Orientalia, viii, 1939, 244-253, ix(1940), 45-60.
- فريتاج ، و (Freytag, W.) : (Einführung in das Studium der arabischen Sprache, Bonn, 1861) ، كُرِّست الصفحات ٦٥-١٢٥ إلى اللهجات . وقد رتبت المادة وفق اللهجات ولكنها جمعت بطريقة غير نقدية من مُظهر والقاموس التركي بصورة رئيسية .
- كامبفماير ، جي (Kampffmeyer, G.) : (Beiträge zur Dialektologie des Arabischen, Wzkm ، العدد ١٣ (٩٩٨١) ، ص ص ١-٣٤ ، س س ٢٢٧-٢٥٠ .
- كذلك له : Die arabische verbalpartikel b(m), MSOS, iii, 1900, 48-101 and : Marbur, 1900.
- كاظم بيك (Kazem Beg) : (Observations sur le chapitre inconnu du Coran, JA, 1843, ص ص ٣٧٣-٤٢٩ . تبحث في مختلف أشكال أداة التعريف وإن كانت أشكالا وهمية .
- كوفلر (Kofler) : (Reste Altarabischer Dialekte, (Wzkm) ، الأعداد ٤٩-٦٧

- (١٩٤٠-١٩٤٢)، أكمل مجموعة معلومات حتى الآن، ولا تجمع أشكالاً تعزى إلى لهجات خاصة فحسب، بل مادة غير محددة في مجال النحو كافة كذلك، مرتبة تحت عناوين نحوية؛ ولا توجد أية محاولة لتصنيفها جغرافياً.
- لاندبيرغ كومتي دي (Landberg, Comte de): *La Langue arabe et ses dialects*, Leiden, 1905.
- وله كذلك: Dathina, Leiden, 1905-1913.
- كذلك له: *Glossaire Dathinois*, Leiden, 1920-1974، يعتمد على اللهجات الأقدم عهداً لتوضيح اللهجة اليمنية العامية الحديثة.
- نولدكه (Nöldeke Th): *Das Klassische Arabisch und die arabischen Dialekte*, in: *Beitrag zur semitischen Sprachwissenschaft*, ١٩٠٤، ص ١-١٤.
- رابين (Rabin Ch.): *La chute du Hamza en arabe hijazien et en hebreu moderne*, Comptes Rendus du CLES، العدد الثالث، ص ٧٧-٧٩.
- وكذلك له: اللهجات العربية القديمة وعلاقتها بالعبرية (باللغة العبرية)، (Melilah)، العدد الثاني (مانشستر ١٩٤٦) ص ٣٤٢-٥٥٢.
- وله كذلك: الإعلال المهجور في بعض الأسماء العبرية التوراتية *Archaic vocalization in some Biblical Hebrew names*، مجلة الدراسات اليهودية (*Journal of Jewish Studies*)، العدد الأول (١٩٤٨)، ص ٢٢-٦، يتناول «الثلاثة».
- الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، الجزء الأول، القاهرة، ١٩١٢. حول اللهجات، ص ١٠٣-١٥٨. نادراً ما يذكر مصادره، ولكن حينما يذكرها كان يتأكد من دقتها، يحتوي على بعض المواد التي لم أجدها في أي مرجع آخر.
- ساراو، سي: (Sarauw, C.): *Die altarabische Dialektspaltung (ZAss)*، العدد ٢١ (١٩٠٨)، ص ٣١-٤٩. أول مناقشة جغرافية علمية للهجات.
- شوارتز، بي: (Schwarz, P.): ديوان عمر بن أبي ربيعة (Heft) العدد الرابع: *Umars Le ben, Dichtung, Sprache, und mitrik*, Leipzig، ١٩٠٩. الوصف الوحيد الموجود حالياً لأية لهجة عربية، وفي هذه الحالة اللهجة الحجازية.
- وله: *Der sprachgeschichtliche Wert einiger älterer Wortscheibungen im Koran*، ZASS، المجلد ٣٠ (١٩١٥-١٩١٦)، ص ٤٦-٥٩، يستخدم الرسم القرآني في إعادة بناء اللهجة الحجازية.

- فولرز ، كي (Vollers, K) : Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien. : استراسبورغ ، ١٩٠٦) ، يعيد بناء ما يُزعم أنه «لغة شعبية» من القراءات القرآنية الشاذة . وقد جمعت المواد الخاصة باللهجات القديمة من المزهروغيره من الكتابات المتأخرة ، والنتائج التي تم التوصل إليها منها نتائج جزئية . وعلى أية حال ، فإن الكتاب يحتوي على الأفكار القيمة الكثيرة وهو كتاب هام لكل دارس للغة العربية القديمة .
- فايل جي (Weig G.) : Die Behandlung des Hamza- Alif im Arabischen, ZASS, : المجلد ١٩ (١٩٠٦ ، ص ص ١-٣٦ . تلقي هذه المقالة التي كتبت بعناية الكثير من الضوء على اللهجة الحجازية ، دون أن تقصد أن تكون مقتصرة عليها ولأغراض هذا الكتاب . ينبغي تدقيق عبارات هذه المقالة على ضوء رسم النسخ الأول من القرآن (التي وصفت في نولدكه ، Nöldeke, Geschichte des Korans ، الطبعة الثانية) التي غالباً ما تختلف عن قواعد النحويين .
- اليازجي ، ناصيف : مميزات لغة العرب . وقائع المؤتمر السابع للمستشرقين (١٨٨٦) ، الجزء الثاني ، ص ص ٦٩-١٠٤ . مجموعة ثرية من المعلومات ولكن لا تورد أسماء المصادر ، ويضع المؤلف نفسه موضع الاتهام بسبب تعميماته المتسرفة ، كما يخترع «الأمثلة» بكل حرية .

قائمة المختصرات والطبعات المستخدمة وغيرها

- أبو عبيد ، الرسالة فيما ورد من لغات القبائل (قارن الفصل الثاني ، الفقرة د) ، على هامش التيسير في علم التفسير للدريني ، القاهرة ١٣١٠ .
- إي أف أو (A F O) : (Archiv Für Oreintforschung) .
- الأغاني ، الطبعة الثانية ، بولاق ١٢٨٥ .
- العنطاوي ، انظر القاموس التركي (Qāmus Tu) .
- الأستراباذي ، شرح كافية ابن الحاجب ، اسطنبول ١٣١٠ .
- البيضاوي ، طبعة فلوغل (Flügel) ، ليبزج ، ١٨٤٦ (تفسير البيضاوي) .
- باور ليندر (Bauer- Leander) : النحو التاريخي (Hist Gramm der hebräischen sprache) ، ١ ، هاله (Halle) ، ١٩٢٢ .
- باور إل (Bauer, L.) : Das palästinische Arabisch ، ليبزج ، ١٩١٠ .
- بلاشير (Blachere, R.) : Introduction au Coran ، مقدمة للقرآن ، باريس ١٩٤٧ .
- بروكلمان (Brockelmann) : Grundriss der vergleichenden Grammatik der semi-tischen Sprachen ، برلين ، ١٩٠٨-٦٣ .
- بي أس أل (BSL) : Bulletin de la Société Linguistique de Paris .
- كانتينو ، جي (Cantineau, J) : Le dialecte arabe de Palmyre ، بيروت ١٩٣٤ .
- وله : Etudes sur quelques Parlers de nomades arabe de l'Orient, Annales de l'Etudes Or. d'Alger ، المجلدان الثاني والثالث (١٩٣٦-٧) ، اقتطفت هنا من مستلزمات مختلفة .
- وله : Les parlers arabes du Horan ، باريس ، ١٩٤٦ .
- دلمان جي (Dalman, G.) : الآرامية اليهودية الفلسطينية ، ط٢ ليبزج ، ١٩٠٥ م .
- دي لمان ، إي (Dillmann, A.) : النحو الإثيوبي ، لندن ، ١٩٠٧ .
- درايفر ، جي ، آر (Driver, G.R.) : نحو العربية العامية في سوريا وفلسطين ، لندن ، ١٩٣٥ .
- جسنئص (Gesenius) : النحو العبري ، الطبعة الثانية الإنجليزية ، اكسفورد ، ١٩١٠ .
- غوردون ، سي ، اتش (Gordon, C.H.) : النحو الأوغاريتي (Ugaritic Grammar rammar) ، الطبعة الثانية ، روما ١٩٧٤ .

- جي كيو ، نولدكه (GQ, Noldeke) : Geschichte des Korans ، الطبعة الثانية ، ليبزج ١٩٠٩-١٩٣٨ .
- الحماسة ، طبعة فريتاج ، بون ١٨٢٨ .
- الحريري ، الدرّة ، اسطنبول ١٢٩٩ .
- حاتم الطائي ، طبعة شولتس (ed. Schulthess) ، ليبزج ، ١٨٩٧ .
- ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك ، طبعة ديتريشي (ed. Dieterici) ، ليبزج ، ١٨٥١ .
- ابن فارس ، الصحابي ، القاهرة ١٩١٠ .
- ابن هشام ، المغني ، طبعة القاهرة ، بدون تاريخ ، (مصطفى البابي الحلبي) .
- وله : شرح بانث سعاد ، طبعة جويدي (ed. Guidi) ، روما ١٨٧١-١٨٧٤ .
- ابن مالك ، تسهيل الفوائد ، مخطوط ، مكتب الهند ، لوث ٩٦٣ (Loth 963) .
- ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، طبعة غرونيرت (ed. Grünert) ، ١٩٠٠ .
- جي إي (JA) : المجلة الآسيوية (Journal Asiatique) .
- جمهرة ابن دُرَيْد ، حيدر آباد ١٣٤٤-١٣٥١ .
- جيفري إي (Jeffery A.) المفردات الأجنبية في القرآن ، بروده (Baroda) ١٩٣٨ .
- وله : مادة تختص بتاريخ النص القرآني ، ليدن (Leiden) 1937 .
- المصباح للفيومي ، القاهرة ١٩١٦ .
- المبرّد ، الكامل ، طبعة رايت (ed. Wright) ، ليبزج ١٨٦٤-٩٢ .
- المُخصّص لابن سيده ، بولاق ١٢١٦-١٣٢١ .
- نشوان ، الاختيارات : Die auf Südarabien bezüglichen Angaber...herausg لعظيم الدين احمد ، ليدن ١٩١٦ .
- (Orientalistische Litesaturzeitung) : OLZ .
- القالي ، الأمالي ، القاهرة ١٩٢٦ .
- القاموس التركي ، عينطابي ، بولاق ١٩٥٠ .
- رينهاردت سي (Reinhardt C.) ، Ein arabischen Dialekt gesprochen in Oman (und Zanzibar ، شتغارت وبرلين ١٨٩٤ .
- ريكندورف اتش (Reckendorf H.) : Die syntaktischen Verhältnisse des Arabischen ، ليدن ١٨٩٨-١٨٩٥ .
- رودو كاناكس ، إن : (Rhodokanakis, N.): Der vulgāratabische Dialekt im Dofar

- (zfâr) ، (Wein) ١٩١١ .
- رز (Ris) قارن أبا عبيد .
- روسي إي (Rossi E.) : dialetto arabo parlato a San'a ، روما ، ١٩٣٨ .
- Rivista degli Studi Orientali : RSO .
- الصبّان ، حاشية على شرح الأشموني على الألفية ، القاهرة ١٣٢٩ .
- فهارس الشواهد (Schawahid- Indices) ،
- (ed. Fischer und Bräunlich) ، ليبزج ، ١٩٣٤-١٩٤٥ .
- (Segal, M.H.): نحو اللغة العربية كما ورد في المشناه (A Grammar and Mishnaic Hebrew) ، اكسفورد ١٩٢٧ .
- الشنقيطي ، شرح شواهد جمع الجوامع للسيوطي ، القاهرة ١٩٢٨ .
- سوسين إي (Diwan aus Central arabien) : (Socin A.) ، ليبزج ١٩٠١ .
- السيوطي ، الإلتقان ، كلكتة ، ١٩٥٦ .
- وله : جمع الجوامع في النحو ، القاهرة ١٣٢٧-١٣٢٨ هـ .
- وله : البهجة المرضية على ألفية ابن مالك ، القاهرة ، ١٢٩١ .
- وله : المزهري في علوم اللغة ، القاهرة ١٣٢٥ .
- الأشموني ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، القاهرة ١٣٢٩ .
- رايت (Wright) : Grammar of Arabic Language ، الطبعة الثالثة ، كمبردج ١٨٩٦ .
- الزمخشري ، المفصل ، طبعة بروخ (ed. Broch) ، Christiana ١٨٧٨ .
- وله : الفائق ، حيدر آباد ١٣٢٤ .
- (Zeitschrift Für Assyriologie) : ZASS .
- Zeitschrift Für Semitistik : ZS .

الفصل الأول

مقدمة

هذا الكتاب محاولة لإجراء تقويم ، من وجهة نظر مقارنة وتاريخية ، للمعلومات التي حافظ عليها علماء اللغة العرب فيما يتعلق بعلم الأصوات والنحو ، والتراكيب اللغوية لمجموعة من اللهجات العربية التي سبقت اللغة العربية الأدبية ولا نحتاج لتفسير دراسة لهجات اللغة العربية القديمة إلى أية مسوغات . إذ من المحتمل أن تلقي الضوء لا على اللغة العربية الفصحى ولهجاتها الدارجة الحديثة فحسب بل على اللغات السامية بعامة كذلك . فاللغة العربية الفصحى تتميز بخصائص انتهى استعمالها . وإذا كان هذا هو حالها ، فما الذي هُجر أكثر من ذلك من استعمال اللهجات التي سبقتها زمنياً؟ وكما مثل ، من هذه اللهجات ، استمراراً مباشراً لسلسلة التطور من اللغة السامية الأم ، إذا سلمنا أن اللغة العربية الفصحى لا تعدو كونها ، بصورة من الصور ، خليطاً من أساليب تعبير متعددة؟ وإذا كان هناك ما جعل هذه اللهجات لا تحظى حتى الآن إلا بالقليل من الاهتمام ، فإن ذلك لم يكن لقلة أهميتها ، بل للانطباع الذي يخرج به المرء من المادة المتاحة منها ، المبعثرة وغير المترابطة والمتناقضة أحياناً كما هي عليه فعلاً . فلم تشكل قاعدة مناسبة للدراسة . فالقائمة التي أعدها فريتاخ (في كتابه Einführung ، ص ص ٦٥-١٢٥) لا بد وأن تكون قد أفنعت الكثيرين أن هذا ميدان عقيم .

ولم تُجدِ الدراسات الممتازة الخاصة بدقائق هذه اللغة التي جرت فيما بعد (انظر مراجع الفصل الأول) نفعاً في تغيير هذا الموقف ، والمحتمل أن تثبط المجموعة الثمينة من المعلومات اللغوية ، التي يعود الفضل في توافرها لدأب الدكتور كوفلر Kofler الراحل وسعة اطلاعه المذهلين ، أكثر وأكثر من عزيمه أي باحث قد يأمل في استثمار تلك المعلومات في دراسة اللهجات ؛ نظراً لإهمالها التام للعامل الجغرافي . ومن المؤمل أن تقنع الدراسة التي نعرض لها في هذا الكتاب - حتى لو ثبت - على ضوء تزايد المعرفة - خطأ ما توصلت إليه من استنتاجات - القراء بأن التحليل الذي يقوم على أسس جغرافية خالصة قد يؤدي إلى التوصل إلى نتائج تجعل دراسة اللهجات جديرة بالاهتمام .^(١)

ونحن مدينون لفولرز Vollers وسرو Saruaw لاكتشافهما أن تقسيم اللهجات حجازية أو تيمية - الذي نجده في الأبحاث العربية - يتطابق مع انقسام اللهجات القديمة الفعلي إلى

(١) سياق الكلام : ومن المؤمل أن تقنع الدراسة التي نعرض لها في هذا الكتاب ... القراء بأن ..

مجموعتين إحداهما عربية شرقية والأخرى عربية غربية . ولم تكن هاتان المجموعتان وحيدتين ، ولكننا لا نعرف سوى النزر اليسير عن غيرهما لأخذه بعين الاعتبار . وتمتاز مجموعة اللهجات الشرقية ، التي تضم لهجات تميم وربيعة وأسد وعُقيل وعُنيّ وبعض قبائل قيس الأخرى ، بعدد كبير من الملامح المميّزة . وعند إلقاء نظرة فاحصة على هذه اللهجات ، يتبيّن أنها تمثل تطورات لغوية حديثة في الغالب مقارنة بغيرها ، وأن اللهجات الشرقية هي في الأساس اللهجات نفسها التي استخدمها شعراء العربية الأقدمون . ولم يكن هذا حال اللهجات التي كان يتكلمها الناس على طول تجمع المياه الكبير في شبه الجزيرة وعلى منحدرها الغربي . فاللامح العامة المشتركة بين لهجات هذه المناطق أقل وضوحاً- ولم يتضح لي الكثير منها إلا بعد دراستي للمادة اللغوية المتاحة منها لفترة تزيد على خمسة أعوام- وإن كانت ، هذه الملامح ، تؤثر تأثيراً عميقاً على البنية اللغوية . ولو أولينا الحقيقة القائلة إنّ كل ما نعرفه عن أية لهجة عربية لا يعدو مجرد انعكاس واهن لبعض خطوطها العريضة الغامضة ، ما تستحقه من أهمية^(١) ، لكان حرياً بنا الاعتراف بأن هذه اللهجات الغربية لا بد وأنها كانت تبدو لعرب نجد كما لو كانت لغة أجنبية . فهذه اللهجات تظهر اختلافات عن اللغة العربية الفصحى تعود إلى مرحلة اللغة السامية الأم . فهي ، أي اللهجات الغربية ، أكثر تقادماً ، أي أنها لم تشارك في التطورات التي مرّت بها اللغة العربية الفصحى (أو بصورة أكثر دقة اللهجات التي انبثقت عنها هذه اللغة الفصحى) .

وفي نواح أخرى تطورت كلٌّ من اللهجات الشرقية والغربية في اتجاهين مختلفين . وهذه التطورات توازيّ ، في حالات عديدة هامة ، التطورات التي جرت على اللغة الكنعانية من ناحية واللهجات العربية الجنوبية من ناحية أخرى . وهذه اللهجات هي ما لا نجده في اللغة العربية بصورة واضحة : أي أنها لم تكن حلقة الوصل بين اللغة السامية الشمالية الغربية واللغة السامية الجنوبية الغربية (على حد تعريف لِسلاو) . وهكذا فإن خصائص هذه اللهجات تتفق مع الموقع الجغرافي الذي نشأت في ظله .

إن ما يبدو أنه يتمخض عن هذه المعلومات هو لغة ، وإن كانت وثيقة الصلة بالعربية الفصحى ، فإنها منذ أوائل العهد بها قد تطورت عبر مسارات وعلى خلفيات مغايرة- بل إنها في الحقيقة لغة أخرى غير العربية الفصحى . وعند هذا الحد فإنني لا أجد أية إجابة على التساؤل عما إذا كان لهذه اللغة واللغة العربية أصل مشترك واحد يفصلهما عن

(١) سياق الكلام : ولو أولينا الحقيقة القائلة ... ما تُستحقّه ...

اللغة الكنعانية واللغة العربية الجنوبية- أو ما يمكن أن نسميه نوعاً من الأور-أرابيسك Ur- Arabisch ، أو أنهما (أي هذه اللغة واللغة العربية) كانتا مفصولتين عن بعضهما منذ المرحلة السامية الأم . ولما كانت اللهجات السامية قريبة جداً بعضها من بعضها الآخر وأنه مما لا شك فيها أنه كان بينها تأثير متبادل ، فإن التساؤل المذكور ربما لن نجد له أية إجابة أبداً . ولذلك فإننا سننظر إلى هذه اللغة الجديدة ، بصورة مرحلية ، كما لو كانت كياناً لغوياً مستقلاً تماماً ، ولذلك ، وعلى هدي من التسمية المعروفة باللغة العربية الجنوبية ، فإننا سنطلق على هذه اللغة الجديدة اسم اللغة العربية الغربية .

بل إن الأكثر صعوبة من مشكلة العلاقة بين هذه اللغة العربية الغربية واللغة العربية الفصحى هو علاقة هذه اللغة بمختلف اللهجات التي وجدت في النقوش العربية الشمالية : من لحيانية وثمودية وصفوية ولغة نقوش النمارة واللغة العربية التي كان لها تأثير على الآرامية النبطية . فهذه اللهجات توضع مجتمعة تحت تسمية واحدة هي اللغة العربية الأم ، على أن هذه التسمية هي مجرد تعبير تاريخي ولا ينبغي لها أن توحي بأن هناك علاقة عضوية بين هذه اللهجات . ولدي إحساس بأنه سيتبين أن إحدى هذه اللهجات تنتمي إلى مجموعة اللهجات العربية الغربية وترتبط بها باقي تلك اللهجات بمثل ما ترتبط (أي تلك اللهجات) باللغة العربية الفصحى .

إلا أننا لا نملك في الوقت الحاضر الوسائل التي تمكننا من عقد المقارنة بين أي منها ، وباستثناء احتمالات ظهور أشكال مكتوبة من اللغة العربية الغربية ، فإنها لم تكن لغة أدبية ، إذ لم يترك لنا الذين كانوا يتكلمونها أثراً كتابية باقية نستطيع من خلالها إعادة بناء تاريخهم أو ثقافتهم . وتوحي الدلائل اللغوية التي وجدت في اليمن أن المتكلمين باللغة العربية الغربية قد نفذوا إلى هناك من الشمال على شكل موجات بشرية . فانتشار اسم طيء (قارن الفقرة (14- a)) هو بصراحة ، لا يعدو كونه مؤشراً واهناً على أن العربية الغربية قد لعبت في يوم من الأيام دوراً هاماً في الشمال . ويزعم التقليد المتعارف عليه عن العرب ، الذي دأب على جمع كل القبائل العربية الغربية معاً ولكن بصورة مشتركة مع القبائل الأخرى على اعتبارها قبائل يمنية ، يزعم على النقيض من ذلك ، بأن هذه القبائل هاجرت من اليمن باتجاه الشمال . وقد كان من شأن القول بأن هذه القبائل ذات أصول شمالية أن يقدم بكل تأكيد أبسط تفسير لأوجه التشابه ، بل شبه التطابق ، المثير للدهشة بين اللغات الغربية واللغة الكنعانية . ولكننا لا نستطيع السير في مثل هذا التحليل إلى ما هو أبعد من ذلك .

وعندما بدأ العرب في غرب الجزيرة يكتبون الأدب ، لم يكتبوه بلغتهم هم بل باللغة العربية الفصحى . ونحن نطلق اسم اللغة العربية الفصحى (Classical Arabic) على لغة الشعر قبل ظهور الإسلام ، بينما نطلق اسم اللغة العربية الأدبية (Literary Arabic) على الشكل القياسي (Standardized form) الذي استخدم لغة عالمية إبان الإمبراطورية العباسية . وفي الفصل الثالث سنقوم بتلخيص آراء الكتاب الأوروبيين والمسلمين حول أصل هذه اللغة . ولا يمكن الزعم بأن البحث الذي قمنا به في هذا الكتاب قد مكنا من إعطاء رأي قاطع حول ذلك . إلا أنه بإمكانني ، علي أية حال ، اقتراح فرضية عملية جعلتني أقف على أرض صلبة طوال هذا البحث : هذه الفرضية هي أن اللغة العربية الفصحى قد قامت على واحدة من اللهجات النجدية ، أو على عدة لهجات منها ، ولربما كان ذلك على أحد أشكالها القديمة . فنجد كانت منطقة يلتقي عليها عرب شرق الجزيرة وغربها ويختلطون . وفي الشرق من هذا الإقليم كانت لهجات غطفان وهوازن عربية غربية الطابع بصورة قوية ، بينما كانت لهجات غني وعقيل إلى الشرق من ذلك شرقية الطابع بصورة جلية . وما بينهما كانت هناك لهجات ربما كانت مختلطة حقيقة .

ومثل كل شيء ، فإن هذه اللهجات كان ينقصها النزعة إلى تخفيض حروف العلة القصيرة غير المشددة التي يمكن ملاحظتها بكل وضوح في لهجات تيم وربيعة الشرقية الطابع ، وهكذا فإن هذه المنطقة لم تكن تتكلم اللغة العربية الشرقية الخالصة ولا اللغة العربية الغربية الخالصة . بل كانت مسرحاً لمختلف المحاولات الرامية للتسامي على التنظيم القبلي : إمبراطورية اتحاد كندة مع قيس . ومن الواضح أن الشعر العربي قد ظهر هنا . وكما حدث في إسبانيا عند حمل الشعر الغنائي بين ثنايا تعابير لغة الغال الذي ولد في مهدها ، فإن الشعر العربي الجديد انتشر حاملاً معه اللغة التي قيلت قصائده الأولى بكلماتها . وعلى ضوء الطبيعة المختلطة لهذه المنطقة ، فمن المحتمل أن اللغة فيها كانت مزيجاً من اللغة العربية الشرقية واللغة العربية الغربية منذ البداية . ففي طبيعة أصواتها (كمال التعبير وغياب الإمالة الشديدة وغير ذلك) كانت تشبه النمط العربي الغربي أكثر من غيره ؛ وفي نحوها كانت تشبه اللغة العربية الشرقية أكثر من غيرها . ولربما أدت الحاجة إلى التعبير الشعري والوزن إلى حدوث ما أدى إلى تشكيلها في صورتها النهائية لما هو أكثر من ذلك .

وبالفعل كانت هذه اللغة قبل ظهور الإسلام تستخدم على نطاق واسع من قبل شعراء كانت لغتهم المحكية تختلف اختلافاً كبيراً عن لغة نجد . ومن خلال ذلك جرى تطوير بعض اللهجات المحلية سمحت بدرجة محدودة بإدخال ملامح لغوية ، وبخاصة مفردات ، من غير

اللهجات النجدية . وجرى ضمان وحدة اللغة الشعرية بفعل الوشائج الثقافية الوثيقة التي جرى تطويرها في ذلك الوقت وتوجه لاجتماع الشعر من قبائل كثيرة في بلاط الحيرة وغسان وفي المراكز التجارية والدينية .

كما استخدم مثل هذا النمط المحلي من العربية الفصحى في الحجاز لأغراض الشعر ولربما لأغراض الكتابة العامة . وهذه هي اللغة التي تحدث بها القرآن ووُثِّقَ بها . وكان نطق اللغة الأدبية الذي استخدمه الحجازيون متأثراً إلى حد كبير ، بطبيعة الحال ، بلهجتهم الأصلية التي تعتبر الرسم القرآني للكلمات دليلاً صادقاً عليها إلى حد كبير .

أما بالنسبة للتصريف ، فإنه يمكن القول بوجود تطابق يكاد يكون تاماً ما بين لهجتهم واللغة العربية ؛ إذ لا تظهر الصيغ الحجازية ، مثل صيغة الأمر الثلاثي وصيغة الأمر من الأفعال مضعفة الوسط ، إلا بصورة متفرقة هنا وهناك . أما بالنسبة للتراكيب النحوية فإن الأمر أكثر تعقيداً . ففي حين تجري المحافظة على القواعد البسيطة للغة العربية الأدبية ، فإن التضارب بين العادات الكلامية والمكتسبة يؤدي أحياناً إلى تفكك في التركيب الأكثر تعقيداً ، الأمر الذي يمكننا من اكتشاف طبيعة التراكيب الحجازية الأصلية . وإلى حدٍ أقل من ذلك ، فإن مثل هذه الملامح من ملامح الحجازيين والطائين .

وعلى أية حال ، فإنه قد يكون من التسرع في الحكم القول بأن كل اختلاف عن المعايير التي وضعها النحاة نجد في القرآن أو عند شعراء اللغة العربية الغربية هو مؤشر على الأنماط اللغوية العربية الغربية . وفي وقتنا هذا فإنه لا يمكن التعرف على مثل هذه الأنماط الباقية من اللغة العربية الغربية إلا بالاستعانة بالعبارات الصريحة التي خلفها لنا النحاة العرب الغربيون الأقدمون .

ويكاد لا يكون من الضروري التأكيد على أن المنهج الذي نسير عليه في هذا الكتاب يختلف ، في الأساس ، عن المنهج الذي اتبعه كي فولرز في كتابه (Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien) ، فهو يرفض النص القرآني الرسمي زاعماً أنه تلفيق قام به النحاة وبحث عن ضبطه الأصلي في القراءات المختلفة الشاذة . وزعم أن هذا النص الذي أعيد بناؤه هو الممثل «للغة الشعبية» مقابل اللغة العربية الفصحى ، أولاً وقبل كل شيء ، بسبب غياب الحالات الإعرابية (cases) وتوجيهاتها ولكنني من جانبي أقبل بالنص العثماني تعبيراً صادقاً عن اللغة التي استخدمها محمد [ﷺ] ، ولكنني أومن كذلك بأن تعابير الأدبية تنطوي على عناصر من اللغة المحكية في عصره ، وأن هذا النص العثماني هو عينة للغة ، التي لولاه لأصبحت لغة مفقودة .

أما بالنسبة للقراءات المختلفة فإن بعضها (وليس من بينها دائماً القراءات التي استخدمها القراء الحجازيون) قد حافظ بدوره على ملامح من اللهجة الحجازية ، وفي بعض الحالات قد تلعب الدور نفسه الملامح التي كان من الممكن أن يستبعدا النبي على أساس أنها ملامح مغرقة في بعدها اللهجي . أما أي القراءات ذات قيمة لنا في هذا البحث؟ فهذه أيضاً مسألة لا يمكن تقريرها إلا بالاستعانة بفقهاء اللغة القدامى . وكما أن هنا قراءات تلوّنت باللهجة الحجازية ، كذلك هناك قراءات أخرى تلوّنت باللهجات الشرقية أو بلامح اللغة الدارجة .

وهكذا فإننا لا نرى اللهجات العربية الغربية إلا من خلال منظور اللغة الأدبية التي استخدمها متكلمو تلك اللهجات . ولكن ماذا عن اللهجات ذاتها؟ إن الكثير من الملامح التي جرت مناقشتها في هذا الكتاب توحى بأن اللهجة الحجازية لم تكن عربية غربية خالصة ، ولكنها مرّت بتأثيرات عميقة مارستها عليها اللهجات العربية من مثل تلك التي قامت عليها اللغة العربية الفصحى ، وهذا التأثير يمكن تبينه بأقوى ما يكون في لهجة هُذيل ، كما أنه لم يغيب تماماً عن اللهجات اليمنية أيضاً . ولذلك ، فإن ما لدينا هو لغة تقترب أكثر ما يكون من اللغة العربية . وفي الحقيقة فإن اللغة الأدبية التي استخدمها محمد [ﷺ] واللغة التي استخدمت في مكة والمدينة تبدوان وكأنهما مجرد مرحلتين من مراحل الانتقال من اللغة العربية الغربية إلى اللغة العربية . ومن غير المحتمل أنه كان هناك فروق وتنوعات فردية إلى درجة موافقتها للصيغ العربية . ولهذه الأسباب مجتمعة ، فإننا نشعر أن من حقنا الآن الاعتقاد بأن لغة عربية غربية متكاملة كانت مميّزة إلى حد بعيد عن العربية الفصحى ، نظراً إلى أنه حتى البقايا المتأكلة منها ، لا زالت تشير بكل وضوح إلى الاختلافات العميقة بين اللغتين .

ونكاد نكون تقريباً في وضع العالم اللغوي الذي يحاول إعادة تركيب اللغة الألمانية من الأخطاء التي ترتكب في استخدام اللغة الإنجليزية من قبل أنصاف المتعلمين الذين يتكلمون «لغة ألمانية» هي هجين من اللغة البنسلفانية .

الفصل الثاني

علماء اللغة العرب واللهجات

a- ١ - ما دام تحقيقنا أقيم منذ البداية على المعلومات المجموعة من أعمال اللغويين العرب ، سنحاول أن نلقي نظرة على مناهجهم ومواقفهم فيما يتعلق باللهجات غير الأدبية .

b- ٢ - وفوق كل هذا يجب أن نأخذ في الاعتبار أن تسجيل المعلومات اللهجية كان بالنسبة للغويين العرب شيئاً هامشياً ؛ إذ لم يشكل جزءاً من عملهم الذي خصوه بجهودهم ألا وهو جمع قواعد اللغة الفصحى وتصنيفها وتنظيمها . وفي أحسن الأحوال كان يستعرضها ليعطي القارئ انطباعاً بسعة علمه ، وفي أسوأ الأحوال يستعمل اللهجات ليحتج لنقطة غير مرتبطة بهنّ تماماً . وكانت تنقصهم طريقة الضبط الدقيق . ويوجد كذلك أسباب عديدة أخرى ساهمت في تحريف fal-sification المعلومات اللهجية مما سنناقشه في الفقرات التالية .

c- ٣ - كتب كثير من اللغويين في وقت مبكر أعمالاً تحت اسم كتاب اللغات أو ما يشبهه . ولم يُلقَ الضوء على أي من هذه الأعمال المذكورة في كتب الفهارس العامة ؛ حتى أنه لا يمكننا القول إن كانت هذه الأعمال في اللهجات أو هي مجموعات لنوادير الكلمات .

وفيما يلي العناوين المعروفة مرتبة ترتيباً زمنياً تاريخياً :

١- كتاب اللغات ليونس بن حبيب (١٥٢-١١٨٢هـ/٧٦٩-٧٩٨م) (الفهرست ط فلوجل ، ص ٤٢)

٢- ومثله للقراء (٢٠٧هـ/٨٢٢م) (الفهرست ص ٦٧)

٣- ومثله لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هـ/٨٢٥م) (السابق ص ٥٤)

٤- ومثله لأبي زيد الأنصاري (٢١٤هـ/٨٢٩م) (السابق ص ٥٥)

٥- كتاب لغات القرآن نفسه ، (Die Grammatischen Schulen, p. 72)

٦- كتاب اللغات للأصمعي : (٢١٦هـ/٨٣١م) حاجي خليفة ص ١٤٣ .

٧- ومثله لابن دريد : المصدر السابق (٢٢٣-٣٢١هـ/٨٣٧-٩٣٣م) ص ١٠٣ ط فلوجل .

٨- ومثله لعبد الله أو عمر الزعفراني أو الدومي : الفهرست ص ٤٨ ، وياقوت الحموي في

إرشاد الأديب : ص ٤٧ . إن المؤلف الذي يشي اسمه بأنه من الجزيرة العربية ، وعاش في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ، يقول عنه ابن النديم إنه من المحدثين .
٩- ومثله اللسان المقتبس لابن برّي (٥٨٢هـ/١١٨٧م) ، والاقتباس لا يشير إلى مصطلح لهجي .

١٠- كتاب السبب في حصر لغات العرب : أي الأسباب التي أدت إلى حصر اللهجات العربية (أو المفردات) ، لحسين بن المهذب المصري (قبل ٦٥٠هـ/١٢٥٢م) ، انظر : السيوطي : بغية الوعاة ص ٢٣٦ ، نقلاً عن المغرب لابن سعيد .
١١- كتاب اللغات ، وقد ذكره ابن خالويه (٣٧٠هـ/٩٨٠م) في كتابه (ليس) ، طبعة الشنقيطي ص ٤ .

d- ٤ - إننا نملك دراسة واحدة فقط في اللهجات ، وهي رسالة معزوة إلى أبي عبيد القاسم ابن سلام الهروي (٢٢٣هـ/٨٣٨م) ، بعنوان (رسالة في ما ورد في القرآن من لغات القبائل) ، دراسة عن مفردات اللهجات في القرآن . وقد طبع هذا العمل في هامش الطبعة الحجرية لكتاب الدرر Dirini's «التيسير في علم التفسير» (القاهرة ١٣١٠هـ) ، وأعيدت طباعته على هامش تفسير الجلالين (القاهرة ١٣٥٦هـ) . والسيوطي في كتابه الإتقان يقتبس بتوسع من دراسة (تأليف المفرد) لأبي عبيد في هذا الموضوع . وهذه الاقتباسات متطابقة بشكل كبير مع المادة في رسالتنا) ، ولكنها مرتبة حسب اللهجات ، بينما في الرسالة تجد المفردات مرتبة حسب السور القرآنية التي تتعلق بها . وكذلك السيوطي يستشهد بنصوص لا ذكر لها في النص المطبوع . وعليه يمكن أن تكون الرسالة واقتباسات السيوطي مأخوذة من عمل كامل لكاتبنا .

e- ٥ - إن المعلومات في الرسالة تختلف عن تلك التي نجدتها في المعجم . والمعجم لا يستشهد بها أبداً مع الأسماء ، وفي حالات قليلة جداً يعطي الأصل اللهجي للكلمات ذاتها . وأينما توجد ، فإنها تفضي إلى تعزيز الرسالة . والرسالة تعزو الكلمات إلى اللهجات التي لم تُذكر أبداً في أعمال أخرى . وأكثرها إثارة للاستغراب هي لغة جرهم ، إحدى قبائل العرب البائدة ، على الساحل قرب مكة . وهذه القبيلة كانت معروفة لمحمد الكلبي (١٤٦هـ/٧٦٣م) ، اقتبسها- واستشهد بها الأزرق في «أخبار مكة» طبعة فستفيلد ص ٥٤ ، انظر : نولدكه المعلقات الخمس ٣/٧٢ n2) .

وبهذا يمكن أن يكون أبو عبيدة أو راويته ما يزالان وقتها يسمعان لغة تلك القبيلة . إن مقاصد اللهجة المسجلة في الرسالة تصعب ملاءمتها والنص الذي من المفترض أن توضحه أو تمثله ، وقد تزودنا ملابسة ما ببعض الاحتمالات المؤدية إلى المعلومة . ويمكن أن تكون مادة أخرى موجودة في كتاب أبي عبيد غير المطبوع وهو الغريب المصنّف^(١) .

f-٦ - إن مؤلفي الدراسات السابقة كانوا معجميين . والفراء مثل لمدرسة الكوفة وأما نحاة مدرسة البصرة فكان اهتمامهم الحقيقي باللهجات قليلاً ويذكر سيبويه بصورة رئيسية الاستعمالات المسموح بها في العربية بناء على اقتناعه بها وأنه يخضعها للقياس كأى مادة أخرى ، وطالما أن اللهجات لا تعني له شيئاً فلم يكن يتردد في رد الخلافات بصورة عامة إلى الخلاف القائم بين الحجاز وتميم (عما يظهر أنه كان يدرك بوضوح الفرق بين لغة غرب الجزيرة والعربية) ومعظم النحاة المتأخرين لم يكن لهم أدنى اهتمام باللهجات ، وكانوا يقومون بحذف التفاصيل التي سجلها سيبويه . ولكن وجد نحاة متأخرون من الموسوعيين الانتقائيين مثل الأستراباذي (٦٨٣هـ/١٢٨٧م) والسيوطي (١١٩هـ/١٥٠٥م) ممن جمعوا كل المعلومات اللهجية التي وقعت عليها أيديهم من أجل الوصول إلى درجة من الكمال . ويبدو أن ابن مالك (٦٨٦هـ/١٢٨٧م) كان له بعض الاهتمام باللهجات في حد ذاتها . وكان يذكرها كثيراً في التسهيل ، وكذلك في الألفية وربما تحوكت في ذلك الوقت إلى نط من إظهار الخبرة في النواذر اللغوية .

إن شراح ابن مالك مثل : ابن عقيل والأشموني والسيوطي ؛ تعتبر شروحهم مصادر ذات قيمة ثانوية في هذا الشأن ، لأنهم حفظوا لنا كثيراً من المعلومات اللهجية من المصنفات الضائعة . ومن هذه الشروح ، عمل أبي حيان الذي لم يصلنا ، الذي قرّظه القلقشندي (١٢٨هـ/١٤١٨م) باعتباره أفضل مصدر للمعلومات عن اللهجات (صبح الأعشى جـ ٢ ص ٣٢٣) . ويمكننا أن نسجل ؛ بهذه المناسبة ، الحقيقة الغريبة أن معرفة مثل هذه الأشياء تعتبر ذات قيمة في وقت الاضطرابات .

g-٧ - وكان المعجميون بالطبع أكثر اهتماماً بالمفردات اللهجية ، التي ترد في الشعر وغير الشعر . ومن الصعب أن نكتشف المنهج الذي كانوا يجمعون عليه مثل هذه الألفاظ . وبالتأكيد لم تقم أية محاولة لتكون عملية منظمة . ولا بن دريد ولنشوان

(١) لقد خرج الكتاب مطبوعاً بتحقيق محمد المختار العبيدي ، تونس ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق ، بيت الحكمة ، ١٩٩٠م . (المترجم) .

الحميري اهتمام خاص بالألفاظ ذات الأصل اللهجي . ومع ذلك فإن ابن دريد نادراً ما كان يعطي أي مادة من لهجته الأزدية^(١) ؛ وإن شراح ديوان هذيل لم يستشيروا أحد أفراد القبيلة الأحياء ، مع أن القبيلة كانت على مسافة قريبة من مكة . والكتاب الوحيد الذي كان تقديمه للهجة ما أكثر أو أقل تنظيماً من أي وقت مضى ، هو المجلد (الكتاب) السابع من إكليل الهمداني ، وهو المكرس للغة الحميرية ، وقد فقد لسوء الحظ .

والمعجميون المتأخرون لم يهتموا بوجه خاص بالمادة اللهجية . حتى اللسان غالباً ما تحذف من استشهاده مثل هذه المعلومات التي جاءت في الأعمال المتقدمة عليه .

h- ٨ - معظم الخصائص اللهجية المعالجة في كتب النحو والصرف هي التي جاءت في المصادر الأدبية ، وعُدَّت من الفصيح ، أي عربية صحيحة وفصيحة وقد خضعت إلى المعالجة التعليلية نفسها كأَي ظاهرة أخرى في اللغة الأدبية ، وما زالت مقيّدة تماماً بقوانين أساليب الكتابة المصنوعة . وفي بعض الحالات كما في «ذو» الطائية التي بمعنى «الذي» ، والمناقشة النحوية الصرفية قادت إلى تبني الصيغ والتراكيب المغايرة للهجة التي جاءت منها هذه المفردات . وهناك خصائص أخرى حُصرت لأنها وقعت في أشعار محتج بها أو في القرآن الكريم ووجب تحليلها بطريقة ما . وفي مثل هذه الحالات كان يكتفي علماء اللغة غالباً بنحبر مجرد وهو «هذه لهجة المؤلف» أو «بناء على لهجة . . .» . وسبب ثالث للاستشهاد بالاستعمالات اللهجية هو أنها في بعض الأحيان تؤيد رأياً حول خصيصة في التركيب اللغوي الأدبي القياسي .

i- ٩ - من المتعارف عليه أن أية صيغة لا تتطابق مع قوانين الفصحى يمكن أن تعتبر لهجة ، ومن المغربي أن يكون في متناول اليد ما نبعث عنه من تفسير سهل لأي شيء لا يمكن أن تعلله قواعد اللغة ؛ وذلك بأن تلجأ إلى تفسير خاص نصنعه بأنفسنا ، ونضرب مثلاً واحداً من عدة : الأندلسي (اقتباس الأستراباذي ، الكافية

(١) يعزو المؤلف ذلك إلى أن نشوان كان يقيم بالبصرة وربما لم يكن له معرفة باللهجة قومه ولكن ما نقله من معلومات كان من اليمينيين الذين يختلط بهم .

١١٧/٢^(١) يعتقد بأنه سيجد في الشعر «كي» بمعنى كيف . ويضيف : «إما أن يكون هذا في لهجة الشاعر أو أن الفاء قد سقطت للضرورة الشعرية» . وأي شبه ضعيف بلهجة معروفة يُلجأ فيه إلى القول بالشذوذ دون اعتبار لاحتمال استعمال المؤلف لتلك اللهجة . مثل هذه العبارة في ديوان هذيل مفسرة من لهجة تميم الخ . وفي حالة أسوأ «الألفاظ اللهجية» تُبتدع تلقائياً لتسويغ بعض التصورات (المفاهيم والأفكار) الإلهية ، أو بصورة أكثر بساطة لإيجاد معنى لتعبير قرآني ، مثل حروف يس في مطلع سورة يس قد جاءت لتمثيل ياسين المقولة لتعني يا رجل في لهجة طيء ، وحروف طه في سورة طه لتعني أيضاً : يا رجل أو يا أنت في لهجة عك (البيضاوي ١٥٦/٢ ، ٥٩١/١) ، والكلمة المقترضة من اليونانية لإقليد أي المفتاح مأخوذة من اللهجة اليمنية لأنها وقعت في سطر شعري معزو إلى تُبّع^(٢) (انظر اللسان ٣٦٨/٤) .

k- ١١ - إن الاقتراض من اللهجات الأخرى قد قدّم تفسيراً للأضداد ، الكلمات من ذوات المعنيين المتضادين (حقيقة أو توهماً) . حين يكون للصوت المركب Sound- complex معنيان متعارضان ، من السخف أن يُعتقد بأن العرب قد استعملت المعنيين كليهما في وقت واحد . هذه الكلمات استخدمتها قبيلة ما بمعنى ، واستعملتها قبيلة أخرى بالمعنى الثاني . وأخيراً تطلع كل قبيلة على استعمال الأخرى ، ويتلو ذلك تبادل الاقتراض (ابن الأنباري ، الأضداد ص ٧) . وهذه درجة متقدمة على الموقف الساذج الذي عبر عنه أبو عمرو بن العلاء (١٥٤-٧٧١م) أحد مؤسسي مدرسة البصرة . وقد سأله أبو التقيديين ابن نوفل فيما إذا كان يقبل كل استعمالات البدو على أنها عربية فصيحة ، أجاب بالنفي

(١) جاء في شرح الكافية ١١٧/٢ : وجاء في كيف كي ، قال :

أوراعيان لبُعْرانٍ شَرَدَنَ لنا كي لا يحسَن من بعرائنا أثراً

قال الأندلسي (والأندلسي ربما يقصد به أبا حيان الغرناطي الأندلسي) : إما أن يقال هي لغة في كيف أو يقال

حذف فاء كيف ضرورة . (المترجم)

(٢) إشارة إلى البيت الذي جاء على لسان تبع حين حج البيت :

وأقمنا به من الدهر سَبْتاً وجعلنا لبابه إقليداً / والسبت الدهر . (المترجم)

وصرّح : «أتبع الأغلبية وأسمي ما خالفني لهجة»^(١) (السيوطي ، المزهري ١١١/١)
نقلًا عن الزبيدي في طبقات النحويين) . ولسنا بحاجة إلى الأخذ بمعيار الأغلبية
بدقة كاملة كالاستعمالات السارية بين أغلبية عرب الصحراء كالتثنية^(٢) التي
رفضها النحويون .

١- ١٢ - معزل عن الابتداع الصّرف لهذا النوع ، إن النزعة إلى تفسير وجود التركيبات
البديلة عن العربية الفصحى بوساطة اللهجات غالباً ما يقود إلى فروق حادة ولا
مسوّغ لها . فأى تركيب ، كان مخالفاً لأي قاعدة نحوية صرفية لسبب ما ، يمكن
أن يوجد في أي لهجة ، أو نص لفرد من قبيلة ما ، غالباً وببساطة يعلن أنه
استعمال لهجي . وكمثال على هذا استعمال الخبر مع لا النافية للجنس ، التي
بسبب وقوعها في القرآن الكريم ، قيل إنها تركيب لهجي حجازي . والنتيجة
النهائية لذلك ، أنها نقلت وكأنها لم تستعمل في أي مكان آخر ، وحين وجدت
في قصيدة لحاتم الطائي ؛ يقال أن الشاعر قد هجر لهجته الخاصة . والسبب
الأساسي لمثل هذه الفوضى هو الحاجة إلى مفهوم واضح للعلاقة بين العربية
الفصحى واللهجات . (راجع الفصل القادم) .

m- ١٣ - ومن المصادر الخصبة للفوضى الاشتراك اللفظي لكلمة لغة ، حيث لها عدة
معان :

- ١- الكلام العام .
- ٢- الاستعمال العادي في مقابل المعنى الاصطلاحي لها .
- ٣- اللغة العربية الفصحى .
- ٤- في التأليف المعجمي توضع في مقابل قواعد النحو والصرف Grammar ، بناء الجملة
syntax .
- ٥- بمعنى كلمة .
- ٦- تعبير بديل جائز .

(١) والخبر بتمامه . قال رجل لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وضعت مما سميت عربية ، أيدخل فيه كلام
العرب كله؟ فقال : لا ، فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال : أحمل على الأكثر
وأسمي ما خالفني لغات . (الترجم)

(٢) هي كسر حرف المضارعة كقولهم : تعلم ، تدري . وهي لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب .
(الترجم) .

٧- لهجة .

٨- تعبير محلي أو لهجي .

وغالباً ما نجد أحد الكتاب القدماء يقول أن هذه الصيغة «لغة في . . .» . أي صيغة بديلة لـ . . . ، ومؤلف متأخر مقتبساً عنه يستبدلها بقوله : «في بعض اللغات» أي في بعض اللهجات ، والعكس بالعكس .

القيود التي يضعها بعض الكتاب لاستعمال اصطلاح لغة ، لم يعط القضية أي وضوح . فالأستراباذي مثلاً (الكافية ٣١/٢) في مناقشته استعمال هولاء بدلاً من هؤلاء يقول : «إنها ليست لغة ، ولكنها صيغة حدث لها تقصير» .^(١) وبوضوح فإن لفظ «لغة» لا يعني في هذا السياق صيغة لهجية ، ولكنها صيغة لا يمكننا اشتقاقها من الصيغة العادية باستبدال صوتي بسيط . وبالتأكيد ليس هو الاستعمال المتبع بشكل عام .

n- ١٤ - لا عجب إذا كان بعض اللغويين قد فقدوا رؤية حقيقة أن اللهجة مرتبطة بالجماعة العرقية! ففي جمع الجوامع (٣٧/١) للسيوطي وجدنا القطعة التالية :

«يقول بعضهم إن معاملة الأسماء الممنوعة من الصرف في النثر كأسماء مصروفة هي لهجة بعض العرب . وهذا الرأي حكاه الأخفش وقال إنها لهجة الشعراء ، لأنهم باستخدامهم لها في ضرورة شعرية ، تصبح أكثر استعمالاً وتجري على الألسنة في الكلام اليومي» .^(٢) ومن يريد أن يتكلم عن اللهجات في البصرة والكوفة ، يعني تلك الصيغ التي أقرها نحاة البصرة والكوفة . (Kofler: WZKM xlvi: 264)^(٣)

والذين يدركون مضمون مصطلح لهجة بوضوح أكثر ليسوا دائماً على حق في تطبيقه .

(١) يشير إلى ما جاء في شرح الكافية للأستراباذي ٣٢،٣١/٢ :

«وأما قولهم هولاء في :

تَجَلَّدَ لَا يَقُلْ هَوْلَاءُ هَذَا بَكَى لَمْ يَكْى أَسْفًا وَغِيظًا

«فليس بلغة بل هو تخفيف هؤلأ بحذف ألف ها وقلب همزة أولاء واوًا» . (الترجم)

(٢) يشير إلى ما جاء في معجم الهوامع شرح جمع الجوامع ٣٧/١ للسيوطي : «وزعم قوم

أن صرف مالا ينصرف مطلقاً أي في الاختيار لغة لبعض العرب ، حكاه الأخفش قال : «وكان هذه لغة

الشعراء لأنهم قد اضطروا إليه في الشعر فجرت ألسنتهم على ذلك في الكلام» . (الترجم) .

(٣) و : WZKM اختصاراً أي : (Wiener Zeitschrift die Kunde des Morgenlands).

وفي أثناء مناقشة رأي الفراء أن «منذ» مكونة من «من» واسم الموصول «ذو» يعترض ابن يعيش^(١) قائلاً: إن العرب يستعملون منذ، وطيء وحدها تستعمل ذو. كيف يكون في كلمة، يستعملها الجميع، عنصر محصور الاستعمال في لهجة قبيلة واحدة؟ (ص ١١٣) بالرغم من منطقيته. إلا أنه كان مخطئاً.

٥- ١٥ - إن كمية لا بأس بها من معلوماتنا عن اللهجات يتألف من نمط شذوذ الناس اللغوي رغبوا في عزوها لجيرانهم. وفي الوقت الذي تحتوي على لب الحقيقة فإنها بلا شك تغلب عليها المبالغة والغموض وتشبه الروايات الشعبية «لويلش» الثاني أو الاعتقاد الفرنسي بأن الألمان ينطقون الصوتين p، b كل منهما في موضع الآخر. كثير من اللهجات أخذت اسمها من الألقاب الشعبية التي تطلق على أصحابها لوجود صفة لافتة للنظر عندهم مثل الغمغمة^(٢)، العجرفية^(٣)، العجعة^(٤)، والرثة^(٥)، النخ، ومعظمها عند تحليلها لا تعني أكثر من: الصراخ، الجار بصوت عال، العويل، كلام غير مفهوم (هذيان) أو أشبه، نوعاً ما، بالنعوت والألقاب (كما يحدث تماماً في ألمانيا حين تُتهم كل منطقة من قبل المناطق الأخرى بالغناء والصراخ).

ولم يطب ذلك لعلماء اللغة بشكل كاف، الذين يتوقون إلى تقليل غموض المصطلحات لتقريبها من التفاصيل النحوية الصرفية الواقعية. أو حينما لا تتوافر الملامح المناسبة،

(١) يشير إلى ما جاء في شرح المفصل (٨/٤٤ ط عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي القاهرة) عن «منذ» وذهب الفراء إلى أنها مركبة من من وذا التي بمعنى الذي وهي لغة طيء نحو قول اشاعر:

فإن الماء ماء أبي وجدتي ويثري ذو حفرت وذو طويت

... وما يبطل قول الفراء أن ذو بمعنى الذي إنما يستعملها بنو طيء لا غير، ومنذ يستعملها جميع العرب،

فكيف يركبون كلمة يستعملها جميعهم من كلمة مختلف فيها بينهم. (المترجم)

(٢) هي أن تسمع أصواتاً ولا تحدد فيها الحروف ولا يبين الكلام وتنسب لقضاعة. (المترجم)

(٣) هي تحويل الياء جيماً وتنسب لقضاعة أيضاً كقولهم في علي وعشي: عليج وعشج. (المترجم)

(٤) هي الجفاء في الكلام وتنسب لضبة. (المترجم)

(٥) لم يُحدّد لها في اللسان معنى واحداً وإنما قال في قال في باب رت «هي عجلة في الكلام»، وقيل قلب اللام ياء، وقيل هي العجمة في الكلام قيل الأرت هو الذي في لسانه عقدة وخبسة، ويعجل في كلامه فلا يطاوعه لسانه. (المترجم)

يلجؤون تقريباً إلى ابتداء مصطلح . وقد اصطنع مصطلح عنعنة تميم ليشير إلى حقيقة أن هذه القبيلة تقول «عن» بدلاً من أن . وعليه فإن عجعة قضاعة وطيء يجب أن تعنى أنهم يقولون عَجْ بدلاً من عَي . وهذه المصطلحات أصبحت عدة الصانع لعامة اللغويين . والاتجاه العام للهجات قد تمركز حولها . ويمكن العثور على كمية لا بأس بها من القيم التقليدية معزوة إلى هذه الأسماء ، في مقال «اللغات واللغات» لبيير أنستاسي Père Anastase المنشور في مجلة المشرق ٥٢٩/٦ - ٥٣٦ ، ٥٨٩ - ٥٩٣ .

p- ١٦ - وهكذا سيكون ، في كل مصدر للمادة التي سنعمل عليها ، أسباب عملت على تزيف المعلومات ، والتقليد الذي اتبع فيما بعد بنسخ الأخبار من قبل كل كاتب عن سلفه ، هو الآخر مسؤول عن قدر كبير وغير محدود من معرفتنا للهجات ، وفي بعض المناسبات كنا نجد المؤلفين يكذب بعضهم بعضاً تكديماً صريحاً ، سواء في وصف الظاهرة أو في عزوها للقبائل . إن أسماء القبائل المتشابهة نطقاً أو كتابة غالباً ما كان سبباً في التشويش ، خاصة إذا لم تكن تعني شيئاً كبيراً بالنسبة لعلماء اللغة المتقدمين وقد وضع فريتاج Freytag (Einführung, p.76) قائمة بالمظاهر اللهجية لقبيلتي الأزد ، والأسد تحت عنوان واحد . وبعض الخلط وجدته مصادفة بين هذيل وحنظلة (فرع من تميم) وبين اليمن وتيمم . مثل هذه الأخطاء لم تتكرر كثيراً ويمكن اكتشاف معظمها بسهولة .

q- ١٧ - والأكثر إزعاجاً من هذه ، بالنسبة لغابتنا ، هو الميل إلى استبدال تجمع قبلي كبير بأخر صغير . وعليه غالباً ما كنا نجد أسماء لفروع من تميم ، التي يظهر أن لهجاتها قد اختلفت بشدة إلى حد ما ، ألحقت بتميم أو بكنانة ، خزاعة ، المدينة ، العالية ، الخ قد ألحقت بالحجاز . وهذا الأمر مزعج بوجه خاص حين يقطع مثل هذا التجمع الواسع الحدود الفاصلة بين اللهجات ، كما في حالة قيس التي يتضمن تحالفها متكلمين للهجات الغربية والشرقية . ولكن بما لا يقبله العقل هو استعمال اللهجة اليمنية في عدة أجزاء من الجزيرة العربية من قبل قبائل تدعي أنها ذات نسب يمني . والنهج الأكثر تكراراً هو أن نجد استعمالات مجموعة غرب الجزيرة تحت اسم الحجاز ، ومجموعة قبائل شرق الجزيرة تحت اسم تميم . وقديماً فعل ذلك سيبويه بتوسع والسيوطي يسمى الفصل الذي يعالج اللهجات في المزه (١٧٥-١٧٨) «الفروق بين لهجات الحجاز وتيمم» بالرغم من أنه في أعماله الأخرى لم يكن ميلاً إلى هذا التشقيق . وحين يخالف استعمال إحدى

المجموعتين العربية الفصحى غالباً ما تعزى الصيغة الفصحى وببساطة ، إلى المجموعة الأخرى . لأن «ما» في حالة نصب الخبر تسمى حجازية و «ما» في حالة رفعه تسمى التميمية . (ابن مالك التسهيل ص ٢٢) والتميميون يصرفون هلم ، بينما هلم غير المتصرف من عمل اللهجة الحجازية (الأسترابادي ، الكافية ٧٢/٢) . (١)

١٨ -٢- بينما يجري تحليل هذه المصادر من الأخطاء ، وتطبيق النقد المطلوب على الأخبار التي تزودنا بها المصادر العربية يجب أن نكون على حذر من الوقوع في الخطأ المضاد باعتقادنا أن المعلومات لا غناء فيها . وأمل أن أكون قد عرضت في هذا الكتاب هذه المعلومات بإجمال ، يتناسب مع نظام متماسك من التوزيع الجغرافي . ويجب علينا ، قبل كل شيء ، أن نكون حذرين من رفض أية صيغة بسبب كونها فريدة . وغالباً ما تبدو في الظاهر منافية للعقل وتقليبها على وجهها الصحيح تصبح مستحسنة . فقد رفض مولر (D. H. Muller, Südarabische yeminite p21) عام ١٨٧٧م أداة النفي الحميرية دو du مثل im: semitischen undenkbar بينما هي في الحقيقة أكثر المظاهر أصالة في اليمينية الجنوبية . وما لاشك فيه أننا نمتلك كتلة متماسكة من المعلومات نشأت من الملاحظة . وتبقى علينا مراجعة طبيعة هذه المعلومات ومصدرها .

s- ١٩ - إن كثيراً من الأخبار التي بحوزتنا قد صيغت بطريقة تدل على الاتصال الشخصي بتكلمي اللهجات والعبارات التي تدل على ذلك مثل : سمعت رجلاً من القبيلة يقول ، أخبرني رجل من القبيلة أن استعمالهم كان كذا كذا ، وتكرر باستمرار . وغالباً ما تُعطى تفاصيل دقيقة عن عصر الراوي ، وعن ظروف اللقاء به . والمثال التالي دال على ذلك : ينقل «أبو عُبَيْد (٢٢٣هـ/٨٣٨م) عن الحسن : أننا لم نعرف ماذا تعني كلمة الأرائك حتي قَابَلْنَا رجلاً من اليمن فأخبرنا أن أهل بلاده يستعملون الأريكة لتدل على الظُّلَّة التي يُنصب تحتها سرير

(١) إشارة إلى ما جاء في الكافية ٢٧/٢-٣٧ عن «هلم» : «لم يتصرف فيه أهل الحجاز مع أن أصله التصرف» يقصد الفعل لَمْ باعتبار أن هَلَمْ مركبة من هاء التنبيه مع الفعل لَمْ كما يقول الخليل وبنو تميم يصرفونه نظراً إلى أصله وليست بالفصيحة نحو هلمأ ، هلموا . . . (الترجم) .

الزفاف . (السيوطي، الإتيقان ص ٣١٠) (١) . وقصة أخرى ممتعة وهي : أن أبا عمرو (١٥٤هـ/ ٧٧١م) حين أراد أن يحسم مسألة ثار حولها جدل أرسل رسولين ليلقنا الحجازي والتميمي تركيباً معيناً . وأصر كل منهما على لهجته الخاصة ولم تُجدِ معهما أية وسيلة ليعترف كل منهما باللهجة الأخرى (ابن هشام ، المغنى ٢٢٧/١) (٢) . وهذه القصة ، مشكوك في أمرها حقاً ليس فقط للافتراض المسبق أن البدو في القرن الثاني الهجري ما زالوا يتكلمون لهجة فصيحة ، ولكن أيضاً لأنها تبالغ كثيراً في فكرة أن البدوي لا يطاوعه لسانه أن ينطق تعبيراً خاطئاً ، (الخزانه ١٣٠/٢) .

ويجب أن نعترف بالخيرة نفسها أمام مقولة الجرّمي (٢٢٥هـ/ ٨٤٠م) التي جاء فيها : «لقد خرجت من خندق الكوفة وقطعت الطريق كلها إلى مكة ولكنني لم أسمع أحداً يقول بغير النصب في التركيب : اضرب أيّهم أفضل» . (الأسترباذي ، الكافية ٥٧/٢) (٣) هذه الافتراضات المسبقة حول النهايات الإعرابية كان اتجاهاً عاماً في أواخر القرن الثاني

(١) والخبر في الإتيقان (٣٣١/١ ط ٢) ، طبعة البابي الحلبي وأولاده كما يلي بنصه . «وأخرج أبو عبيد عن الحسن قال : كنا لا ندري ما الأرائك حتى لقينا رجلاً من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير «والحجلة كما جاء في اللسان مادة حَجَل مثل القبة ، وحجلة العروس بيت يزين بالثياب والأسرة والسُّنُور ، أو بيت كالقبة يستر بالثياب . (المترجم)

(٢) يشير بذلك إلى اقتران خبر ليس بـ لا نحو : ليس الطيب إلا المسك حيث جاء في المغني (٣٢٥/١ ط دار الفكر) : فإن بني تميم يرفعونه (أي الخبر) حملاً لها على ما في الإهمال عند انتقاض النفي ، كما حمل أهل الحجاز ما على ليس في الإعمال عند استيفاء شروطها ، حكى ذلك عنهم أبو عمرو بن العلاء ، فبلغ ذلك عيسى بن عمر الثقفي فجاءه فقال : يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك ؟ ثم ذكر ذلك له ، فقال له أبو عمرو : نمت وأدبج الناس ، ليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع ، ولا حجازي إلا وهو ينصب . ثم قال (أي أبو عمرو) لليزيدي وخلف الأحمر اذهبا إلى أبي مهدي (حجازي) فلقناه الرفع فإنه لا يرفع ، وإلى المنتجع التميمي فلقناه النصب فإنه لا ينصب ، فأتياهما وجهدا بكل منهما أن يرجع عن لغته فلم يفعل . فأخبرا أبا عمرو وعنده عيسى . (المترجم)

(٣) قد جاء في الكافية ٥٧/٢ : «قال الجرّمي خرجت من خندق الكوفة حتى أتيت مكة فلم أسمع أحداً يقول في نحو : اضرب أيّهم أفضل إلا منصوباً» . والمؤلف راوين يقول حسبما جاء في الهامش : إنه من الطبيعي أن يتردد في قبول الخبر الذي يقول : إن نعم وبشس تؤنث بالتاء في كل اللهجات . (المترجم)

الهجري ، وبقليل من المنطق سيداخلنا شك في أن تكون هذه الأقوال قد حصلت من الأشخاص الذين تُعزى إليهم ، أو إنها نطقت بجدية كاملة . وقد أوضحوا نقطة في منتهى الأهمية بالنسبة لموضوعنا : وهي أن خداع النفس في المسائل اللغوية لم يكن أقل قوة بين العرب في القرن التاسع الميلادي^(١) منه بين رجال الأدب والمعلمين في وقتنا الحاضر في أوروبا وأي مكان آخر .

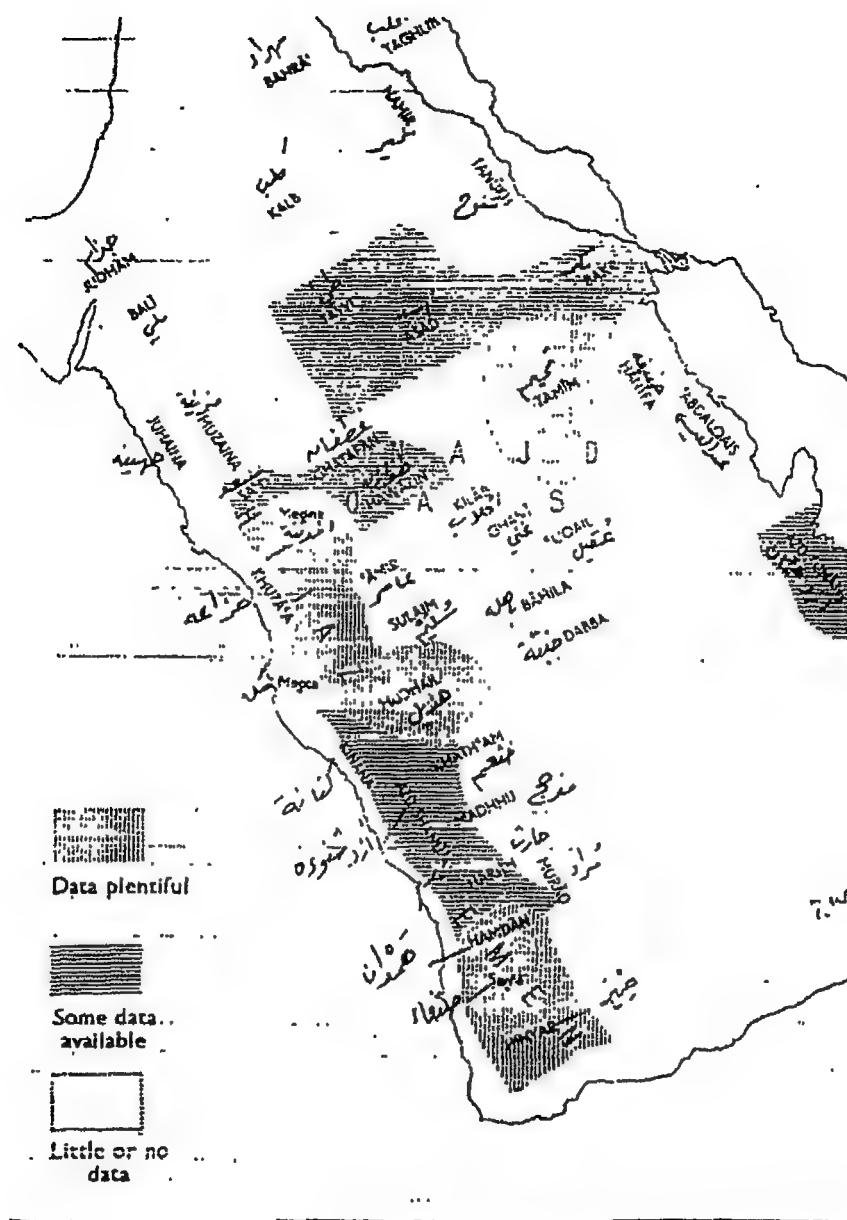
t- ٢٠ - إن كثيراً من المعلومات حول اللهجات يحتمل ألا تكون قد جمعت في البادية ولكن في المدن العراقية التي كان يعيش فيها البدو ، وكان لهم احتكاك بالمدارس اللغوية . وإن فلوجل (Flügel (Grammatische Schulen, p. 45 seq) يضع قائمة لمثل هؤلاء المساعدين من المواطنين ، ومعظمهم كانوا يُقبلون من قبائل شرق الجزيرة العربية .

إن اللفظة التي كان يُستقبل بها هؤلاء الوافدون من البادية توحى بأن معظمهم قد فقدوا اتصالهم بالكلام البدوي الحي (Gold3iher, JRAS, 1897, p.326, note 1) والمشهور عن هؤلاء البدو أن تزويدهم محاورهم بالأخبار والمعلومات التي يرغبون فيها كان مشروطاً بالعطاء الملائم (ابن هشام ، المغني ١/٨١ ، طه حسين ، الأدب الجاهلي ، ص ١٨٠) . ولا يوثق بالطبع ، على وجه الخصوص ، بالمواد التي تخص لهجات غير لهجاتهم . تجدر الإشارة إلى أن أسماء هؤلاء الرواة نادراً ما تظهر في الأخبار . كذلك لم يُذكروا قط في المعلومات التي ترتبط بمواد العربية الفصحى . ومن الواضح أنه لم يكن مطلوباً من اللغوي أن يعيّن موطن مصدره .

u- ٢١ - ومصدر آخر لم يُذكر قط ، ويحتمل أن يكون من الأهمية بمكان ، وهو ما تتناقله الأسر العربية في أماكن عدة من الكلام القديم المنسوب إليهم من لغات غريبة تنسب لذويهم المعمرين ، وتعبيرات متداولة في الأسر العريقة التي تفخر بتراتها القبلي . ومن الجلي أن هذا الأمر مصدر غير وثيق جداً للمعلومات ، كالكلام المستقل الواقع تحت تأثير اللهجة السائدة حوله . ولكن هذا المصدر قد يلعب دوراً أكبر بمساهمته في تحليل الخصائص البارزة للهجات .

v- ٢٢ - سيكون من الصعب ، إن لم يكن مستحيلاً ، الكشف عن الأسباب التي حَدَتْ باللغويين أن يكتفوا بتسجيل الخصائص البارزة للهجات . وقد تم هذا الأمر بدون

(١) أي القرن الثالث الهجري .



تنظيم ، ولم يعدوا ، مطلقاً ، هذه اللهجات شكلاً صحيحاً من أشكال الكلام الذي بحوزتهم ، ولكنها مجموعات غريبة أو لافتة للنظر باعتبارها منحرفة عن اللغة الأدبية ، والمعيار الذي قاسوا عليه معلوماتهم كلها هو العربية الفصحى . ونستطيع أن نتبين بوضوح تام أنهم فشلوا في رؤية أي شيء لم يقع في فصائل^(١) تلك اللغة الفصحى ومفاهيمها ، ولكن حتى لو سلّمنا بهذا التحديد فإنه ستظل كمية كبيرة من الصيغ والاستعمالات اللهجية مما نتعلمه بطريقة غير مباشرة ، مما يطرق سمع العربي ؛ لم يحظ بالتسجيل . وكدليل على ذلك تلك الطريقة العرضية والخادعة التي قدّم بها يميز لهجي مهم في المعجم مثل - ك^(٢) الحِميرية التي تلحق بفعل المفرد المتكلم ، حيث لم يذكر اللغويون عنه شيئاً مطلقاً . وربما يكون السبب الوحيد لذلك هو أن اللغويين العرب لم يكن لهم اهتمام حقيقي بل يمكن أن نصف اهتمامهم بأنه عرضي ، ثانوي ولم يعطِ الاهتمام الكافي لا من الصرف ولا من النحو . ونخلص إلى نتيجة مفادها أنه لدينا قدر كبير من المعلومات في مواقع ثانوية من الاستعمال اللهجي ، وثالث مصادفة ، تقعيداً أساسياً بنظرات غير فاحصة .

ولا نستطيع أن نعيد بناء الجذر التام لأية صيغة في أية لهجة . ونادراً ما يمكننا القول بالتأكيد إن هذه الكلمة قد اكتملت وكيف تمّ نطقها . والنظرات الخاطفة التي حصلنا عليها تبرهن على أن هناك فروقاً شاسعة مستغلقة علينا بحيث لا يحتمل أن ينكشف أمرها لنا .

w- ٢٣ - لن يكون كافياً التأكيد أنه لا يمكننا أن نمتلك جملة فريدة في لهجتها الأصلية بعيداً عن الحِميرية . والشواهد التي نجدها في مصادرنا في كثير من الحالات ، بلا شك ، من صنع اللغويين ، وأنها لم تُستقْ من أفواه الناطقين باللهجات . وحيثما تكون الجمل مقتبسة من كلام واقعي ، تجد الكلمة أو الكلمات الأساسية فقط في صيغتها الأصلية ، وتجدها البقية قد أعيدت صياغتها حسب قواعد اللغة الأدبية .

(١) ما يسمى باللغة الإنجليزية Categories

(٢) وهذه لهجة معروفة في اليمن حتى وقتنا هذا حيث سمعت في نواحي مدينتي تعز وباب : فأقلّك لك أي قد قلت لك/ وأخذك أي أخذت ، وحفظكها الدرس أي حفظتها الدرس ، وهكذا . (المترجم)

وعلينا أن نتذكر أنه في كثير من الأحوال لم يكن في إمكان طريقة الكتابة العربية التعبير عن الأصوات اللهجية ، كما هي الحال الآن حيث لا تفي هذه الطريقة بكتابة اللهجات الدارجة . وظلت عملية تسوية هذا الأمر منوطة بالنسّاخ .

x- ٢٤ - بعيداً عن أمثلة علماء اللغة ، علينا في كثير من الأحوال أن نتعامل مع الشعر والقرآن الكريم . وكلاهما من المصادر غير المباشرة التي يمكن استعمالها فقط بيقظة تامة ، لأنهما من النصوص الفصيحة التي ترد فيها الملامح اللهجية دون قصد للانحراف عن الأصل الذي ينسج على منوال المؤلفون أنفسهم . وإنّ ما نحصل عليه ليس لهجة خالصة وإنما لغة وسطى بين اللهجة والعربية الفصحى . وإنّ التعديل المنتظم من علماء اللغة قد عملا في نصوص الطرفين إلى أبعد مدى على إخفاء صفة المحلية فيها . واللهجة في هذه النصوص تلعب دوراً مشابهاً جداً لدور اللغة الكنعانية في رسائل تل العمارنة . أن الاستخلاص الناجح لكثير من ملامح الكنعانية القديم من خلال تلك الرسائل يشجعنا على التعامل مع المواد اللغوية العربية .

y- ٢٥ - والمشكلة الخاصة التي تواجهنا في الشعر هي مسألة الموثوق به . وليس من المستحسن كثيراً إقامة قواعد لغوية على شعر لم يقله أحد أفراد القبيلة التي يمثلها الشاعر المحتج بشعره . وربما تزودنا يوماً ما معرفتنا باللهجات والتنوعات الإقليمية للعربية الفصحى بمعيار لغوي عالي الكفاية للحكم على موثوقية النثر أو الشعر . وفي الوقت الحاضر نقبل المادة الشعرية فقط باعتبارها شاهداً تراكمياً^(١) وما زالت الدراسات التمهيدية الضرورية تفتقر لمثل ذلك .

وحبذا لو استطاع كل محقق للشعر القديم أن يزودنا بدراسة متأنية ودقيقة للغة شاعره كما فعل شوارتز (Shwarz) في تحقيقه لشعر عمر بن أبي ربيعة . مثل هذه الدراسة لا تكمن قيمتها في ترقية الدراسات اللغوية العربية كلية ولكن لأنها تجعل من التحقيق نفسه أنموذجاً يقاس عليه . والأشعار المقتبسة في هذا الكتاب غالباً ما تكون شواهد استعمالها اللغويون

(١) أي كلما تكرر استعمال لغوي كثيراً في أعمال شاعر كان أقل عرضة للتزوير . (المترجم)

أنفسهم ، استخدمت باعتبارها أمثلة^(١) وليس باعتبارها حجة على وجود الظاهرة التي تمثلها . ولهذا السبب ، وفي معظم الحالات ، لا يهم كثيراً ما إذا كانت أصيلة أم لا .

z- ٢٦ - ولا يتغير حديث علماء اللغة عن الوحدات اللهجية الثابتة . فمكة والمدينة والطائف مراكز تندر فيها اللهجات ، أو هذه وحدات قبلية صغيرة خصوصاً في حالتها تميم وأسد ، ولكن في معظم الأحوال حين يكون الحديث عن قيس وقيم فإنه يقال تجمع قبلي كبير ، أو تحالفات قبلية ، أو مناطق واسعة يصعب تحديدها مثل : اليمن ، الحجاز ، نجد ، تهامة . وإننا بكل تأكيد لا نرضى بالمطلب الأساسي للجغرافيا اللغوية ، الذي يجعل من المكان أساساً للتقسيم اللغوي ، ولا نستطيع رسم الحدود الفاصلة بين الخصائص اللهجية المتنوعة ، إن بحوث الجغرافيا اللغوية قد أظهرت أن اللهجات نادراً ما تحتفظ ببقائها طويلاً والكلام المحلي يختلف من قرية إلى قرية . وبالصدفة فقط قد يجد أحدهم مجموعات ذات حدود فاصلة واسعة بشكل كاف ؛ تعطي شعوراً بأن هناك حداً لغوياً فاصلاً . والوحدة اللغوية للعربي البدوي هي الحلي ، حيث تعيش مجموعة من العائلات معاً كل منها بعيدة عن القبيلة التي تنتمي إليها . ولم يثبت بشكل لا لبس فيه أن القبيلة تشكل وحدة لغوية ، وفيما يتعلق بالوحدات الجغرافية الواسعة ، من المؤكد غالباً أن الحدود اللغوية تمر عبرها . وعليه فإنه لا يمكننا إلا الموافقة على تمرکز مادتنا كما هي . والجغرافيا اللغوية في الجزيرة العربية فيها شذوذ إضافي وهو أن الوحدة اللغوية غير مستقرة ، ولكنها تتحرك غالباً عبر مساحة شاسعة . والمراكز الموجودة على خرائطنا ليست إلا علامات تخطيطية وأكثر ما يبدو خطأ بعضها حين يكون إدراكها غير محدد ، إذ ليس لدينا خريطة جغرافية دقيقة للقبائل في الجزيرة العربية .

aa- ٢٧ - ولدينا معلومات وافرة بشكل ملائم عن ثلاث مناطق فقط في الجزيرة العربية هي : الحجاز وذلك يمكن في المدن المقدسة ، واليمن وقيم . وبالنسبة للمناطق

(١) والحقيقة في هذا الأمر عند اللغويين أن ما استعمله اللغويون من أمثلة يعتبر شواهد لغوية وحجة للظاهرة ما دام الشاهد قد ورد في عصر الاحتجاج - ١٥٠ هـ في الحضر - ٣٥٠ هـ في الدر ، وصدر في قبيلة يحتج بشعرها أو بلغتها وهي القبائل التي حددها الفارابي في كتابه وصف الحروف وهي : قيس وقيم وطيء وهذيل ثم بعض كنانة . (المترجم)

الأخرى لدينا بعض المعلومات التي تسمح لنا بالتعرف على الخصائص العامة للهجات المنطوقة هناك ، وبالنسبة لبقية اللهجات في شبه الجزيرة العربية لدينا معلومات قليلة جداً بحيث يمكن اعتبارها مجهولة لنا تماماً ، (انظر خارطة رقم ٢) ولحسن الحظ فإن لهجات غرب الجزيرة تقع كلها ضمن الصنفين الأول والثاني . والشغرات ، نوعاً ما ، مؤلفة حقاً ، وتشمل قبائل قضاعة التي كانت على اتصال وثيق باللغات السامية الشمالية وتغطي المنطقة التي وجدت فيها كل النقوش التي تخص المرحلة السابقة على استقلال العربية عن السامية الأم ، لدرجة أننا لم نتمكن من الحصول على أية مساعدة لفهم أفضل لهذه الوثائق القديمة . والأسوأ من ذلك أنها تحتوي تقريباً على كل اللهجات المركزية العربية التي يمكن أن تكون هي الأساس للعربية الفصحى . إن فقدان الاهتمام قد كشف عن أمر مثير للدهشة هو أن معظم الشعراء القدامى وأهمهم قد أتوا من هذه المنطقة . وهناك تفسيران يقدمان أنفسهما أحدهما أنه من القرن الثاني إلى القرن الرابع لم يكن سهلاً على المقيمين في المدن أو البلدان إقامة اتصال مع البدو في هذا الجزء البدوي من الجزيرة العربية ، وأما الثاني فبسبب أن هذه اللهجات قد أبرزت العربية الفصحى وإن اختلافها عن الفصحى لم يكن لافتاً للنظر بشكل كاف ليجذب الانتباه .

الفصل الثالث

آراء في أصول العربية الفصحى

a- ١ - إن معرفتنا غير الوفيرة باللهجات القديمة هي السبب إلى حد بعيد في أن الآراء حول العلاقات بين هذه اللهجات والعربية الفصحى تعتبر من قبيل الظن والتخمين فنولدكه (Noldeke, Beiträge p. 1- 14) وفي (Semit. Sprachen 2nd ed. p. 54- 55, td) اعتقد أن الفروق بين اللهجات المنطوق بها في الأجزاء الرئيسة من الجزيرة العربية (وهي الحجاز ونجد وفي منطقة الفرات) كانت بسيطة ، وإن قواعد اللغة الأدبية قد أقيمت اعتماداً عليها كلها بشكل متساو . وأما جويدي Guidi (Misc Ling. G. Ascoli, Torino 1901, p.323) فقد اعتقد أن العربية بالفصحى خليط من اللهجات المنطوقة في نجد والمناطق المجاورة ، ولكنها لا تتطابق مع كل واحدة منها على حدة . وأما نالينو (Scritti, vi, 188= Hilāl, Nallino xxvi 1917 p.47) فيربط نشوء العربية الفصحى بمملكة كندة ؛ حيث اعتقد أنها اللغة الدارجة التي كانت تنطق بها قبائل معدّ المتحالفة في تلك الدولة . وأما فيشر Fischer (ZDMG, lix , 662, note 4) فيرى أن هناك تشابهاً وتماثلاً بين العربية الفصحى وبين إحدى اللهجات ، ولكنه لم يعبّر هذه اللهجة . وهو ما يتفق في جوهره مع رأي هارتمان Hartman (OLZ, xii, 23) وأما فولرز (Volks- Sprache p. 184) Völlers فأطلق افتراضاً مفاده أن العربية الفصحى قد أقيمت قواعدها على وجه الخصوص على لهجات نجد واليمامة التي غيرها الشعراء كثيراً ، وفي الوقت نفسه كانت تجري على الألسنة لغة مختلفة في سائر أنحاء الجزيرة وهي لغة السلف التي تحضرت وأصبحت حديثة ، وهي التي نزل بها القرآن الكريم ، وأعيدت كتابته بأسلوب العربية الفصحى^(١) وأما بروكلمان (١) إن هذا الادعاء الذي يطلقه فولرز بأن النحاة هم الذين اصطنعوا ظاهرة الإعراب التي لم يكن لها وجود حقيقي في مكة ، في رأيه ، قد وجد من المستشرقين من يرد عليه مثل نولدكه الذي أثبت أن النهايات الإعرابية لا يمكن أن تكون من صنع النحاة ، وما قاموا به إنما هو تسجيل لما وجدوه في الشعر الجاهلي والإسلامي . ولأنه من الخطأ الشنيع كما يقول نولدكه ، الاعتقاد بأن اللغة الحية في عهد النبي لم يكن فيها الإعراب فإن العلماء في عصر هارون الرشيد قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو .

Brockelmann (GVG, i,23) مثل فتزشتاين (Wet stein) وآخرون قبله ، فيصرح بأن العربية الفصحى لم تنطق قط بالشكل الذي نعرفه ، ولكنه لم يناقش علاقتها باللهجات . وأما لندبيرج - berg- (Prov. et Dictions, i,xxvii) Land فيقول قد نُطِقَ بها (on ne Saitqunad) ولكن قواعدها الصرفية النحوية قد تضخمت بسبب أعمال الشعراء وأما إبراهيم أنيس (في كتابه اللهجات ص ٢٨) فينكر أن العربية الفصحى تتطابق مع أي من اللهجات . ومارسييز (Marcais) اقتباساً عن فليش Fleisch ، (المقدمة ص ٩٩) يقارنها بلغة هومر المصطنعة المتكلفة .

b- ٢ - وينبثق أحياناً سؤال عن كل ذلك ، وإن كان بعيداً عن الأسئلة التي تدور حول أصول العربية الفصحى ، وهو عن الدور الذي لعبته في النظام اللغوي في فترة ما قبل الإسلام : وهناك اتفاق راسخ بين علماء من أوروبا يرى بأنها كانت لمعظم الذين استعملوها أو كلهم من أجل كتابة الشعر ، وكانت بالنسبة لفريق آخر لغة أجنبية يجب اكتسابها . وبناء على هذا الاعتبار كان الحال بين البدو القدماء كحالهم بين عرب أيامنا هذه الذين يؤلفون شعرهم باللهجات مهجورة وغالباً ما تكون غريبة ودخيلة (Doughty, Travels, iii,71, Socin, Diwan Aus Zentralarabien, ii,27, etc) وفي البلاد التي استوطنتها العرب كانت اللغة أشبه بالطريقة البدوية (Cantineau, parlers, p. 4, note) تماماً كالتي كانت في الحجاز أيام محمد ﷺ .

c- ٣ - ولكن علماء المسلمين يتبنون وجهة النظر المضادة ، وإن بينهم اتفاقاً أساسياً يرون فيه أن العربية الأدبية تطابق اللغة التي كان يتكلم بها البدو . وأن العربي البدوي هو الحكم النهائي للعربية الصحيحة . ولا يطاوعه لسانه على الخطأ حتى ولو أراد ذلك . وكلما كان حظه من الحضارة أقل كان أفضل . وأفضل متكلمي العربية أكثرهم إيغالاً في البداوة ، ويقال في المثل العربي (أفصح العرب أبرهم ، لسان العرب مادة بر) . والفراء اللغوي (٢٠٧هـ/٨٢٢م) عتقه بدوي لدراسته اللغة على يدي اللغوي المشهور يونس بن حبيب بينما كان في إمكانه أن يتعلمها بصورة أفضل من أعراب أسد الذين أقاموا إلى جوار بلده المقيم فيها (Noldeke, Beitrage p. 5) ويعجز أبو قلابة الجرمي أنه لم ير أكثر دقة في العربية من أعراب الحارث الذين قابلهم في مكة (المبرد ، الكامل ص ٤٣٤) . والفصاحة البدوية كانت

موضوعاً لنوع أدبي في كتاب الأمالي لإسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) ، ويبدو أن الرأي القائل بالأفضلية اللغوية البدوية كان نتيجة طبيعية للنظرية التي تعزو كل شيء غير صحيح إلى تأثير اللغات الأجنبية من كلام غير العرب . وقد كان هذا طرفاً من المثالية العامة للمجتمع المسلم التي تشبه الميل الشديد إلى المثالية في المجتمعات التي تمدّنت بعد مرحلة بدائية . وكان هذا الأمر مستساغاً إلى حدّ ما بسبب ثراء كلام الأعراب وقدرته البلاغية السليقة ، وبسبب الحقيقة التي يؤكدّها هذا الشعر التقليدي العربي الفصيح الذي ظلت القبائل تحافظ عليه لعدة قرون . كما يُستدلّ على ذلك بديوان هذيل . وإن هناك قليلاً من الشك في أن اللغة التي يتكلمها البدوي مختلفة عن اللغة الفصحى . وإنه من الصعب أن نفهم لماذا لم يحاول العلماء إدراك هذا الأمر؟ وربما كانوا قادرين على تجريد أذهانهم من الأعراب الذين احتكوا واختلطوا بهم ، مع التركيز على بعض الأعراب المثاليين . حتى يومنا هذا يجد الرحالة في الجزيرة العربية من يخبره أن هناك قبائل في وسط الجزيرة ما زالت تتكلم بالعربية الفصحى الخالصة . ومهما يكن من أمر فقد تكون الأسباب التي تدعو لمثل خداع النفس هذا قد وجدت . ولا يوجد أدنى شك في أن التشابه الأساسي بين العربية الفصحى وبين الحديث اليومي لبعض العرب كان الدافع الرئيسي لاشتغال العلماء العرب بهذه القضية .

d- ٤ - وفيما يتعلّق بأصل العربية الفصحى كانت آراء العلماء العرب منقسمة كأراء الأوروبيين . ولو قدّمنا هذه الآراء حسب تطورها الزمني ، يجب ألا يؤخذ مثل هذا التقديم المتنوع على أنه تتابع تاريخي ، وأن كل رأي سابق قد هُجِر وحل محله رأي لاحق . وأُعْتَقِدُ ، بالرغم من أنني لا أملك المادة الكافية للبرهنة على هذا الاعتقاد ، أن مدارس التفكير الثلاث التي سنصفها في الفقرات التالية قد تبعت ، في الحقيقة ، كل واحدة منها الأخرى على مدى جيل أو اثنين خلال القرن الثالث الهجري . وقد عرفناها عن طريق الأعمال المتأخرة ، حيث وردت وجهات النظر الثلاث جنباً إلى جنب دون أية محاولة للحكم عليها . وعليه يبدو أن المؤلفين المتأخرين يحفظون عدة آراء في وقت واحد . وتطوّرت كل وجهة نظر فيما بعد ، وإن كل واحدة منها قد صيغت بشكل يخفي شبهها بالأصل الذي كانت عليه .

٥- ٥ - في بادئ الأمر يبدو أنه قد أصبح مألوفاً بأن اللغة الأدبية المستعملة في القرآن الكريم تضم لهجات مختلفة ، وقد وضع أبو عبيد (٢٢٣/٨٣٨) في رسالته مجموعة من كلمات هذه اللهجات ، حيث ضمّن وجهة نظره هذه في مقدمة رسالته كالآتي : إن بعض القرآن الكريم قد نزل بلهجة قريش ، وبعضه بلهجة هذيل ، وبعضه الآخر بلهجة هوازن ، وبعضه بلهجة اليمن . . . الخ وبعض اللهجات لها القسط الأوفر في القرآن الكريم دون غيرها^(١) . (اقتبسها السيوطي في الإتيقان ص ١١٠)^(٢) . كذلك يضع أبو بكر الواسطي في كتابه «الإرشاد في القراءات العشر» قائمة بخمسين لهجة (ص ٥٠) وثمانى لغات أجنبية ضمن ألفاظ القرآن الكريم» (اقتبسها السيوطي في الإتيقان ص ٣١٣)^(٣) .

ويبيّن ابن عبد البر (٣٦٤/١٧٠١) أن بعض الملامح العامة للنص القرآني مثل تحقيق الهمزة يتعارض مع ما نعرفه من لهجة الحجاز^(٤) . (انظر الإتيقان) . وقد اعتبر ابن النقيب أن هذا برهان على إعجاز القرآن الكريم حيث يقول : «الكتب الأخرى نزلت فقط بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، بينما القرآن الكريم يتضمن ألفاظاً من لهجات العرب جميعها ومن

(١) مما تجدر ملاحظته أن اللهجات التي ذكرت هي من لهجات غرب الجزيرة . وقد هيمنت أيضاً لهجات غرب الجزيرة على مادة الرسالة .

(٢) حيث ورد في الإتيقان ٤٧/١ ، ط٢ البابي الحلبي : «وقال أبو عبيد ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع مفرقة فيه فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن ، وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيباً . (المترجم)

(٣) جاء في الإتيقان ١٣٥/١ طبعه البابي الحلبي : «وقال أبو بكر الواسطي في كتابه الإرشاد في القراءات العشر في القرآن من اللغات خمسون لغة (عد منها : لغة قريش وهذيل وكنانة . . . وجرهم وقيم وحميز وعذرة وهوازن وغيرها) ومن غير العربية الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريانية والعبرانية والقبط» . (المترجم)

(٤) يقصد أن الحجازيين يسهلون الهمزة وقد جاء تحقيقها في القرآن الكريم بما يدل على أنه قد تضمن لهجات أخرى . والنص في الإتيقان ١٣٥/١ كالتالي : «وقال ابن عبد البر من قال نزل بلغة قريش معناه عندي الأغلب لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات من تحقيق الهمزة ونحوها وقريش لا تهمز» (المترجم)

اللغات الإغريقية والفارسية والإثيوبية» (السيوطي ٣١٦/١)^(١)

f-٦ - وقد حصل لي عنق خفيف لهذه الفكرة التي جاءت في عبارة تُعزى لابن عباس^(٢) ، في أثناء شرحه للأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم وكأنها سبع روايات لهجية ؛ خمس منها بلهجات أعجاز هوازن ، وواحدة بلهجة خزاعة ، وواحدة بلهجة قريش . (الطبري ، التفسير ٢٢/١) ومن المحتمل أن تكون الروايات باللهجات الأخرى قد فُقدت^(٣) ، ولم يبق سوى لهجة قريش . وبهذه الطريقة تمثّل العبارة بحق المدرسة الثالثة في التفكير التي تسوّي بين اللغة الأدبية العربية وبين لهجة قريش . ويمكن أن تشير أيضاً إلى أن جميع اللهجات التي ذكرها ابن عباس في عبارته هي لهجات حجازية .

g-٧ - وغالباً ما كانت هذه الآراء خاصة بالقرآن الكريم ودون شك قد أخذت اللغة الأدبية بوجه عام في الاعتبار ويصر ابن جني على الصفة الجامعة للعربية الفصحى باعتباره التفسير المعقول الوحيد لأنواع الإبدال والشذوذ في تشابه إعلال الصحيح وغير الصحيح (الخصائص ٣٧٩/١) وقد عبّر الأنباري عن رأي مشابه خاصة فيما يتعلق بالأضداد .

وفي نص آخر (الخصائص ٢٥٣/١) يرى ابن جني أن الفروق بين اللهجات ليست شاسعة . وقد تختلف في التفاصيل (الفروع) وليس في الجوهر (الأصول) ، والصيغ اللهجية كلها تتطابق مع النظام العام لقواعد اللغة (لها من القياس وجه) .

h-٨ - والفكرة الشائعة عن أصل العربية الفصحى بين سكان الحضر ، من ناحية ثانية ،

(١) والكلام بنصه كما جاء في الإتيقان (١٣٦/١) طبعة البابي الحلبي : «ابن النقيب صرّح : من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم فلم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم . والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير» . (المترجم)

(٢) وفي المزهري ١٠٤/١ روي عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن ، وهم الذين يقال لهم : عليا هوازن وهم خمس قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر ، وجشم بن بكر . ونصر بن معاوية وثقيف» (المترجم)

(٣) هذا دس من المؤلف ؛ لأنه لا يوجد روايات أخرى للقرآن الكريم ، بلهجات أخرى وفُقدت أو ضيعة جامعوه أو غيرهم . (المترجم)

يبدو أنها موافقة لهجة قبيلة أو مجموعة من القبائل . وقد كان ما بني عليه هذا الرأي قليلاً في الواقع ويمكننا أن نتبين ذلك بملاحظة الاختلاف الواسع بين هذا الرأي وبين التطابق مع القبيلة . فكل قبيلة تقريباً في شبه الجزيرة العربية وصفها بعض العلماء بأنها أفصح العرب . وحينما نجد عالماً متقدماً كأبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ/٧٧١م) يؤكد هذا الأمر لعليا هوازن وسفلى تميم (السيوطي ، الإتيقان ص ١٠٩) ^(١) فإنه لا يعني أنهم يتكلمون أفضل عربية ، ولكنهم أكثر خبرة في معالجة لغة الشعر باستعمالهم الفصيح بمعناه الأصلي البليغ ، وقد يكون هذا هو معنى القصة نفسها التي وردت في تفسير الطبري ١٤/١ حيث نظم النبي ﷺ [مسابقة بين القبائل في تلاوة القرآن الكريم ووجد أن تيمماً أكثرها ضبطاً للنهيات الإعرابية أي أعرب القوم كما أن شعراء هذه القبيلة قد لعبوا دوراً بارزاً في الحركة الأدبية في القرن الأول الهجري ، ومثل هذه المسابقة يجب أن تكون قد عدت تماماً حوالي سنة ١٠٠هـ . فإن ثقيفاً في الطائف التي عُدت من عليا هوازن ، يبدو أنها تمتعت بمنزلة رفيعة في الفصاحة . وهذا يمكن أن يشير إلى براعتها الأدبية وكذلك لكون لغة حديثهم تمثل النموذج الخالص لهجة غرب الجزيرة . وكذلك كانت أكثر غمناً من جيرانها (انظر : Lammens, Ta'if p. 181 فإن الخليفة عثمان [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] كان من رأيه أن أفضل فريق للحصول على نص دقيق ومضبوط للقرآن الكريم يجب أن يتألف من مُثَلٍّ من هذيل ، وكاتب من ثقيف ^(٢)) (انظر : GQ, iii).

(١) وقد ورد في الإتيقان ط ٢ ، البابي الحلبي ٤٧/١ : قال أبو عمرو بن العلاء : «أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم» .

(٢) وقد جاء في مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني (دار إحياء التراث العربي - بيروت ٣٧٩/١ : «يقولون : روي عن عثمان أنه حين عرض عليه المصحف قال : أحسنتم وأجملتم وإن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها» هذه رواية . وفي رواية أخرى : يقولون روي عن عكرمة أنه قال : «لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال : لا تغيروها فإن العرب ستغيرها أو قال : ستعربها بألسنتها ، لو كان الكاتب من ثقيف والمثلي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف » يقول الأندلسي : إن ذلك لم يصح عن عثمان أصلاً ، مستنداً إلى تناقض الروايتين إذ كيف يصف نساخ المصحف بأنهم أحسنوا وأجملوا ثم يصف المصحف الذي نسخوه بأن فيه لحناً ، وهل يقال للذين لحنوا في المصحف أحسنتم وأجملتم ١٩ (الترجم)

(2) ومرجع آخر: الصاحبي لابن فارس ص ٢٨ .

وهذا يعني بالنسبة لختري هذه القصة أن هذيلاً تعتبر أنموذجاً للاستعمال الأدبي الصحيح وضبطه ، بينما لم تعرف ثقيف إلا ببراعتها في الكتابة «حتى هذه السمعة لثقيف يمكن أن تكون قد غُذيت بشكل مصطنع من أجل الترويج لإعجام^(١) الحجاج للقرآن الكريم . انظر : (Blachere, Introduction p. 75).

i - ٩ - أما بالنسبة لهذيل ، فيمكننا أن نتبين كيف أن سمعتها الأدبية قد أسيء فهمها أخيراً عند محاكاتها باللهجات . يقول المقدسي (في أحسن التقاسيم ص ٩٧) : إن لهجة هذيل هي أصح لغات العرب جميعاً ، وبعدها تأتي في المنزلة لغتنا نجد ، ويأتي بعد ذلك الباقي (هكذا) من لغة الحجاز ، باستثناء لغة الأحقاف لجفاء حديثهم . ويشير ذلك بقوة إلى ما كان في عصر المقدسي (٣٧٥هـ/٩٨٥م) . وبالنظر إلى خصائص العربية في غرب الجزيرة كما تبدو في لهجات هذيل والحجاز نقول لا بد أنه لم يحصل لها تعديل في أي وقت . وقد أعد كوفلر (WZKM, xlvi, 64-5) قائمة بأسماء القبائل التي ذُكرت باعتبارها أكثر العرب فصاحة^(٢) . ومن بينها يمكن أن يشد انتباهنا نص في اللسان (مادة قَعَن) حيث أعطي لفظ النصر بشهادة عالم إلى نصر قَعَيْن أو قَعَيْن نصر^(٣) وهناك بعض القبائل التي تسمى قعيناً وهما قَعَيْن أسد وقَعَيْن قيس ، ولا يبدو أن أيّاً منهما لافتة للنظر وما يبعث الشك في النفس أن يرمز باسم إلى قبيلة يمكن أن تعطى أي اسم ، وتكون الرواية محاكاة ساخرة من أولئك الذين يبحثون في الجزيرة عن مصدر

(١) لم يُنَحْ لنا مرجع موثوق به يذكر أن مراجعة أو تنقيحاً قد جرى للقرآن الكريم على يدي الحجاج ، ولكن من المعلوم تماماً أن إعجام القرآن الكريم أي نَقَطَه قد حصل أيام الحجاج بأمر من عبد الملك بن مروان على يدي نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني ، وعليه فإنني أميل إلى أن أترجم لفظ Version بإعجام . (المترجم)

(٢) وقد ورد في الإتيقان ط٢ ، البابي الحلبي ٤٧/١ : قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم .

(٣) والنص مبتسر بهذه الصورة وهو في تمامه في اللسان هكذا :

سئل بعض العلماء : أي العرب أفصح؟ فقال : نصر قَعَيْن أو قَعَيْن نصر . (المترجم)

ومن الجدير بالذكر أن لهجة قبيلة الحارث (قد تكون مقصودة بالحارث) قد شطبت من القائمة .

تتوافر له العصمة من الخطأ اللغوي .

ومن أغرب الاختيارات لأفصح بيوت العرب ، اختيار قبيلة جَزَم ، في الساحل الشمالي للحجاز ، التي تنتمي لحلف قضاعة ^(١) . وعلى كل الاحتمالات إن هؤلاء الناس كانوا يتكلمون لهجة من نوع غريب كلياً ، قد تكون قريبة من العربية التي استقلت عن اللغة السامية الأم ^(٢) ، وليست العربية التي نعرفها . ولم يبرز منها شعراء ، ولم يكن لها دور في باكورة التاريخ الإسلامي . ومن المعتقد أنها قدّمت بعض النحاة المتأخرين . وقد يكون من أسباب عربيتهم السليمة أنهم تعلموها وكأنها لغة أجنبية ، وكأنهم لذلك ليس لهم لغة محلية . إن التفوق اللغوي لقبيلة جزم هو موضوع إحدى النوادر ذات الأهمية لموضوعنا لأنها توضح نشوء الاعتقاد الذي ساد بأن العربية الأدبية ليست سوى لهجة قريش .

وهذه الحكاية النادرة قد وردت في الكامل للمبرد ص ٣٦٤ ، ودرة الغواص للحريري ص ١١٤ ، وثوربيك Thorbecke ص ١٨٣ ، والمفصل للزمخشري ص ١٥٦ ، وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٩٤/١ . وأقدمها رواية الكامل ^(٣) التي جاءت فيه كما يلي : «وحدثني من لا أخصي من أصحابنا عن الأصمعي عن شعبة عن قتادة ، قال : قال معاوية يوماً : من أفصح الناس؟ فقام رجل من السُّمَّاط ^(٤) فقال : قوم تباعدوا عن فرائية العراق ، وتيامنوا

(١) ويوضح ابن يعيش أن جَزَمَ المذكورة هنا ليست التي من قضاعة بل جَزَمَ طيء ووجود جَزَمَ في قبيلة طيء يفتح أفقاً للبحث عن أصول هذه القبيلة .

(٢) حيث يعتقد بعض الدارسين أن العربية مرت في نشأتها بأكثر من مرحلة ، ومرحلتها الأولى هي المسماء pre-Arabic أي المرحلة التي كانت جزءاً غير منفصل عن السامية الأم . والمرحلة الثانية هي المرحلة التي ذكرها الكاتب هنا وهي المسماء Proto-Arabic أي المرحلة التي استقلت فيها العربية عن السامية الأم ولكنها في هذه المرحلة لما يكتمل نضجها لتصبح لغة أدبية وتأتي بعد ذلك مرحلة النضج والاكتمال أي لغة صالحة للكتابة والشعر وقد حصل ذلك لها في الجاهلية لتكون مستعدة لاستيعاب الدعوة الإسلامية ومعانيها في دستورها الخالد وهو القرآن الكريم . (الترجم)

(٣) أوردتها بنصها من الكامل ، ط مؤسسة المعارف بيروت ٣٧٠/١ - ٣٧١ .

(٤) السُّمَّاط : الصف (اللسان مادة سمط) .

عن كشكشكة^(١) تميم وتياسروا عن كسكسة^(٢) بكر، ليس فيهم غمغمة^(٣) قضاة ولا طمطمانية^(٤) حمير فقال له معاوية من أولئك؟ فقال: قومي يا أمير المؤمنين فقال له معاوية من أنت؟ قال أنا رجل من جرّم قال الأصمعي: وجرّم من فصحاء الناس. وإلى هنا انتهت رواية الكامل.

وأما الروايات الأخرى فقد أضافت عيوباً لهجية ونسبتها لقبائل أخرى مثل عننة

(١) الكشكشة هي إبدال الشين من كاف الخطاب مع المؤنث وهي في تميم وأسد وقيل أيضاً في بكر بن وائل وربيعة وسليمان ومنهم من قال إنها زيادة شين بعد الكاف المكسورة أي عليکش وبكش ومنكش. ويستشهدون لهذه الكشكشة (إبدال الشين من كاف المؤنث الخطابية) بقول مجنون:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منشٍ دقيق

و بقول الأعرابية للجارية مولايش يناديش، وفي قراءة بعضهم: «قد جعل ريشٍ تحتش سرياً» في قوله تعالى: «قد جعل ريكٍ تحتك سرياً». (المترجم)

(٢) الكسكسة هي إبدال كاف المذكر سيناً كإبدال كاف المؤنث شيناً كما جاء في الاقتراح ص ١٩٩ أي يقال: أمسن، أبوس بدلاً من (أمك وأبوك) وتنسب لبكر وهوازن وربيعة ومضر. وفي فقه اللغة للشعالبي ص ٧٣: الكسكسة تعرض في لغة بكر، هي إلحاقهم لكاف المؤنث سيناً عند الوقف كقولهم أكرمكيس وبكس يريدون أكرمك وبك. (المترجم)

(٣) انظر في الغمغمة، والعجمجة والعجرفة والرثة/ الفصل الأول فقرة (١٤ - n).

(٤) هي إبدال اللام ميماً كقولهم طاب امهواء أي طاب الهواء وهي لغة حمير انظر فقه اللغة للشعالبي ص ٧٣ وقيل نفر من طي كما في شرح الكافية للرضي. (المترجم)

تيمم^(١)، وتلتله بهراء^(٢)، والرثّة^(٣) واللخلخانية^(٤) في العراق وفشفسه تغلب^(٥)، وتضجّع^(٦) قيس، وعجرفية^(٧) ضبة.

m- ١٢ - إن رواية الكامل تتضمن على الأقل انحرافاً عن الأصل الذي يجب أن تكون عليه القصة وذلك في عزو الغمغمة إلى قضاة . ففي التاج ج ٤/ص ٦ معزوة إلى قريش . وقد ذهبت الرواية في الدرة والعقد إلى مدى أبعد ، حيث جعل جليسه يقول : قومك يا أمير المؤمنين ، قريش أفصح العرب ، وهكذا يكون قد فعل وفقاً للاعتقاد الذي اختارته بيير أنستاسي Père Anastase في مجلة المشرق ، ٦ ، ٥٢٩) «لم يكن لقريش عيب في الكلام» .

n- ١٣ - والأسباب التي دعت لمثل هذا التفكير واضحة جيداً إن النبي [ﷺ] كان أمياً ، مما يعني للعرب في القرون المتأخرة انسجاماً مع عدم معرفتهم باللغة الأدبية . ولذلك فأمر تعلم الرسول لها ليس موضع سؤال^(٨) . وأكثر من ذلك ، لا يجدر

(١) إبدال العين من الهمزة ، وتعرض في لغة تميم كقولهم ظننت عنك ذاهب ظننت أنك في ذاهب وكما قال ذو الرمة :

أَعَنَ تَوَسَّمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

انظر فقه اللغة للثعالبي (ص ٣٧) ، والخصائص (١١/٢) وفي الاقتراح (ص ١٩٩) هي في لغة قيس وتيمم وزاد بعضهم أسداً . (المترجم)

(٢) انظر فيها (فقرة/ 11-k) من الفصل الثاني /وكذلك ارجع إلى الفصل الثاني ، فقرة 51.0 -

(٣) انظر فيها (فقرة/ 11-k) من الفصل الثاني /وكذلك ارجع إلى الفصل الثاني ، فقرة 51.0 -

(٤) المشهور أن اللخلخانية في العراق من لُح في كلامه إذا جاء به ملتبساً وقيل هي العجز عن إرداف الكلام بعضه ببعض وقيل هي عجمة ولُكَنَّة في المنطق كما في اللسان ، وأما في فقه اللغة للثعالبي ص 37 :

اللخلخانية تعرض في لغات أعراب الشَّخَر وعُمان كقولهم مشاء الله كان ، يريدون ما شاء الله (المترجم) .

(٥) لم نجد لها تفسيراً عند أحد . (المترجم)

(٦) قيل إمالة الحرف إلى الكسر وقيل إنها في قيس . (المترجم)

(٧) ارجع إلى الفصل الثاني فقرة 15-0 .

(٨) كأنه يريد أن يقول إن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كانت بلهجة قريش ، وما دامت أحاديثه منسجمة في فصاحتها مع اللغة الأدبية ، وهو لم يتعلمها كذلك وبناء عليه يكون بديهياً أن تكون اللهجة القرشية هي اللغة الأدبية التي اتفق عليها العرب . (المترجم)

بالنبي [ﷺ] أن يتكلم إلا بأفصح لغة ، ولا يستعير أي لغة من أي كان ، وخاصة الشعراء الذين يحتقرهم^(١) والنظرية تتناسب مع النزعة التي ترى لمكة القيادة الدينية والأدبية قبل الإسلام .

٥- ١٤ - يقرر خالد بن سَلَمَة أنه قد بات من المؤلف أن القرآن الكريم قد نزل بلغة قريش (الطبري ، التفسير ١/٢٣) . وأبو بكر الواسطي الذي رأيناه يناقش الصفة المشتركة لألفاظ القرآن الكريم يقول : «ليس في القرآن حرف غريب عن لغة قريش غير ثلاثة أحرف ، لأن كلام قريش سهل لين واضح ، وكلام العرب البدو وحشي غريب»^(٢) (الإتقان ص ٣١٤) . وأبو الليث السمرقندي يطبق المعيار اللهجي بدلاً من النقد النصي ، حين يكون للآية قراءتان حيث حكى قولين أحدهما إن الله قال بهما جميعاً والثاني أن الله قال بقراءة واحدة إلا أنه أذن أن تقرأ بقراءتين ثم اختار توسطاً وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغيّر الآخر فقد قال بهما جميعاً ، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين مثل ﴿حَتَّى يَظْهَرُنَّ﴾^(٣) . وإن كان تفسيرهما واحداً ، فإنما قال بأحدهما ، وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة على ما تعود عليه لسانهم ، فإن قيل : إذا قلتم إنه قال بأحدهما فأَي القراءتين هي؟ قلنا التي بلغة قريش»^(٤) .

q- ١٥ - وقد قرّر القلقشندي (صبح الأعشى ٢/٣٣٢) هذا الرأي بطريقة معينة تظهر دلالتها الفكرية حيث قال : إن النبي [ﷺ] قد تكلم لهجة قريش بلغة العامة والخاصة وبلغة أهل الحجاز» . وقد نقل إلينا كيف كان الخلفاء الأوائل^(٥) يَظْطِن

(١) لم يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ازدري واحتقر الشعراء بلليل أنه استعان ببعضهم للرد على هجاء الكفار وأشهرهم حسّان الذي حثّه الرسول صلى الله عليه وسلم مؤيداً بالروح القدس والشعر المرفوض هو الشعر الذي لم يلتزم بأداب الإسلام وهو المقصود فيما نعتقد بقوله تعالى : «والشعراء يتبعهم الغاؤون . .» . الآية إذ القرآن الكريم ينعى على الشاعر أن يسخر موهبته فيما لا يجدي في قوله ومالا يستطيع فعله . (المترجم)

(٢) في الإتقان ط ٢ ، البابي الحلبي ١/١٣٥ ، والكلمات التي يقصدها هي : «فسينغضون» بمعنى تحريك الرأس ، في الآية ٥١/ من سورة الإسراء ، و «مُتَيَّنًا» بمعنى مقتدر في الآية ٨٥/ من سورة النساء . و «فَشَرُّهُمْ» بمعنى اسْمِع في الآية ٧٥/ من سورة الأنفال . (المترجم)

(٣) من قوله تعالى : «فَاعْتَرَلُوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن» ٢٢٢- البقرة .

(٤) أوردت ما حكاه السمرقندي بنصه من الإتقان ط ٢- البابي الحلبي ١/٨٣ .

(٥) أي الخلفاء الراشدون . (المترجم)

يقظة شديدة ، مخافة أن يفقد النص القرآني ميزات لهجته^(١) . ومحمد الأمير (المغني ١/١١١)^(٢) يخبرنا «أن ابن مسعود كان يرتل القرآن الكريم في حضور الخليفة عمر (رضي الله عنه) وقرأ عتي^(٣) بدلاً من حتى ، التزاماً بلهجة هذيل . ولكن الخليفة عَنفه بحدة قائلاً له : «إن القرآن الكريم لم ينزل بلهجة هذيل ، أقرىء الناس على لهجة قريش» ومثل هذه الحكايات كثيرة .

قال ابن التين (السيوطي ، الإتيقان ص ١٤٠)^(٤) : «جَمَعُ عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش ، محتجاً بأنه نزل بلغتهم» . وبناء على ما أورده أبو الفدا (تاريخه ١/٢٦٤) أن عثمان (رضي الله عنه) أعطي تعليماته التالية^(٥) : «إذا اختلفتم في شيء من القرآن الكريم فاكتبوا القراءة التي تتوافق مع لهجة قريش ، لأن القرآن نزل بلغتهم» . q-١٦ - والمسوغات التي صارت لهجة قريش بسببها لغة العرب كلهم أكثر ما عبرت عنه بوضوح عبارة أطلقها ابن فارس (ت ٣٩٥هـ/١٠٥٥م) في كتابه الصحابي ص ٢٣ ، وقد اقتبست ، ونورد اقتباس النيسابوري في كتابه «غرائب القرآن ج ١/ص ٢٠» : «كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، وأسلسها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة عن النفس ، ومن أفواهم أخذنا العربية الفصحى ، ويجب أن نتبع استعمالهم . لأن لغتهم منتقاة من بين لغات العرب قيس وتميم وأسد . وعليه فهذه هي المصادر الرئيسة للمعلومات . وإن استعمالهم الذي نعول عليه ويهملنا ، يكون في المعجم والنحو والصرف . إلى جانب كل ذلك ، ولكن بدرجة أقل ، سنأخذ في الاعتبار قبيلة هذيل وبعض كنانة ، وبعض

(١) أي في القراءات القرآنية . (المترجم)

(٢) هذه الرواية غير موجودة في المغني ط دار الفكر . (المترجم)

(٣) منهم من سماها فحقة هذيل ومنهم من سماها غممة هذيل (انظر الزهر ١/٩٠١) . (المترجم)

(٤) الإتيقان ، ط ٢ ، البابي الحلبي : (١/٥٩-٦٠) وقد أوردت ما نقله ابن التين بنصه من الإتيقان . (المترجم)

(٥) للنسخ وهم : زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، حيث قال لمن مع زيد كما جاء في الإتيقان ١/٥٩ : «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم» . (المترجم)

طيء . ولن يُتَّخَذَ شخص ينتمي لأية قبيلة مصدراً للمعلومات . ولا يقبل أي عربي تحت أي ظرف أن تكون فصاحته محل شك . ولسنا بحاجة إلى مناقشة هذا التناقض الداخلي لوجهة النظر هذه .

ويضيف كتاب آخرون كيف حدث هذا التفوق اللغوي لأهل مكة من خلال احتكاكهم الدائم باللهجات العربية الأخرى في الحج أو في سوق عكاظ ، فيتخبرون من لغات العرب وأشعارهم . (وقد أوجز ذلك سليمان البستاني في أثناء تعريبه لإلياذة هوميروس ص ١٠٩) . وهذا هو ما انتهى إليه الرأي بوجه عام في العصور الوسطى المتأخرة ، وعلى يد العرب المحدثين . وإن التمسك بتطبيقه بدقة دفع طه حسين في كتابه «الأدب الجاهلي» أن ينكر وجود أي شعر جاهلي لغير شعراء الحجاز وحينما تقدم فولرز Vollers في مؤتمر الاستشراق سنة ١٩٠٥ بنظرية تعارض هذا المبدأ ، هاجمه علماء المسلمين وكأنه يحاول الانتقاص من جَوهَر العقيدة الإسلامية انظر : (Volkssprache p.3) ويعدها شهدنا كيف تتخذ المواقف المتعارضة تماماً من قبل المراجع الإسلامية الهامة .

١٧ - ٢ - ويبدو أنه قد حصل اعتراض ما على تمجيد لهجة قريش . وكالعادة أفرغ في صيغة الحديث الذي يقول فيه النبي [ﷺ] : «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، ونشأت في بني سعد» ابن هشام في المغني ١/١٠٥ واللسان ٤/٦٨ . وليس لهذا ، في رأيي ، سوى تفسير واحد هو : يجب أن أكون أفصح العرب من أجل أنني ولدت في قريش ونشأت في بني سعد ، أو ربما نفهم منه أيضاً : أنا أفصح العرب لأنني . . . ، وابن هشام يعزو سبب ذلك إلى البيداء .^(١)

s - ١٨ - كل هذه الآراء ، نوعاً ما ، كانت نظرية خالصة ولم يمارس أي تأثير على طريفة

(١) وأورد نص الحديث من المغني (انظر : ١/١٢٢) ط دار الفكر وهو كالتالي :

«أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش ، واسترضعت في بني سعد بن بكر» (ينظر نص الحديث في كتب الحديث الصحيحة) ويضيف الكاتب في الهامش : أنه يمكنه أن يعتبر (نشأت) بمعنى (قد نشأت) وذلك يعني : «أنني أتكلّم بأفصح عربية وذلك لأنني ولدت في قريش ، ونشأت فيما بعد في سعد» . وإن فكرة أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) قد أرسل إلى سعد من أجل تحسين عربيته قد عبّر عنها ابن هشام . وربما تكون قصتنا قد صنعت من الحديث الذي احتفظ به ابن الأثير في كتابه النهاية (ط القاهرة ط ١/ص ٣) حيث يعزو محمد (صلى الله عليه وسلم) قدرته على محادثة العرب جميعاً إلى إقامته في بني سعد . وقد يفهم من هذا أن لغة بني سعد كانت غير مفهومة للمكيين . (رايين)

العلماء في فهم القضايا اللغوية . ولم نسمع أبداً عن أي عالم ذهب لدراسة العربية في مواطنها المفترضة أو حاول تصحيح الشعر بناء على الأسلوب القرآني . ومع الاهتمام بالاستعمال البدوي إلا أننا يجب ان نتلقاه بتحفظ وارتياب . والمؤسسون للمدارس النحوية كانوا من الرواة المتهنين . والراوي هو الذي ينقل الاستعمال العربي الأدبي من جيل إلى جيل^(١) . وعلماء اللغة القدماء ، كالخليل ويونس ، قد استقوا معلوماتهم من الرواة . إذ لم يكونوا قد بدؤوا سيرتهم رواية ، كما هو الراجح تماماً . الإنجازات الكبرى لأوائل علماء اللغة تتمثل في الجمع والتصنيف المنهجي لأحاديث الرواة المحلية أو القبلية المختلفة والتوفيق بينها وبين النماذج الأدبية العربية الأخرى التي وردت في القرآن الكريم وفي الأحاديث ذات المستويات البلاغية العليا .

٢- ١٩ - إن كثيراً من العبارات التي نوقشت في الفصول الخاصة باللهجة الحجازية ، تدل على أن علماء اللغة ، بالرغم من دمجهم النظري بين لهجة قريش والعربية الأدبية ، كانوا حذرين تماماً في التمييز بينهما . ولم يترددوا في رد ما جاء في القرآن الكريم مخالفاً للعربية الأدبية إلى لهجة النبي [ﷺ] القرشية . ومهما يكن

== ويبدو أن الكاتب هنا يريد أن يثبت أن الأساس في الفصحاة هي البداوة وقريش ليست قبيلة بدوية وإنما هي متحضرة لأنها في مكة فكيف تكون لهجتهم هي اللغة الأدبية وهي تتناقض مع المقياس السابق الذكر ١٩ وهو روح البداوة . ورداً على ذلك نقول : إن الحجاز كانت ذات مكانة دينية معروفة أسبابها ، وذات مكانة اقتصادية تجارية ، ترسل القوافل وتأتيها قوافل التجارة وذات مكانة ثقافية أيضاً بسبب الأسواق التي تعقد فيها ، وهي أسواق تجارية وأدبية في الوقت نفسه وعليه فإن مكة تستقطب العرب وهي ملتقى التاجر والحاج والشاعر من القبائل كافة ولذلك لا بد أن يجدوا لغة مشتركة للتفاهم فيما بينهم من ناحية ، وبين القرشيين من ناحية أخرى ، وما أيسر أن يكون ذلك بلغة البلد الذي يلتقون فيه ، ولذلك حرص المكيون أيضاً ، كما تواترت الأخبار ، أن يتعدوا بلهجتهم عن عيوب اللهجات الأخرى بل كانوا يضيفون ما يستحسنونه من لغات القبائل إلى لهجتهم مما جعل جميع العرب يتخذونها لغة أدبية مشتركة للتفاهم فيما بينهم باعتبارها اللغة الأرقى وليس الأكثر بداوة كاتخاذ الإنجليزية على عيوبها لغة مشتركة في هيئة الأم . وهكذا كانت الظروف الاقتصادية والدينية والثقافية وليست البداوة وراء ارتفاعها واتخاذها لغة أدبية مشتركة . (المترجم)

(١) وبنفس النظرة وضع لينديبرج الشعراء الذي يحتفظون بأقدم صيغة لغوية ، في المقدمة انظر : (Proverbs et

Dictions, I, xxvii)

فإن لديهم تصميماً على الذهاب بعيداً في تطبيق هذا المنهج الملائم القريب التناول .

u- ٢٠ - إن أبي داوود المعروف من علماء الحديث بهذا الاسم (أبو داوود) صاحب (السنن) ، وليس (ابن أبي داوود) (Jeffery, Materials, Arabic text, p32, seq) ينقل الأحاديث بناء على ما قرره عثمان من أن القرآن الكريم ما زال يتضمن بعض السمات اللهجية «ولكن العرب ستقيمها بالسنتها أو ستعربها بالسنتها»^(١) . وهل يمكننا أن نفهم من كلمة «العرب» أعراب نجد ، حراس لغة الشعر ، وبقية السمات اللهجية للحجازية المحلية ؟ . وفي الحقيقة إن العرب تعرب القرآن الكريم في نطاق معين^(٢) من خلال تأثير النحاة في اختيار القراءات المتنوعة .

(١) يشير بذلك إلى الشبهتين المرويتين عن عثمان وقد أوردتها ص ٦٤ في الهامش في الفقرة ٨ - h من الفصل الثالث .

(٢) والحقيقة أن الكاتب قد جانبه الصواب في قوله في نطاق معين حيث القراءة الصحيحة للقرآن الكريم تعتبر للعربي واجباً دينياً عدا كونها مفروضة لغوياً حيث اللحن في القرآن الكريم قد يسبب في فهم معنى غير مقصود أو مرفوض ، عليه فإن العربي يحرص في قراءته على الضبط الصحيح ، حتى لو لم يتقيد بأحدى القراءات المشهورة . (المترجم)

الفصل الرابع

اليَمَن

a- ١ - إن اليمن أكثر المناطق تحديداً في الجزيرة العربية . وإن أهلها يختلفون عن سائر سكان شبه الجزيرة في ملامحهم الجسدية ، فضلاً عن بيئتهم الاجتماعية . وهناك عاملان آخران جعلاً أهل اليمن منذ العهود المبكرة للإسلام يحسبون بتميز بلادهم . ذكرى عظمة حضارة جنوب الجزيرة ما زالت حية ، وإن معالمها ما زالت ماثلة ، وإن قسماً كبيراً من أهلها ما زالوا يتكلمون لغة اختلافها ملحوظ عن العربية ، تسمى الحميرية ، التي يسود اعتقاد شعبي بأنها هي بذاتها لغة نقوش أقيال اليمن . وإن الآثار اليمانية تثير فخرًا قومياً كبيراً في نفوسهم ، وإن علماء اللغة في القرنين الثالث والرابع الهجريين كانوا يدوّنون الألفاظ والتعبيرات غير المألوفة التي تجري على ألسنة مواطنيهم .

ونحن بهذا ، على الأقل من منظور معجمي ، نكون على علم باللهجة اليمانية بصورة أفضل من أي لهجة أخرى . عدا ذلك فإن سكان اليمن يبدو أنهم لم يتغيروا كثيراً عن القرن السابع الميلادي^(١) بحيث يمكننا أن نأخذ في الاعتبار ملامح اللهجة اليمانية الدارجة في وقتنا الحاضر عند شرح معلومات اللغويين الضئيلة . وعلى الرغم من قلة المعلومات التي تتيحها أعمال كومت دي لندبيرج de Comte de Landberg وجويتاين Goietin ، وميتووش Mittwoch ، وروسسي Rossi ، إلا أنها تعطينا صورة أوضح عن الكلام اليمني أكثر مما نملكه عن أي لهجة دارجة في الجزيرة العربية .

b- ٢ - إن التطور اللغوي المتواصل ، وما حظيت به اللهجات من عناية اللغويين ، عاد علينا أيضاً بضرر معين . وعلى العموم لم يكن ممكناً لنا أن نتبين ما إذا كانت أي قطعة من المعلومات تدل على عصر كاتبها أو عصر سابق عليه . ومصادرها تتجه لمعالجة لغة الإقليم كوحدة ، وغالباً ما يستشهد بها باعتبارها ملامح لغة أهل اليمن التي تصنف في مكان آخر على أساس أنها شاذة عن لهجات شمال اليمن أو عن الحميرية . وسيكون الأمر أكثر صعوبة لو كان لفظ أو تركيب ما يشير إلى لهجة

(١) إنه يتكلم عن اليمن قبل الثورة بسنين عديدة . (المترجم)

يمينية ، أي لهجة لبعض أهل اليمن . ولم نفعل شيئاً حتى الآن سوى معالجة المعلومات التي لا نملك لها تمركزاً مفصلاً بصورة أكثر ؛ باعتبار دلالتها على اللهجة اليمنية بوجه عام .

وفي الحقيقة لا يمكن البرهنة على وجود دائم للملامح يمكنها تمييز اللهجات في داخل منطقة عن لهجات أخرى خارجها ، وبكلمات أخرى لا يمكن المحافظة أبداً على لهجة يمانية ، وإن القليل الذي نعرفه عن اللهجات اليمنية الشمالية يقضي إلى الإيحاء بأن هناك سلسلة متصلة من اللهجات ، من الجنوب إلى الشمال ، دون أن يكون هناك خط فاصل بوضوح بين اليمن والحجاز . ولذلك فإنه من المحتمل جداً أن تكون بعض المادة التي تعالج في هذا الفصل تخص في الواقع الفصول الثلاثة التالية وهي : حمير ، الأزد ، شمال اليمن .

c- ٣ - باستثناء الخصائص التي صُنفت بدون عناء بأنها حميرية فإن المعلومات التي لدينا عن اليمن تنبئ عن بقاء القليل من العربية الجنوبية ، ويبدو أن هذا يشير إلى أن المادة الأساسية من العربية السابقة على عربيتنا Pre-Arabic كانت طفيفة جداً في المناطق التي تتكلم العربية . ولكن بوجه عام فإن المعلومات النحوية الصرفية قليلة بالقياس إلى المعلومات المعجمية . والألفاظ اليمنية التي نجدها في المعاجم معظمها يحمل طابع الخصوصية والمحلية ، ونادراً ما يمس مجال المفردات الأساسية . وكل هذا يحملنا على أن نستنتج أن علماء اللغة قد سجلوا لنا العربية الأدبية كما كان يستعملها اليمانيون ، وليس لهجاتهم المحلية . وقد يكون من غير المستبعد أن تتضمن الأخيرة (اللهجات المحلية) كثيراً من خصائص العربية الجنوبية .

d- ٤ - ومع أن هذه المفردات لا تقع داخل نطاق هذا الكتاب ولكن يمكن أن نذكر هنا قدراً قليلاً من الكلمات الشائعة في اللهجة اليمنية أو الحميرية ، واللغة السامية الشمالية الغربية ، لأنها يمكن أن تلقي الضوء على موقع اللهجة في عائلة اللغات السامية ، وبعض هذه المفردات قد يكون مقترضاً من العربية الجنوبية ، خاصة أنها تعبر عن نشاطات الحياة مستقرة . وغيرها ، من ناحية أخرى ، قد يكون شائعاً في غرب الجزيرة ، من الكلمات التي نبذ استعمالها في الحجاز .

وربما لو عرفنا أكثر عما نعرفه عن لهجة طيء ، لأمكن أن نجد بعض هذه الكلمات فيها . والمظهر العبري لهذه المعادلة قد عولج بصورة أكمل في المليلة العبرية^(١) Hebrew Melilah.

(١) كتاب للمؤلف بالعبرية يبحث في علاقة اللهجات العربية القديمة بالعبرية . (الترجم)

١- 'aim إيم : الشيطان ، تاريخ الطبري ١/١٠٤٠ ، وفي العبرية إيميم : 'emīm أي ما ورد ما قبل التاريخ .

'äyüm : عَيُوم : عملاق / 'emāh إيماء : رعب /

uimu أوم : التنين (انظر لآخر كلمة 4 Hommel, Ethnologie p.665, note 4) ولسابقتهما (South- Arabian as n.pr., CIH 434 Line 10)

٢- بَعْل أي الرب^(١) (انظر : البيضاوي ١٧٧/٢ ، وأبا عبيد ، الرسالة ص ١٥٥) وَبَعْلُ العبرية وشقيقاتها معروفة في العربية الجنوبية وفي المهرية (Mehri انظر- Mordt mann, Himyar, Inschr.p.611 بالإضافة إلى الإثيوبية Ethiopic والكلمة بهذا المعنى قد تكون مقترضة^(٢) من العربية الجنوبية (الآية ١٢٥- من سورة الصافات ، مكية) . ولكن المعنى الغالب عليها هو «الزوج» (الآية ٢٧- من سورة هود)^(٣) . وكذلك تقع في الشعر^(٤) (مثلاً في شعر مجنون ليلى العُقيلي ، انظر (Noldeke, Delectus p.6) وربما تكون من قبيل الاقتراض المباشر من السامية الشمالية .

(١) وقد وردت بهذا المعنى في الآية (١٢٥) من سورة الصافات في قوله تعالى :

«أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» أي أتدعون رباً سوى الله عز وجل . والكلمة لها في العربية أكثر من معنى حسب السياق الذي ترد فيه ولكن أشهرها بمعنى الزوج . (المترجم)

(٢) في الأصل : يقول الكاتب راين : «أن محمداً [ﷺ] هو الذي اقترضها» وبهذا الأسلوب أي بإسناد الاقتراض إلى سيدنا محمد (ص) ترويح للمقولة المقترة على القرآن الكريم وعلى سيدنا محمد وعلى الإسلام بأن القرآن من وضع محمد بما يعني أنه صلى الله عليه وسلم ليس نبياً ولا رسلاً . (المترجم)

(٣) في قوله تعالى : «قالت يا ويلتي آللأد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً» .

وكذلك في الآية (١٢٨) من سورة النساء «إن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما» . (المترجم)

(٤) وكذلك ورد في اللسان مادة بعل : قال الراجز :

شَرِّ قَرِينٍ لِلْكَبِيرِ بَعْلُكُشْهُ
تَوَلَّغَ كَلْباً سُوْرَهُ أَوْ تَكْفُشْهُ
وقال الخطيئة :

وكم من حصان ذات بعل تركتها إذا الليل أدجى لم تجد من ثبأله . (المترجم) .

- ٣- التَّلْمُ^(١) : أي التَّلْم (انظر : نشوان ، المنتخبات-عظيم الدين أحمد ص ٤١) وبالعبدية تِلْم والإثيوبية تِلْم ، في مقابل العربية تَلَم . وفي الترجمة الآرامية للتوراة أي الترجوم (تِلْمًا) .
- ٤- جَفَنُ^(٢) : (انظر : الأزهري : اقتبسها التاج ٢٦١/٤) ، وفي العبرية وشقيقاتها جِفْنُ ، وكذلك العربية الجنوبية .
- ٥- الجِيَهْلُ والمَجْهَلُ وهو خشبة يُحرَّكُ بها الجمر (انظر : الجهمرة لابن دريد ٣٥٧/٣ واللسان ١٣٨/٨ مادة جهل) ، ربما يكون لها صلة بالكلمة العبرية جَحِلْتُ أي الفحم الحي ، وهي كلمة ليس لها أصل أو اشتقاق مقنع .
- ٦- حَصَبُ أي حطب النار ، كما شرحها الفراء (في اللسان ٣١٠/١ مادة حسب في تفسيره للكلمة في الآية ٩٨ من سورة الأنبياء)^(٣) وفي العبرية حاصَبُه أي قطعة الخشب (Is., x, 15)
- ٧- حَبَالَاهُ أي وأسفاه أو وَيَلْتَاهُ (الجهمرة ٢٣٩/١) ، وفي الآرامية خاصة الغربية حَبَهْلُ (ما يظهره الإنسان من أسف وحزن على القبر) .
- ٨- خَشَفَ أي الخزف السميكة (الجهمرة ٢٢٣/٢) في الآرامية الإنجيلية خَسَفَ^(٤) ، وفي كتاب اللغات بالصاد وتعطى عناية خاصة بسبب صيغ في السامية الجنوبية ، في الإثيوبية صاحب «خزف» وربما في العربية الجنوبية صخف أي رفع سداً ترابياً ، وفي

(١) ويجوز التَّلْم أيضاً بلغة أهل اليمن كل أخدود من أخاديد الأرض (المترجم) .
أو هي خط الحارث بلغة نجران . والجمع التَّلْمُ والأَتْلَام (انظر اللسان مادة تلم) . (المترجم)

(٢) يريد الكاتب جَفَنُ بمعنى الكرمة بدليل وضعه في مقابلها كلمة (Vine) الإنجليزية وكلمة جَفَنُ في العربية لها عدة معان فهي بمعنى غطاء العين ، وغمد السيف والجفنة صَرَبَ من العنب وجمعها جَفَنُ ، وقيل الجَفَنُ نفس الكرْم بلغة أهل اليمن (انظر اللسان مادة جفن) . (المترجم) .

(٣) في قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ . (المترجم)

حيث جاء في اللسان مادة حصب ، قال الفراء : ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمن الحطب . (المترجم)

(٤) في اللسان مادة خَشَفَ الخشف الخزف يمانية وفي الهامش ط دار المعارف ١١٦٧ ص ٢ .

قوله : والخشف الخزف في شرح القاموس الصواب الخسف بالسين المهملة . (المترجم) .

العربية الصُّحَّة هي القصعة ، لاحظ التحول الذي يحصل للصاد والحاء مع الخاء^(١) .
٩- خَصِين^(٢) أي الفأس الصغيرة (الجمهرة ٢/٢٢٧) ، وفي السريانية خصينا وفي العربية السامية الجنوبية Ass خَصِينُو^(٣) .

١٠- خَلَّاق أي حظ ونصيب (وردت في القرآن الكريم ست مرات^(٤) في السور المدنية فقط) كما قال أبو عبيد (في الرسالة ص ١٤٣) لتعني نصيباً أو قسمة في لهجة كنانة وفي الآرامية الإنجيلية خالق ، وفي العبرية خيلى . وبما أن العبارة في القرآن الكريم ٧٧/٣^(٥) متشابهة مع تعبير المشناه^(٦) العبرية .

'en lāhem heleq bā-'olām hab-bā'

أي وعليه فالكلمة كما وردت في القرآن الكريم قد تكون مقترضة من الآرامية اليهودية .
١١- رَخِيمًا^(٧) أي إبداء مشاعر الحنان واللفظ (الجمهرة ٢/٢١٤) وفي العبرية رَخِيم غالباً ما تستعمل لتدل على محبة الوالدين لولدهما . وفي العربية الجنوبية «رَخِم» من أسماء الله (CIH 40, Line 5) ، وكذلك في الثمودية (مرخمت) . وفي العربية الجنوبية رخم والصورة الأخرى من الجذر ، التي ترد في النقوش الأخيرة ربما تكون مقترضة من

(١) يقصد أن الحاء اجتمعت مع الصاد ولم تجتمع مع الخاء . (المترجم) .

(٢) في اللسان مادة خصن : الخصين من أسماء الفأس ، أو فأس ذات خلف واحد . (المترجم)

(٣) في المعجم التلمودي (عُرُخ) Arukh عمود ١١٠ يذكر حزيناً أي العصا ذات المقبض الحديدي (في كَلِم المشناه ٢/١٤) كلمة طائية .

(٤) لم يذكر منها في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار أحياء التراث العربي .
دون تاريخ / سوى ثلاثة مواضع في البقرة - آية ١٠٢ ، ٢٠٠ وفي آل عمران ٧٧ (المترجم) وقد فات المعجم أن كلمة خلاق قد وردت في الآية ٦٩ من سورة التوبة ثلاث مرات في قوله تعالى : ﴿الذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلائقهم فاستمتعتم بخلائقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلائقهم﴾ . الآية . (المترجم)

(٥) الآية ٧٧ سورة آل عمران . (المترجم)

(٦) المشناه هي مجموعة القوانين غير المكتوبة التي جمعت حوالي عام ٢٠٠ بعد الميلاد ، وهي التي تشكل أساس التلمود . (المترجم)

(٧) في اللسان مادة رخم : الرُخْم : العطف ، وَرَخِمَهُ رَخْمَةً لغة في رحمه رحمةً وعن أبي زيد الأنصاري أن من أهل اليمن من يقول رَخِمَتْهُ رَحْمَةٌ بمعنى رَحِمَتْهُ . والرُخْمُ : الحبة والإشفاق . (المترجم)

السامية الشمالية .

١٢- رَقَدَ : أي السرعة في العدو (الجمهرة ٢/٢٥٣) وفي العبرية وشقيقاتها راقض .
١٣- رَكَنَ : ينزع أو يميل إلى (وقد وردت في القرآن الكريم في سورة الإسراء الآية ٧٤) (١) .
وقال أبو عبيد في الرسالة ص ١٤٨ إنها من لهجة كنانة . وفي عبرية المشناه هَرَكِينَ
بمعنى ينحني الرأس .

١٤- شَحَبَ : بمعنى عَزَقَ الأرض (الجمهرة ١/٢٢٣ ، اللسان (٢) ١/٤٦٧) وقد يكون لها
صلة بالكلمة العبرية سحابوت أي الخرق البالية . (Jer.,xxxviii,11) و«ساحَبَ» أي
يزق ويُقَطَّع (المرجع السابق حـ ٥١/ص ٣) وهكذا يكون لدينا جذر شحب (٣) (يقطع)
يختلف عن جذر آخر «سحب» أي يَعْجُزُ في العربية والعبرية والحبشية . والكلمتان
العبريتان المقتبستان أنفاً كتباً بالسامخ (٤) خطأ . (ولعرفة حالات مشابهة في الإنجيل
انظر : Gesenius, Grammer, 6k) .

١٥- تشَبَّصَ (٥) أي تَصَفَّرَ ودخل بعضه في بعض (الجمهرة ١/٢٩١) وفي العبرية
مشبصوت (٦) أي. دخول خيوط الذهب بعضها في بعض (متشابهة) .
١٦- أَشْطَ : (في القرآن الكريم ، الآية ٢٢ من سورة ص) (٧) ومصدرها شَطَطٌ وتفسر عادة
بـ «خطي وتجاوز» وهي مشتقة من شط في رأي أبي عبيد (الرسالة ص ١٥١) أي يتمدد
أو يكذب في لهجة خشم ، وربما في العبرية Sāte khāzābh (Ps.,x1,5) و Setim
(Hos,v,2) ويمكن تفسيرهما بأنه ينعطف جانباً أو يلتف مما يعني أنه كذاب .

١٧- السَّوْقَمَ : نوع من الجميز (الجمهرة ٣/٤٢) وفي الآرامية الفلسطينية المسيحية Shōqmā

(١) وذلك في قوله تعالى : «ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً» . (المترجم)

(٢) وفي اللسان مادة شحب/شحب وجه الأرض يشحبه شحباً قشره ، يمانيه . (المترجم)

(٣) مكتوبة في الأصل بالسامخ العبرية التي تقابلها الشين العربية أي shb كما في لفظ عشر الذي يكتب في
العبرية (eser أي عيسر) .

(٤) العبرية التي تقابلها الشين العربية أحياناً . (المترجم)

(٥) في اللسان مادة شبس بمعنى دخول شوك الحجر بعضه في بعض . ويقال فقد تشبص الشجر ، وهي يمانية . (المترجم)

(٦) mishbesōth

(٧) وقد ورد في الآية الكريمة الفعل تُشْطِطُ : . . . فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط» .
(المترجم)

- شوقما وفي العبرية شِقميم (جمع) Shiqmim .
- ١٨- سُنِّيَ : بمعنى تتسخ الملابس (الجمهرة ١/١٨٢) وفي العبرية beghādhim الثياب القذرة (Zech.,iii,3) وفي العربية يمكن تفسيرها بـ «وصي»^(١) .
- ١٩- طَفَال : الطين اليابس^(٢) (الجمهرة ٣/١١٠) ، وفي الآرامية اليهودية tephel أي يفرش مادة على سطح ما .
- ٢٠- ظَنِر^(٣) : العمود ، الدعامة (الجمهرة ٢/٣٧٩) . وفي المشناه اليهودية صِير sir أي مفصلة الباب وفي العربية الجنوبية (تَظَوْر) (tzwr) (RES.2965, LineI...) .
- ٢١- يَعْزُبُ : أي مختبئ أو مختفٍ ، (وفي القرآن الكريم الآية ١٠ ، في سورة يونس^(٤)) وقد قال أبو عبيد (في الرسالة ص ١٤٧) إنها تعني يترك ، يغادر ، يبتعد في لهجة كنانة . وفي العبرية عازَب āzabh أي يبعد ، وفي شقيقاتها كذلك . (انظر كذلك (yahu da,ZASS.,xvi,250-8) .
- ٢٢- عَزِيقَه^(٥) : أي سهل مستو (الجمهرة ٣/٦) ربما يكون له صلة ببلدة عَزِيقاه على حدود السهل الفلسطيني^(٦) وربما عَزِيق أيضاً تعني يسوي . (IS.,v,2) .
- ٢٣- قَفَحَ^(٧) : يضرب في الرقبة (الجمهرة ٢/٢٣٦) ، وفي المشناه العبرية qāphah يضرب على الرأس .
- ٢٤- الكركور : مَر نهرِي عميق (الجمهرة ١/١٤٧) ، وربما في العبرية kikkar ha-yarden تُفسَّر عادة بالسهل الدائري في الأردن .
- ٢٥- مَارْيُون : الملك أو المولى في الحميرية (نشوان ، المنتخبات ص ١٠٠) والآرامية الإنجيلية

(١) في اللسان مادة وصأ . وصي الثوب : اتسخ . (المترجم)

(٢) في اللسان مادة طفل : الأطفال ، الطفال : الطين اليابس ، يمانية . (المترجم)

(٣) في اللسان مادة ظار : الظنر الدعامة تبنى إلى جانب حائط ليدعم عليها . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : «... وما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا

أكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» . (المترجم)

(٥) في اللسان مادة عَزَق : العزيق المطمئن من الأرض ، يمانية . (المترجم)

(٦) في الأصل السهل اليهودي . ولا وجود لهذا التسمية في التاريخ أو الجغرافيا . ولكنه من ابتداع اليهود ومن

شايعهم . (المترجم)

(٧) في اللسان مادة قَفَحَ تفيد الضرب على الرأس . وقيل القفح كسر الرأس شدخاً . (المترجم)

- māre (ماريء)، وفي العربية الجنوبية mr' (مرء) وفي العربية امرؤ (رجل) الخ، يختلف في الشكل والمعنى^(١).
- ٢٦- تنسّم أي تنفس (الجمهرة ٢٥/٣) وفي العبرية وشقيقاتها ناشم nāsham وفي العربية^(٢) تهب.
- ٢٧- وَثَبَ: بمعنى جلس وقعد في الحميرية (نشوان، المنتخبات ص ١١٣، الجمهرة ٥٠٢/١... وفي أماكن عدة أخرى). وفي العبرية وشقيقاتها ياشب yāshabh وفي العربية قفز^(٣).
- ٢٨- وَهَر: وَهَجَ الشمس (الجمهرة ٢٢٤/٢) وفي اللغة المانديّة^(٤) يَهَرُ أي يلمع، يتلألأ، وفي العبرية^(٥): يا هير yāhir أي فخور (انظر: (Noldeke, Neue Beiträge p.189)).

(١) وفي لغة هُدَيْلٍ يقولون للرجل «المرء» حيث استشهد السكري كما جاء في اللسان مادة «مرأ» بقول أبي خراش الهذلي:

جمعتُ أموراً يُنفَذُ المرءُ بعضها من الحِلْمِ والمعروف والحسبِ الضخم

والعرب الآخرون يستعملون: (مرؤ، مرء، مرء) وكذلك مرء القيس في النماة، مَرْقِيسِي في لهجة كندة.

(٢) في اللسان مادة نسم: تنسّم: تنفس، يمانية. وتنسمت ريحها أي هبت. (الترجم)

(٣) وفي اللسان مادة وثب وردت حكاية الرجل الذي دخل على أحد ملوك حمير فقال له الملك: ثب أي اقعد ولكنه قفز فتكسر. (الترجم)

(٤) لغة يتكلمها شعب زنجي في غرب إفريقيا.

(٥) ما تجددر ملاحظته من خلال كل ما أورده عن الألفاظ أنه كان يحرص كل الحرص أن يأتي ما أمكنه باللفظ العبري مع أن هذا اللفظ ليس له صلة بالموضوع المذكور كما في اللفظ رقم ٢٨ فما علاقة الفخر الذي تعنيه كلمة «ياهير» العبرية ووهج الشمس الذي تعنيه كلمة وَهَر اليمانية. ويفترض كذلك مجرد التشابه في الحروف بين العربية اليمانية والعبرية لصالح العبرية دون أن يدور في خلدنا أن هذه كلمات وردت في اللغة السامية الأم وانتقلت منها إلى فروعها سواء أكانت عبرية أم عربية، وهذا هو الأقرب إلى الصواب والاعتدال. بالإضافة إلى ذلك فإنه أعطى للمواقع أسماء يهودية كذكره السهل اليهودي بدلاً من السهل الفلسطيني. وإذا اضطر إلى ذكر فلسطين فإنه يذكرها مختصرة بحيث تكون خافية كما في اختصاره الآرامية المسيحية الفلسطينية هكذا: Chr. Pal. Aram، وإنه كذلك يتجنى على الحقيقة حين يقول أن (محمداً صلى الله عليه وسلم) اقترض كلمة بعل في القرآن الكريم حيث القرآن موحى إلى سيدنا محمد وليس من وضعه. كل ذلك شواهد تدفعنا إلى الحذر منه وتدفع عنه الإنصاف والموضوعية أحياناً. (الترجم)

وبالرغم من حدوث شيء من الاتفاق ، مع السامية الشمالية في مقابل العربية الفصحى ، مع كل لهجة تقريباً ، فإن هذه القائمة طويلة جداً ، لكي يجري التعامل معها على أنها مجرد صدفة .

وكما هو معروف جيداً فإن الأثيوبية ، أيضاً ، تتفق في بعض المفردات مع العبرية في مقابل اللغات السامية الأخرى . وكذلك في كثير من النقط الأساسية نجد السامية الجنوبية الغربية أكثر مما يفعل الفرع الشرقي للسامية الجنوبية .

e - o - وبالنسبة إلى أصوات اللين (حروف العلة) في اللهجات اليمنية فإننا لا نملك إلا دليلاً مباشراً هزياً وغامضاً . فالإمالة الطويلة تبدو أنها نادرة في العاصمة اليمنية في وقتنا الحاضر ؛ اعتماداً على روسي (17/ص ٤٦٩ ، ROS) ولا ترد في جنوب صنعاء . روسي (ROSSI) (المرجع السابق ص ٢٣٤) لا يذكر مطلقاً أن الفتحة الطويلة (ā) تتحول إلى ضمة طويلة عمالة ^(١) في أي مكان في اليمن . ومثل هذا التغير قيل أنه يحدث بشكل متفرق في حضرموت (Mordtmann, südar, Alt. p.22 note 1) كذلك (Landberg, Arabic, v. 189, 206 وفي عزّان (Landberg, Dathina, p.295) شحّ (Jayakar, BrasB, shahha (Rhodokanakis, Ohfar, ii, 91) 1902, p.263 ، عُمان (Reinhardt p.95, 115) وظفار (Rhodokanakis, Ohfar, ii, 91) وفي المنطقة الأخيرة يعزوها رودوكناكس Rhodokanakis ، لسبب معقول هو التأثير الشحري Shahrar ولا نملك أي أثر لنطق ā (الألف - الفتحة الطويلة) بصورة o (ضمة طويلة عمالة) سواء في النقوش الإغريقية أو العربية في الأسماء العربية الجنوبية القديمة ، وكذلك لا يقع مثل هذا التغير في عائلة اللغات الإثيوبية (على الرغم مما جاء في كتاب دلمان Dillmann وهو (Ethiopic Grammar). واللغات العربية الجنوبية الحديثة يحدث فيها مثل

(١) أي لا يحصل في اللهجة اليمنية أن تتحول الألف (الفتحة الطويلة) في مثل (سالم) إلى ضمة طويلة عمالة أي تصبح (سُولم) ، كما يحدث في العبرية والآرامية الغربية أو السريانية الغربية حيث تتحول ā إلى o (قاتل) العربية لجدها في العبرية kōtēl وفي الآرامية الغربية kōtēl (انظر فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان ترجمة د . رمضان عبد التواب ط جامعة الرياض ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م : ص ٩) . (المترجم)

هذا التفسير بشكل منتظم (انظر بروكلمان Brokelmann في كتابه^(١) GVG,I,142) حيث *ā* تتحول بانتظام إلى *ō* في الكنعانية ، والآرامية الغربية ، وفي اللهجة الحجازية^(٢) . وقد تقع تحت إغراء افتراض أن هذه الظاهرة قد تغلغت إلى العربية الجنوبية من العربية الغربية . ولا بد أن تكون اللهجة اليمانية القديمة هي حلقة الوصل . وعليه فإنه من المهم أن نعرف كيف تنطق الفتحة الطويلة *ā* فيها .

f-٦ - إن عدداً كبيراً من الأسماء في القرون الإسلامية الأولى ، والمتأخرة ما زالت في غرب الجزيرة ، قد انتهت بالمقطع -ون/^(٣) un/ وأما Kampfmeier في (ZDMG, 40-634 liv) فيقدم حجةً ليقتنعنا بأن ذلك كان إحدى الطرق اليمانية الشاذة في صياغة الأسماء . ويرى لندبيرج (Landberg) في (Dathina p.293 ff) أن -ون un - ليست سوى أداة التعريف *-ān* في العربية الجنوبية التي أصبحت تنطق *ōn* من قبل اليمانيين حاملين هذا الاسم . وفي الحقيقة إن اعتبار صيغة *ān* أداة التعريف *-n* في العربية الجنوبية هو محض افتراض . ويعتقد Kampfmeier (السابق ص ٦٤٩) أنها كانت -ون/un في حالة الرفع ، و-ين/-in في حالة الجر ، و-*ān* في حالة النصب ، وليبرهن على ذلك أشار إلى وجود أسماء تنتهي بـ *-ān* /ين/-in^(٤) ، و-*ān* /ان/^(٥) إلى جانب التي تنتهي بـ -ون un- وبما أن الحميرية لا يوجد فيها أي أثر للأداة اللاحقة القديمة فإنه من غير المحتمل ودون ريب ، أن تكون بحاجة لهذه اللواحق ، وأنه يجب مقارنتها على الأصح بالأسماء العبرية التي

(١) وهو الكتاب الذي ترجمه د . رمضان عبد التواب باسم فقه اللغات السامية وقد سجلنا هذه الملاحظة في الصفحة السابقة . (المترجم)

(٢) انظر الخارطة رقم ١٢ .

(٣) اعتقد أنه يعني الأسماء التي تنتهي بالواو والنون مثل : زيدون ، خلدون ، حمدون . (المترجم)

(٤) مثل سلاطين ، مساكين ، عثمانين . (المترجم)

(٥) مثل : سرحان ، حمدان ، زيدان ، عثمان ، جبران ، سليمان . (المترجم)

تنتهي بـ òn ، وبعضها يمكن أن يكون للتصغير كـسَوَاحق التصغير السريانية^(١) -ون òn-وين in- ، وأنَّ -ò- تستعمل للتحجب مع الأسماء في العامية السورية المعاصرة مثل (عبدو في عبد الله) .

g- v - إن غياب أية رواية واضحة عن حقيقة تحول الألف ã إلى ò أي ضمة كالذي يحدث في اليمن ليس حجة قوية ضد افتراض أنه كان كذلك . ولم يكن للعلماء العرب الاهتمام الكافي بالمسائل الصوتية .^(٢) وسوف نرى ، حينما نصل إلى معالجة مثل هذه المسألة في الحجاز . وبصرف النظر عن القضية بشكل عام فإن اهتمامنا الأساسي ينحصر في قضية خاصة وذلك في تبعية النطق للكتابة ، أعني الكلمات التي هي من طراز حياة ، وزكاة التي تُكتب في القرآن حياة ، زكوة . وابن جني (في سر الصناعة حيث اقتبسها Bravmann, Materialien, P.35) يقول إن حياة وزكاة قد نطقتا في اليمن حيوةً وزكوةً .

ونحن نعرف ، بشكل لا لبس فيه ، أن هذه الكلمات في التجويد القديم وبهذا الرسم كانت تنطق حيوةً وزكوةً ، وهي حقيقة لا يمكن أن تكون مجهولة لابن جني . ولذلك فإننا نشك بأنه يعني الصوت نفسه في خبره عن اليمن ، ولكن برافمان Bravmann على أي حال ، يقرؤهما حيوةً وزكوةً . ودون استخدام سر الصناعة ، لا أستطيع أن أحكم فيما إذا

(١) «وزيادة الواو والنون تتفق مع ما هو معروف في السريانية عن التصغير فكلمة (كتاب) وتصغر على (كتابونا)» انظر د . إبراهيم السامرائي . فقه اللغة المقارن ص ٢٧٩ ط ٢ دار العلم للملايين ١٩٧٨م / وذلك بعد قوله : «وللتصغير طرق غير الطرق المعروفة ومن ذلك أن يختم الاسم بالواو والنون كما في سعدون ، وخلدون . (المترجم)

(٢) وهذا اتهام فيه نظر لأن جُهْدُ النحاة العرب الصوتية في إطار لغتهم لم يكن بسيطاً خاصة عند الخليل وسيبويه وابن جني وابن سينا ولكن كانت عنايتهم بالوصف لبيان كيفية النطق الصحيحة ولم يبللوا جهداً ذا نفع في المقارنات الصوتية بين اللغات أو في التطور التاريخي ، وقد شهد بتقدمهم في علم الأصوات برجستراسر في كتابه التطور النحوي للغة العربية ص ١١ ، بقوله : «ولم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان ، هما : أهل الهند ، والعرب» . (المترجم)

كانت الحركات^(١) موجودة في المخطوطة . وإذا كانت موجودة فإن هذا يعقّد الموقف أكثر لأن (زكاة) كلمة دخيلة فهي من الآرامية زكوثا Zakkōthā ، وأشكّ بقوة أن تكون (حيوة) دالة على مفرد (انظر الفصل ١٠-٩) . ومن ناحية أخرى يُعتقَد بأنهما صيغتان للأسماء من هذا النوع في السامية الأم . وهكذا تختصر القضية في مسألتين منفصلتين :

أ- هل بقيت -و- -awa- من السامية الأم في اليمانية ، وصارت ē ألفا أو فتحة طويلة (كما في العربية الفصحى) أم ē ضمة طويلة مالة .

ب- وهل نطقت هذه الكلمات الدخيلة كما في لغاتها الأصلية . أم أنها (إذا قبلنا البديل الأول في المسألة أ) تكيّفت مع مثال محلي حي؟

h- ٨ - يقرر الهمداني (في الجزيرة ص ١٣٥) أن بني حرب ، إحدى القبائل البدوية في جنوب اليمن ، أهل إمالة في جميع كلامهم . وهل الهمداني يريد أن يقول إنهم على عكس مواطنيهم في إقليمهم يلفظون الألف (الفتحة الطويلة) إي^(٢) أو ما يشبهها؟ . وهذا مما يجب الاهتمام به ؛ لأنه يوضح أن هناك إمالة أخرى مجهولة في اليمن ، وهكذا يجب أن نقدّم تأييداً غير مباشر إلى النظرية التي تقول أن ē (الفتحة الطويلة) يمكن أن تُمال نحو ē (الضمة الطويلة المالة) . ولكن يمكن أن يكون الهمداني قد عنى شيئاً آخر بالإمالة .

i- ٩ - إن صوت الجيم في العربية الفصحى يوصف نطقه في اللهجة اليمانية بين الكاف والجيم (الجمهرة ٥/١ ، ابن يعيش ص ١٤٦٣)^(٣) . وأما ابن فارس (في الصحاحي

(١) قد يكون قصده في حياة وزكاة حين تكتب هكذا حيوة ، زكوه حيث يقول في الأصل vowels وأنها تعني عندهم حروف اللين أي حروف العلة في العبرية ، وكذلك تعني الحركات . ويبدو أن المؤلف على حق في تحفظه إذ في سر الصناعة ليس كما ذكر برافمان تماماً فقد جاء في ص ٥٨١ : «ورويتنا عن قطرب أن بعض أهل اليمن يقول : الصَّلَوَةُ وَالزُّكُوتُ وَالْحَيَوَةُ بواو قبلها فتحة ، فهذه الواو بدل من ألف صلاة وزكاة وحياة وليست بلام الفعل من صلوت وزكوت . . .» وفي الهامش ينقل المحقق عن نسخة أخرى من المخطوطة ما يوافق ما ذكره برافمان . (المترجم)

(٢) كما ينطقها اللبنانيون في لهجتهم في وقتنا الحاضر في قولهم مثلاً في هشام -هشيم ، أو في لبنان لبّين . (المترجم)

(٣) فقد جاء في شرح المفصل ١٠/١٢٧ : ثمانية أحرف غير مستحسنة ويعد منها : «الكاف التي كالجيم والجيم التي كالكاف» فأما الكاف التي بين الجيم والكاف فقال ابن دريد هي لغة في اليمن يقولون في جَمَل كَمَل وفي رجل رَجَل ، وهي في عوام أهل بغداد فاشيه ، والجيم التي كالكاف كذلك ، وهما جميعاً شيء واحد إلا أن أصل أحدهما الجيم وأصل الأخرى الكاف» (المترجم) .

ص ٢٥) فيقول إنه ينطق بين القاف والكاف وبين الجيم . والمقدسي (في أحسن التقاسيم ص ٩٦ عدن) يصفه بأنه كالكاف . وأما القاري (في المناحي الفكرية ص ٢٥) إذ يرتفع اللسان فيصف صوتاً بمزجاً من الكاف والجيم إلى المكان الذي تنطق منه الكاف ، مما يجعله غالباً ما يقترب من كونه حرفاً مهموساً .

ويستدل برافمان (Bravmann, Materialien, p.49) من هذا أن وصف هذا الصوت اليماني لا يتطابق مع الحرف g^(١) ، لأن الحرف المهموس غير مجهور ، لذلك وصفه القاري Qāri بأنه يجب أن يكون صوتاً غير مجهور ، ومن غير المحتمل ، مع ذلك ، أن يكون للحرف الذي وصفه القاري وبأي وسيلة ، صلة بذلك الصوت اليماني . إن الصوت اليماني يجب أن يكون قد حصل له جهر بكيفية ما «وإن وصفه بين الجيم الإنجليزية لو الكاف يحتمل أن يعني أنه قد نُطق به من مخرج بين هذين الصوتين ، أي أنه كان صوتاً حنكياً Palatal خالصاً . ومثل هذا الصوت ما زال يستعمل في جنوب اليمن (Rossi San'a, p.2) وكذلك (Rso, xvii,236) ويصفها روسي Rossi بأنها تشبه «g» المضغوطة ، تلفظ تقريباً بطريقة «gy» ومالتسان (ZDMG: Maltzan xxvii,244) يرى أنها أليّن من g وكاتينسو: (parlers, p.25f) يروي الصوت نفسه عن لهجات البدو في شمال الجزيرة العربية في قبائل الروله ، وعنز ، وشمر . وفي جميع هذه اللهجات^(٢) (وهو صوت غير مستقر) يتناوب بحرية مع g (الإنجليزية كما في go).^(٣) بعض اللهجات اليمانية ليس لها في الجيم إلا نطقها g^(٤) لنديبرج (Dathina, P.xxii/Landberg) ، وكذلك لها النطق نفسه في لهجة عُمان (رينهارت Reinhardt p.4) . وذلك هو نطقها الصُّلب (Cantineau p.26) وهذا الصوت ، بالطبع ، هو الصوت المماثل للجيم في العربية الجنوبية المعاصرة ، واللغات الإثيوبية . وربما رواية المقدسي (التي يمكننا أن نقرأها كك^(٥)) وليس كافاً) تشير إلى لهجات من هذا النوع . وما يدعو كذلك إلى الاستغراب عدم وجود مقارنة مع حرف gāf الفارسية .

(١) في مثل الكلمة الإنجليزية good ، أو (God. المترجم)

(٢) أي كالجيم القاهرية متبوعة بياء خفيفة ملينة . (المترجم)

(٣) ينقل عن إبراهيم أنيس (من كتابه اللهجات ص ٧٧ ، دون مصدر) أنه قال : بناء على نطق بعض أهل اليمن للجيم أصبح هذا النطق سارياً في طيء ، وهذا يشبه نطق قبيله شمر في الوقت الحاضر .

(٤) أي كالجيم القاهرية متبوعة بياء خفيفة ملينة . (المترجم)

(٥) قد يقصد أنها أقرب إلى كشكشة الكاف حين تعطش الجيم . (المترجم)

k- ١٠ - لم تذكر مصادرنا شيئاً عن تلاشي العين حتى تصبح ألفاً ، مع أن هذا الأمر شائع في العامية اليمنية في أيامنا هذه ، وفي لهجة طيء قديماً . ويحدث أيضاً التغيير نفسه في النقوش الجنوبية لشبه الجزيرة العربية في حضرموت (انظر : Philpy, JRAS, 1945, P.128) وكما سنرى فإن الدليل في لهجة الحجاز لم يكن العثور عليه سهلاً ، ولذلك فإن سكوت اللغويين عن هذا الأمر في اليمن لا يسمح بتصور أي استنتاج أو تخمين .

١١-١- ويمكننا أن نستنتج أحكاماً ، أخرى لصوت العين في غرب الجزيرة وجنوبها من خبر أن اليمن ، والأزد ، وقبيلتي هذيل وقيس والمدينة وسعد بن بكر يقولون أنطى في أعطى (نشوان ، المنتخبات ص ١٠٤ ، والفائق للزمخشري ص ٦ ، واللسان ٢٠٦/٢- انظر الخارطة رقم ٣) . ولأول نظرة تبدو وكأنها عين قد قلبت نوناً (أو بالأحرى نوناً مفخمة) بتأثير الطاء المجاورة . وهذا الافتراض المسبق أن العين لها في العادة عنصر أنفي عند النطق بها ، الذي في حالات معينة (على سبيل المثال قبل الأصوات الساكنة مباشرة) ، يمكن أن يبقى هو العلامة الوحيدة لهذه الوحدة الصوتية (الفونيم) . ومثل هذه الغنة الأنفية تُسمَع بوضوح تام من قبل بعض عرب فلسطين . وفي لهجات الوادي^(١) في وسط إفريقيا . إن إغنان (تأنيف) Nasalization الحركات هو الأثر الوحيد الباقي من أصل العين (Kampffmayer, MSOS ii, 2, P.200). وفي ظفار (جنوب اليمن) تغن الحركة (صوت اللين) حينما يأتي بين العين والنون أو الميم . ولذلك لم يسمع رودوكناكس أي جرس أنفي في العين نفسها .

واليهود الشرقيون يكثر في كلامهم إغنان العين في العبرية . واليهود الشرقيون (السيفارديم) في أوروبا الغربية قد تخلوا عن العنصر الحلقي . وتنطق الأصوات الصامتة Consonants مثل نطق ng^(٢) في كلمة King (Gramm, Ebraica, Padova 1853, p.99, Luzatto) انظر كذلك Bravmann (Materialien, p.42) فيعتقد أن (Artom, Leshoneneun, xv, 56) وأما برافمان

(١) تقع شرقي بحيرة تشاد . (المترجم)

(٢) لعله يريد هنا توالي الأصوات الصامتة (الساكنة) دون وجود حركة ، وهو ما ترفضه العربية فإذا التقى ساكنان

فيها وجب تحريك أحدهما . (المترجم)

أصل (أنطى) هو صوتي محض ، ويؤكد أن الغنة الأنفية هي إحدى الملامح الملازمة للصوت الصامت من زمن اللغة السامية الأم . وهناك آراء أخرى تطرح تفسيراً غير صوتي (لأنطى) . وفي هذه الأيام تستعمل هذه الصيغة في بغداد ، جنوب العراق ، ولهجة نابلس^(١) في فلسطين (باور Palestin, Arabisch, p.7/ Bauer) وبين بني عنز في الصحراء السورية (انظر : Wetzstein, ZDMG xxii,74line2, and 80 Cf. ibid., (Wetzstein, ZDMG line4, p.114 ولم يذكرها كانتينو Cantineau وقد سجلت في اليمن نفسها صيغ فيها عين : في وسط اليمن أعطي (انظر : ، جويتاين Goitein, Jemenica No. 711) وفي الجنوب : عطا (Rhodokanakis, Dhafar, ii,40) ، وفي عُمان عطا بمعنى يَهَب (Reinhardt, p.244) ويجب أن نتذكر أنه في العربية فقط ، يشيع استعمال الجذر (عطي)^(٢) بهذا المعنى . ويرى بروكلمان (Brockelmann, GVG, ii,309, Note 1) أن التركيب الشاذ لأعطى في تعدّيها إلى مفعولين بسبب أن (عطا) التي بمعنى يصل إلى أو يميل إلى ، مشتقة منها . والفعل الأخير (أي عطا) أحياناً يُعدّى بـ (السيوطي ، شرح شواهد المغني ص ٤١) (٣) . وعليه فإنه يماثل الفعل العبري natah yadho'el (ناطاه يادهو إلى) أي مَدَّ يده إلى بمعنى يأخذ ، التي تقلصت في عبرية الإنجيل (natal ناطل) بمعنى يرفع ، وفي الآرامية نِطِل netel ، والموقف كله في العربية يوحى بأن أنطى هنا سبب في نطى ، هي أقدم كلمة ، وقد حل محلها في الشرق بنية جديدة من (عطى) المرادفة لـ (نطى) natā وربما كان ذلك بعد أن تخصص معنى نطى natā والعلاقة بين أعطى ، والكلمة العبرية nātāh أول من ذكره فولرز (K. Vollers) في (ZDMG, xlix, 505) والصيغة الجديدة قد أخذت وقتاً ما قبل أن تنتقل إلى غرب الجزيرة . وإن أنطى القديمة ما زالت ترد في بعض الأحاديث (انظر فصل ١١/٢) ، في كلام رجل

(١) ليس مدينة نابلس فقط وإنما المحافظة كلها ، وفي جميع قرى فلسطين تقريباً وفي الأردن أيضاً . (المترجم)

(٢) لقد نبهني البروفيسور درايفر Driver إلى أن الجذر يعطه له المعنى نفسه في العبرية والعربية .

(٣) قد جاء في شرح الشواهد للسيوطي ط دار مكتبة الحياة ١١٢/١ في شرحه للشاهد :

ويوماً توافينا بوجه مقسّم كأنّ ظبية تعطو إلى وارق السّلم

«تعطو : أي تتناول أطراف الشجر في الرعي ، وعدّى تعطو إلى على تضمينه معنى تميل في مرعاها إلى كذا . قال في القاموس : معناه تتناول إلى الشجر لتتناول منه» أو في لسان العرب مادة عطا العَطْوُ التناول ، وظبي عَطُوٌّ يتناول إلى الشجر ليتناول منه . ولا تعطوه الأيدي أي لا تبغوه ، وعطا الشيء وعطا إليه عطواً تناوله) وهكذا فإن الفعل «عطا» يؤدي معنى التناول بتعديته إلى ودون تعديته بها (المترجم) .

غنوي ، وهي اللهجة التي تنتمي لدواع أخرى إلى المجموعة الشرقية (البكري ، معجم ما استعجم ص ٥٤٠) ويحتج فل (ZDMG, liv, 235 Fell) بأن الجذر nty (نطي) بمعنى (يُنزل المطر) ربما يكون انعكاساً آخر للاستعمال القديم . وبلا شك فإن التشابه الصوتي جعل من السهل إحلال أنطى محل أعطى . وقد يكون هناك سبب مماثل وراء إحلال الجذر mtw (مطو) (يأتي) محل nty في اللغتين الآرامية والإثيوبية في سفر دانيال ٢٢/٧ ، الترجمة السبعونية^(١) على ورق البردي ترجمت كلمة meta'ak (ميطعك) - مُعطى لهم .

وفي الإثيوبية mattawa مَطَو تعني يقدم ، وفي الأمهرية ammatte أمط تعني يعطي . ومن الممكن أن تعني mtw «يعطي هدايا» (في CIH, 397, line 6-7) ويمكن أن نرى كلاماً له المعنى نفسه في العربية وهو : أمطى الظهر (أي أعطى أحدهم مطية ليركبها) التي هي مشتقة ، مما يتعذر تعليقه ، من كلمة مَطِيَّة بمعنى جبل أو حصان فهي في الأصل مشتقة من الحصان الذي يعطيه أحد الأمراء أو السادة لأتباعه . وهكذا نكون قد قدّمنا تفسيراً تأصيلياً مرضياً للعلاقة بين «أنطى» ، وأعطى» ، وعليه لا نستطيع أن نذهب بعيداً في التخمين .

m-١٢- نجد تبادلاً بين الضاد والشين في جذرين : علّوض^(٢) (ابن أوى) (الجمهرة ٩٣/٣) وتأتي أيضاً علّوش (المصدر السابق ٦١/٣) . ويذكر نشوان (في المنتخبات ص ٧١) كلمتين بمعنى «يحمل» هما ناضٍ وناشٍ . وكل هذه الصيغ أعطيت على أساس أنها يمانية . وفي بواكير العربية كان كلٌّ من الضاد والشين صوتين جانبيين^(٣) Latezal Sounds انظر : (Bravmann, Materialien, p.53) وما زالت الضاد صوتاً جانبياً عند بعض قُرّاء القرآن الكريم^(٤) (انظر : Gairdner, Phonetics p.31 John, Mehrsprach, p.4, Lexique Soqotri p.20 وكلاهما صوتان

(١) انظر : درايفر (JBL, xv, 102). Drive

(٢) جاء في اللسان مادة علّض : العلّوض : ابن أوى بلغة حِمَيْر وكذلك في مادة علش : العلّوش : الذئب ، حِمَيْرِيَّة وقيل ابن أوى . (المترجم)

(٣) الأصوات الجانبية هي الأصوات التي تحدث من خروج الهواء من جانبي اللسان حين يكون هذا اللسان ملامساً للثة (الشنايا العليا) فيحدث الصوت كاللام مثلاً من جرّاء احتكاك الهواء الخارج بحافتي اللسان (المترجم) .

(٤) بينما كانتينو Cantineau (لهجة حوران ص ١٠١) يصفها بأنها مفخمة من بين الأسنان احتكاكية متبوعة بتسلسل جانبي .

جانبيان في اللغات العربية الجنوبية المعاصرة والضاد في بعض أجزاء اليمن (انظر : Landberg, Hadr.p.637) . وهكذا يجب أن يكون التعاقب ميسوراً . ويجب ألا نستنتج من هذا أن معاصري نشوان وابن دريد ما زالوا ينطقون هذين الصامتين صوتين جانبيين . وإن الأصوات المتعاقبة يجب أن تكون موروثه منذ القدم أو أنها تنتمي إلى لهجة مشتركة مختلطة^(١) .

n-١٣- إن اللهجة اليمانية ليست من ضمن اللهجات التي تسهل الهمزة ومع ذلك ينقل إلينا المعجميون أمثلة من الأفعال المهموزة أصلاً ، بالواو بدلاً من الهمزة ، الذي لا يمكن تفسيره إلا بأنه خطأ في الاشتقاق من المضارع : يُوَاتِي يُوَاتِي ، ومن ثمَّ وَايْتُ بدلاً من آيْتُ (التاج ١٠/١٠) وكذلك وَاخَذَ بدلاً من أَخَذَ (المصباح ص ١٤) وواخى بدلاً من أخى (نشوان ، المنتخبات ص ١١٤) واسى بدلاً من آسى . والموقف مشابه لما يحدث اليوم في اليمن . فالهمزة من ناحية نجدها ظاهرة بوضوح في النطق (انظر : ROSSI,ROS xvii,235; Goitien, Jemenica, p.xii) ومن ناحية أخرى تحذف ويحل محلها واحد من حرفي اللين الواو أو الياء وهو أمر شائع جداً (Goitein, ibid) ويستشهد روسي Rossi بصيغ مثل : توخَّر في تأخَّر ، تفاوَل في تفاءَل . في الوقت الذي لا يمكن أن تقع فيه الهمزة الأصلية بين الفتحة والضمة ، حتى إن الواو قد تكون نتيجة لقياس على أمثلة أخرى التي تنشأ لأسباب صوتية .

o- ١٤ - ويستشهد ابن دريد بحالتين في اللهجة اليمانية تقوم فيها صيغة فُعَال أو فُعَال بدلاً من الصفة المشبهة فَعِيل مثل كُبَّار في كَبِير (الجمهرة ١/٢٧٤ ، وفي الاشتقاق ص ٢٥٤ : كُبَّار) ، وكذلك كُثَّار في كَثِير (الاشتقاق ص ٤٠) ويذكر Ruzicka (ZS,x,29) قائمة من الحالات التي تتبادل فيها المواقع في العربية الفصحى صيغتا فُعَال وفَعِيل . وقد راجعتها في المعجم ، ولم أجد أية إشارة للهجة اليمانية . ومن ناحية أخرى فإن أسماء الأماكن المذكورة في القائمة كلها تقريباً مما يمكن تحديد مكانه وسنجدّه يخص منطقة غرب الجزيرة العربية : سُلَيْم ، الحجاز ، طيء ، عُمَان^(٢) ، قليل منها فقط في اليمن . وإن صيغة كُبَّار ما زالت حيّة في

(١) لمزيد من تعاقب هذين الصامتين في لهجة ربيعة انظر كوفلر في (Kofler, (WZKMxlvii,92)

(٢) إنَّ عُمَان جغرافياً تقع في الجنوب الشرقي لجزيرة العرب .

اللهجة المكيّة بصيغة كُبَارِيَّة (انظر Snouck Hargronje, Mekkanische Sprich (Wort p5).

إن استعمال فُعال وفُعَل في غرب الجزيرة العربية مرتبط إلى حد بعيد بصيغة التأنيث فُعال التي تطلق على مذكر كما في معلقة لبيد العامري الغربي^(١) في السطر الثاني والخمسين^(٢) حيث اسم الكلب الذكري سُخَام يظهر إلى جانب اسم المؤنث كَسَاب (سُخَام ، سُخَمَن كلاهما أسماء عربية جنوبية أيضاً . وفي البخاري ، الشروط ، يخاطب أحد المكيّين مكيّاً آخر أي غُدْر ، وفُعَل صيغة نموذجية للنداء مثل فُعال . وربما يكون قد احتفظ بقوته الندائية في الأسماء الغربية^(٣) مثل عُمَر ، التي يرى فيها العرب أنها معدولة^(٤) وليست بصيغتها الأصلية (انظر : Wright, I, 245).

p-١٥ - في الحكاية المعروفة عن العربي الذي أساء فهم^(٥) كلمة وثب الحميرية (انظر : الصاحب ص ٢٢ . واللسان ٢/٢٩١) حيث جعل الملك الحِمِيرِي يقول : ليس عندنا عَرَبِيَّت ، وقد فسرت هي الأخرى بأن علامة التأنيث لم تسقط^(٦) عند الوقف في كلامه . وليس هذا بالضرورة من قبيل التذكير بالعربية الجنوبية ولكنه إحدى الخصائص القديمة للعربية الغربية ، وكذلك احتفظت بها اللهجة الطائية في أقصى الشمال . وليس من السهل أن يقال إنها وجدت في الحِمِيرِيَّة فقط ، أو إنها وجدت كذلك في اللهجات اليمانية الأخرى .

q-١٦ - وقد سمع المقدسي (٣٧٥هـ/٩٨٥م) في عدن قولهم : رَجُلِيْنَة (رجلاه) وَيَدِيْنَة

(١) يقصد غرب الجزيرة العربية . (المترجم)

(٢) الذي يقول فيه :

فتقصدت منها كَسَاب ، فضرُجتُ بدم ، وغودر في المكر سُخَامها . (المترجم)

(٣) يقصد غرب الجزيرة العربية . (المترجم)

(٤) أي معدولة عن عامر كما يقول النحويون ولذا منعت من الصرف . (المترجم)

(٥) حيث جاء في اللسان مادة وثب : «الوثب : القعود في لغة حِمِير . ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حِمِير فقال له الملك : ثِب أي اقعد فوثب فتكسر . فقال الملك : ليس عندنا عَرَبِيَّت يريد العربية ، فوقف على الهاء بالتاء وكذلك لغتهم . ورواه بعضهم : ليس عندنا عربية كعريبتكم ، قال ابن سيده : وهو الصواب عندي ، لأن الملك لم يكن لينخرج نفسه من العرب . (المترجم) انظر ص ٨٢ ، سطر ٧ ، الهامش (٣) .

(٦) حيث علامة التأنيث في الوقف تلفظ هاء وفي الوصل تلفظ تاء . (المترجم)

(يداه) ، مع أن الشائع في اللهجة رجليه . . الخ (أحسن التقاسيم ص ٩٦) ، ويمكن أن يكون الأمر ليس سوى تحول قياسي للنون عن الصيغة الأساسية الثابتة ، كما يحدث في عدة لهجات عامية في نطق جمع المذكر (انظر : Brockelmann, GVG, I, 452) وقد وصف المقدسي اللهجة العدنية بأنها مؤلدة ، على أنه ربما يقصد أن أهلها كانوا في مرحلة التحول من العربية الجنوبية إلى العربية الشمالية . وقد استعمل أحياناً أشباه المتعلمين صيغاً مماثلة في عُمان ، ومصر وتلمسان (Brock-lemann, GVG, I, 456) وبصورة منتظمة في بغداد والموصل (Barth, Pro-nominalbildung p. 55) وزنجبار (Praetorius, ZDMG, xxxiv, 222) والسلوت Slut في سوريا الجنوبية (Cantineau, Parlers, P. 73). وهذه عاميات تدل على التأثير اليماني من نواح أخرى . ويجب أن يجعلنا ذلك حذرين من صرف نظرنا عن الصيغة باستخفاف على اعتبار أنها من قبيل اللحن النحوي . علينا ألا نستخف بملاحظة المقدسي باعتباره غير لغوي بل يجب أن نعرف علاقة الصيغ العامة باليمن .

١٧-٢- إن أداة التعريف في اللهجة اليمانية كانت هي السابقة «أم»^(١) . والدليل على وجود هذه الأداة قديماً قد ذكره لندبيرج (Landberg, Dathina, p.281- 90) وكمبفاير (Kampffmeyer, MSOS, iii, 2p82) ولا حاجة بنا لتكراره هنا . ويمكن أن يكون قد ذكر للاستغراب ، حيث صرف النظر عنه كريب (Kremer, Südarabische sage, p.34) على أساس أنه مجرد تلفيق من اللغويين ، معتمداً على إعادة الجمع العشوائية للعربية الجنوبية غير المعروفة أو غير المحددة^(٢) . وقد استعمل هذا الشكل من الأدوات في القرن الثالث على طول الحدود الشمالية لليمن (قائمة الهمداني ٥٠) . وما زال استعمالها جارياً في كثير من

(١) من أجل التيسير أكتبها - lam ، وربما تكون الحركة موضوعاً لقانون مشابه كأداة التعريف - (al) . واعتماداً على مالتسان (Maltzan, (ZDMG, xxvii, 245) فإن هذه الأداة تنطق بدون حركة حتى لو كانت الكلمة منفردة أي ليست في سياق جملة مثلاً .

(٢) وقد استعمل لفظ Imitation التمييز وفسره بأنه للتنكير كالتنوين في العربية .

التراكيب المحلية للعامة اليمنية^(١) ، انظر قائمة الأماكن التي أعدها روسي Rossi (ROS,xvii,273) وغالباً ما تكون جنباً إلى جنب مع آل. (Maltzan, ZDMG, xxvii, 245) وببدو أنها في وسط اليمن أخذت في الاختفاء ، ولا أثر لوجودها فيما جمعه جويتاين Goitein في كتابه عن اللهجة اليمنية Jemenica وميتوش Mittwoch في (Aus Dem Jemen) ويقول لندبيرج (Landberg, Dathina p. 283) إنها تستخدم باستمرار تقريباً في شعر الزوامل^(٢) ؛ عما يمكن أن يستنتج منه أنها تنتمي إلى لغة الشعر المهجور أكثر من انتمائها إلى لغة الحياة اليومية . استخدمت الأداة «أل» في ظفار ، ولكنها تظهر بوضوح قبل الباء والفاء والميم (انظر: Rhodokanakis, Dhafar, ii, 115) ولا يعني هذا سوى أن هذه الأداة كانت في السابق أم ، وقد احتفظت بها الصيغ القديمة المماثلة بالرغم من التغيير (ومن أجل حالة مشابهة انظر الملاحظات على أن المخففة) .

خارج اليمن الأصلية ما زالت تستعمل الأداة أم في تهامة ، (انظر : Glaser, Geschichte und Geographic Arabiens, ii, 29) ومن قبل بدو الحنا أيضاً (Landberg, Dathina, p. 286) ومن قبل مرة في شمال غرب الربع الخالي (انظر : philby, Geogr. Journal, lxxxi, 10) وبعض بدو وسط إفريقيا (Kampffmeyer). وكما علمنا فإن الأداة أم تستعمل أيضاً في طيء ، يوجد لدينا إحدى خصائص اللهجات العربية الغربية القديمة ، التي اختفت من وسط الغرب في القرن الثامن ، وهي الآن في طور التلاشي من اليمن . يمكننا أن نتوقع ولكن بحجة غير قوية أن هناك مصادر غير عربية لاستخدام الأداة «أم» فلندبيرج (Dathina p. 284) يرى أن الأداة أم موجودة في النقوش القديمة مثل أمبسم Ambisama (Ptolemy 396) ، و Mariaba Baramalacun يحلل الحروف على أساس أنها Barr am- Malik بر أممليك أي ابن الملك) ؛ ولكن بلاو (Blau, ZDMG, xxy, 587) ، وسبرنجر (Sprenger, Alte Geographic Arabiens p.156)

(١) تستعمل في كثير من المناطق في أيامنا هذه حسبما علمت من طلابي بجامعة صنعاء في اليمن مثل : سهل تهامة كله ولواء تعز عامة وفي الحنا خاصة باعتبارها ضمن سهل تهامة ولذلك وفي ألوية الحديدة وإب مثل جبلة والبيضاء ومأرب وحجة . (المترجم)

(٢) جاء في اللسان مادة زمل : أن الزمل هو الرجز ، والزملة بعير يحمل عليه المتاع والطعام ، ويبدو أن المقصود هنا هو ما يقوله الشعراء في خداء الإبل في أثناء السفر في قوافل . (المترجم)

ونولده (Nöldelke, ZDMG, xxiii,) يقدمون تفسيرات أخرى للاسم .
 s- ١٨- منذ القدم والأداة أم شائعة في اللهجات العربية الغربية ولكن لا توجد
 أية إشارة تربطها على وجه الخصوص بأشكال الأداة المستخدمة
 في العربية الجنوبية . ويظهر أن لها علاقة بالأداة الليمانية ، التي تكون
 في العادة هاء ولكن قبل ألف وعين وتظهر بانتظام وكأنها هاء ونون
 (انظر : Winnett, A study of lihyanic p. 16- 18) وهناك أيضاً بعض الشواهد
 للهاء والنون قبل الحروف الصامتة الأولى في الكلمات (انظر :
 müller, sudar. stud., p. 18; Land-) (١) Blake, Jaos, lxii, 117.
 berg, Dathina, p. 282) إن بعض اليمانيين يستعملون أن بدلاً من أم . والأمثلة
 على ذلك قد أوردها الهمداني في النقوش الحميرية ، وتقع كلها قبل أصوات
 صامتة طبقية وحلقية أو مفخمة مثل (٢) : أنْخَلَمَ ، أنْخُشَمَ (نوع من الخضراوات
 الطازجة) (٣) ، أنهند أي الهند (Müller, op. Citp. 22) ، أنْصَرِفَ أي الفضة ،
 أنْطَمِمْ (٤) (ibid., p.17) والجملة التي استشهد بها فليبي Philby من مرة يوجد
 فيها : رُبْع أنْخَالِي (الرَّبْع الخالي) . والمادة باعتراف الجميع غير كافية كتبثت أي
 قاعدة للتعريف . ولا نرى كذلك فيها أية حجة على نقيضها في الحالات التي
 تظهر فيها أم ، وليس «أن» ، قبل تلك النماذج من الأصوات الصامتة . إضافة إلى
 جهل النسخ المطبق بصيغة الاستعمال الصحيحة ، وتسويتهم للهجاء بين كل

(١) يعترض بليك Blake على القاعدة التي تقول : إن من الشذوذ الصوتي في اللغات السامية الجنوبية عدم
 تشابه النون مع الأصوات الصامتة التالية لها . ولكن النون تتشابه في العربية الجنوبية (Hafner, Altsüdar,
 Gr. P.25) وفي اللهجة الحجازية وربما تكون الأخريات مثلها .

(٢) إن البدو المعاصرين في اليمن يسمون الجمل الصغير : أنْفَرِدَ ، وفي الفصحى . فَرِيدَ (انظر : Binder,
 WZKM, xjviii, 96) وربما يغربنا ذلك اعتبار أن أنْفَرِدَ مثل أمْفَرِدَ . ولا بد أن تكون الميم شقوية أسنانية مثل
 حرف fñnf الألماني (وفي اللسان مادة فَرِدَ ، ناقة فَارِدَة ، والذكر فَارِدَ ، والفرد من الإبل المنتخبة في المرعى
 والمشرَب) .

(٣) وفي اللسان مادة قَشَمَ ، حيث القَشَمَ الأكل ، والقَشَمَ اسم لما يؤكل ، والقَشامة ما يبقى من الطعام على
 الخوان ، والقَشَمَ والقَشَمَ اللحم الحمر من شدة النضج ، أو البُسْر الأبيض الذي يؤكل قبل أن يدرك . (الترجم)

(٤) في مادة اللسان مادة طَمَمَ . الطميم هي الفرس المسرع . (الترجم)

الكلمات كما فعلوا بالتأكيد مع عدد غير محدود من الشواهد ذات أداة التعريف
أل في اللهجة اليمانية .

ومن الممكن أن تكون النون التي تقع قبل أصوات صامتة معينة قد استعملت فقط في
جزء من منطقة اللهجة ، كما يؤكد نشوان ، بينما الآخرون يستعملون الميم في سائر المنطقة .
وهذا في حد ذاته ، بالإضافة إلى حقيقة أننا لا يمكننا أن نفسر بسهولة ظهور النون قبل
الأصوات الحلقية كما مثلنا ، يوحى بأن (أن) كانت الصيغة الأقدم للأداة والتي لأسباب
مجهولة لنا حُلّت محل أم (مثلما أصبحت مؤخراً أل) ، ولكن لفترة وجيزة على الأقل
حافظت أن an- التي قبل الأصوات الصامتة على ارتباطها بتلك التي اتخذت خاصة
طبعية أو تفخيمية . وأن an- هذه هي البديل لـ «هَن» han- اللحيانية كما أن (إنّا) عند
طيء (هِنّا) وفي العبرية hinneh (هينيه) . أو كالعبرية إن - in والعبرية إم - im مقابل هم hm
العربية الجنوبية وهين hen الآرامية ومن الواضح أن لها صلة باللاحقة العربية الجنوبية
النون -n التي تظهر في بعض النقوش الحضرية .

t - ١٩- ويقرّر ابن مالك (كما ورد في معجم الهوامع ٩٧/١ اقتباساً عنه) أن أم - am هذه لا
تتماثل مع الأصوات الأسنانية^(١) والصوامت الصفيرية^(٢) بالطريقة التي تتماثل
بها أداة التعريف أل في العربية^(٣) وهذا مؤيد ببعض الاستشهادات المستقلة التي

(١) كالتاء والثاء ، والذال والذال فيقال فيها : أمتعب ، أمثلاثة فلا تدغم لفظاً مع التالي لها . (المترجم)

(٢) كالسين والزاي فيقال فيها : أمسيف ، أمزهر فلا تدغم لفظاً كاللام في أل حيث يقال السيف والمزهر .
(المترجم)

(٣) يشير هنا إلى ما جاء في الهمع ٧٩/١ وذلك بعد ما ذكر الخلاف بين اللغويين والنحاة حول أل فمنهم من رأى
أنها ثنائية الوضع بمنزلة قد وهل وأن وعن وهكذا ومنهم من رأى أنها اللام فقط والهمزة اجتمعت للوصل ، قال
ما نصه : «قال أبو حيان وهذا الخلاف لا يجدي شيئاً ولا ينبغي أن يُتَشَاغَلَ به وقد تخلفها أم في لغة عُزَي
لطيء وحميم ، قال ابن مالك لما كانت اللام تدغم في أربعة عشر حرفاً فيصير المعرف بها كأنه من المضاعف
العين الذي فاؤه همزة جعل أهل اليمن ومن داناها بملها ميماً لأن الميم لا تدغم إلا في ميم ، قال بعضهم إن
هذه اللغة مختصة بالأسماء التي تدغم لام التعريف في أولها نحو غلام وكتاب بخلاف رجل وناس» يقصد
قولنا الغلام والكتاب فنظهر اللام ، وأما الرجل والناس فتدغم اللام مع الحرف التالي لها وفي شرح الأشموني
٨٩٢/١ أنه لبعجير من غنمة الطائي يرى الشارح أن النحاة قد ركبوا هذا البيت من بيتين مع تغيير في صدر
أولهما والصواب في الأمر أن ينشد كالتالي :

تُعزى للرسول [ﷺ] في قوله : «ليس من إميرٍ إمصيام في إمسفر» (مسند ابن حنبل ٤٣٤/٥) عن النمر بن تَوَلَب ، وفي الشعر ، قال الجوهري (الصحاح ٨٩٢/٢) إنها لغة حمير ولكن في اللسان ٣٤٧/١٠ وفي أماكن أخرى عَزِي إلى بجير بن غنمه أو عَنَّمه (١) الطائي :

ذاك خليلي وذو يعاتبني

يرمي ورائي بأَمْسَهُمْ وَأَمْسَلَمَهُ (٢)

فضلاً عن الجملة التي قد يقصد بها المحاكاة الساخرة لهذه اللهجة وهي : أمشيخُ أمكُبَارَ ضرب رأسه بالعَصُو ، ويمكن أن تقرأ هكذا : بَنَعَصُو (انظر : الجمهرة ٢٧٥/١) . وأما ابن هشام (في المغني ٤٧/١) فيقول حكى لنا بعض طلبة اليمن أنه سمع في بلادهم من يقول : «خذ الرُمح ، واركب امْفَرَس» بإدغام الأداة في الراء للتماثل الصوتي في الرُمح . وأنها حسب علمه لغة لبعضهم . وقد يكون ذلك من قبيل الإشارة إلى تأثير استعمال آل العربية .

٢٠- وما يثير الدهشة ما قاله البستاني (محيط المحيط ٣٧/١) من أن أم هذه استخدمت مرتبطة بالتنوين ، والأمثلة التي أوردها هي : من مُقَائِمٌ؟ ومن في مُبَانٍ؟ موحياً أنه استقى هذه الأمثلة من مصدر قديم . ويقول كامبفماير Kampffmeyer (ZAMG, liv, 632) إن من الصعب على رجل مثل البستاني أن

== وإن مَوَلَايَ ذُو يَعَاتِبْنِي لَا إِخْنَةً عِنْدَهُ وَلَا جَرِمَةً

ينصُرُنِي مِنْكَ غَيْرَ مُعْتَدِرٍ يَرْمِي وَرَائِي بِأَمْسَهُمْ وَأَمْسَلَمَهُ

والجدير بالذكر أن هذه اللهجة قد سمعتها من أحد طلابي بجامعة صنعاء من سكان مدينة جبلة : بلواء إب بقوله : إمُسْجِد وإمْدَرَسَة ولكن بكسر الهمزة أي المسجد والمدرسة . وكذلك في منطقة ذباب بلواء تعز أنشدني أحد الطلاب قول شاعرهم :

حَنَانٌ عَلَى زَعْرُو حَتَّى امْطَيُورُ تَبْكِي

وَزَعْرُو قَضَى سَتِينَ وَامْقَلَبُ يَبْرُدْشِي

وزعرو اسم رجل كان شجاعاً على ما يبدو . وامطيور وامقلب أي الطيور والقلب وبردشي أي لم يبرد قلب زعرو حتى بعد وصوله سن الستين . (المترجم)

(١) وفي رواية البغدادي في شرحه على شواهد شرح الرضي على الشافية : ابن عَنَّمَة . (المترجم)

(٢) أي يرمي ورائي بالسهم والسِّلْمَة/ والسِّلْمَة بفتح السين وكسر اللام جمعها السِّلْم وهي الحجارة . (المترجم) .

يخترع مثل هذا الشيء .

ولكن مما يبعث على الاستغراب أن كلا الشاهدين سؤالان ، وفي كليهما تأتي الكلمة المنونة في الوقف^(١) «وربما كان الخبر في أصله أن الكلمات في اللهجة اليمانية تُنَوَّن عند الوقف (في جمل الاستفهام) حتى لو كانت معرفة بآل . ومثل هذا التنوين (وهو ما يحصل من تأنيف (إغنان) للحركة الموقوفة عليها) ما هو بالطبع إلا ظاهرة صوتية تحدث في الجمل وليست ظاهرة صرفية . ووجدت ظاهرة موازية في لهجة تميم الشرقية^(٢) وقيس ، انظر (De Goeje in wright, ii, 369c) وهي التي تسمى تنوين الترثم^(٣) . وكما يتضح بجلاء من خلال شروح ابن مالك (التسهيل - ص ٧٧) ، والأسترباذي (شرح الكافية ١٤/١) إنه تأنيف (إغنان) يلحق بالأفعال والأسماء في حركة الروي المطلق وذلك في الشعر حين ينشد بلا ترثم أي ترك مدّ حركة الروي عند الإنشاد . وهكذا يصيب التأنيف (الترثم) الحركات التي تأتي في موقع الوقف ، أي في المواقع التي يُعتاد فيها التسكين ، كما يحدث تماماً مع هاء السكت^(٤) . وشبيهه جداً بهذه الإضافة الأنفية في الوقف ما سمع في لهجة العموريين قرب تدمر مثال ذلك بُيُوتُكُمْ في بُيُوتِكَ ، وَضُرُثُم في ضُرُبُوا .

(١) أي في آخر الجملة حيث العرب لا تقف على متحرك بل على ساكن . (المترجم)

(٢) أي الواقعة في شرق الجزيرة العربية . (المترجم)

(٣) هو اللاحق للقوافي المطلقة بدلاً من حرف الإطلاق ، وهو الألف والواو والياء ، وذلك في إنشاء بني تميم . . والذي صرح به سيبويه . . أنه جيء به لقطع الترثم ، وأن الترثم هو التغني ، يحصل بأحرف الإطلاق بقبولها لمد الصوت فيها ، فإذا أنشدوا ولم يترثموا جاؤوا بالنون في مكانها ، ولا يختص هذا التنوين بالاسم انظر المغني ٣٧٧/١ - ٣٧٨ ومن أمثلة الترثم قول جرير :

أَقْلِي اللوم عاذل والعتابنَ وقولي إن أصبت لقد أصابن

(والأصل العتابا وأصابا) وجاء في شرح الكافية للأسترباذي ١٤/١ : «وأما تنوين الترثم فهو في الحقيقة لترك الترثم . . . عند بني تميم في روي مطلق ، وذلك أن الألف والواو والياء في القوافي تصلح للترثم بما فيها من المدّ فيبذل منها التنوين لمناسبته إياها إذا قصد الإشعار بترك الترثم لخلو التنوين من المد ، وهذا التنوين يلحق الفعل أيضاً والمعروف باللام» . (المترجم)

(٤) ويستنتج فولرز من هذا التنوين غير المنتظم (غير القياسي) (Volkssprache, p. 168) بأن النظام الإعرابي لا معنى له كما هو مطبق في لهجة تميم . وهذا من الآراء غير المحتملة كسرأي Birkeland Pausal former . (ص ١٥) الذي يأخذ من المعلومة نفسها أن تيمماً تحتفظ بالتنوين في الوقف بطول أكثر من غيرها .

(انظر : p. 18, Cantineau, parlers) ويبدو في تلك اللهجة أنه مرتبط بضعف الأصل الاشتقاقي للنون في الوقف (ibid p. 21) وليس من المستبعد أن تشير عبارة البستاني إلى حالة مشابهة في الشؤون المهنية أو التجارية العامة . وقد سمعت تسجيلاً لتلاوة قرآنية يمانية كانت الغنة (الجرس) الأنفية فيها ملحوظة .

٢١٧- إن صيغة (عَصَوُ) للعصا التي وردت في الفقرة ١٩ قد ذكرها ابن دريد (في الجمهرة ٢٧٥/١ ، الاشتقاق ص ٣٤) باعتبارها أمراً مألوفاً عند بعض اليمانيين . وهذا بلا شك عودة إلى الصيغة الأصلية في العربية الفصحى «عَصَوُ» ، ويعتبر حلاً لاجتماع ثلاث علل بالتقليص^(١) ، وهو يشبه ما ورد عن الهذليين الذين يقولون «إِنِّي فِي إِنْى وَالْأَصْلُ إِنِّي»^(٢) وهو الساعة من الليل . وفي لهجة هذيل عولج لفظ عصا بصورة مختلفة . وعليه فإن ما جرى في «عَصَوُ» هو تطوير محلي للصيغة عربية شائعة . ولا ندري فيما إذا كان قد حصل مثل هذا التطوير لكلمات أخرى من نفس النوع .

w-٢٢- والفراء في كتابه معاني القرآن (نقلها بيك Beck, xv, 184 Orientalia) يقول إن «كذَّاباً»^(٣) في التكذيب وهو مصدر كَذَّبَ ، صيغة يمانية صحيحة ، وهذا يعني أن صيغة ذات أصل يمني قد اعتبرت صحيحة في العربية الفصحى . والبيضاوي يذكر إنها في العادة جائزة ويستعملها على نطاق واسع متكلمون فصحاء . وأما نشوان (في المنتخبات ص ٩٠) واللسان (٢٠١/٢) نقلاً عن الكسائي) فأثبتا أنها لغة يمانية صحيحة . وما دامت قد ذكرت في القرآن الكريم ، في سورة النبأ- الآية ٢٨ (في الفترة المكية الأولى) لا بد أن تكون الصيغة شائعة في مكة ، وربما تكون شائعة على وجه العموم في لهجات غربي الجزيرة العربية . والتصريف الحجازي الخاص يمكن أن يستدل عليه من خلال الخبر الذي جاء في اللسان

(١) يقصد قلب الواو ألفاً وفي ذلك اختصار للواو والتنوين والفتحة . (المترجم)

(٢) وقد ورد في اللسان مادة أني : «الإنِّي واحد أثناء الليل وهي ساعاته . وأثناء الليل واحداً إِنِّي وإنِّي» (مثل نخي أنحاء ومعنى- أمعاء) وكذلك أني . وقال الأخفش : واحد الإناء إِنْئوْ وهكذا يكون لفظ إِنِّي ليس خاصاً بالهذليين كما أشار المؤلف . (المترجم)

(٣) وذلك في الآيتين ٢٨ ، ٣٥ من سورة النبأ/ في قوله تعالى : ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ الآية ٢٨/ ﴿وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ الآية ٥٣ .

٢٠١/٢ ومفاده أن علياً قد نطقها كذالِياً . بيننا عاصم والمدنيون نطقوها كذأبا^(١) وإنما ، في الحقيقة ، هي المثال السامي الأصلي لمصدر الجذر الثاني^(٢) (انظر : 8: p. Noldeke, Neue Beitr) الذي حل في العربية الفصحى محل مصدر الجذر المهمل تَفَعَلَ (انظر : هومل Hommel, p.29: Südar, chrest) والمصدر فَعَّال ما زال استعماله جارياً في وسط اليمن (انظر : Goitien, Jamani, Pxxiii) وفي دثينه^(٣) كذلك (Landberg, Dathina p.536).

x-٢٣- وعبارة محمد بن نشوان (نقلها روسي Rosssi, Rso, xii, 249) تعطي هذا المصدر^(٤) ، كالمصدرين الآخرين الاستعمال الدائم في العامية وهما : فِيعَال للجذر الثالث (دون التقصير الموجود في الفصحى في فِعال) وتِفَعَال (تقرأ تِفَعَال) للجذر الخامس (حديثاً تِفَعَال) .

y-٢٤- إن الأداة أم- am قد تستعمل في المضارع (الحريري ، درة الغواص ص ١١٤ ، والتاج ١٩٤/٨) والشواهد على ذلك هي : أم نحن نضرب الهام ، أم نحن نطعم الطعام . ومن الصعب اكتشاف مقدار تأثير الأداة ، إن وجد ، على معنى الصيغة . ووفقاً لما أورده لاندبيرج (Dathina, p.283, note3) فإن الأداة ما زالت مستخدمة في اليمن ، ومع ذلك لم يذكر في أية وظيفة تستخدم . في وسط اليمن فإن الفتحة - a التي تسبق الحرف المضعف تعين صيغة فعل الأمر الشرطي الوشيك الحدوث^(٥) (انظر 54: p. Mittwoch, Ausdem jemen) وكذلك (Goitein, Jemenica, p.xix) . وربما تكون هذه هي أم- am ، مع تشابه مع الحروف الأولى للفعل وأما كمبفاير. (Kampffmeyer, Verbal Partikel, p.36) فيرى أن أم- am هذه أصل للباء التي

(١) والخبر كله كما جاء في اللسان مادة كذب : «قال القراء : خففهما علي بن أبي طالب ، وثقلهما عاصم وأهل المدينة ، وهي لغة يمانية فصيحة . . . وقال أيضاً : كان الكسائي يخفف قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً﴾ . (المترجم) .

(٢) يقصد كذب .

(٣) اسم بلدة في جنوب اليمن .

(٤) يقصد المصدر فَعَّال .

(٥) لم يضرب مثلاً على ذلك .

تضفي معنى الحالية على الفعل المضارع^(١) ، في كثير من العاميات العربية . وهذه تأخذ شكل الميم قبل جمع المتكلم . ولدلالة ما ، اختار الحريري جمع المتكلم في المثالين . وبالنسبة لأصل أم- am أجد من الصعب أن أوافق Hommel (Südar, chrest, p.50) على ربطها بـ الرابطة المينائية «الباء» (انظر : الأمثلة في (Müller, Epigr, Denkm., p.46) ويبدو أن السبيل الوحيد الباقي لأدواتنا هذه هي إمكانية ربطها بأن العربية وإم العبرية أي إذا . ويبدو أن أدوات الشرط السامية كانت في بدايتها ذات طبيعة توكيدية : انظر hen العبرية (بمعنى انظر) والآرامية (hen (benold) (إذا) ، أو ذلك الارتباط الواضح في العربية بين إن (بمعنى إذا) وإن بصورتها المخففة إن (انظر فصل ١٣ فقرة g) . وإن هناك أداة مصرية مشابهة وهي إر ir «وتتصدر الكلام الذي لم يفصل فيه بعد» (أي بعد أمّا العربية) ، وتتصدر كذلك الجملة الشرطية (انظر : Gardiner, Eg. Gram., 150) . وإنه على أية حال لشيء غير عادي أن تكون مثل أداة التأكيد العادية هذه (ويبدو أن هذا ناتج عن قوة أم- am في جمل الحريري) قد طوّرت وظائف متنوعة شكلية ومؤقتة .

وهناك احتمال آخر وهو أن أم هذه قد يكون لها صلة بـ (إمّالا ، أو أمّالي) التي يستخدمها العامة قبل صيغة الأمر (أبو حاتم السجستاني في اللسان ٣٥٨/١٠) . وفي الحديث المستشهد به هناك (ولا يوجد في الأعمال الصحيحة)^(٢) أن النبي ﷺ يقول : «إمّالا فأحسنوا إليه»^(٣) (وفي اعتقادي أن التعليق^(٤) في اللسان غير ملائم) . وفي

(١) يقصد الباء التي تسبق المضارع في قولنا مثلاً : احنا بنوكل ، أنا بكتّب ، هو يسأل إنت بتسافر كل يوم ، شو بتعمل؟

(٢) يقصد كتب جوامع الأحاديث الصحيحة .

(٣) والخبر يؤمته في اللسان مادة (إمّالا) كالتالي : «روى أبو الزبير عن جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم ، رأى جملاً ناداً ، فقال : لمن هذا الجمل؟ فإذا فتية من الأنصار قالوا : استقينا عليه عشرين سنة وبه سخيمة فأردنا أن ننحره فانفلت منا ، فقال : أتتبعونه؟ قالوا : لا ، بل هو لك . فقال : إمّالا فأحسنوا إليه ، حتى يأتي أجله ... قال أبو حاتم : العامة ربما قالوا في موضع أفعل ذلك إمّالا : أفعل ذلك باري وهو فارسي مردد . والعامة تقول أيضاً : أمّا لي فيضمون الألف خطأ أيضاً قال : والصواب إمّالا لا ، غير ممّال لأن الأدوات لا تمّال . (المترجم)

(٤) يقصد ما جاء في اللسان من تحليل لـ إمّالاً : «قال أبو منصور : أراد إلا تتبعوه فأحسنوا إليه ، وما صلة ، والمعنى

إن لا فوكتدت بما ، وإن حرف جزاء ههنا» . (المترجم)

سوريا فإن الأداة (عَمَال) أو أم تستخدم مع المضارع للدلالة على معنى الحال فيه» (انظر: Driver, Gram, p.114). ولا يوجد تفسير مقبول لها. ولعلها مأخوذة عن الأصل أمّا لا وعلى أي حال يبدو أن أم بالنسبة لـ أمّا لا مثل أم بالنسبة لـ أمّال .

z-٢٥- إن المجموعة التالية من الملامح المنحولة على اللهجة اليمانية ذات أهمية للدلالة على الطريقة التي كانت تُزيّف فيها المادة بأراء معدّة سلفاً . ويستشهد نشوان (المنتخبات ص ١١٥) ببيت من الشعر هو:

ما زال شيبان شديداً حَبَصُصُه^(١)

حتى أتاه قرئُصُه فوقصُصُه

وقال نشوان إن وقصُصُه من وقصُصُه صيغة خاطئة استعملها بعض اليمانيين . وإنه لأمر عادي تماماً في العامية الحديثة أن تكون صيغة فعَل قد فقدت حركتها الأخيرة^(٢) . وحَبَصُصُه المرفوعة من حَبَصُه بالإضافة إلى إجازتها في الشعر القديم ، هي عامية شائعة أيضاً . ويمكننا كذلك أن نطلع هنا على مثال من الشعر العامي اليماني القديم ، الذي عزاه الشنقيطي (٢٠٨/٢) إلى امرأة من عبد القيس ، إحدى قبائل شرق الجزيرة العربية ، ويذكر الأزهري (في التصريح ، اقتبسها هُول (Howell, iv, 805) إنها لرجل من لَحْم . وقبيلة لَحْم هذه أقامت على شاطئ الفرات منذ قديم الزمن ، والأرجح أنها تكلمت لهجة شرقية . ولكنهم ادّعوا أنها من أصل يمني . وعليه اعتبر نشوان أو مصدره لغتهم يمانية . والأرجح أن تكون هذه ظاهرة لهجية شرقية من أجل أن كثيراً من اللهجات قد ورثتها على نحو يوافق القول إن لدينا هنا ميلاً واضحاً- للوقف يسمى النُّقْل ، الذي كان نموذجاً للهجات الشرقية ، (انظر : المادة في Birkeland, Pausalformen, p.55,60) ولهجة الأزد في اليمن لها طريقتها المختلفة في التعامل مع هذه الصيغ .

aa-٢٦- إن أداة الوصل كانت «ذو» ، دون تحديد للعدد والجنس (نشوان ، المنتخبات ص ٣٩) . وقد وُجد شاهد أقدم قليلاً من شاهد نشوان في كتاب بهاء الدين الجَنْدِي : أخبار القرامطة في اليمن في تاريخ اليمن ط H.c.kay

(١) في اللسان مادتا حَبَصَ ، وقَصَ الرواية : هَبَصُه وليس حَبَصُه والهَبَص هو النشاط والعجلة ، ووقَص العنق كسرهما ودقّها وأما ما حَبَصَص فمعناها عَدَا عَدْواً شديداً . (المترجم)

(٢) أي سَكَن .

لندن، ١٨٩٢، ص ١٤٧ التي تتعلق بأحداث أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) حيث تقول امرأة: ذو بُدْ من ذي حكم الأمير. وذي هذه ما زالت مستعملة في المنطقة بين ذمار ويريم (انظر: Rosi, san'a, p.23-Rso, xviii, 303) وفي غرب حضرموت (Barth, Pronominal bildung p.159) وهي كذلك مستعملة في المغرب حيث التأثير اليماني قوي. وفي أجزاء، أخرى من اليمن قد حل محلها لفظ الذي الفصحى، التي اعتبرت قديماً بقدر ما هُذليته. ولكن الصيغة المحلية قد تأثرت إلى حد ما بـ «الذي» حتى إنها أصبحت ثابتة في دلالتها على الجنس والعدد (Mittwoch, Aus. dem Jemen, p.59/ Landberg, Dathina, p.408) والصيغة الثابتة ترد أيضاً في النصوص الحجازية (انظر: البخاري، الذيات، ص ٢٢) «قالوا للذي وُجد فيهم» (وكذلك تفسير الطبري).

والمفسرون المسلمون كالبيضاوي مثلاً يعترفون بهذا الاستعمال في «خُضْتُمْ كالذي خاضوا» (٦٩-سورة التوبة). ويمكن قراءة الآية بوضع «ما» بدلاً من «الذي» كما فعل الزمخشري، ولكن المفسرين لم يجدوا في استعمال «الذي» للجمع أمراً مستغرباً. وقد يكون في ذلك رخصة لنا إذا اعتبرناه دليلاً على استعمال «ذي» اسماً موصولاً في الحجاز أيضاً في وقت ليس بعيداً. وطىء القبيلة الغربية في شمال الجزيرة استعملت «ذو» مقابل الصيغة العبرية المهجورة «زو»، وهناك بعض الأدلة على أن استعمال «ذو» كان، في وقت ما، جارياً في عُمان (انظر: Brokelmann, GVG, I, 325)؛ وعليه فإن استعمال «ذو» في وسط غرب الجزيرة وجنوبها كان ثانوياً. وقد يكون ذلك للخلط بينها وبين اسم إشارة المذكر ذي (انظر فصل ٧، t, u) أولتأثير العربية الجنوبية. ولا نعرف حركات الذال في العربية الجنوبية. وفي الإثيوبية زَ- za، ولكن في المهرية دِ- di، ودي- de انظر: (Maltzan, ZDMG, xxviii, 266)، وقد احتفظ في الإثيوبية بالصيغة مع الكسرة أفي zi'a (زِيء) بمعنى إن، والأمهرية، «ي» أي: الذي، مَنْ. (انظر: الخريطة رقم ٢٠).

bb-٢٧- والنص المستشهد به من بهاء الجندي يتضمن كذلك كلمة دو du النافية التي أكد الهمداني (استشهد بها مولر Müller, süar, studien, pp.19-21) أنها حميرية. يكون النفسي قرب تعز، في جنوب اليمن، باستعمال دو، dou، ودأ da'- (Rossi, Rso, xvii, 471). في نقوش العربية الجنوبية وردت أداة كُتبت d'- دأ في (CIH, 541, Lin66, and in CIH, 540) لسنة ٥٤٣ بعد الميلاد، السطر ٥٠. واعتبرها رودوكناكس Rhodokanakis وكونتسي روسي Conti Rossi في

(chrest, p.124) بمعنى (الآن أو قبل الآن) ولكن بريثوريوس Praetorius اعتبرها في (ZDMG, Iiii, 16) أداة نفى . وإن ظهور الكلمة فقط مكتوبة في العربية الجنوبية في أيامها الأخيرة يمكن أن يشير إلى أنها قد دخلتها من اللغة الحميرية المنطوق بها . وليس من المستبعد أن بعض الملامح الأخرى من السبئية المتأخرة أن نجد لها تفسيراً من هذا الجانب . والكلمة الأنفة الذكر التي رفضها مولر رفضاً باتاً يمكن أن تنتمي إلى الموروث من الحقبة السامية-الحامية . والشاهد على ذلك أداة النفى -di المستعملة في سِدَمُو ، إحدى اللغات الكوشية في جنوب إثيوبيا (Cerulli, Studi Etiopici, ii, Roma, 1938p.77).

cc-٢٨- إن الحرف «حتى» قد نُطِقَ في اليمن مُمَالاً أي حَتِّي (انظر : السيوطي ، الجمع ٢٣/٢) . وبغض النظر عن كون هذا المصدر الوحيد متأخراً فإنه من الصعب استخلاص نتيجة من هذا الخبر . وكما سنرى فإن تطور (حتى) في العربية الغربية كان لافتاً للنظر من ناحية ثانية . والصيغة الحجازية بالنظر إلى هجائها يجب أن تكون حَتِّي . وأما عَتِّي «عَتِّي» الهذلية فتتم عن الخلط بينها وبين عَدَّ (ي) التي يجب أن تكون قد وجدت في غرب الجزيرة العربية . ونجد في السبئية أولاً صيغة عَدَّ-d وفي النصوص المتأخرة عَدِّي 'dy-'dai. ربما نشأ هذا بتأثير من حَتِّي العربية . هل يمكننا اعتبار حَتِّي اليمانية بدورها نتيجة لتأثير الصيغة السبئية القديمة ، التي ربما كانت عَدِّي 'de-؟ انظر للسريانية دَي adi .

الفصل الخامس

حمير

a- ١ - إن الفترة ما بين نشأة حمير إلى سيطرة العربية الجنوبية مازال يكتنفها الغموض . حتى اسمهم القديم ما زال غير متفق عليه : حيث الكتاب الهومريون اليونان واللاتين يذكرون حمير Humair ، بينما العرب لا يعرفون إلا القليل من المعلومات عن حمير (التي تبدو وكأنها قد قامت بعد مدين). أول من ذكرها بليني Pliny (١٦١/٤) باعتبارها أحد الشعوب التي شملتها حملة أوليس جالوس Aelius Gallus العسكرية (٢٥ ق . م) ووجدها أكبر شعوب جنوب الجزيرة العربية^(١) ، وقد جعل كلوديوس بطليموس Claudius ptolemaeus مساكنهم (في القرن الثاني بعد الميلاد) في المكان المسمى اليوم محمية^(٢) عدن وجنوب اليمن . إن كتاب نقوش حصن الغراب (٥٢٥ بعد الميلاد) يصفون هذه البلاد بأنها أرض حمير ، وملكها بأنه ملك حمير ، بأنهم حميريون وأرحبيون . ويدعي أبرهة (٥٤٣ بعد الميلاد) بأنه الوريث الشرعي لحكام سبا دون أي ذكر لحمير (CIH,541, Lin 6.7) سوى أن جيشه كان مكوناً من الأحباش والحميريين (السطر ٧٥) . وبالنسبة لكتاب العرب فإنهم يعتبرون كل عربي جنوبي حميرياً ، دون شك لأنه في أثناء فترة انتشار الإسلام كان هذا التعبير جارياً بين أهل اليمن . وعليه فإن من الطبيعي أن نعتبر كلام العرب المتعلق بحمير وكأنه إشارة إلى عرب جنوب الجزيرة .

(١) واعتماداً على فليبي (JRAS,1945,p125) فإن أقدم نقش ذكرت فيه حمير هو CHI,314 تحت اسم الشريحة يُخضَّب قبل ١١٥ ق . م بقليل حين استولى الهمدانيون في سبا وذو زيدان على الحكم بالقوة (انظر Hart: man, Arabische, Frage, p.148 ومن الغريب حقاً أنه لم توجد نقوش تنخص الحميريين منذ ذلك الوقت ، مع أن بلاد حمير القديمة أسهل المناطق اليمنية التي يمكن الوصول إليها .

(٢) ظهر الأصل الإنجليزي لهذا الكتاب سنة ١٩٥٠م حيث كانت عدن وما جاورها تحت الاستعمار البريطاني ولكن المنطقة أخذت استقلالها في الستينيات وأصبحت تسمى جمهورية اليمن الديمقراطية ، ثم توحدت مع اليمن الشمالي سنة ١٩٩٠م ، كما هو معروف ، فأصبحت البلاد اليمنية كلها شمالاً وجنوباً ، الجمهورية اليمنية . (المترجم)

b- ٢ - ولذلك عندما نجد الهمداني (٣٣٤هـ/٩٤٦م) يستشهد بالنقوش الحميرية التي تحمل شبيهاً بالعربية الجنوبية ، لا يمكننا اعتبارها إلا أنها ملفقة وهي بلا شك كذلك . والهمداني يستطيع قراءة النقش العربي الجنوبي في حدود معينة ، ولكن يبدو أنه لا يعرف سوى أبسط الحقائق عن قواعدها ، أو مقدمة عامة عن تركيبها ونظام الصياغة فيها . ومن أجل ذلك ، لا يمكن تصديق ما يفعله بالكلمات التي يستخرجها من النقوش - كيف يمكننا أن نتصور أن يجد المعنى الصحيح للكلمات التالية وغيرها مثل : طِيبٌ بِمَعْنَى الذَّهَبِ (الشهري تيب) وحج^(١) بمعنى مثيل ١٩ لا بد أنه يستقي معلوماته من مصادر شفوية ، من اللغة المنطوقة في عصره وفي بيئته . وكيف يمكننا أيضاً أن نوضح استخدامه للتراكيب النحوية كصيغ المفرد المتكلم ، التي تتوافق مع الحِثْبِيَّة والعربية الجنوبية ، مع أنها لا توجد في النقوش أبداً ، إنها اللغة الدارجة في عصره ، التي كانت تسمى الحميرية من قبل المتكلمين بها ، ولم يكن مفهوماً بجلاء لدى العرب ما ذهب إليه الهمداني من أنها اللغة التي كان يؤلف بها المسنديون القدماء . ويحولنا ذلك أن نعتبر نصوصه وثائق لهذه اللغة^(٢) . وإن الفحص الدقيق لنصوص الهمداني سيرينا أنها كانت في الأساس لهجة عربية من النمط اليماني ، ولكن ببعض الملامح المهجورة ، وبأكبر قدر من الكلمات المقترضة من العربية الجنوبية . كل ذلك يشير إلى الشعب الذي كان يعيش في تلك المنطقة لفترة طويلة من الزمن ، من المحتمل أن يكونوا العرب الذين جاء ذكرهم سابقاً في النقوش السبئية القديمة ممتزجة ببقايا لهجة الفلاحين العربية الجنوبية .

c- ٣ - وبالنسبة للهمداني فإن الحميرية كانت حية ولغة شائعة ، وقد عرض ، بما لا يقبل الشك ، وصفاً للحالة اللغوية لمناحي الحياة في البلاد (في صفة جزيرة العرب ص ٤٣١-٦٣١) حيث قال :

لغات سكان شبه الجزيرة العربية : الشَّعْر والأسعاء لا ينطقون العربية الفصيحة .

(١) أما نشوان في المنتخبات ص ٩٢ يذكر هُنَج بمعنى مثيل أو نظير باعتبارها كلمة حميرية .

(٢) وأول اقتراح متردد في هذا الاتجاه قد جاء من مولر (Südarabische Studien) وأما لنديج (Arabica, v, III) فيبدي رأيه عن طبيعة الحميرية بأنها بالفعل هي نفسها اللغة المحتج لها هنا ، ويؤكد أهمية عنصر الامتزاج والتشابه بصورة أكبر .

والمهريون غُتْمٌ^(١) يشاكلون العجم . وأما أهل حضرموت فهم ليسوا بفصحاء وربما كان فيهم الفصيح ، وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصُّدَفِ^(٢) . وسرو مُذْحِج ، ومأرب ، ويثحان وحَرْب يتكلمون الفصحى . وتندر اللغة الرديئة في كلامهم . وسرو حمير وجعدة ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التَّخْمِير ، ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون يابنُ مُعَمَّ في يابن العم وسمِعَ في استمع . وفي لحج وأبين ودثينة يتكلمون بلغة أفصح . وأفصحهم العامريون من كندة والأوديون . وأما أهل عدن فلغتهم مولدة رديئة وإن في بعضهم نُوكاً^(٣) وحماسة إلا من تأدب منهم . ولا بأس بلغة بني مجيد وبني واقد والأشعر . وفي المعافر ينطقون في سافلتها لهجة فيها غُتْمَة ، وفي عليها أفصح من ذلك . والسكاسك وسط ، وأما منطقة الكَلَّاع فلغة نَجْدِها^(٤) فصيحة جداً مع عسرة من اللسان الحميري . وفي سراتها تعقُد^(٥) . وإن لغة سَخْلان وجَيْشان^(٦) ووراح وحضر والصَّهْب وبدر قريبة

(١) الغُتْم : هو النطق ولكنة أعجمية . (المترجم)

(٢) وهي قبيلة من كندة ، حازت فضيلة السبق بالهجرة والجهاد أيام الفتح الإسلامي (انظر هامش ١ ص ١٦٦)

من كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني) . (المترجم)

(٣) النوك : يضم النون وفتحها الحُمْق . (المترجم)

(٤) معنى السراة المنطقة الجبلية وبالنجد الأماكن المرتفعة ويبدو في قراءة المؤلف للنص الأصلي تناقض فكيف يقول : السكاسك لغتهم وسطية ، أي يفصلها عن النص الأصلي الذي يليها وهو : إن الأرض المرتفعة في بلد الكلاع لغتها ممتازة ثم يقول بعدها التلال المرتفعة يقصد السراة في لغتهم تعقُد؟! أَعْتَقِدُ أن قراءة النص في صفة جزيرة العرب ص ٢٤٨ لا تؤدي إلى هذا الفهم فالنص دون علامات ترقيم هو : «والسكاسك وسط بلد الكلاع نجدية مثيل مع عسرة من اللسان الحميري سراتهم فيهم تعقُد» ، وعليه فالهمداني يريد أن يقول والله أعلم ، أن السكاسك تقع جغرافياً وسط بلاد الكلاع ولغتها تماثل أهل نجد مع شيء من الحميرية ومن يسكن منهم في التلال المرتفعة أو الجبال وهم أهل السراة ففي لسانهم تعقيد وقد يقصد أيضاً إن السكاسك لغتهم وسط بين الفصاحة وغيرها ، وبلد الكلاع مرتفعة (نجدية) وتماثل في لغتها السكاسك ؛ لأنه يقول أي الهمداني نجدية مثيل أي ماثلة للسكاسك ، خاصة أن مصطلح نجد قد ورد عنده بمعنى الأرض المرتفعة مثل قوله بعد ذلك عن سراة مذحج ، ونجدها مثل رداع . (المترجم)

(٥) أي صعبة الفهم . (المترجم)

(٦) في صفة الجزيرة : حيشان بالحاء . (المترجم)

من لغة سَرُو حَمِير . يَحْضِبُ^(١) ورُعَيْن أَفْصَح من جُبْلان . وفي لهجة جُبْلان تعقّد . وسادت^(٢) الحميرية من حقل قَتَاب إلى ذَمَار . وأهل سِراة مَذْحِج مثل رَذْمان وقَرَن وتَجْدُّها مثل رداع وإسبيل وكومان والحداء وقائفة ودقارار فصحاء وأهالي خولان العالية فصحاء . وإن أهل سَحْمَر^(٣) ، وقَرَد ، والجَبْلَة^(٤) ، ومُلَح ، وعلياً لحج من الحَمْض ، والعُثْمَة ، ووَتَيْج ، وسِنْع ، وأنس وألّهان تعد لغتهم وسطاً في الفصاحة وإلى اللكنة أقرب . وحرّاز ، والأخروج ، وشَم ، وماضِج^(٥) . والأحبوب ، والجحداب^(٦) ، وشرف أقيان ، والطرف وواضع ، والمغلل خليط من متوسط بين الفصاحة واللكنة ، وبينها ما هو أدخل في الحميرية المتعقّدة . إن بلد الأشعر وعك وحكم بن سعد في وادي تهامة لا بأس بلغتهم إلا من سكن منهم القرى . وحاشد من بني همدان الذين يسكنون سِراة همدان . إلى جانب عَذَر وهَنُوم^(٧) وحجور فصحاء . ويوجد عُثَم في لغة غيرهم مثل القَدَم والجَبَر ، والمنطقة المرتفعة من همدان هي البَوْن الذي يشمل المشرق ، والخشب تتكلم عربية مخلوطة بحميرية . أما ظاهر همدان النجدي أي النواحي الواقعة على الأطراف فلغتهم أقرب إلى الفصاحة . وأهل خَيوان فصحاء وفيهم حميرية كثيرة إلى صَعْدَة . وبلد سفيان بن أرحب فصحاء إلا في مثل قولهم : أَم رَجُل ، وقَيْد بعيرك في بعيرك (انظر فصل ٧-٨) ، ورأيت أخواك (أختيك أو أخويك) . واستخدام الأداة أَم بدلاً من أَل موجود أيضاً في أشعر وعك وبعض حكم في تهامة . وعَذَر مَطَرَه ، ونَهَم ، ومُرْهَبه ، وذبيان ، وسكان الرُّخْبَة من بلحارث فصحاء . على أن صَنَاف^(٧) في الجوف الأعلى دون ذلك في الفصاحة . ولا بأس بفصاحة خرفان وأثافت . وسكان

(١) وفي صفة الجزيرة يَحْضِبُ بالصاد ، ويظهر أن الكاتب تابع مولر في ملاحظته حيث لاحظ أنها يحضِب بالضاد . (المترجم)

(٢) في زمن الهمداني . (المترجم)

(٣) عند الهمداني : سَحْمَر ، والحبلة وليس سَحْمَر والجبلية . (المترجم)

(٤) عند الهمداني : ماظح ، وليس ماضحاً . (المترجم)

(٥) عند الهمداني : الجحداب بالحاء أولاً . (المترجم)

(٦) عند الهمداني : هَنُوم بفتح الهاء وليس كسرهما . (المترجم)

(٧) عند الهمداني ضَيَاف وليس صَنَافاً . (المترجم)

الجوف فصحاء ، إلا من خالطهم من جيرانهم التهاميين . وكذلك نهم الشمالي ، ونعمان مرهبة وظاهر بني عَلَيَّان^(١) وظاهر سفيان وشاكر فصحاء . وإن بلد وادعة بنو حرب أهل إمالة في جميع كلامهم (انظر فصل ٤ فقرة h) ، وبنو سعد أفصح . ومن ذمار إلى صنعاء متوسط ، وهو بلد ذي جُرّة . ويوجد بقايا من العربية المحضة في صنعاء ، وإن نبذاً من كلامهم يعود لحمير ، فمدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات لكل فيها لغة ولكن الذين يسكنون على جانب شعوب يتكلمون لهجة مختلفة عن الآخرين والحيميرية المحضة في شبام أقيان ، والمصانع ، وتُخلّى . وأهل نجد خولان صعدة فصحاء . وأهل قدها وغورها غُثم غير فصحاء . وتسود الفصاحة في المناطق الممتدة من العرض في وادعة إلى جنب فيام فزبيد فبني الحارث فما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام ، فأرض سنحان ، فأرض نهد ، وبنو أسامة ، فعنز ، فحشم ، فهلال ، فعامر بن ربيعة ، فسراة الحجر ، فذؤس ، فغامد ، فيشكر ، ففهم ، فثقيف ، فبجيلة ، فبنو علي ، غير أن أسافل سرورات هذه القبائل ما بين سراة خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة . وأما العروض ففيها الفصاحة ما خلا قراها ، وينطبق هذا الأمر على الحجاز فنجد السفلى ، فإلى الشام ، وإلى ديار مضر ، وديار ربيعة ، فيها الفصاحة إلا في قراها .

وليس واضحاً تماماً على أي مقياس اعتمد الهمداني في تمييز الفصيح من غير الفصيح . فمعظم اللهجات التي يذكرها غير معروفة في صيغتها الحاضرة . واللهجة الدارجة في دثينة ، كما وصفها كومت دي لندبيرج ، بعيدة تماماً عن العربية الأدبية . مع أن الهمداني قد اعتبرها فصيحة . ولهجة حضرموت التي صنفها في أدنى درجات الفصاحة إنها اليوم لا تختلف أكثر من لهجة دثينة عن العربية الأدبية . ولا يلزم على ذلك أنه قد حدث في زمن الهمداني ، ما دام محتملاً أن التعريب قد نتج عنه بعض التقدم منذ ذلك الوقت ، بالنظر إلى القادمين الجدد من الصحراء ، وإلى ما تركه تعليم المسلمين من آثار خلال ثلاثة عشر قرناً .

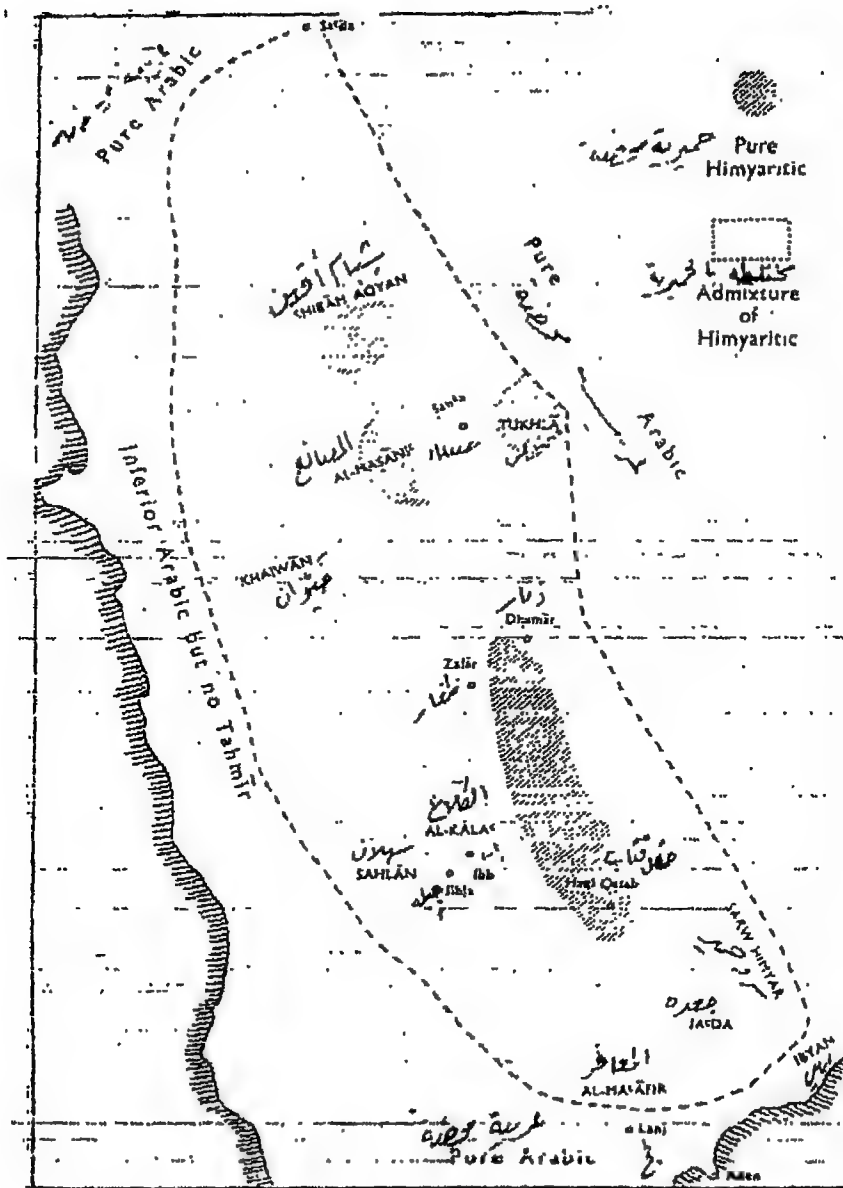
d-٤ - والموقف العام في بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي فيمكن تلخيصه بالآتي :

العربية الفصيحة ، أعني اللغة القريبة من لغة البدو في وسط الجزيرة ، كانت لغة المناطق العالية (النجد) الواقعة في السراة وفي مناطق قليلة أخرى ، خاصة أقصى

(١) عند الهمداني : عَلَيَّان . (الترجم)

الجنوب . والمناطق المتصلة بالنجود ، أعني أعالي السروات ومنحدراتها الغربية ، قد وصف الهمداني اللهجات فيها بأنها متوسطة أو خليطي . ومن خلال السياق كله قد أصبح معلوماً لدينا أن بعض اللهجات قد اختلطت بالحميرية . وبعض المناطق وُصفت لهجتهم بالغُثْم . وما يمكن أن نستنتجه من ذكر المهرية بين اللهجات أنها لهجات عربية جنوبية . وما يلاحظ أن الهمداني لم يعقد مقارنة بينها وبين الحميرية . وختاماً فإن هناك مناطق ظهرت آثار التحمير فيها بوضوح أو كان فيها تعقّد أو أنها معقّدة ، أعني أن فيها إيقاعاً وتنغيماً حميرياً ، وكذلك هناك مناطق تسودها حميرية محضّة . والأخيرة تركّزت في منطقتين محدّتين بشكل واضح : منطقة الجبال الوسطى حول صنعاء ، والسروات الجنوبية . وتجد توضيحاً لهذا التوزيع على الخريطة رقم ٤ . ويمكننا أن نتبين بسهولة العوامل التي تحكمها وهي : أن سكان الجبال من المزارعين يتكلمون بالحميرية ، والبدو يتكلمون بالعربية الفصحى . إلى الغرب من المناطق الناطقة بالحميرية حزام عريض اختلطت فيه العربية بالحميرية مع الأكثرية للأخيرة في القرى . وهذا هو الجزء من البلاد ، الذي كانت تسوده الحميرية سابقاً . وقبل القرن الرابع الهجري بقليل ازداد العنصر العربي بحيث تعرّب معه الناطقون بالحميرية .

e - o - وهكذا أصبح لدينا في اليمن مجموعتان متميزتان من الناطقين بالعربية ، بغض النظر تماماً عن البدو في الشرق . وأول المجموعتين وأقدمها دون شك وهي المتمثلة بالحميريين ومن خضع لهم من سكان المناطق بلغتهم المختلطة - سواء أكانت لغتهم الأصلية مشابهة لغة الحميريين أو مختلفة ، والمجموعة الأخرى مكوّنة من العرب الذين يتكلمون لهجات من نمط العربية الغربية ، وهم الذين عاشوا بدواً أو أشباه بدو في المناطق النجدية ، حيث يبدو أنهم حافظوا على اتصالهم الوثيق بالسكان القدماء . وكل الدلائل تشير إلى أن المجموعة الثانية ما هي إلا موجة بدوية حديثة من الشمال . وأكثر الأوقات احتمالاً لقدومهم هي الفترة الإسلامية المبكرة ، التي تمت خلالها هجرة عدد كبير من العرب اليمانيين إلى البلاد المفتوحة ، مما وفر مجالاً للقادمين الجدد وبعض السكان في الحزام المختلط يحملون أسماء قبائل تنتمي إلى شمال اليمن . مثل همدان ، ولكن من الواضح أن الهمداني كان يتكلم أفضل من القبائل الأخرى في معظم الأحوال ، وكان سكان هذه المناطق لم يكن لهم تنظيم قبلي من أي نوع . وقد تشكّل هذا الانطباع بتأثير



خريطة رقم (٤): مناطق الكلام الحميري في العصر الهمداني - فصل ٥ - فقرة d.

معلومات أخرى تُظهِرُ أن البلاد قد ازدحمت بجماعات انشقت عن قبائلها ؛ ولا يمكننا من خلال المعلومات التي بين أيدينا الآن أن نقول ما إذا كان هؤلاء العرب المهاجرون قد انتقلوا فقط من الأراضي الفقيرة في شمال اليمن إلى الجنوب الغربي ، أم إنهم قد جازوا من شمال أبعد ، من الحجاز أو وسط الجزيرة . وإنه من الجدير بالملاحظة ، من ناحية ثانية ، أن وجهة هذه الهجرة كانت معاكسة لهجرة العرب المفترضة تقليدياً ألا وهي هجرة القبائل اليمنية إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية . بعد انهيار سد مأرب . ولم تقف إحدى الهجرتين حائلاً دون الأخرى . بل يمكننا القول أن هجرة الأجيال الأخيرة كانت محتملة بسبب الفراغ الذي أحدثته النزوح الأول عن البلاد . والحجة التي تساق إزاء قبول العرب التقليدي لذلك (الأمر) يمكن أن تكمن في عدم تحديد علماء الأنساب للملامح لهجات القبائل التي تعتبر يمانية مقارنة بالقبائل المضربة في تلك الفترة نفسها .

f- ٦ - لم يكن الطور الحميري القديم أقل اختلاطاً من الطور اليمني المتأخر . وقد قيل سابقاً يمكن أن يكونا متشابهين مع العربية المذكورة في النقوش السبئية ، التي امتزجت تدريجياً بالختزن من العربية الجنوبية الخالصة ، ويمكننا أن نلاحظ على المناطق المبيّنة على الخريطة ، باعتبارها مراكز للحميرية الخالصة ، أن هناك تماثلاً ، على نحو ما ، مع جوهر الثقافة العربية الجنوبية (انظر : خريطة مواطن الحميرية في النقوش المكتشفة في Beiträge zur Arabistik وقد حررها Hartmann ليبزج ١٩٤٤ ، ص ٥٧) . ومن أين جاء هؤلاء العرب ، وما علاقتهم بالقبائل العربية الجنوبية ؟ لا نملك جواباً على ذلك . وكلامهم العربي الأصلي فيه بعض الشبه بالعربية الجنوبية أكثر من اللهجات الشرقية . وهذا الانطباع إما أن يكون ناتجاً عن السمات المهجورة لكليهما أو نتيجة تأثير العربية الجنوبية في الحميرية . إذا كانت مثل هذه الملامح ، كالكاف التي تلحق بفعل المفرد التام^(١) ، أصلية في كلام العرب الحميري فإن لغتهم تكون في الواقع مختلفة جداً عن العربية

(١) يقصد قولهم : قُلْتُ لك في قُلْتُ لك ، أي إبدال التاء بالكاف (الترجم)

الجنوبية^(١) .

g- ٧ - إن معظم المراكز التي تتكلم الحميرية لا تقع ضمن المناطق التي حدّدها كتاب اليونان واللاتين لبلاد حمير . ومن المؤكد بعد استقرار سيطرة الحميريين أنه قد انضوى تحت لوائهم شعوب كثيرة وألحقت بِحِمِيرٍ من الشعوب التي كانت تنتمي لمجموعات أخرى . ولكن ماذا عن البلاد الأصلية لِحِمِيرٍ؟ وهل كان أهلها حميريين أم عرباً جنوبيين خلّصاً؟ وإننا لا نجنّي الكثير من حقيقة أن ملوكهم قد استخدموا السبئية في نقوشهم ، وقد فعل ذلك أيضاً ملوك الجعز في أثيوبيا . ومثل هذا الإجراء كان عادياً تماماً في الشرق (انظر : أيضاً بروكلمان في (GVG,i, 29). إن الجزء الجنوبي من الأراضي الحميرية القديمة اعتبره الهمداني منطقة عربية خالصة والباقي بما فيه العاصمة ظفار في المنطقة التي تسودها لغة مختلطة . وربما يمكننا أن نستنتج بعض الدلالة من تمييز أبرهة بين الأحباش والحميريين من جهة ، وبين عرب السهول والجبال من جهةٍ أخرى (انظر : معنا CIH541, line 8) ، ولكن التعبيرات التي ترد مع ألقاب الملوك لا تعني سوى القليل غالباً ويمكن أن تكون مقتبسة من ألقاب سلفهم^(٢) . وعلى كل حال من المحتمل تماماً أن بعض العرب لم يَرَوْا لهم ذلك الخليط الذي تكوّن منه مواطنو الدولة الحميرية المتأخرة . وأكثر من ذلك فإن النقوش السبئية ليس فيها ما يشعرنا بأن الحميريين كانوا ، بأي حال ، أجنبان ، بل جاء ذكرهم بالطريقة نفسها التي ذكرت بها الشعوب العربية الجنوبية الأخرى ففي CIH,350 سمّاهم المؤلف شعباً ، تماماً كما سمّى قبيلته التي ينتمي إليها وهي حاشد . وقد تكون الطبقة العربية الجنوبية في الدولة الحميرية قليلة جداً في الواقع في حين كانت الغالبية من السكان خليطاً في وضع أشبه بالحميريين أيام الهمداني .

h- ٨ - إننا نمتلك نصين حميريين قصيرين ، عدا النقوش المنحولة عند الهمداني . أحدهما

(١) القصيدة الحميرية وشروحها (انظر : Hartmann, Arab, Frag, p.319) عُذت القبائل التالية من كهلان ، القبيلة الشقيقة لِحِمِيرٍ : جُذَم ، لَحَم ، طيء ، أشعر ، مذحج ، هَمْدَان ، بجيلة ، خثعم ، أزد . وهذه القائمة قد تحتوي على أسماء بعض المجموعات التي لها ارتباط وثيق بالعربية الخاضعة لحمير . وهذا يفسّر المكانة الخاصة لقبيلة طيء . والقبائل الشمالية لا بد أنها قد تعرضت عن طريق الهجرة الأخيرة .

(٢) كالألقاب التي تخص شرّحبتل ، يَغْفَرُ في (CIH,540).

جملة قالتها في ذمار والده وَهَبَ بن منبّه قبل ولادته سنة ٤٤٣هـ/٦٥٤-٦٥٥م
(عن تاريخ صنعاء لعبد الله عباس الرازي ، واقتبسها لاندبيرج في كتابه
العربية ١١٢/٥) . وهي : رَأَيْكَ بنحلم كولدك ابناً من طيب^(١) .

i- ٩ - والنص الثاني مقطوعة شعرية قصيرة كان يغنيها جنود يزيد الأول عند حصارهم
مكة ٢٧-٣٧هـ ، وقد وردت في مصدرين انفصالهما ظاهر ، في البلاذري (تحقيق
أهلوارد ص ٨٤) وعند أبي زيد (النوادر ص ١٠٥) وقد اقتبست في الأعمال
المتأخرة (انظر أيضاً : Noldke, Beitr, Zpoe sied. Alten Ara- ber, 1864, P.12; ZDMG xxxviii, 413 Kampffmeyer, ibid, liv, 622)
زيد أن قائل الأبيات كان حميرياً . وفي بلاد الشام ، كان العنصر اليماني على
وجه الخصوص قوياً . (انظر : -spre- Kampffmeyer, MSOS, iii, 2, p.80f and ger. Alte Geogr, Arabiens, p.295
الأبيات حميرياً خالصاً ، فإنه من الواضح أن بعضها عربي فصيح والأبيات هي :

يا ابن الزبير طالما عصيتك

وطالما عنتكنا (وفي نص آخر عنتنا) إليك

لتحزنن بالذي أتيتك

لنضربن بسيفنا قفيتك

والأبيات معرض غني لخصائص الحميرية ، مع أخرى غيرها سنعالجها في
الفقرات التالية . حتى إذا لم نجد شيئاً سوى أنها محاكاة ساخرة للكلام الحميري ،
فإن قيمتها ستظل باقية لنا من حيث أنها عرضت لنا ما أخذه العرب في الاعتبار
حتى تكون بمثابة للحميرية .

k- ١٠ - والنقوش التي صنعها الهمداني في المجلد العاشر من الإكليل وعند
مولر في ("Burgen und schlosser" and "studient") وبعضها في
أجزاء من (Répertoire d'épigraphie Sémitique) إلى جانب ذلك
الأخبار التي يوردها اللغويون عن قواعد الحميرية ومفرداتها . وتقييمها غير سهل
دائماً ، لأن بعضها يتكرر في مصادر أخرى باعتباره يمانياً أكثر من كونه حميرياً .

(١) وردت الكلمة في الحديث الشريف (صحيح مسلم ٣/٢٩٧) ولم تكن مفهومة لدى الشراح جولد تسيهر .

(Muth, stuient, ii, 243)

في الوقت الذي لا نشك في أنهما يحظيان بنفس الشيوع ، فإنه يداخلنا شك بأن اللغويين المحليين كثيراً ما يصفون ألفاظاً بأنها حميرية ليصفوا عليها هالة من العراقة . وقد نتمكن يوماً من العثور على المجلد السابع من الإكليل الذي عالج فيه اللغة الحميرية .

١١ - بالرغم من إدراكنا بأن الحميرية ، من خلال الوثائق التي بين أيدينا ، تشبه العربية إلا أن العرب يعتبرونها غامضة تماماً . فإن ابن سلام (في طبقات الشعراء ص ٤) يقول : «إن اللغة الحميرية ليست لغتنا ، ولا تشبه مفرداتها مفردات العربية» . وفي عام ٣٧٥هـ/٩٨٥م يخبرنا المقدسي (في أحسن التقاسيم ص ٩٦) أنه : «يوجد في منطقة حمير قبيلة عربية كلامها غير مفهوم» . والمثل العربي يقول : «من دخل ظفار تحمّر» إشارة إلى الحكاية التي حصلت مع الأعرابي الذي فهم ثب بمعنى اقفز وليس بمعنى اجلس ، فلقي مصرعه (الهمداني ، الإكليل ، ص ٩٣ وما بعدها) .

ويقررهما ابن جني (في الخصائص ٣٩٢/١) باعتبار الأمر حقيقة واقعة وهو «إن لغة حمير وما شابهها يختلفان تماماً عن لغة ربيعة ومُضَر ، وقد يُدخل بعضهم شيئاً منها إلى عربيتنا وليس له فصاحتها^(١) فيساء الظن به» . ولا هو ولا الفارسي يستطيعان أن يخرجيا بأية فائدة من النص المكتوب بلهجة حوريت (وقد يكون هذا الموضع فيما بين النهرين في العراق ، انظر البكري ص ٩٧) ، وهو النص الذي لم يذكره لسوء الحظ .

m- ١٢ - ازدري الناس الحميرية باعتبارها علامة مميّزة للطمطمانية . وقد اختلف في تفسير هذه اللفظة فهي «صورة من الكلام أشبه بكلام العجم» (انظر : أربيلي في طبعة دي ساسي Chrest.gram.p.118 وابن يعيش المفضل ص ١٢٤٦ ، ابن عبد ربه ، العقد ٢٩٤/١) . وهي مرة أخرى «الألفاظ المنكرة المشبهة بكلام العجم» (القاموس المحيط) وأما ابن سيده (في المخصص ١٢٢/٢) فيفسرها ببساطة بأنها أعجمية . وقد

(١) والنص بلفظه وسياقه الدقيق في الخصائص ٢٨٠٢٧/٢ طبعة دار الهدى كما يلي : « فأقوى القياسين أن يُقبل من شهرت . فصاحته ما يورده . . . فإن لم تأخذ بها دخل عليك الشك في لغة من تستفصحه ولا تنكر شيئاً من لغته مخافة أن يكون فيها بعض ما يخفي عليك فيعترض الشك على يقينك . . . ويكفي من هذا ما تعلمه من بُعد لغة حمير من لغة ابني نزار . . فإذا كان كذلك جاز جوازاً قريباً كثيراً أن يدخل من هذه اللغة في لغتنا وإن لم يكن لها فصاحتنا» وهكذا يكون المؤلف قد ذكر النص بمضمونه لا بلفظه . (الترجم)

استخدم عنترة كلمة طِمْطِمْ باعتبارها يمانية^(١). (ط العناني ص ٢١٢). وهي فارسية أيضاً (انظر: المرجع السابق ٢/٢٧). وعند عمران بن حِطَّان الحبشي . حبشية (الأغاني ١٥٦/١٦، ١٢/٢١). ومن خلال معناها يمكن مقارنتها بكَلِمَة المشناة العبرية طِمْطِمْ (بمعنى يغلق). وقد تعني طِمْطِمْ كذلك «الحق والغباء». وبناء على ذلك ربما كانت «طِمْطِمْ» تعني في الأصل الأحق أو الأبله وبعد ذلك صارت تعني الغُثْم وعدم الفصاحة . وبالنسبة للغويين فإن هذا المصطلح العام غامض، لذلك نجد الثعالبي (فقه اللغة ص ٧٠١) يحصره في صفة واحدة وهي استعمال الأداة (أم)^(٢).

n-١٣ - وقد نجد دلالة أخرى في التعبير «معقّد» الذي أطلقه الهمداني واصفاً به الحميرية نفسها واللهجات المتأثرة بها . ويبدو أنه يقصد المعنى نفسه بقوله إن أهالي سَرو حمير يجزّون في كلامهم . والجَرّ بوجه عام ناتج عن الإعراب ، ومن المحتمل أن يكون ذلك من ملامح العربية الغربية كذلك . ولكن العربية الجنوبية لا بدّ أن يكون فيها الجرّ من الصفات المميّزة والواضحة بحيث يبرز أوائل المقاطع وأواخرها في المنائية واللهجات الأخرى (انظر : Rhodokanakis, Studien,i, 12.56) وهذا هو أحد الملامح البارزة الملحوظة في الحميرية حتى بالنسبة لليمانى مثل الهمداني .

o-١٤ - وهنا كذلك يجدر بنا أن نذكر سِمَتَيْن عامتين أخريين من هذا النوع ، ولا تعزى أيّ منهما بشكل خاص إلى الحميرية ، لكن كليهما يبدو أن لها علاقة بها . فالسيوطي (في المزهر ١/٤٣١) ينسب إلى العربية اليمانية بوجه عام ما يسمى

(١) يقصد قول عنترة :

تاوي له حِزَقُ النِّعَامِ كَأَنَّهُمَا حِزَقُ يَمَانِيَةٍ لِأَعْجَمِ طِمْطِمْ
ورواية اللسان مادة حِزَق :

تاوي له حِزَقُ النِّعَامِ كَمَا أَوْت قُلُصُ يَمَانِيَةٍ لِأَعْجَمِ طِمْطِمْ
ورواية الجوهري في الصحاح :

تاوي له قُلُصُ النِّعَامِ كَمَا أَوْت حِزَقُ يَمَانِيَةٍ لِأَعْجَمِ طِمْطِمْ
والحِزَقُ هي الجماعات أو الفرق . (المترجم)

(٢) يقصد قوله «الطمطمانية» ، تعرض في لغة حمير ، كقولهم : طاب امهواء - يريدون طاب الهواء . (المترجم)

بالششنة^(١) وهي جعل الكاف شيئاً كما في لبش في لبيك . وهذا ليس تغييراً مباشراً للكاف بعد الكسرة كما يحدث في العربية الشرقية (انظر : (Barth,WZKM,xxiv,28 ff) ولكنه تغيير غير مشروط للكاف إلى شين وليس تش ، وهو شائع في العربية الجنوبية المعاصرة (انظر Les lan,WZKM,xliv,211 والكاف الأخيرة في الكلمات تصير شيئاً في بعض الأحوال في عامية حضرموت مثل عيش في علك-Malt). (zan,ZDMG,xxvii,250) وفي الواقع فإن هذا التغيير الصوتي يحتمل أنه لم يقع قط في اليمن . ويعزوها السعودي (في مروج الذهب ، ط بابيدي مينارد ٣٣٣/١) إلى بلدة شحر في حضرموت^(٢) ، التي يسكن حولها في أيامنا هذه ناطقون بالعربية الجنوبية . إنهم يقولون : هل لش (في لك) فيما قلت لي وقلت لش (لك) أن تجعل الذي معي في الذي معش (معك) . والجمل التي ذكرها السعودي تشبه المأخوذة من الحياة الواقعية ، ولكنها بتركيبها هذا ليست أصلية . ويذكر السيوطي (اقتباس أنستاسي ، في المشرق ٥٣٢/٦) سمة لهجية سمّاها فششة شحر ، التي تجعلها تماثل استعمال الشين بدلاً من الكاف . ومع ذلك يبدو أن الششنة والفششة ليستا واضحتين في دلالتهما على مثل هذا الإبدال الصوتي . ولا نستطيع أن نفعل شيئاً إزاء الششنة إلا أن نقارنها بالششنة (أي الحفيف والخشخشة) أما الفششة فتعني البعثة ، وربما كانت تعني الغممة والجمجمة^(٣) . وأرى أنها لا تعني شيئاً سوى الملح الآتي^(٤) .

(١) وهي موجودة في اليمن في وقتنا الحاضر حيث سمعت أحدهم في تعز يسأل طفلة صغيرة كانت تبكي قائلاً : مالش .

وقد ذكر لي أحد طلابي في الجامعة شيئاً من أغنية لحجية يقول فيها :

يا مرحبا بش وبهلش وباجمل اللي رجل بش

أي يا مرحبا بك وبهلك وباجمل اللي رجل بك . (المترجم)

(٢) واضح أن الكاتب هنا يفصل بين شطري اليمن حيث يرى أن حضرموت خارج نطاق اليمن حسبما هو

مستفاد من كلامه . وهو غير صحيح طبعاً . (المترجم)

(٣) أي الكلام بسرعة دون إبانة . (المترجم)

(٤) قد يكون على حق لأن القاموس واللسان لم يذكرها . (المترجم)

p- ١٥ - من الملامح المميّزة للغة شَحْر وعُمَان ، اللخلخانية (الشعالي ، فقه اللغة ، ص١٠٧) . وقد فسّرت بقولهم «مشا الله» بدلاً من ما شاء الله . سوى أنه قد أتى ذكرها في العقد الفريد ٢٩٤/١ حيث قال إنها في تغلب ولم يفسرها وهذه الصورة من الحذف يمكن سماعها في أية عامية دارجة ، ومن النادر أن تجذب الانتباه . والتعبير يشير إلى شيء ما أكثر من كونه أمراً طبيعياً عادياً . واليماني ابن دريد (عن المخصص ١٢٣/٢) يجعلها خاصة بالعرب المتوطنين الذين يسعون للفت الأنظار فيتظاهرون بالحديث كالبدو . وفي قصة يرويها المبرد في الكامل^(١) ص ٣٦٤ ، حيث عُرِيت هذه السمة اللهجية إلى العراق ، ولكن لم يورد لها تفسيراً . وأما أبو عبيدة (٢١٠هـ/٨٢٥م) فيجعلها مرادفة للعجمة (اللسان ٢٠/٤) . والأمر نفسه موجود في القاموس^(٢) ، وأضاف ، رجل لخلخاني : غير فصيح ، ورد ، في اللسان (٢٠/٤) بيت من الشعر البعيث فيه : بنو اللخلخانيات^(٣) التي يبدو أنها تعني أبناء نساء أجنبيات . مهما يكن من أمر فإن : (لَخ في الكلام) تعني : إذا جاء به ملتبساً . وفي المشناة العبرية فإن (لَخْلَخ) تعني يجعل الشيء رطباً وخضلاً . وربما لا يعني هذا الأمر شيئاً سوى إشارة إلى التباس الأصوات الصامتة والأصوات الهسيسية^(٤) المائعة في اللغات العربية الجنوبية ، التي كانت من نصيب لغة الطيور في العربية اليمانية (انظر : Thomas, Four Strange Tongues, p.7) وليس من السهل معرفة انطباق هذا الوصف على لغة أهل عُمان .

q- ١٦ - في كثير من مصادرنا استعمال الأداة أم قد عُرِيت بوجه خاص للغة حَمِير . ويرد كذلك في نقوش الهمداني وفيما قالت أم وهب^(٥) . ولكن وجود الأداة نفسها في لهجة طيء يمنعنا من افتراض أن أم قد وجدت أصلاً في الحميرية ثم انتشرت بعد ذلك في اللهجات العربية . ويجب أن نبقى في انتظار المزيد من توضيح علاقة

(١) انظر الفقرة ١١- i من الفصل الثالث حيث أوردت الرواية كاملة هناك . (المترجم) .

(٢) يقصد أن اللخلخانية تعني العجمة . (المترجم)

(٣) يقصد البيت : ستركها إن سلم الله أمرها بنو اللخلخانيات وهي رثوع . (المترجم)

(٤) كصوت السين ، وهي من أنواع الأصوات الصفييرية . (المترجم)

(٥) وهب بن منبه وما قالت أمه : وأيكُ بِنَحْلَم كولدكُ ابناً من طيب . (المترجم) . انظر ص ١٥ / سطر ٣ .

العنصر العربي في الحميرية بالنسبة للعربية الغربية . على كل حال ، فكما أن هَنَ - han كانت مستعملة في العربية اللحيانية البدائية الأصلية فإن ورودها في الحميرية لا يشكل برهاناً على وجود الخصيصة الأخيرة في العربية الغربية .

١٧ - r - إن الفعل الماضي التام مع ضميري المفرد المتكلم والمخاطب ينتهي بالكاف بدلاً من التاء ، مثل الأثيوبية والعربية الجنوبية المعاصرة (انظر : من أجل العربية الجنوبية (Leslau, JAOS, lxiii, 7) . وفي قول أم وهب بن مُنَبِّه نجد : وَلَكَ ، ورَأَيْكَ . ويشبهها في النقوش ، حَسَنُكَ (الإكليل ص ٢٦) ، بَهْلُكَ أي تكلمتُ ، انظر في الأثيوبية بَهْلَ Behla (ZDMG, xliv, 191) وأما بالنسبة لضمير المخاطب فقد ورد مثالان في المقطوعة الشعرية وهما : عَصَيْكَ وأَتَيْكَ إذا كانت بمعنى أنت أتيتَ وليس بمعنى أتى إليك ؛ مثل هذه التراكيب ما زال استعمالها جارياً في أيامنا هذه في الجانب اليماني ، وأول من سمعها هناك فون مالتزان Von Maltzan (ZDMG, xxv, 197/xxvii, 245) حيث وجد في أيامنا لواحق في آخر الأفعال (هكذا) العربية الجنوبية القديمة في رِيْمَة بين اليافعي ، والحوشي والصبيحي والقميشي والذبابي . والأمثلة التي يضربها هي كُنْكَ أي كنتُ ، قَلْكَ لَكَ (أي قلتُ لك) ، كُنْكَ (أي كنت) وكُنْكَ (كنتم) ، كُونْ (كنّا) انظر الفقرة ١ . وقد سمع من اليافعي : أخذ كيس أي أخذتها (مع السين كما في المهرية) . وأما لندبيرج (في دثينة ص ١٩٢) . فقد أنكر ذلك كله بشدة ، حيث ذكر أنه قضى عدة ساعات في رِيْمَة ولم يسمع مثل هذه التراكيب . ومع ذلك فإن روسي Rossi (Ros, xvii, 258) فيؤكد بجلاء وجود مثل هذه التراكيب في منطقة الرِيْمَة . وقد سمعها كلها على طول المنحدرات الغربية للسراة (المرجع السابق ص ٢٦١) ، أي إنها لهجة متداولة في المنطقة التي امتدت إليها الحميرية في القرن الرابع . وقد أخبرني د . سيرجنت Serjeant في رسالة تكرم بإرسالها إلي أنه قد لاحظ وجود اللاحقة «الكاف» في آخر الماضي في منطقتي الصبيحي ويريم كذلك . وإن بقاء مثل هذه التراكيب ، مع مغايرتها للتراكيب العربية التي نعرفها في مناطق أخرى ، يشكل دليلاً قوياً على صحة نظريتنا في اللغة الحميرية . والمثال الدال على الطريقة التي تعامل بها اللغويون المتأخرون مع اللهجات القديمة هو الخبر الذي جاء في اللسان (٣٣٠/٢٠) عن هذه التراكيب ، حيث قال في بساطة : إن بعض العرب يبدلون أحياناً التاء «كافاً» .

s- ١٨ - هل كانت اللواحق في الحميرية مقترضة من العربية الجنوبية؟ إنه من النادر أن يكون مثل هذه العناصر الصرفية الأساسية دخيلاً وفي الواقع ، فإن كون-كُ ، ضميراً للمتكلم ، أقدم صيغة سامية يمكن التحقق منها ، يجب أن تكون قد وجدت في اللغة التي انبثقت منها العربية أيضاً ، وإن الاحتفاظ بها في الحميرية ربما يكون راجعاً إلى سمة قديمة في تلك اللغة ، بحيث تم انفصالها عن المنطقة العربية قبل أن تحل اللاحقة كُ محل -تُ . ولكن -كُ ، والدالة على الجمع-كن ليست بالتأكيد إلا تطوراً ثانوياً شاذاً للعربية الجنوبية والإثيوبية^(١) . وإنما لا نعرف على وجه الدقة في أي مكان بدأت مثل هذه الاستعاضة القياسية ، ولكنها مثل معظم التغيرات اللغوية ، لا بد أنها قد انتشرت من مكان ما ، ولا بد أن يكون ميدان ذلك جنوب الجزيرة العربية ، حيث رأينا العرب الجنوبيين قد امتزجوا بغيرهم من العرب منذ قديم الزمن . والتجديدات اللغوية لا تلتزم دائماً بالحدود اللغوية : فاللغات المتقاربة جداً غالباً ما تمر بتغيرات متشابهة ، والمثال على ذلك اللغات البلقانية (انظر : k.Sandfeld, Linguistique Balkanique, Paris, 1930) إن كُ ، و-كُن اللاحقتين في العربية الجنوبية والحميرية يمكن أن يكونا دليلاً على (التغير اللغوي Sprachgemeinschaft) في اليمن أكثر من كونهما دخيلين .

t- ١٩ - وبالنسبة لجمع المتكلم مع الماضي التام ، نجد في أحد نقوش الهمداني صيغة (حيو أن) أي حيينا (مولر 17, Südar, studien, p. 7) وكيفما قرأناها ، فإنها دليل على أن الهمداني يريد أن يخبرنا أن اللاحقة ليس فيها مدّ طويل مثل -نا العربية . وقد سمعها فون مالتزان - Von Maltzan . كُنْ ، وقد ترجمها كُنَّا (ZDMG, xxvii, 245) وهذا يجب أن يكون موافقاً لصيغة الهمداني ، التي يمكن قراءتها بعد ذلك ، حَيَوْنَ (فالألف يمكن أن تدل على أن الفتحة في محل غير مألوف) . ولكن مالتزان Maltzan أخطأ أيضاً في ترجمة الصيغة بصورة مباشرة مقدماً كُنْكَ . وبما أن روسي^(٢) (Rossi, RSO, xvii, 259) يذكر لفظ سارين^(٣) لجمع المؤنث الغائب (وهذه الصيغة أو التركيب العادي الجاري استعماله في جميع أنحاء اليمن) وسرنا

(١) يجب التأكيد على أنه لا يوجد في نقوش العربية الجنوبية صيغة دالة على المتكلم والمخاطب . ولكننا نفترض فقط وجود صيغ-الكاف في العربية الجنوبية لأنها وجدت في الإثيوبية وفي لهجات العربية الجنوبية المعاصرة .
(٢) أي سِرَن . (المترجم)

لجمع المتكلم ، علينا أن نتعامل بشك مع الخبر الذي نقله مالتزان Maltzan . ربما حصل تقصير للصيغة - نَ عند الهمداني كالأثيوبية ، على أن يتم تفسير الألف بصورة أخرى ، وقد تكون قد اختلط أمرها بالصيغة المهرية غَلُوقَن ghalōqen .

٢٠ - وهكذا يوجد بقايا لها اعتبار من اللغة الحميرية القديمة . وإن البحث المستفيض في المنطقة ، مع تركيز على لغة القبيلة التي تدعى اليوم أنها حميرية ، قد يعطينا معلومات صافية مفيدة . ويؤكد لندبيرج Landberg أن اللهجة الدارجة في إب^(١) وجبلة ، الواقعتين في جنوب ظفار القديمة ما زالت تحتفظ بكثير من عناصر العربية الجنوبية (العربية ١١/٥ - ١١-٢١- v, Arabica) .

٢١ - من الواضح أن العرب الشماليين قد اطلعوا وعرفوا الحضارة العربية الجنوبية من حمير . والكلمات العربية الجنوبية الموجودة في القرآن الكريم ، وغيره قد مرّت عبر الحميرية أولاً ، فحصل فيها تغييرات مؤثرة . ودور مثل هذه الكلمات في تحديد حركات تراكيب العربية الجنوبية مشكوك في أمره أيضاً . ومن ناحية أخرى ، فإن كثيراً من الكلمات في العربية ، بما يعتبر دخيلاً بوجه عام من الإثيوبية ، قد تكون في الحقيقة من الحميرية . وكذلك قد تحمل بعض الكلمات الأرامية الأصلية محتوى دينياً مثل كلمة التابوت وما ذلك إلا لقوة اليهودية والمسيحية بين الحميريين . ويبدو أن اللغة الحميرية كانت معروفة في مكة بالرغم مما يحمله اسمها من الغموض ، وقد يكون ذلك عائداً إلى الصلات التجارية . والنبي ﷺ كان يجب أن ينطق الكلمات اليمنية (لندبيرج ، دثينة ، ص ٢٨٢) وقد سبق لنا أن ذكرنا ما قاله الرسول ﷺ باللهجة اليمانية (الحميرية) بشأن الصيام^(٢) . وفي حديث زيد بن ثابت (اللسان ٦٠٢/١) : كنت مع رسول الله ﷺ وهو يملئ عليّ كتاباً . . . فدخل رجل فقال له : انطُ . . أي اسكُتْ بلغة حمير . قال ابن الأعرابي (ت ١٣٢هـ) : «لقد شرف رسول الله ﷺ اللغة الحميرية» .

بالطبع ، بعض هذه الحكايات من ابتكار اليمانيين المتحمسين لوطنهم ولكن الكلمات اليمانية والعربية الجنوبية صحيحة ، وترينا أن المكين ، إن لم يكن محمد ﷺ شخصياً ،

(١) إن في كلامه كثيراً من الصحة ففيهما سمعت : قُلْ لَكَ (في إب) ، وفي جبلة : أمدرسة ، أمسجد . (الترجم)

(٢) يقصد قوله ﷺ : «ليس من أمير أمصيام في اسقر» . (الترجم)

قد عرفوا الكثير عن اليمن . ويبدو أن المفردات اليمانية أكثر تكراراً في السور المكية منها في السور المدنية ولا بد أن يتناسب هذا الوصف مع الوضع القائم . حيث انقطع اتصال الرسول ﷺ في المدينة باليمانيين^(١) وإن ما عرفه عن التوراة وغيرها إنما هو عن طريق^(٢) اليهود في المدينة الذين كان مركزهم الروحي طبرية (Tibrias) وليس ظفاراً .

(١) إن هذا وهم من الكاتب ، فأهل المدينة كانت غالبيتهم من الأوس والخزرج وهم يمنيون ، وهل كانت كذلك علاقة اليمانيين التجارية مع أهل مكة فقط؟ وكللك ما توهمه قائم على افتراض أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نسي ما عرفه في مكة! (المترجم) . كما إن في قوله ادّعاء بأنّ النبي إنما كان يضع القرآن من عنده . وإلاً فكيف .

(٢) وإن هذا تجاوز للحقيقة لأنّ ما جاء به الرسول عليه السلام عن التوراة أو غيرها إنما هو من عند الله عز وجل بما ورد في القرآن الكريم . والدليل على ذلك إن السور التي تحمل أسماء الأنبياء وأخبارهم هي سور مكية مثل : يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الكهف ، طه ، الأنبياء ، يس ، نوح . (المترجم)

الفصل السادس

الأزد

a- ١ - في الوقت الذي كانت فيه اللهجات اليمانية تذكر على وجه من التخصيص والتفصيل فإنه نادراً ما كانت تذكر لهجة الأزد . حتى الأزدي ابن دريد ، مع فخره بأجداده ، نادراً ما كان يذكر معلومات تخص لهجته . حتى المعلومات القليلة التي نحصل عليها على نحو محدّد تضع لهجة الأزد بمعزل عن اللهجات اليمانية المحلية الأخرى . وما زال غير ممكن لنا أن نتبين الاتجاه الذي تشير إليه هذه الأمور غير المألوفة .

b- ٢ - وهناك مشكلة خاصة تتمثل في وجود قبيلتين للأزد هما : أزد السراة (أزد شنوءة) وأزد عُمان واللهجة العمانية المعاصرة تماثل تلك التي في اليمن . وما زالت لدينا فرصة لأن نستخرج منها ما تبقى من اللهجة اليمانية المركزية القديمة وليس لدينا إلا قدر ضئيل من المعلومات عن اللهجة العُمانية في العصور الإسلامية المبكرة . ولدينا ثلاث كلمات مشتركة بين اللهجتين العمانية واليمانية هي : العنب بمعنى الخمر (انظر بالنسبة للهجة اليمانية : أبا حنيفة في التاج ٤٠٠/١ ، وبالنسبة لعُمان (انظر جفري Jeffery, Materials, p. 49) ، والخمر^(١) بمعنى العنب (بالنسبة لليمن انظر أبا حنيفة في التاج ١٨٧/٣ ، وبالنسبة لعُمان : الضحّاك في الإتيقان للسيوطي ص ٣١٠ ، وكذلك الرسالة لأبي عبيدة ص ١٤٩) . وكذلك «فَتَح» (نشوان ، المنتخبات ، ص ٢٨) . والكلمات العمانية التي سجلها بلاو (ZDMG) (xxvii, 319) ليست بذات فائدة لنا هنا ؛ إلا أن هناك واحدة تلفت النظر إلى شبه من نوع ما بين لهجة أزد شنوءة ولغة بعض أهل عُمان . وبعض المعلومات عن الأزد قد يكون فيها إشارة لعُمان ولكننا أخطأنا وجعلناها خاصة بأزد شنوءة .

(١) ربما تكون كلمة «خمر» ذات أصل آرامي (جفري ، المفردات الأجنبية ص ١٢٥) Jeffery, Foreign Yoca- toulary, p.125 فالكلمتان الأوليان مشكوك فيهما نوعاً ما ، ولكن الثالثة قد حظيت باهتمام كبير ، لأنها تستعمل في معنى واحد في العربية الجنوبية والأثيوبية ، ويجب أن تكون قد دخلت اللهجة العمانية من اليمن .

c- ٣ - والأزد (منطقة يمانية) جعلناها ضمن اللهجات التي تستعمل أنطى بدلاً من أعطى .

d- ٤ - ولم يذكرها أبو زيد (اللسان ١٤/١)^(١) ضمن اللهجات التي تسهل الهمزة . وأعتقد أنه لا يمكننا أن نعلق أية أهمية على هذا التسهيل ، ويحتمل أن أبا زيد قد اعتبرها جزءاً من اليمن .

e- ٥ - ويقال في اللهجة عسقي^(٢) لعنقود البَلَح من النوع الرديء (الجمهرة ٣١/٣ ، MS. K من كتاب العين للخليل بن أحمد) : ويمكن مقارنتها بالكلمة الشائعة عند العرب وهي (العِدْق) . ولا بد أن يقع للذال هنا إبدال بصوت صفيري هو الزاي كما يحدث في الأثيوبية ، والعبرية والأكدية . علاوة على المماثلة بين صوتي الزاي والقاف^(٣) . ويستشهد ابن دريد من اللهجة نفسها بكلمة معذار (الحجاب) بالذال (الجمهرة ٣٠٨/٢ ، الاشتقاق ص ١٣٦) . وهذا دليل مشكوك فيه ، وقد نسب نشوان (المنتخبات ص ٧٠) والضحاك (في الإتيقان ص ٣١٠) الكلمة إلى اليمن حيث احتفظت بالذال ، وما زالت (انظر : Goitein, Jemenica, p. xv) كما هو الحال كذلك في عُمان انظر : (Reinhardt, p. 4) . إن هجاء الكلمة مع الذال في لهجة الأزد ربما يعود إلى أصلها الاشتقاقي . ولا نستطيع تشخيص القضية عن طريق مثال واحد هو عسقي ، لأنه يمكن أن يكون تغيرها مباشراً . وأخيراً علينا أن نلجأ إلى احتمال أن تكون عسقي من جذر آخر وأن التشابه بينها وبين عِدْق

(١) يقصد ما جاء في اللسان ٢٦/١ ، ط . دار المعارف : «قال أبو زيد الأنصاري : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون » أي يسهلون الهمزة . (المترجم)

(٢) عنقود من التمر . (المترجم)

(٣) لم يبين جهة التماثل بينهما ، ولا ندري ماذا يقصد ذلك ، فالقاف صوت لهري القاف مجهور (انظر سر الصناعة ٢٧٧/١) أي من أقصى اللسان ، وصوت الزاي أسناني لشوي مجهور صفيري . إلا إذا كان يعني ما يلحظ من تفخيم فيهما وكأن الزاي محوكة عن ظاء وليس عن ذال . (المترجم) . يقول ابن جني في سر الصناعة في (حرف الزاي) ١٩٥/١ : إن الزاي حرف مجهور ، يكون أصلاً وبدلاً زائداً ، فإذا كان أصلاً وقع فاءً وعيناً ولاماً . ١١ هـ .

ويقول في حرف القاف ٢٧٧ : «الفاق حرف مجهور يكون أصلاً لا بدلاً ولا زائداً ، فإذا كان أصلاً وقع فاءً وعيناً ولاماً . ١١ هـ .

عرضي . وفي اللسان (٢٢١/٢١) العَسَق هو العُرْجون الرديء ، وهي أَسَدِيَّة . ويدخلنا شك قوي أن الأَسَدِيَّة محرّقة عن الأَزْدِيَّة (انظر في أمر هذا الخلط بينها Freytag, Einführung p. 76) وبعد ذلك مباشرة ينقل اللسان عن تهذيب الأزهري : العَسَق عرجون النخل ، والعَسَق الظلمة كالعَسَق . وكذلك العَسَق هو زوان القمح ، وإنني أتساءل لِمَ لا تكون هذه هي عَسَق الأَزْدِيَّة ، ؟ وقد مرّت بمرحلة تغيرت فيها الغين إلى عين . (انظر : رودوكناكس Rhodokanakis ، ظفار ، ٧٦/٢) . وسنرى التعقيدات التي تنشأ عن أية محاولة للتقييم الصوتي أو النحوي للمعلومات المعجمية .

f-٦ - وهناك صعوبة أخرى تتمثل في اعتبار عَسَق تطوراً صوتياً خالصاً لِعِدْق اعتماداً على التماثل ، الذي يقتضي تطور الزاي إلى السين قبل القاف . وكما سنرى (في فصل ١١ / فقرة a) فإن هناك سبباً وجيهاً للاعتقاد بأن القاف في اللهجات العربية الغربية صوت مجهور ، كما هي الحال الآن في اليمن (انظر : Rossi, RSO (Rhodokanakis, Dhofar ii/77) . xvii, 235 Goitein, Jemenica p. xiv/ . وفي اللهجة الأَزْدِيَّة ، يبدو أن لهذا الفونيم مصيراً مختلفاً تماماً . فالتبريزي (في شرح الحماسة ص ٢٤٤) يخبرنا بأن أزد شنوءة يقولون في الاسم قُغْصُوص ، جُغْصُوصاً . إن التغوير^(١) الذي يحصل للقاف بلفظها تش أو تس قبل الحركات الأمامية^(٢) شائع في لهجات بدو الجزيرة العربية (انظر : سوسين ، ديوان ١٩٥/٣ ، (Socin, Diwan, iii, 195) ولكن ذلك لا ينطبق على مثالنا حيث القاف متلوّة بالضمّة . وتغيير القاف إلى جيم لا أعرف له مثيلاً غير مشروط ، وأعني به ما يحصل في القبائل العمانية التي تقع على الساحل^(٣) (Jayakar, BrasB, 1902, p. 653) وقد بقيت تنطق القاف جيماً في منطقة الأزد . وبعض سكان الحديدة وما جاورها ينطقونها كذلك في بعض الكلمات مثل : جَعَادَة في قعادة أي

(١) أي تحويلها إلى صوت حنكي ، وهذا الأمر مشهور في الكاف وليس في القاف كما ذكر المؤلف . (المترجم)
 (٢) حسب نظام دانيال جونز فإن هناك ثمانين علل رئيسية في الإنجليزية حسب حركة اللسان عند نطقها العلل الأمامية وهي التي يتجه فيها وسط اللسان نحو الطبقة الصلب (الغار) مثل ا كما في Sit
 (٣) يبدو أن الكاتب لم يطلع على لهجة عرب الخليج في أيامنا هذه فإنهم يكثرون من نطق القاف جيماً حيث يقولون مثلاً في صديق صديج (صبيج) . (المترجم)

السريـر ، والجـادري لـلاسم القـبلي قادري (انظر : Rossi, RSO, xvii, 464) وفي زبيد نزوع إلى نطق القاف جيماً كما في جُلَيْلات في قـليـلات . ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن الاستعمال اللهجي القديم قد اختفى بتأثير من ضغوط أشكال الكلام المجاورة . وهناك شاهد آخر قدم على تغيير القاف هو لفظ «قات» وهو النبات الذي يُمضَغ في اليمن ، الذي ظهر في التاريخ الإثيوبي العائد صيون Amda Seyon بلفظ Cat تشات (أي كات)، (14th, cent. Ed. Perruchon, JA, 1889, p. 282, 106) ويمكننا أن نفترض أن المهاجرين العرب إلى أثيوبيا قد أتوها بكثرة من المناطق الساحلية في اليمن . إن مثل هذا التصور دليل مدعش على الصلة بين قبيلتي الأزد . وإنه من الجدير بالملاحظة أن هذا النطق الحنكي للقاف محصور في بدو وسط الجزيرة وفروعهم في سوريا (Cuntineau, Parlers, P. 33 Seq.) وسنشير في مناسبة أخرى إلى الصلات اللغوية مع مجموعة القبائل العربية الغربية . إنه من المحتمل جداً أن التغيير الذي يتم دون شرط في اللهجة الأزدية قد سبقه طور حصل فيه تغيير قبل الحركات الإمامية فقط . وقد وجد كانتينو Parl- (123/39/ers, p. 39/Horan) لدى بدو حوران المتوطنين حديثاً ، نزوعاً إلى تحويل النطق الحنكي للكاف والقاف إلى تغيير مطلق دون شروط ، اقصد إن ذلك لا يحصل في المفرد ديتش (في ديك) فقط بل في الجمع أيضاً يقال ديوتش (بدلاً من ديوك) عند البدو^(١) .

وقد تكون الظروف الاجتماعية للأزد مشابهة لظروف البدو مما نتج عنه اضطرابٌ مماثلٌ في التطور الصوتي .

g - ٧ - وقد أخبر الأخفش (الأوسط ٢٢١هـ/٨٣٦م) أن أزد السراة لم يحتفظوا عند الوقف بالألف فقط في حالة النصب ، ولكن أيضاً في حالتي الرفع والجر حيث يقولون : هذا زيدو ، وهذا عمرو (انظر سيبويه ٣٠٧/٢^(٢) ، ابن يعيش ص ١٢٧١) . في حالة النصب ، لا تنطق في أي أسلوب من أساليب القراءة العربية في أيامنا هذه

(١) والحقيقة أن نطق الكاف نطقاً مزجياً حنكياً أي تش ch دون شرط ليس خاصاً ببدو حوران وإنما هو شائع في الأردن ، وفي فلسطين وفي منطقة الخليج العربي . (المترجم)

(٢) في الكتاب ١٦٧/١ ، ط هارون : «وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة يقولون : هذا زيدو ، وهذا عمرو ومررت بزيدي ويعمري ، جعلوه قياساً واحداً ، فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف» . (المترجم)

الفتحة الطويلة ، وقد أفاد النحاة أن ربيعة تقف على المنصوب بلا ألف^(١) في بلاد ما بين النهرين (انظر : الأزهرى : تمرين الطلاب ص ٢٧ ، والسيوطي في البهجة ص ١٧ ، ولا شك في اعتمادها على رأي ابن مالك الذي جاء في البيت التاسع والسبعين من الألفية وقد يحدث ذلك^(٢) في سياق الكلام مع حركات الإعراب الأخرى في لهجة تميم في نجد واليمامة (نقله ابن مالك عن أبي عمرو . وقد أورده السيوطي في جمع الجوامع ٥٤/١ ، وانظر دليلاً آخر على ذلك عند نولدكه Zur Grammatik, p. 9) والرسم القرآني ، الذي يعكس بالتأكيد لهجة الحجاز في وقته ، يرينا أن تنوين الأسماء المنكورة المنصوبة يُنطق ألفاً في الوقف . ولهجة الأزد حدث فيها الشيء نفسه في حالتي تنوين الرفع والجر فإنهما تنطقان في الوقف ضمة وكسرة طويلتين^(٣) . وهذا الأمر له ارتباط واضح بطريقة النقوش النبطية في رسم الأعلام العربية سواء أكانت مصروفة أم غير مصروفة ، ومهما كانت حالتها الإعرابية ، وسواء اتصلت بها تاء التانيث أم لا ، كانت تنتهي بالواو . (كانتينو-النبط ١٦٥/٢) . والمثال على ذلك في وقت مبكر جداً نِهْمِيَّة ٦/٦ حيث ورد اسم الأمير العربي جشم مكتوباً جَشْمُو في سياق وثيقة رسمية ، كتبت أولاً ودون شك بالآرامية^(٤) . يمكن أن يكون الاسم العربي جُشَم ؛ وبناء عليه منع من الصرف .

(١) في المصدر السابق في الهامش (ناقلًا عن نسخ أخرى) : «وزعم أبو الحسن أن ناساً يقولون : «رأيت زيد ، فلا يشبتون ألفاً ، يجرونه مجرى المرفوع والمجرور» ، وعلق هارون والمعروف أن هذا لغة ربيعة وقال ابن جني في الخصائص ٩٧/٢ حكاهما أبو الحسن وأبو عبيدة وقطرب وأكثر الكوفيين ، وابن مالك في التسهيل ٣٢٨ يقول : «ونسبت إلى قبيلة ربيعة» . ومن شواهدنا :

ألا حبذا غنم وحسن حديثها لقد تركت قلبي بها هائماً دَنَفَ

ومنهم من يرى أن الوقف بالتسكين في الحالات الثلاث عند ربيعة . (المترجم)

(٢) أي حذف حركة الإعراب . (المترجم)

(٣) أي يقال فيها الذي قيل في : زيدو ، وزيدي . (المترجم)

(٤) ويستشهد باور وليندر بمثالين آخرين ليسا مقبولين وهما : بوخرو وهي ليست إلا بو خورو (الابن البكر) ، والآخر مولينحو الذي يجب أن يقرأ مَلُوخي ، وهما على كل حال من الأسماء اليهودية . Bauer and Lean-

der, Histor., Gram., p.525

وكتابة الأسماء العربية بالواو قد نشأت في وقت مبكر من منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . ولنا أن تنصور احتمال الاحتفاظ بهذا الأمر حتى وقت متأخر باعتباره تقليداً متبعاً وليس طريقة مستحدثة في كتابة العربية الحديثة . وفي أكثر النقوش العربية قدماً على الإطلاق في الحِجَر عام ٧٦٢ بعد الميلاد (انظر : ZASS, xxii. 194/Rev. Bibl., 1908, p. 270) (p242/270 Comptes Rendus AC. d. inscr., 1908, p. 270) نجد : كعبو ، عبد مناتو (ممنوعاً من الصرف مجروراً) ، الحَجَر وربما حسب قراءة Chabot قبرو (في حالة الرفع) ، والقبرو (حسب Lidzbarski تقرأ في الموضعين قبوراً) ، ولكن (حرت) أي حارثة ولقص (وكلاهما في حالة الجر) ، وهذا النقش مهم على وجه الخصوص لأن فيه سطرراً من الشمودية : إن لقيض بنت عبد مناه (مقابل لقص يرت عبد مناتو في الكتابة النبطية) . ولا أستطيع أن أغالب شعوراً بأن هناك تناقضاً بالنسبة للواو^(١) وبعد ستين سنة وفي نقش النمار ٣٢٨ بعد الميلاد (Lidzbarski, Ephemeris, ii, 34) ومن العربية الفصحى نجد أسماء مصروفة قد انتهت بالواو مثل : عَمْرُو ، نزار ، مَعَدَّ ، مَحَاج ، ومع ذلك فهي ليست في وضعها الصحيح ؛ ولكن الاسم المصروف شَمْرُ ، والمعرفة «القيس» لا ينتهيان بالواو . ويمكننا ، على ذلك ، أن نفترض أنه ، في الفترة ما بين سنتي ٤٠٠ ق.م - ٣٠٠ ق.م ، قد حدث تغيير في التعامل مع حركات الإعراب . يمكن أن نشبهه بظهور منع الصرف والاختلاف بين المعارف والنكرات من الأسماء . وقد انعكس ذلك في اختلاف الرسم ، وهو الخلاف الذي ما زال قائماً بين : عَمْرُو أي عَمْرُو ، وعَمْرُ أي عَمْرُو . ولكن لما كانت الواو في عَمْرُو لا تنطق وإنما هي علامة اصطلاحية لشيء لم يُعَبَّر عنه بالواو في أي نص آخر ، فإن الاختلاف الملاحظ في نقش النمار قد يعبر عن شيء ما مختلف تماماً عما يوحي به الرسم .

وعدم تمثيلها للضممة الطويلة واضح من خلال ورودها في أواخر الأسماء المجرورة والمنصوبة . ولكنها في فترة تاريخية ما ، عندما استقرت في الكتابة كان للواو قيمة صوتية ، أعني الضمة الطويلة في حالة الرفع ، سواء في الوقف أو في وصل الكلام . ويرى بروكلمان

(١) ويمكن ملاحظة تناقض بشبه أقل في النقوش السورية انظر (Pognon, Inscr.Sem,i , paris. 1907) حيث نجد كلمات تنتهي بالواو مثل : مَعْنُو ، شَرِيدُو ، مَقِيمُو (٢٧٣) ، رَحْبُو (٢٠١م) . والأسمان الأخيران مؤنثان وعليه يجب أن يكونا ممنوعين من الصرف وفي مجموعة من النصوص الأخرى نجد كلمة وإل قد كتبت دون واو مع أنها تنتهي بالواو مثل نقوش سيناء ، ولتوضيح مثل هذه الفوضى أحد الأسماء هو وإل بر موترو . وبالنسبة فإن مَعْنُو في التدمرية دون واو . انظر نولدكه (Noldeke, ZASS., xxi, 153).

(GVG, i, 460) أن حركات الإعراب كانت توابع صوتية لوصول الكلام ، وفي مكان آخر (من المرجع السابق ٨٣/١) يزعم أن الفتحة في حالة النصب قد مُدّت في الوقف . والمفهوم الشامل لهذه «التوابع الصوتية» أي الحركات قد هُجِرَ في وقتنا الحاضر . (انظر, Cantineau, BSL, xxxviii, 148. وقد ازداد وضوحاً أن أشكال الوقف غالباً ما تمثل مرحلة قديمة في اللغة أكثر من أشكال وصل الكلام . والحركات الطويلة لا بد أن يكون قد حدث لها تقصير مع التنوين ، مما يمكنها أن تشترك في تكوين المقطع المقفل^(١) ، وفي حالة الإضافة كذلك ، حيث تتبعها غالباً ال التعريف ، فإنها تشترك أيضاً في المقطع المقفل . وعملية التقصير هذه تسبق الكلمات المعروفة بال . وآخر شيء يكون تقصير الحركات أو حذفها نهائياً في الوقف . وعليه فإن لهجة الأزدي تمثل حالة مهجورة ، وهو أمر قد انتهى تماماً في الصحراء السورية قبل ٨٢٣م . كما أن العربية تجعل انتماء لهجة النبط ولغة امرئ القيس في الثمارا إلى مرحلة استقلال اللهجات العربية ، مثل الثمودية الموجودة في نقش الحجر . وهذا الشبه يمكن أن يقودنا إلى الخدس بأن الموقع الخاص لل لهجة الأزدي في اليمن يعود إلى كونها تنتمي إلى مرحلة استقلال العربية . وهكذا من المحتمل أن تكون الأزدي من نفس مجموعات العرب الذين استقروا مبكراً مثل حمير . وصلة النسب التي تربط الاثنين (انظر الملاحظة في الفصل الخامس فقرة (f) يمكن أن تتضمن جانباً من الحقيقة . وفي اللهجة الدارجة في الوقت الحاضر على أرض الأزدي القديمة ، في الحديدة وجزء من تهامة ما زالوا ينطقون الأسماء في حالة التنكير والضممة على آخرها حيث يقولون بُرُّ (القمح) ، والمعروف يقولون فيه البُرُّ دون الضمة^(٢) (انظر : Rossi, ROS, xvii, 465, p. 264-/Landberg, Langue arabe, p. 14.)

(١) هو المقطع الذي ينتهي بصامت أو أكثر (أي ص ح ص) مثل لَمْ (ل+فتحة+م) في حال وصل الكلام/وأما في وقف الكلام مع التنوين يكون المقطع طويلاً مقفلاً بصامتين (أي ص ح ص ص) مثل : بَخْرُ التي يوقف عليها بَخْرُ . (المترجم)

(٢) وفي محافظه البيضاء من شمال اليمن ، ومحافظه أبين في جنوبها يقولون كذلك بُرُّ بدلاً من ابن فيقال ، هذا ناصر بر محمد وفي الترحيب على سبيل المثال أهلاً ببر أحمد . (المترجم)

h - ٨ - إن الضمير الهاء حين يكون متصلاً ، فإنه في لهجة الأزدي يحدث له تقصير^(١) في وصل الكلام (ابن جني في اللسان ٣٦٧/١٠) ويصلح في هذا المقام بيتان من الشعر أوردهما ابن دريد شاهدين على ألفاظ أزدية . حيث استشهد بالنسبة لمطو (الصاحب) بالبيت التالي :

فَبِتُّ لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أُخَيُّهُ

ومطوأي مشتاقان له أَرْقَان

(في اللسان فَظَلَّتْ)^(٢) ، (الجمهرة ١١٨/٣) . ويقول ابن دريد إن هذه هي لهجته^(٣) . واسم الشاعر في كتاب الجمهرة المطبوع هو يعلى بن الأحول اليشكري ، وفي الأغاني ١١١/٩١ (اختفى موضع الشاهد الذي جاء من أجله : من شوق له) ذكر أنه يشكري . ويشكر بن عمرو صلته حميمة بكهانة . وشاهد آخر مجهول القائل يتعلق بلفظ فومه أي السنبلة (الجمهرة ١٦٠/٣) من كتاب المجاز لأبي عبيدة :

وَقَالَ رَبِيشُثُهُمْ^(٤) لَمَّا أَتَانَا

بَكْفُهُ فَوْمَةٌ أَوْ فَوْمَتَان

ويضيف ابن دريد أن الهاء في كَفَّهُ ساكنة (خُفِّفَتْ) ، وهذه هي لهجته . وعلى النقيض من الشعر المتقدم ، حيث وجود «له» يُنخل بالوزن ، ولا ضرورة للتقصير هنا ، والحفاظة عليه ليس إلا تقليداً . إن تقصير الحركة وحذفها مع الضمير المتصل الهاء

(١) يقصد حذف الواو (الضمة الطويلة) وبقاء الضمة القصيرة كما في (كانه) من الشاهد الذي أورده الكتاب

١١/١ وابن جني في الخصائص ١٢٧/١ وهو للشماخ في وصفه لحمار الوحش الهائج ؛

له زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ إِذَا طَلَبَ الْوَسِيقَةَ أَوْ زَمِيرُ

حيث كان أصل كأنه (كانهر) . (المترجم)

(٢) وكللك في كتاب الخصائص ١٢٨/١ : (على أن أبا الحسن حكى أن سكون الهاء في هذا النحول لغة لأزد

السراة) . (المترجم)

(٣) أي هذه لهجة الشاعر ، وهو يعلى الأحول الأزدي وفي خزانة الأدب ٤٠١/٢ (بنو عقيل وبنو كلاب يجوزون

تسكين الهاء من نحولة) . (المترجم)

(٤) أوردها المؤلف ربيعهم ولكنها كما في اللسان مادة فوم ربيشهم وقد ترجمها المؤلف على أساس أنها ربيشهم .

ويبدو أن ربيعهم خطأ مطبعي بين العين والهمزة . (المترجم)

(... هـ) بعد حركة قصيرة على عكس القواعد في العربية التي فصل القول فيها فيشر (Fischer (Haupt Memorial Volume, p. 402 ولكنه يبدو على اتفاق مع قواعد الأرامية المبكرة التي أقرها كانتينو (BSL, xxxviii, 152) والأزد، على أي حال، لم تكن هي الوحيدة في هذا الأمر. وليست هي الوحيدة التي تتكلم بهذا الشكل بل القراء المجيدون للقرآن الكريم يقرؤون بهما: حمزة الكوفي وأبو عمرو، وأبو جعفر القاريء المدني (١٣٠هـ/٧٤٨ م، اللسان ٣٦٨/٢٠)، والكسائي (١٨٩/٨٠٥) يستشهد بها باعتبارها لغة مستعملة في قبيلتي عقيل وكلاب في نجد واليمامة، فمن يتكلمون إحدى لهجات شرق الجزيرة (اللسان ٣٦٧/٢٠، والأسترباذي، شرح الكافية ١١/٢)^(١) وسيبويه يستشهد بيت من الشعر (٣١٣/٢) يهجو عَنَزَةَ^(٢) التي عاشت فيما بعد، في اليمامة (الهمداني، صفة جزيرة العرب: ١٧٢، ١٦٢) والآن تعيش في بادية الشام، التي ما زالت هذه الخصوصية فيها (انظر الخريطة رقم ٥). لا نستطيع أن نقلل من شأن القراءات القرآنية، خاصة أنها من القراءات المشهورة للقراء الكوفيين؛ مما يدل على أن ما يحدث مع الهاء المتصلة كان معروفاً في أماكن أخرى في غرب الجزيرة. إن الحركات في لهجة لحم أو عبد القيس، المنسوبة خطأ إلى اليممن، ترينا أن في لهجات شرق الجزيرة الأخرى كانت حركة الضمير المتصل هي - (h) ï في مقابل (h) õ - الموجودة الآن في معظم اللهجات الداريجة و: ï - (ü) - المهجورة في العبرية^(٣).

ولا يوجد أساس واضح يمكننا الاعتماد عليه في إدراك تفاصيل حركة الهاء. فإننا لا نعرف حركة الضمير المتصل في العربية بعد استقلالها عن اللغة السامية الأم، أي قبل أن

(١) وقد جاء في الكافية ١١/٢: «وبنو عقيل وكلات يجوزون حذف الوصل أي الواو والياء بعد المتحرك اختياراً

مع إبقاء ضمة الهاء كسرتها نحو: به وغلّامه ويجوزون لزيادة تسكين الهاء أيضاً...». (الترجم)

(٢) والبيت لزياد الأعجم الشاعر الأموي من بني عامر، وبالأولاء من عبد القيس. وهو:

عجبتُ والدهرُ كثيرٌ عَجْبَةٌ من عَنَزِيٍّ سُبْنِيٍّ لم أضرئُهُ (الترجم)

(٣) يقصد ضم ما قبل الهاء بإلقاء حركة الهاء على ما قبلها، وقد حلت هذه الحركة محل الهاء في اللهجات العربية المعاصرة وقد وقع مثل ذلك في العبرية أيضاً حيث لا يظهر من الهاء المضمومة الدالة على الغائب سوى ضمة مائلة (انظر بين العربية ولهجاتها والعبرية ص ٩٩ للدكتور محمد بحر عبد المجيد). كتاباً في كتابه (انظر اللهجات وأسلوب دراستها من ٧٨). وهذه الظاهرة اللهجية موجودة في كل اللهجات العربية المعاصرة. (الترجم)

تصبح لغة أدبية ، (Proto-Arabic) ولكنها مبعثرة في عدة أجزاء من الجزيرة العربية وكأنه لا صلة بينها . والأماكن التي تُقَصَّر فيها الحركة توحى بأنها من بقايا مناطق كانت موحدة أو مترابطة الأجزاء سابقاً . وخارج الجزيرة العربية لا تجد إلا مثلاً واحداً مؤكداً في الآرامية التي تطوّرت فيها - ē h عن - ih (انظر Bauer-Leander, Garmm.d. Bible. Aram, p. 78) وقد نشأ ذلك من جرّاء كون الهاء في حالة الإضافة التي كانت تنتهي قديماً بالكسرة ، وهو ما نعرفه في نقوش الكتابة المسمارية (انظر الفقرة ٦٠ في Gordon, Afo, xii, 114) ^(١) وهناك حركة شبيهة جداً بالحركة الآرامية -e المتطورة عن - ih في لهجة فلاحية سوريا وفلسطين (Driver, Grammar, p. 28) وأما فتح ما قبل الهاء فهو نموذج شائع غالباً في المناطق التي كان التأثير اليماني فيها قوياً (كالعراق وغرب شمال إفريقيا) ، وفي بعض أجزاء اليمن (Barth, Pronominal bildung, p. 50). ومن الملامح التي لها دلالة تاريخية أكثر من الذي نحقق فيه الآن ، التمييز في لهجات معينة بين حركتين في أسلوبين مختلفين . إن لهجة ظفار الداريجة في جنوب اليمن يشيع فيها استخدام فتح ما قبل الهاء غالباً في النثر ، وأما ضم ما قبل الهاء ففي شعرها القياسي البدائي (Rhodokanakis, Dhofar, ii, 107). وفي نجد على عكس ذلك يضم ما قبل الهاء في النثر ، ويفتح ما قبلها في الشعر (Socin, Di- .wan, ii, 148e). ^(٢)

i - ٩ - إن حروف المضارعة تفتح (كما هو الحال في العربية الفصحى) في لهجات الحجاز مع بعض أعجاز هوازن ، وأزد السراة ، وبعض هذيل ، بينما لهجات قيس وقيم وأسد وربيعة وعامة العرب يكسرون حروف المضارعة (وهي الظاهرة المسماة 'التلثة') ، إلا إذا كان حرف المضارعة ياء فإنها تفتح ^(٣) (أبو عمرو في اللسان ٢٨٣/٢٠ ، انظر الخريطة رقم ٦) . . . ومصادر أخرى تحصر فتح حروف المضارعة في الحجاز . وقال أبو زيد (في اللسان المصدر السابق) يجب كسر حروف المضارعة في كل الأمثال التي قالتها العرب . وفي العبرية أيضاً يكسرون حروف المضارعة ،

(١) وهناك وجهة نظر أخرى مختلفة في أصل الصيغة الآرامية من وضع بروكلمان (GVG,i,312)

(٢) ومن المحتمل اعتبار أن- -gih- ah- يمثلان الجر والنصب ولا تؤخذ العربية الداريجة في الحسبان (-ohy -uh) حتى مع الوضوح السماعي للهاء) ، والعبرية (h) -ō- باعتبارها بمثابة للرفع u+h أكثر من كونه تقصيراً للفتحة

والهاء والضممة ، كما قال بروكلمان (انظر أيضاً : (Bauer- Leander, Histor. Gram.p.226)

(٣) استثنائاً للكسرة على الياء ومنهم من قال كراهة (انظر : المحتسب لابن جني ٢٢٦/١) . (المترجم)

وفي الآرامية الغربية ، وفي الأوغاريتية . وفي لهجات قضاعة ، التي تقع على تخوم الكنعانية يكسرون ياء المضارعة ، ومن المنطقي الاعتقاد بأن الالتزام والتفريق بين حركات حروف المضارعة في المضارع بنوعيه^(١) قد ظهر بصورة غير رئيسية في منطقة شكلت طوقاً ثم أخذت تتسرب منتشرة في منطقة قضاعة ومنها إلى لهجات شرق الجزيرة ووسطها (انظر : مقال المؤلف في مجلة الدراسات اليهودية ٢٦/١) إن فتح حروف المضارعة موروث في العربية منذ القدم ، وإن احتفاظ لهجة الأزدي على قدمها ، ولا يدل بالضرورة على أصلها باعتبارها من لهجات غرب الجزيرة العربية . وتجدر الملاحظة هنا أن إبعاد اليمين من القائمة لا يعني بالضرورة كسر حروف المضارعة فيها . لا غلك دليلاً أيضاً ، ولكن يُحتمل أنها عُدت ضمن لهجات غرب الجزيرة . وإن إسقاط لهجة طيء ، من ناحية أخرى ، قد يعني أن هذه اللهجة التي تقع على حدود قضاعة ، قد أثبتت كسر المضارعة . ويبدو أنها اخترقت هي الأخرى خلال القرون الوسطى ، ولكن نشوء هذا الأمر في معظم اللهجات ، ظل خافياً لأسباب صوتية . وتحتاج هذه النقطة إلى مزيد من التحقيق .

k- ١٠ - ولدينا تعزيز آخر على فتح حرف المضارعة في لهجة الأزدي . ففي سياق الحديث عن ورود قراءة أخرى بكسرون نون المضارعة في نستعين (٤-الفاتحة) . وقد نقل السيوطي (في المزهري ١٥٢/١ عن فقه اللغة لابن فارس) أن فتح نون المضارعة لم يستخدم إلا في قریش وأسد . وقد ذُكرت لهجة أسد بوضوح ضمن الذين يكسرون حروف المضارعة ، ليس في قائمة أبي عمرو فقط ، ولكن الفراء نفسه ذكر ذلك (نقله ابن فارس ، الصاحبى ص ٢٣ ، ١٩) وكذلك ابن هشام في بانت سعاد ص ٩٧ ، والمفضليات ص ٢٠) . وينبغي علينا هنا وبوضوح أن نقرأها الأزدي بدلاً من أسد .

١- ١١ - والتلثة معروفة في العربية الفصحى ، وأعني بذلك إخال . وذلك مستعمل في اللهجات العربية ، يقول أبو ذؤيب الهذلي (المفضليات ٣٢١)

فغبرتُ بعِرمهم بعِيشٍ ناحِبٍ وإخاك أني لاحقٌ مستبِعٌ
وطيء ، ومن المحتمل ألا تكون من قبيل التلثة أبداً ، بل لها أصل آخر . ولهجة أسد هي الوحيدة التي استعملت إخال (ابن هشام ، بانت سعاد ص ٦٩ ، المرزوقي

(١) يقصد ما يفتح فيه حرف المضارعة ، كذلك ما يكسر فيه الحرف نفسه . (الترجم)

في التاج ٣١٣/٧ ، المصباح ص ٢٧٧) . بما أن قبيلة أسد تنتمي إلى المنطقة التي تسودها التلتة ، من الصعب أن تستعمل صورة أخرى غيرها . ولنا أن نشك أنه قد حصل تصحيف حلت فيه أسد محل الأزد . وهذا أكثر الأمور احتمالاً ، لأنه يوجد أشكال أخرى من أخال لها صلة بالحجاز . وسواء اعتبرنا أخال شكلاً مبتدعاً قياساً على صيغة مضارعية أو شكلاً قديماً ، فإن الجمع بين الأزد وقريش له دلالة جغرافية ، وإن استعمل هذيل وطيء للصورة العربية الشائعة من إخال ، على صورة ما ، سيجعل الموقف في غرب الجزيرة العربية ، بناء عليه ، صعباً معقداً . (انظر الخريطة رقم ٧) .

الفصل السابع

شمال اليمن

a- ١ - إن اللهجات في شمال اليمن ، فيما نسميه اليوم تهامة وعسيراً يشيع فيها كثير من الملامح ؛ مما يجعلها تشكل مجموعة محدّدة المعالم ، تتميز عن وسط اليمن وجنوبها ، وعن مجموعة هُذَيْل - الحجاز وشمالهما ، بالرغم من صلاتها الوثيقة بهما معاً . وفي الواقع ، فإننا سنرى عند معالجة لهجة الحجاز ، أن اللغويين غالباً ما يعزّون ملامح اللهجة الحجازية ، (المكية) إلى لهجة كنانة . وعليه فإنه يمكننا أن نفترض أن اليمانيين في الشمال هم إحدى مجموعات غرب الجزيرة العربية ، وأنهم وصلوا حديثاً إلى تلك المناطق (التي يمكن أن يكون لسكانها السابقين علاقات بالأزد) ويمكن أن يكون له ارتباط بالعنصر العربي الذي نعرفه بأنه يشكل الجزء غير الحميري من سكان مناطق التحمير ، أو شبه اللهجات الحميرية . ويذكر الهمداني في كتابه صفة الجزيرة مجموعات متناثرة من القبائل اليمانية الشمالية جنوباً حتى حضرموت . في الواقع ، فإن وجود بعض الملامح ، الموصوفة في هذا الفصل ، في اللهجة المعاصرة في حضرموت يوحي بأن السكان العرب لتلك المنطقة قد جاءهم مدد وتعزيز من الموجة نفسها التي جاءت بالقبائل اليمانية الشمالية . ومن ناحية أخرى ، فإن ملامح معيّنة شائعة في شمال اليمن وطيء تظهر أن القبائل اليمانية الشمالية قد هاجرت هناك قبل الفترة التي تعرضت فيها للهجات هُذَيْل والحجاز في وسط غرب الجزيرة إلى التأثير المشرقي .

b- ٢ - وأكثر قوائم القبائل اكتمالاً في هذه المجموعة (انظر الفاتية) تذكر : كنانة ، حارث ، خثعم ، همدان ، عنبر ، هُجيم ، زُبَيْد ، مُراد ، عُذْره ، والأربع الأول فقط تذكر بصورة متواترة ، وهذا لا يعني عند ذكر قبيلة أو اثنتين في النقطة المبحوثة أن هذا الأمر لا ينطبق عليها كلها . وعلى الأرجح كذلك أن تشير بعض المعلومات المعطاة عن اليمن أو بعض اليمانيين إلى هذه المجموعة فقط . ومراجع ما قبل الإسلام حول هذه القبائل نادرة وغير وثيقة .

إن أبناء همدان الذين لعبوا دوراً مهماً في التاريخ السبئي ، لم يكن لهم بالتأكيد علاقة مباشرة بالقبيلة العربية (انظر : Hartmann, Arab, Frage, p. 264) وذو همدان المذكورة في

نقوش أبرهة ٣٤٥ م. (CIH, 541, Line, 85) قد تكون الوحيدة التي تشبه الأخيرة^(١).
ومن المحتمل ، بطريقة ما ، أن عرب همدان قد أخذوا اسمهم من شعب جنوب الجزيرة العربية ، كما أن عرب حِمير قد أخذوا اسمهم من هومريتيا Homeritae. وفي قطعة ممتعة في أخبار الأرحبي المختارة اقتبسها مولر (Muller, Sab., Denkm äter, p.38, note, 1) نخبرنا أن همدان ، حين كانوا بدواً يعيشون في خيام الشعر ، قد سكنوا المرتفعات وحاربوا ملوك حمير (وربما زعماء قبيلة همدان العربية الجنوبية) حتى نجحوا في استيطان الجوف . وفي رسالة الأسقف سوريا في بيت أرشم ، يعود لعام ٥٢٤م ، إن اسم ملك نجران أثد قد ذكر على أنه حارث بركعب (طبعة جويدي ، روما ، ١٨٨١ ، من ص ٩-ص ٢٠ ، ملاحظة ٣) الذي يعتبر بوجه عام إشارة مبكرة إلى قبيلة حارث . وفي جلاسر Glaser (100A, Line9) حرثو قد عدت من بين أقسام دثينة المختلفة . جرومان Grohmann: (Rhodokanakis, Altsab, Texte, p. 181) يشبهها بمجموعة صغيرة من رجال قبيلة الحارث في المنطقة التي ذكرها الهمداني (الجزيرة ٨١) . وهذه المجموعة القبلية قد حافظت على بقائها لأكثر من ألف عام! ولكن حرثو في (Glaser 1000A) شعب مستوطن ، ويسكنون البلدان والوديان التي تغلق ، ومن الممكن ألا يكون لهم أية صلة مع بلحارث .
c- ٣ - وكل ما نعلمه عن الفونيمات الصامتة في هذه المنطقة عبارة عن ملاحظة للجمحي (ديوان هُذَيْل ٣٧/١) تقول إن كنانة مثل هُذَيْل قالوا : يازعهم بدلاً من وازعهم^(٢) . وسيتم مناقشة هذه الكلمة بصورة أوسع في مكانها فيما بعد (انظر فصل ٨/ فقره (k) ولا يمكننا أن نقول أيضاً ما إذا كانت لهجة كنانة تشترك في تغييرات أخرى متأثرة بأشباه العلل في لهجة هذيل .
d- ٤ - تقول الحارث بَقَى في بَقِي (اللسان ٨١/ص ٨٥)^(٣) . وَفَنَى في فَنَى (اللسان ٢٠/٢٣ ، وفي النص تحريف)^(٤) . وهكذا غَيَّرُوا الياء والكسرة السابقة عليها

(١) أي تشبه همدان المعروفة . (المترجم)

(٢) قد جاء في اللسان مادة وزع : (قول خصيب الضمري .

لما رأيت بني عمرو ويازعهم أيقنت أنني لهم في هذه قود

وقال السكري : ولغتهم جعل الواو ياء) . (المترجم)

(٣) وقد نسبت فيه لطىء في ط دار المعارف : مادة بقي . (المترجم)

(٤) وهو في اللسان ط دار المعارف مادة فني : (فَنَى يَفْنَى نادر وقيل هي لغة بلحارث بن كعب . . .) . (المترجم)

والفتحة اللاحقة لها إلى ألف مفتوح ما قبلها (أي $iya > \bar{a}$) مثل طيء . وهذا ، بالرغم من أن هذه الأفعال لها معاملة مختلفة في الحجاز ، يحتمل أن يكون تطوراً قديماً في اللهجة العربية الغربية القديمة مشتركاً مع الكنعانية (انظر : Melilah, ii).

247

e - o - وحسبما جاء في نوادر أبي زيد (ص ٥٨) وفي الصاحبى لابن فارس (ص ٢٠) أنهم في لهجة الحرث يخففون أي^(١) إلى ألف (\bar{a} - فتحة طويلة) التي تنطق ألفاً أي فتحة طويلة أو ألفاً مُمالة ، ولكن يجب أن يكون مفهوماً وضوح الفرق بينها وبين إمالة هذه العلة المركبة إمالة شديدة نحو الكسرة . وهو الأمر الذي يحصل عادة في اللهجات الدارجة . والأمثلة على ذلك «علاها» في عليها ، «والسلام علاكم» في عليكم . ويستشهد الخليل بصيغ لهجية ، دون أن يعين مصدرها ، (وقد اقتبسها الأستراباذي في شرح الكافية ١٢٤/٢) وهي إلاك في اليك ، ولداك في لديك ، وعلاك في عليك . ولهجة حضرموت المعاصرة تخفف الياء الساكنة المفتوح ما قبلها (أي = ai) بإمالة فتحة فاء الكلمة إمالة شديدة نحو الكسر مثل : إِيضاً في أيضاً ، وعَيْن في عَيْن (لندبيرج ، العربية ٨٣/٣ Arabica)^(٢) ، وبما يتصل بهذا وله دلالة أن لهجة اليهود المعاصرة في وسط اليمن ، وهي إحدى اللهجات العربية المعاصرة القليلة التي احتفظت بالياء الساكنة المفتوح ما قبلها ، وفي الوقت نفسه يخففونها أحياناً بقلبها فتحة قصيرة أو فتحة طويلة^(٣) ، وعلى سبيل المثال : وَأَن في أين ، وعَان في عَيْن (الحرف) ، وما إلك في إليك (جويتين ، Goitein, Jemenica, p. xvii) وقد ظهر في العبرية أيضاً ياء ساكنة مفتوح ما قبلها ai في مقابل الكسرة الممالة ة مثل : ما في تل العمارنة giezi في العبرية qayis ، وفي الوقت نفسه توجد بعض الصيغ التي حصل فيها تخفيف للياء الساكنة المفتوح ما قبلها (ai) إلى فتحة طويلة \bar{a}

(١) أي يقلبون الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها (ai وهي ما يصطلح على تسميتها diphthong العلة المركبة) ألفاً . (المترجم)

(٢) وحسبما ذكر هارتمان (OLZ, xii, 28) أن هذا التغيير منتظم في لهجة جبال النصيرية في سوريا . (وفيما أعلم فإن هذا التغيير يحصل في اللهجات العربية الحديثة كلها بوجه عام) .

(٣) أي قد تقلب فتحة أو ألفاً . (المترجم)

(Bauer-Leander, Histor. Gramm. P. 202) وقد تكون هذه ، كما يرى باور وليندر Leander ، أبنية لهجية ، ولكن بالمقارنة مع لهجة يهود اليمن يمكننا أن نفترض أن التخفيف إلى الألف^(١) قد حدث عفويًا في ظروف لم يمكن التحقق منها بعد . وفي الآرامية اليهودية في فلسطين احتفظ غالباً بالياء الساكنة المفتوح ما قبلها ai ، في مقابل الكثير مما يحصل في اللهجات الآرامية الأخرى من تخفيفها إلى الألف^(٢) (انظر : الأمثلة في (Dalman, Gramm. P. 90) وعليه ليس من الضروري أن نعتبر (علاها) في الآرامية الترجومية من قبيل المماثلة كما فعل كانتينو (Cantineau, BSL, xxxviii, 160, note, 1) وفي الواقع فإن لدينا شكلاً يتطابق بدقة مع شواهد لهجة الحارث . وفي لهجة الحارث ، أيضاً ، ليس كل ياء مفتوح ما قبلها ai يحصل لها تخفيف . وقد تكون صيغة كَلِي التي سندكرها لاحقاً (في الفقرة ٩) واحدة من التي تنطق حقاً دون تخفيف . ولم نجد في مكان ما أية معلومات مباشرة في هذه الأيام في حضرموت على نطاق أوسع . وستتضمنها القصيدة موضوع المناقشة في الفقرة ٨ الآتية ، ويبدو أنها ليست خاصة بلهجة الحارث .

f-٦ - إن المثني في شمال اليمن له صورة واحدة في حالة الرفع وحالات الانحراف الأخرى ، أعني الألف والنون المكسورة ، وتحذف النون عند الإضافة . وأقدم معلومة عن هذا تأتينا من الفراء (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م) في معاني القرآن (اقتبسها بيك. Beck, Orientalia, xv181) الذي سمعها من رجل من الأسد (ويجب أن تكون بلا شك الأزد ، لأن «أسداً» لا تستعمل معها أداة التعريف أل) ويستشهد ببيت من الشعر لحارثي مجهول (وهو البيت الذي يبدأ بكلمة أطرق^(٣)) في الفقرة ٨ الآتية) . ولم يذكر أبو زيد (في النوادر ص ٥٨) سوى الحارث^(٤) ، وكذلك

(١) أو الفتحة الطويلة ā . (المترجم)

(٢) أو الفتحة الطويلة ā . (المترجم)

(٣) يقصد البيت :

وأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساعاً لناباه الشجاع لصمماً

(٤) في المصادر العربية تذكر الحارث كما في النوادر ١٦٩ ، ٢٥٩ ، وفي شرح الكافية ١٧٢/٢ ، الحارث ، (المترجم)

الأخفش (في المغني لابن هشام ٣٧/١) وابن مالك (في التسهيل ص ٣) ،
والأستراباذي (في شرح الكافية ١٧٢/٢) وأضاف في اللسان (١٦/١٧٢) كنانة .
وفي صفة جزيرة العرب للهمداني (ص ١٣٥) وفي جمع الجوامع (٢١/١) ، وفي
الإتقان ص ١٩٢ للسيوطي ، الحارث وكنانة خُتَمَ . وأوفى قائمة في جمع الجوامع
٤٠/١ حيث عزاها بالإضافة إلى ما جاء في الفقرة ٢ من هذا الفصل إلى لهجات
تقع في شرق الجزيرة مثل بكر بن وائل وبطون من ربيعة . ومثل هذه الحالة تظهر
في شعر جرير التميمي (اللسان ٣٥/١٢) .

g-٧ - ومعاملة المثني معاملة المفرد في جميع الحالات قد ورد عن بعض القبائل الأخرى ،
التي تقرن النون بحركة أخرى غير الكسرة وهي الفتحة الطويلة (الأشموني ١٧/١
شرح الكافية ١٧٢/٢) ، أو ينهونه بالحركات الإعرابية كالاسم المصروف نحو :
رَجْلَانِ ، رَجْلَانْ ، أو بالتثنية . . . الخ ، وكما هو مفترض فإن بعض العرب تفعل
الشيء نفسه مع جمع المذكر السالم (الصبان ٧١/١) . وبناء على ما ذكره
هول Howel (٢٦/٤) فقد عزا ابن عقيل هذه الصورة إلى ضبة في شمال غرب
الرُّبْع الحالي ، ولفظ ضبة غير موجود في النص المطبوع لابن عقيل . وإذا كان تمرکز
الصيغة صحيحاً فإننا نكون قد حصلنا على منطقة لامتداد المثني الذي يعامل
معاملة المفرد تقطع حدود مجموعة هذه اللهجة (انظر : الخريطة رقم ٨) . وأكثر من
ذلك فإنه من غير المحتمل وجود الألف والنون المكسورة في المثني المنحرف عن
صيغته الصحيحة في الحجاز (انظر : الفقرة ١٣) بالرغم من أن الدليل هناك غير
حاسم .

من بين اللهجات المعاصرة ، إن لهجة حضرموت هي الوحيدة التي تستعمل الألف
والنون ، في جميع الحالات الإعرابية بالطبع ، وليس من الواضح تماماً ما إذا كانت الحركة
ألفاً خالصة أو حركة مائلة نحو الكسرة التي تبدو وكأنها صورة مخففة من الياء المفتوح ما
قبلها (انظر : لنديبرج ، حضرموت ، ص ٣٥٢)^(١) . إن الانتشار الواسع للمثنى الذي يُعامل
معاملة المفرد يحول دون فكرة أن هذا الأمر ليس إلا مجرد استبدال صوتي للألف والنون
المكسورة من الياء المفتوح ما قبلها والنون المكسورة في حالتها النصب والجر ، بل إنها

(١) المثال الذي سجله لنديبرج من اللهجة هو أَيْدَان idan (يدان ، مقبضان) على الأقل في بعض النصوص
يُحتفظ بـ "من ai من العامة الخاصة التي أخذ منها لنديبرج صيغته .

توافق إلى حد ما رأي كايلا: (Z. syntax in verbaler Abhängigkeit stehenden Kaila: Nomens, Helsingfors, 1906, p.10, etc.)
 المثنى وجمع المذكر السالم في اللغات السامية إنما هو طريقة جديدة متأخرة في الأداء .
 (انظر : عكس هذا الرأي : كمبفاير ZDMG, liv, 657: Kampfmeier وكذلك كوني La catégorie du duel, Bruxelles, 1931, p. 13) وبالنسبة للغات السامية الجنوبية فإن ذلك
 ثابت للعربية الجنوبية (انظر : بروكلمان : GVG, i, 457) . إن استعمال الياء المفتوح ما قبلها
 والنون المكسورة الحالتي النصب والجر في المثنى هي طريقة جديدة نسبياً على العربية ،
 تغلغت إلى غرب الجزيرة وشرقها عن طريق بادية الشام وهو الطريق الطبيعي لمثل هذا الأمر ،
 ولكنها تصل إلى لهجات نائية معينة فيهما كليهما^(١) . إن وجود مثل هذه المناطق غير
 المتصلة من الاستعمالات القديمة على حدود منطقة لغوية ما هو ظاهرة معروفة تماماً في علم
 اللغة الجغرافي .

h - ٨ - ولهذا فإن خير ما يثبت صحة هذه الخصوصية لل لهجة شمال اليمن ، هو ما نملكه
 من الشواهد . يستشهد الفراء بعبارة سمعها : هذا خط يدا أخي أعرفه (انظر :
 Orientalia, xv, 181) ويستشهد كذلك بشعر مجهول القائل (في الأشموني
 : ٧١/١)

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساعاً لناباه الشجاع لصمماً^(٢)

ذكر (ناباه) في نابيه . وهذا البيت لشاعر من شرق الجزيرة العربية وهو المثلثس (I, 14, ed. Vollers, Beitr. z. Ass., v, p. 170) والأزهري استشهد به (في التاج ٩٦٣/٣١) بقوله ،
 إن الفراء قد استشهد به على اعتبار أنه يمثل بعض لهجات العرب القديمة . وهذا يؤيد ما
 ذهب إليه السيوطي من أن هذا أحد ملامح لهجات شرق الجزيرة العربية أيضاً . وهناك بيت
 آخر استشهد به الفراء (سيبويه ٧٢/١ ، الزجاجي ، الجمل ص ٣٦ ومراجع أخرى) :

(١) غرب الجزيرة وشرقها . (المترجم)

(٢) البيت للمثلثس وهو جرير بن عبد العزى (الديوان/ص ٢) وليس مجهول القائل ، وقد ذكره المؤلف فيما بعد
 (انظر : ابن يعيش ١٢٨/٣ ، الأشموني ٥٩/١ ط محيي الدين) والشجاع : نوع من الأفاعي ، وصمم : بمعنى
 عض . وقال في الأشموني : «في المثنى لغة أخرى وهي لزوم الألف رفعا ونصباً وجرأ وهي لغة الحارث بن
 كعب ، وقبائل أخرى» . (المترجم)

إذا ميت كان الناسُ صنفان : شامتٌ

وآخرُ مُثْنٍ بالذي كنتُ أصنعُ^(١)

وفيما أعلم فإن استعمال (صنفان) في (صنفين) لم يناقش على أساس أنه شكل من الأشكال اللهجية في كل ما تلاه من مناقشات . والشاهد الثالث بيت استشهد به ابن عقيل ، على افتراض أنه منسوب لضبة :

أعرف منها الجيدَ والعينانَا

ومنخَرَيْنِ أشبها ظبيانَا^(٢)

حيث ذكر (عينانَا) بدلاً من (عينين) ، مع احتمال أن يكون في الأصل (منخران)^(٣) بدلاً من (منخرين) . وقد استشهد ابن فارس (الصاحبي ص ٢٠) ببيت آخر مجهول القائل : وفيه بين أذناه بدلاً من بين أذنيه^(٤) . وأخيراً توجد سلسلة من الأبيات الشعرية تعتبر المعبر الحقيقي عن إحدى مميزات لهجات شمال اليمن ، ويحتمل أن يكون قد تم وضعها من قبل المحاكاة الساخرة لهذه اللهجات . ويبدو أن الخليل (١٧٥هـ/٧٩١م) مصدرها الأول ، الذي يستشهد بها فقط على أساس أنها أنموذج للهجة مجموعة غير معينة من العرب . وقد عزاها بعد ذلك أبو زيد (في النوادر ص ٨٥) إلى اليمانيين ، والجوهري (الصحاح ٥٢٢/٢) إلى لهجة الحارث ، وفي مكان آخر عزاها لرؤية ، من قبيلة ضبة . ولا تتضمن الأبيات ما يجعل نسبتها إلى ضبة شيئاً متعذراً . وحينما سأل أبو حاتم أبا عبيدة (٢١٠هـ/٨٢٥م) عنها أجاب الأخير : أنقُطَ علَيَّه (وكأنه مشكوك فيه) ، هذا من قول المفضل (اللسان ٣٢٢/١٩) حتى ولو كانت من ابتداعه ، فإن للأبيات قيمة تتمثل في أنه اعتبرها (وهو الذي مات ١٧٠هـ/٧٨٧م) من الملامح البارزة للهجة موضوع الدرس . وبما أنه هو نفسه من ضبة ؛ فإن

(١) قائله : العجير بن عبد الله السلولي . (المترجم)

(٢) الحقيقة إن ابن عقيل لم ينسبه لأحد بل قال : وقد قيل إنه مصنوع ولا يحتج به . (شرح ابن عقيل ٧٢/٧١)

ط محمد محي الدين ، ط ٢) . (المترجم)

(٣) والرواية في نوادر أبي زيد ص ١٦٨ ط ؛ دار الشرق (منخران) وليس منخرين وهو الذي نسب لرجل من ضبة

وهو ثقة كما أخبر سيبويه ، وهو ما يؤيد احتمال المؤلف . (المترجم)

(٤) يقصد البيت :

تزود منا بين أذناه طعنة دعت إلى هابي التراب عقيم

انظر : شرح المفصل ١٢٨/٣ ، واللسان مادة هبا وينسبه لهويز الحارثي ، وهابي التراب ما ارتفع ودق . (المترجم)

من المحتمل أن تشير إلى لغة تلك القبيلة . والخارج عن المألوف تجده في أكثر من مكان .
وعليه فإنني سأذكر هنا ما يتاح الاستفادة منه ، والاختلافات بين قوسين :

أي قُلُوص رَاكِب تَراها (قُلُوص رَاكِباً)
شَالُوا عَلاَهُنَّ فَشَلَّ عَلاَهَا (طَارُوا فَطَرِ)
وَاشْدُدْ بِمِثْنِي حَقَبَ حِقْوَاهَا^(١)

نَاجِيَةٌ وَنَاجِيًا أَبَاهَا (نَادِيَةٌ وَنَادِيًا)^(٢)
إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا

قد بلغا في المجد غايتها

i- ٩ - إن (كلا) في العربية الفصحى ، لا تتغير إذا أضيفت إلى اسم ظاهر^(٣) ، ولكنها تتغير إلى (كَلِيٍّ) حين تضاف إلى الضمير^(٤) في حالتي النصب والجر . وفي لهجة كنانة ، بناء على ما أورده الفراء ، (في أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٨٥ ، ط فينا) فإنها حين تضاف إلى الاسم وفي حالة جرها تتغير إلى (كَلِيٍّ) أيضاً ، ولكنها تبقى في حالة النصب (كلا) . ولكن ابن مالك (في التسهيل ٣ ، وانظر كذلك شرح الكافية للأستراباذي ٣٢/١ ، والسيوطي في جمع الجوامع ٤١/١) يقرر أن (كَلِيٍّ)^(٥) كانت تستعمل في حالتي الجر والنصب ، ولكن يبدو أن هذا من قبيل

(١) في اللسان مادة علا : حَقْوَاهَا (والْحَقْوَهُو الخافضة) بفتح الحاء وليس بكسرها كما وردت عن المؤلف والأمران جائزان . (المترجم)

(٢) يذكر أن نادية ونادياً قد جاءت في الصحاح (استشهد بها فريتاج Einführung, p. 79: Freytag) وقد ذكر البيت شاهداً على أن لهجة عامر تغير الدال جيماً . (ولكنها في اللسان نادية ونادياً أيضاً على أنها لغة بلحارث بن كعب . والأبيات تنسب في النواذر ص ٢٥٩ لبعض أهل اليمن ونسبها الجوهري لرؤية ، وتنسب في مواطن أخرى لأبي النجم العجلي والقُلُوص هي الفتية من الإبل والناجية هي الناقة السريعة ، والحَقَب : الخزام) . (المترجم)

(٣) حيث يقال : كلا الطالبين حضر . (المترجم)

(٤) فيقال في حالتي النصب والجر : رأيتهما كليهما ، ومررت بهما كليهما . (المترجم)

(٥) ولا يوجد في المصدرين اللذين أشار إليهما (وهما : شرح الكافية ، والجمع) ما يدل على تقرير ابن مالك هذا . (المترجم)

التنظيم المنهجي الذي كان ابن مالك مغرماً به عند معالجته للمواد اللهجية . ويبدو أن هذا يتعارض مع كل ما قيل في الفقرة الأخيرة عن المثني في هذه اللهجات ، ولكن في حالة ما إذا اعتبر أحدهم كلا (كلان) صيغة حقيقية للمثنى (بروكلمان 1972/1) يقول : إنها مفردة لفظاً ومثناة معنى . وهي في اللغة الأوجاريتية مفردة كِلَات (Gordon, Grammar, p. 34) ولكنها في المؤابية تدل على المثني فيقال : كلثي هئشوح KI'y h'swh أي كلا الحزانين (Meshah' 23) ، وفي العبرية Kil'ayyim (كَلَايِيم - نوعان) وتنتهي بعلامة التثنية الملحق بها ، كما في الاثيوبية كِلْي (Kel'e⁽¹⁾ والجذر كل' KI' (يكبح ، يقيّد) ، ويبدو أن المعنى الأول للكلمة هو النّير . وصيغة فعال العادية منها هي كِلَاء ، التي أصبحت في معظم اللهجات كِلَا (هـ) من خلال الخلط بين الألف الممدودة والألف المقصورة . والتركيب المجرور لها كان كِلَاثِي Kilā'i ، والمنصوب كِلَاء : Kilā'a في لهجة غرب الجزيرة العربية ، حيث تسهل الهمزة تصبح الصيغة كِلْي وكِلَا أي الصيغتين الكِنَانِيَّتَيْن . إن العلة المزدوجة ، في أصلها الجديد ، قد حوفظ عليها هنا ، حتى الياء المفتوح ما قبلها ai الأقدم يمكن أن تكون قد حصل لها تخفيف . (انظر : فقرة هـ السابقة) وقد يكون لهذه الألفاظ امتداد أوسع ، له اعتباره أكثر مما تظهره استشهاداتنا . حيث في الغالب ما تمثل أو ترمز إلى لهجة مكة والحجاز . إن نطق كِلْي قبل الأسماء مرهون بصورتها المكتوبة ، وغالباً ما نجد كِلْي بدلاً من كلا (Wright, ii, 214 B) ، ومن ناحية أخرى ، فإن بعض العرب يثبتون الألف في «كلا» في كل الأحوال حتى في حال إضافتها إلى الضمائر (الأستراباذي ، شرح الكافية 32/1 ، عن المغني ولكن من طبعة أخرى غير الطبعة التي بحوزتي) . وهذه اللهجات هي التي ثبت فيها اللفظ بالألف المقصورة بشكل راسخ . وبما أن (كلى) بالألف المقصورة يجب أن تكون في العادة بالألف (كلا) وليس بالياء المفتوح ما قبلها ai وذلك حين وقوعها مضافة في العربية الفصحى ، فإنه يمكن أن

(١) وفي الإثيوبية كلمتان أخريان تنتهيان بما تنتهي هذه الكلمة وهما : (haquē) أي السنام) ، (edē-hu) (يده) وهما كلمتان مفردتان لفظاً ولكن يبدو أن لهما دلالة المثني ، ولكنهما خصصا للمفرد بعد إلغاء المثني .

ترجع (كَلِي) قبل وقوعها مضافة إلى كِلَائي ، Kila'i في جميع اللهجات العربية (ربما عن طريق انتشار لهجات غرب الجزيرة) ، وقد احتفظ بها خلال وجودها في وسط الكلمة ، بينما الصيغة المعتمدة قبل الأسماء تتغير على غرار ما تتغير به الأسماء العادية في غير لهجات غرب الجزيرة .

k- ١٠ - في لهجة سفيان بن أرحب ، وهي بطن من همدان منازلهم بين خيوان وصعدة ، يسمع السامع التعبير : رأيت أخواك (الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ١٣٤) . وهذا يفسح المجال أمام تفسيرين . إذا اعتبرنا (أخواك) مثني الأخ ، لدينا شاهد آخر للمثنى بالالف في حالتي النصب والجر ، في حين أن هناك مثلاً آخر قد ذكر في البيت نفسه (انظر : الفقرة ٧) . ترى ما الذي دعا الهمداني أن يلاحظ هذا الاستعمال الشائع في شمال اليمن فقط نسباً إياه إلى مجموعة مغمورة من البدو؟! لم نستطع معرفة ذلك . ولكنه من المحتمل أيضاً أن تكون (أخواك) جمعاً لأخت : سادة مسد أخواتك . وسنرى (في الفصل الرابع عشر-الفقرة الأخيرة) أنهم في طيء يسقطون التاء من جمع المؤنث السالم في الوقف ، وإن هناك صوراً مشابهة ما زالت جارية على الألسنة في نجد وسوريا . ولا بد أن يكون الحذف قد ذهب بعيداً بصورة لا بأس بها بين بني سفيان ، منذ أن كان إسقاط التاء متاحاً ليس فقط في وصل الكلام ولكن قبل اللواحق ، والخبر كله فيه لبس وغموض شديد بالنسبة لنا يصعب معه إدراك أي قيمة فيه .

١١ - ١ - واعتماداً على ما ذكره ابن يعيش (ص ٦٢) من أن قبيلة الحارث تستخدم (أبا) وعند تنكيره يقال (أباً) بدلاً من (أب وأبو) الخ . وابن هشام (في المغني ١/١٨١) يذكر هذا باعتباره شكلاً استعمله بعض العرب ، الذين يقولون أيضاً (أخا) في الأخ . إن الأمثلة قد ذكرت في قطعة الشعر المستشهد بها في الفقرة ٨ وفي المثل : مُكْرَه أَخَاكَ لَا بَطْلُ (الميداني ط فريتاغ ٢/٦٩٩ ، وط بولاق ٢/٢٢٨)^(١) . وأما نولدكه (ZDMG, xlix, 321) فينكر أن تكون (أبا) من مبتكرات النحاة ، وإن صيغاً مشابهة في نماذج مختلفة من العربية الدارجة يذكرها مواطنون يمنيون . ففي حضرموت يُقال (با) في (أبو) (Landberg, Arabica, iii, 81) ، والصيغة نفسها

(١) وفي كلتا الطبعتين يوجد أخوك ، وأما (أخاك) فهي من ابتداء النحويين . (المترجم)

شائعة في الفارسية ، حيث أنه مستفاد ، دون ريب ، من العرب الذين هاجروا في وقت مبكر . وفي تلمسان نجد (خاي) أي أخي إلى جانب (بوي) أي أبي (انظر : بروكلمان (GVG, i, 331) وفي فلسطين يسمع السامع عند الانفعال (يابي) ^(١) ، وهذا يشبه ما يقال في وسط اليمن (يا أبه) (Goitein, Jemenica, p. 104) و(أبا) الأثيوبية باعتبارها لقباً إكليريكياً قد تكون مقترضة من الآرامية ، ولكن المهرية فيها abäyye (أباي) أي البابا ، و abāt (أبات) أي الأب . والصورة الاسمية الأخيرة توحى بأن (يا أبت) التي جاءت في القرآن الكريم قد تطورت هي الأخرى من (أبا) . وفي المشناة العبرية (أبا) أي أبي ، و(إما) أي أمي ، وكلتاها تستعمل في النداء ، وأسماء عادية (فقد جاء على سبيل المثال في : San hedrin, iii, 2 نِثْمَانْ عَليّ أَبَا ne'emān 'alai 'abbā 'abbāhā (إنني أثق في أبي) ونِثْمَانْ عَليّ ابهيخا ne'emān 'alai 'abbāhā (إنني أثق في أبيك) . وأنه من الصعب التصديق أن هذه الكلمة المألوفة قد أخذت من الآرامية (حيث أبا تستعمل عند التوكيد) ^(٢) . ولدينا الآن صيغ النداء العربية المألوفة بالألف (Wright, ii, 87D) وتمثل غالباً النداء في السامية الأولى . وبما أن الألف غالباً ما تذكر في الحالات التي تتضمن ضمير المتكلم كان مفهوماً أن تكون مرادفة لضمير المفرد المتكلم ، وتستعمل أحيانا لأداء معنى غير النداء . والمثال على ذلك بيت شعر مجهول القائل الذي يحتوي على الكلمات الآتية :

«ثم أوي إلى أمّا» (العيني ٤٢٧/٤ وفي مواطن أخرى) . ويرى باور وليندر (Bauer and leander, Histor. Gramm. p. 450) أن الحركات الطويلة ^(٣) في إعراب أب . . . الخ كان قد أقيم على قياس خاطيء على (أبا) ، باعتبار أنها في حالة النصب .
m - ١٢ - إن التوسع في الثنائي الجذور بالألف سيكون له امتداد أوسع ، للخروج من لفظي «يدا» (انظر : وربما الأثيوبية إديك - 'dēka) ودَمَا ، قال به سيبويه (واستشهد به

(١) بالباء المفخمة والياء المشددة وليست ياء واحدة .

(٢) حقاً في الإنجليزية يقول طلاب المدارس Pater الأب والأترك Peder . وكلتا الكلمتين من لغتين مختلفتين وتوظفان للتهذيب والتعليم . مما يعني أنه لم يكن للآرامية علاقة بالعبرية ، ولكن كان لها علاقة بالعبرية الحديثة في العصور المتأخرة .

(٣) أي الإعراب بالحروف . (الترجم)

الأستراباذي ، شرح الكافية ٥٧١/٢(*) ، بحكم أنهما تختصان بلهجة معينة :
ويمكننا أيضاً دون تدقيق أن نذكر لهجة أخرى مختلفة في أب وأخ ، ولسوء الحظ
مرة أخرى لم يذكر موطنها : أب^١ (ابن مالك في التسهيل ، نقلها لين Lane
ص ٤) . وأخ^٢ (ابن الكلبي في الجمهرة ١٥/١) . وهذه تذكرنا بحالة التوكيد الآرامية
أب - abba (انظر أيضاً ألفاظ المشناه العبرية المستشهد بها آنفاً) وبالكلمة العبرية ،
أخيم < أَخِيم . (انظر : Bauer-Leander, Hist. Gram. p. 615) .
m-١٣ - إِنَّ همدان تقول بدلاً من هُوَ وهِيَّ : هُوَ ، هِيَّ بالحركة الطويلة^(١) (ابن
مالك في التسهيل ص ٨ ، الأستراباذي ، شرح الكافية ١٠/٢ وما بعدها) ، (انظر
نولدكه Zur Gramm. p. 13) . ومن شواهد شعرية نعلم أن هذه الصيغ تستعمل
في أكثر من منطقة متسعة .

وإن أشكلاً من غط هُوَ وهِيَّ شائعة في كثير من اللهجات الداريجة المعاصرة (وعلى
سبيل المثال في سوريا ، (انظر Driver, Grammar, P. 25) وليس من الواضح تماماً على أي
أساس قد حلت هذه محل هُوَ ، وهِيَّ - hū- hī ، ومستعملة في كثير من اللهجات الداريجة ،
ومن بينها لهجة وسط اليمن (Mittwoch, Aus dem Jemen P. 52. 58) . ومن ناحية أخرى
يبدو أن هناك صلة محدّدة بين : هُوَ ، وهِيَّ وبين هُوَ ، وهِيَّ في لهجات داريجة معينة
(العراق ، دثينة ، انظر : (Barth, Pronominalbildung, p. 1) من العربية الجنوبية ، ومن
الأثيوبية الأولى (البدائية) (انظر : Brockelmann, GVG, i, 303) والعبرية . ويختار المرء ما
إذا كانت الصيغة التي تنطق كما في اللهجة العربية الغربية ، ليست هُوَ بحذف الهمزة
منها . (انظر فصل ١١ - فقرة bb) .
o-١٤ - إن (مِلْ) المخففة من «مِنَ ال» (أو من ال- انظر فصل ١٤ - فقرة gg) تذكر بكثرة
في الشعر في جميع جهات الجزيرة العربية (Brockelmann, GVG, i, 263; Schwarz,

(١) يقول في شرح الكافية ١٠/٢ : «ويشذبهما همدان» أي ينطقان هُوَ وهِيَّ في همدان ، ولكن المؤلف
رأى أن يتبعهما بقوله بالحركة الطويلة أي يقصد هُوَ كما رسمها hūwa ، وهِيَّ كما رسمها hīya
وكتبتهما أيضاً 'huwwa' ، و hiyya فكانه مختار والأولى الأخذ بما جاء في شرح الكافية . (المترجم)
(*) يُقْنَدُ البيت الذي يقول (صاحبه مجهول) :

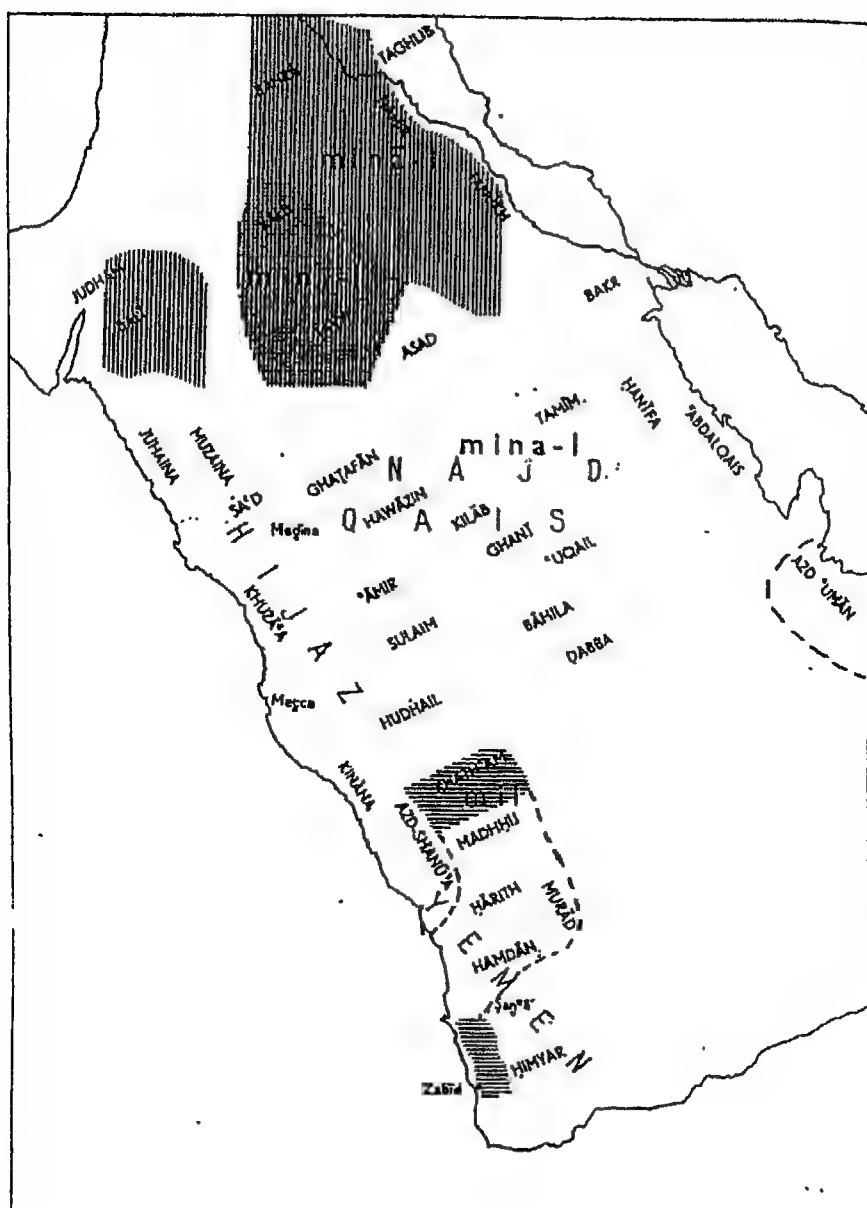
كأطوم فقدت برغزها أعقبتهما النس مني عدما
فقدته فأتت تطلبه فإذا هي بمظالم ودما (الخزائن ٤٩١/٧ ، ٤٩٣) .

(Umar, iv, 111) ، (واللسان ٢١٣/٧١) يذكرها باعتبارها شكلاً سائغاً وجائزاً دون الرجوع إلى لهجة ما . على كل حال ، فإن الرافعي (تاريخ آداب العرب ١٣٩/١) يقول ، دون ذكر المصدر ، أن هذا التخفيف كان خاصاً بلهجات خثعم وزبيد . وربما كانوا يستعملونها في هذه المناطق في النثر أيضاً . وهذه الصيغة نادرة في اللهجات النادرة ، ولكن نطقها يحدث في عُمان (Reinhardt, P.101) وفي حلب (Driver, Grammar, P.214) وكان التأثير اليماني قوياً في سوريا ، ولُعُمان روابط لغوية متينة مع تهامة اليمن ، وهكذا يتوافق خبر الرافعي مع البقايا المعاصرة . والاستعمال الشعري الشائع لـ (مِلْ) يحتاج إلى توضيح . إن لفظ «مِنَا» في مِنْ ، تُعزى إلى قضاة (الليثاني في اللسان ٣١١/١٧) .

واللفظ العربي الشائع لِمِنْ قبل أداة التعريف هو (مِنْ-لْ) ، ولكنه قد اشتهر عن طيء وكلب أنها قد استخدمتا بدلاً منها «مِنْ-لْ» (اللسان ، السابق نفسه) ويبدو أننا سنواجه بصورتين من اللفظ في منطقتين : أحدهما ينتهي بحركة أصلية مُسَلَّم بها دون تخفيف ، والأخرى قبل ألف الوصل حيث تأخذ الحركة الحيادية مثل الكلمات التي تنتهي بأصوات صامتة ، وفي الوقت نفسه تسلم من التخفيف ، مثل مِنْ العبرية^(١) (Gesenius, Gram mar, 1026) والصور الجارية الاستعمال قد تركزت تقريباً في الجهات المتقابلة في الجزيرة العربية ؛ والمنطقة المتداخلة لا تستخدم فيها الصورة المخففة إلا في الشعر ، الشاهد الفصيح في علم اللغة الجغرافي ، ولسنا بعيدين ، خاصة بالنظر إلى الصلة العبرية ، عن اعتبار الصورة المخففة ، عديمة الحركة ، صورة عربية غريبة . وسنعث على حالات أخرى مشابهة للنون في الحجاز . ويذكر أبو اسحق (الزجاج في اللسان ٣١٢/١٧) عَلْ في عَن-ال كتخفيف محتمل آخر . وهذا يقل نوعاً ما ، سريانه في النصوص (انظر : الخريطة رقم ٩) .

p-١٥ - في النص نفسه ، وربما من المصدر نفسه ، يخبرنا الرافعي أن تخفيف على إلى عَلْ ، على نفس القدر من الشيوخ في الشعر ، ويقع ذلك في لهجة الحارث ، وعلى النقيض من (مِلْ) فإن عَلْ هي القاعدة في اللهجات الدارجة أينما كان (انظر : Fisher, ZDMG, Iviii, 797; Brockelmann, GVG, I, 263, 497) ولكنها^(٢) في

(١) وقد احتفظت الأثيوبية بالصورتين هما : مِنْ وَاَم ، والصورة الأخيرة تجعل الإنسان في حيرة إذا ما كانت صورة اللفظ في العربية الجنوبية أ هي حقاً مِمْ مِنْ .
(٢) أي الصورة المخففة من على . (المترجم)



خريطة رقم (٩) من قبل ال التعريف

لهجتين فقط تكون سبباً في استحداث حرف جر جديد هو (ع) من على : في عُمان (Reinhardt, p. 94 seq) وفي سوريا (Driver, Grammar, p. 214) وهما اللهجتان اللتان احتفظتا بـ (مِلْ) وهذا مرة أخرى يؤيد خبر الرافعي . وبالطبع فإن سبب ظهور (عَلْ) وانتشارها بشكل واسع ، مختلف تماماً عما هو الحال في مِلْ . إنه النزعة إلى التيسير والتسهيل (Brockelmann, GVG, I, 97). (١)

١٦-q - إنهم في كنانة يقولون نَعِم بدلاً من نَعَمْ (ابن مالك في التسهيل ٦٨ ، الزمخشري ، المفصل ، ص ١٤٥ وما بعدها) وفي اللسان (٦٩/١٦) حكاية عنها ، وهي عن رجل من خثعم (٢) . واللفظ بهذا الشكل كان شائعاً في لهجة غرب الجزيرة ، وقد عُزيت لهذيل والحجاز . وهناك شعور قوي بأنها صيغة صحيحة للهجة غرب الجزيرة حتى إن الكسائي قد قرأ بها (السيوطي ، الجمع ٧٦/٢) (٣) . وهذه بالطبع صيغة أقدم (انظر : نَعِم > نَعَمْ ، والعبرية نَعِيْمُ) . وقد احتفظ في لهجة غرب الجزيرة نظراً لغياب روح التوافق الحركي (انظر : الفصل العاشر-الفقرة ٦) .

١٧-r - وفي حدود علمي ، لم يُذكر تفسير حقيقي مُرضٍ للعبارات الظرفية من نوع ذات يوم ، ذا صباح في تعدد هذا النوع من العبارات ، (انظر اللسان ٣٤٥/٢٠ ، ٣٤٧) . ومن الجدير بالملاحظة إزاءها أن (ذا) وأمثالها لا تأثير لها في المعنى ، والعبارات تصبح مرادفة لكلمة (يوماً) ، الخ . وشبيه بهذا نستطيع أن نذكر : على ذات حَدْته أو من ذي حَدْته بدلاً من على حَدْته . وأرى أن ذا ومثيلاتها هنا أدوات إشارية ، متصلة بـ (ذا) المستخدمة في الاستفهام (٤) (في العبرية زه- Gesenius, Grammar, 136c Zeh-) وهي على أي حال في ذهن المتكلم العربي لا ترتبط بذا التي بمعنى هذا بل بذى التي بمعنى صاحب . وبناء على ما ذكره سيبويه (٩٥/١) من أن لهجة خثعم تصرفت في (ذا) كالاسم (ذو) . وقد

(١) اعتماداً على هارتمان (Hartmann, OLZ, ix, 578) فإن ع قد ذكرت في نقش النمارة في (ع كدي ، السطر الثاني) .

(٢) لعله يقصد ما جاء في اللسان مادة نعم : «في حديث قتادة عن رجل من خثعم قال : دفعت إلى (النبي صلى الله عليه وسلم) وهو بمنى فقلت : أنت الذي تزعم أنك نبي؟ فقال : نَعِم وكسر العين هي لغة في نَعِم بالفتح التي للجواب» . (المترجم)

(٣) حيث جاء فيه : «وكسر عينها (أي نعم) مع فتح النون لغة لكنانة وبها قرأ الكسائي» . (المترجم)

(٤) لعله يقصد المستعملة مع ما في (ماذا) . (المترجم)

خرج بهذه النتيجة من بيت شعر لرجل من خثعم هو أنس بن مدرك (أو مدركة ، انظر (Schawahid-indices p.20) ، أوْثَيْك ، (انظر سيبويه كما استشهد به في اللسان ٣/٣٢٣) :

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ
لَأَمُرَ مَا يُسَوِّدُ مَنْ يَسْوَدُ^(١)

ويفسره سيبويه : «عزمت على أن أقيم ذات صباح قبل الإغارة ، لأن السيد لا يسود إلا لأمر عظيم» . ولكن إذا عولنا أدنى تعويل على النص^(٢) فإن «ذات صباح» تكون من الغموض بحيث يقصّر الشعر عن أداء أي معنى ، وإنما المقصود هو «ذلك الصباح» . أعني ذلك اليوم الذي كانت ستحدث فيه المعركة ، وعليه يجب أن تكون (ذي) اسم إشارة للمذكر ، مثل (ذا) في العبرية الأدبية . وهنا لا بد من تدخل أداة التعريف المطلوبة في العربية^(٣) .

s- ١٨ - للاهتمام بالمظهر النحوي أولاً فإن لدينا نظيراً من لهجة ظفار الداريجة في جنوب اليمن . وهناك الإشارة لكلا الجنسين يكون عادة باستعمال ذي استعمالاً مزدوجاً مع انضمام آل التعريف : الشغل ذي (Rhodokanakis, Dhofar, ii, 108) وعند الإشارة لـ «هذا» فإن هناك صيغة للمذكر هي ، ذي^(٤) . وقد وردت هذه في نصوص رودوكناكس مرتين لتكون وصفاً ، وفي المرتين كانت قبل الأسماء ودون الأداة^(٥) : مرة قبل اسم نكرة في ذِمَكَان (Rhodokanakis, I, 95, line 3) ، والأخرى قبل اسم علم كما في : مِنْ ذِي جَفَجِيْفٍ إِتَّ ذِي لَوْجِيلٍ ، أي من

(١) في الكتاب : لشيء ما وليس لأمر ما . (المترجم)

(٢) ويرى البروفسور جب أن تترجم : عزمت على الخروج في غارة صباحية ، وحرفياً ، ذلك الصباح) ، وإذا كانت هذه الترجمة مقبولة فإن ما يتلوها من مناقشة لا قيمة لها . وعلى أي حال ، وبغض النظر عن أفكار سيبويه ، وعلى افتراض أن معنى أقام هو أدى (في مثل أقام الصلاة) فإن هذا المعنى مقترض من الاستعمال اليهودي (حقيقيم ميصواه) أي يؤدي وصيته وكذلك السريانية (أقيم سلاماً) أي ألقى السلام . وإذا كان البيت غير مصنوع فإنه من الصعب التصديق أن بدو اليمن قد اقترضوه فقط بل طوّروا استعماله أيضاً .

(٣) يقصد أنه لا بد من إدخال «آل» على كلمة الصباح عند استعمالها بعد ذلك لأنه لا يقال في العربية في

مثل هذا السياق : ذلك صباح (المترجم)

(٤) أي بالكسرة الطويلة المائلة . (المترجم)

(٥) أي الأسماء دون الأداة . (المترجم)

جفجيف إلى الأوجيل (المرجع السابق ٩٦/١ ص ١٢) والحالة الثانية فإنها بوضوح تشبه استعمال (زه) قبل الأعلام في العبرية الإنجيلية ، وهناك شاهد له تراكيب مشابهة يذكر في حديث المهدي المنتظر ، في محاولة للتنبؤ بكونه يانياً : «يطلع عليكم رجل من ذي يمن ، على وجهه مسحّة من ذي ملاك» ولا يعني لي سوى أن رجلاً سيظهر لكم من اليمن ، وسيكون على وجهه مسحّة من ملاك . ودعنا نسجل ملاحظة وهي أنه ليس تركيباً عربياً جنوبياً : والتعبير العبري الجنوبي (dhn bytn ذبيت) يماثل تماماً ، باستثناء ترتيب الكلمات ، التركيب العبري الإنجيلي : (hab-bayith haz-zeh هالبيت هازه) ، (أي هذا البيت) في حين أن كل الحالات التي نوقشت تطابق تماماً عبرية المشناة bayith zeh (هذا البيت) .

وهناك دليل في المشناة العبرية على زه proclitic (دون تدخل أداة التعريف) ، بالرغم من أن المسألة ما زال مشكوكاً فيها نوعاً ما (الأمثلة في Segal, Grammar, p.201) وعلى كل حال فإن وجود التركيب الإشاري دون أداة التعريف في اللهجة الكنعانية ، وفي العربية الغربية الجنوبية كليهما هو بوضوح أمر عرضي . ولا يوجد في النصوص الحجازية حالات من هذا التركيب قبل النكرات من الأسماء ، ولكن يمكن أن تضاف (ذي) في الشعر الحجازي إلى أي اسم علم ، وغالباً ما تتقدم التركيبات النحوية الشاذة (Schwarz, Umar, iv, 145) اعتماداً على الأزهري (في التاج ٤٣٦/١٠) فإن (ذوء - dhu') ، (وهكذا) ، التي لا طائل تحتها كانت جارية على لسان قيس وجيرانها . في اللسان ٣٤٤/٢٠ نعرف أن ذا الرّمة الشاعر قد ذكرها في لهجته المحلية حيث قال : قَبَّحَ الله ذا فا . وعديّ كانت تعتبر من بين تميم ، ولكنها أقامت بعيداً غرب الجزء الرئيسي من تلك القبيلة . وهكذا يبدو لنا أنه من الممكن أن نجمع كل هذه المعلومات المتناثرة المتباعدة بقولنا إنه لا يقال في العربية الغربية : هذا البيت بل ذي بيت أو ذي بيت (انظر : الخريطة رقم ١٠) .

١٩ - إن (زه) العبرية و(دين) den الآرامية يوحيان بالأصل السامي ذي^(١) . ولا بد أنها صارت في لهجة شرق الجزيرة ذا ، مثل (نير ner) العبرية التي صارت ناراً (انظر : الفصل العاشر الفقرة ٦٢) ، وهذا يعلل تماماً التركيب العربي العادي . وفي بعض

(١) بالكسرة الطويلة المماله . (الترجم)

اللهجات العربية ، لم تُعيّن لسوء الحظ ، تُنطق ذا إمالة ذي (انظر : سيبويه ٢٨٩/٢ ، الزمخشري ، المفضل ١٦٠) والطريقة التي قدّمت بها العبارة في المصادر توحى بأنها لهجات لا إمالة فيها بوجه عام ، وبناء عليه فإن اللهجات العربية الغربية تحتل هذا الأمر كذلك ، (انظر : الفصل العاشر ، الفقرة ١٦) . واللهجات الدارجة التي لديها مثل : ذي^(١) للمذكر هي التي غالباً ما توافق اللهجة اليمانية : تلمسان ، مصر ، عُمان واللهجات اليمانية مثل لهجتي ظفار ودثينة . وفي اللهجات ذات الإمالة الشديدة فإنّ ذا لم تتأثر بذلك ، والمثال على ذلك (د) المالطية (انظر : Brokelmann, GVG, i, 318, Barth, Pronominalbildung, p. 116) ونظرياً ، بناء عليه ، فإنّ (ذي) في أمثلتنا يمكن أن تكون هناك محاولة لكتابتها ذي^(٢) . وعليه فإن اسم الموصول في اللهجة اليمانية ذي ، وفي طيء ذو (انظر : الفصل الرابع ، الفقرة ٢٦) توحى بأنه كان هنا اسم إشارة هو ذي واختلط بالاسم الموصول من حيث الشكل ، وقد حدث الأمر نفسه في العبرية حيث المقارنة بين اسم الموصول زو- Zu واسم الإشارة زه Zeh (وللمؤنث زو- Zo بالإمالة) قادت إلى توظيف الأخيرة في قطع كثيرة في الإنجيل بدلاً من الأولى . وزى^(٣) Ze الإثيوبية ، دون أدنى جهد يمكن أن يكون قد حدث لها تقصير عن ذي^(٤) ، بالإضافة إلى ذي^(٥) .

u- ٢٠ - ويمكن أن يكون هناك تعزيز لاسم الإشارة اليماني ذي (ذ) وذلك في حديث آخر عن المهدي (اللسان ٣٣٨/٢٠) حيث قيل بأنه : (قرشي يمان ليس من ذي ولا ذو) ، والشرح الذي قدّمه اللسان^(٦) أن (ذو) ترمز إلى البيت الملكي في حمير ، أي الأسماء مثل : (ذو يزن ، وذو رُعَيْن) ، وهذا يعني أنه ترك (ذي) دون شرح . وهنا

(١) بالكسرة الطويلة الممالة . (الترجم)

(٢) بالكسرة القصيرة . (الترجم)

(٣) بالكسرة المخطوفة . (الترجم)

(٤) بالكسرة الطويلة الممالة . (الترجم)

(٥) بالكسرة الطويلة غير الممالة . (الترجم)

(٦) فقد جاء في اللسان مادة ذا ، بعد العبارة : «أي ليس نسبة نسب أذواء اليمن وهم ملوك حَمِير» . (الترجم)

عليّ أن أفتّرح أن الجزء الثاني من الجملة يعني أنه لن يكون من هذه تماماً ولا من تلك تماماً . وذو قد تكون يمانية حقيقية ، وأن ذي التي بمعنى ذي قد تباينت واختلفت عن ذي التي بمعنى ذو أو أن يكون قد حدث خطأ في رواية الحديث . وربما فهم من التعبير أنه يعني من ناحية ما : أنه ليس من هؤلاء الذي يقولون ذي (أي اليمانيين) ، ولا من هؤلاء الذين يقولون ذو (أي طيء) ، على اعتبار أن ذي قد اعتبرت اسماً موصولاً (انظر : الفصل الرابع ، الفقرة ٢٦) .

v- ٢١ - إذا كان تحليلنا صحيحاً ، فإن أحكام سيبويه تعتبر مثلاً صادقاً على موطن الضعف عند اللغويين العرب في طريقتهم في فهم اللهجات . ومع ذلك ، فإن ابن مالك (التسهيل ٣٦) يخرج باستنتاج حقيقي مذهل من كلمات سيبويه وهو : أن خثعماً وحدها دون العرب ، لم تستخدم ذا وذات في مثل تركيب : ذات يوم . وهذا هو الخبر الوحيد فيما أعلم الذي يؤكد أن تركيباً ما لم يكن موجوداً في لهجة معينة . إنه يفترض مسبقاً تحقيقاً مفصلاً وكأنه لم يتعهد ، ولم يتول أمره أحد من قبل .

w- ٢٢ - ولا أدري ماذا أصنع بالخبر (استشهد به أنيس : اللهجات ص ٩٩ دون ذكر المصدر) الذي يقول إن الحارث تقول في مثني اسم الموصول وجمعه : اللذان اللذان بدلاً من (اللذان واللذين) . وآخرون يعزّون هذا الملمح إلى بعض ربعة . وهناك شاهدان ، وكلاهما في المثني ، للأخطل التغلبي ، والفرزدق التميمي . يمكن أن يثلاً ترخيص هذا الأمر في الشعر (انظر : (Wright, Grammar, ii, 379C) وفي الحارث ، إذا كان الخبر صحيحاً ، فإن الصيغتين يمكن أن يكونا من قبيل المجال الذي تنتقل فيه الصيغ في غرب الجزيرة بين الذي والذين .

x- ٢٣ - واعتماداً على الصفار (نقله ابن عقيل ص ١٢١) بأن في لهجة الحارث يتطابق الفعل مع فاعله في الإفراد والتثنية والجمع (في اللغة التي يسميها النحاة لغة أكلوني البراغيث ، (انظر رايت ، ٤٩٢/٢ C) . والتركيب نفسه يستخدم في الحجاز وطيء وإنها لغة نموذجية لغرب الجزيرة العربية .

y- ٢٤ - إن الجزم بلو ، وهو أمر نادر جداً (Reckendorf, Syntax, P.497) اعتبره بعضهم أحد المظاهر اللهجية (ابن مالك ، التسهيل ، كما استشهد به في الخزانة ٥٢٢/٤ ، والسيوطي ، الجمع ٦/٢) . من الشواهد القليلة ، يستشهد ببيت من قصيدة معزوة في الحماسة لامرأة من قبيلة الحارث (الحماسة ص ٤٩٦ - البيت الأول) ، والآخر :

تَمَّتْ فؤادك لو يُحزَنُك ما صَنَعَتْ

إحدى نساء بني ذهل بن شيبان^(١)

(الخزانة ، السابق ، الشنقيطي ، ٨١/٢) ، والبيت بوضوح من قصيدة فخر ببني شيبان ،
أي من أصل يمانى : وهذا يمكن أن يحوّلنا ، ولو مؤقتاً ، أن نعتبره استعمالاً يمانياً شمالياً . وبما
أن لو تأتي في الأصل للتمني (Brockelmann, GVG, ii, 31) هناك احتمال ما أن الجزم بها
أمر قديم ، وإن لم يكن أصلياً ، في العربية ، والاستعمال اليماني في الشمال (أم هي لغة
غرب الجزيرة بصورة عامة؟) أمر مهجور . إن الاستعمال العربي العادي ، في الواقع ، هو أن
يرفع ما بعدها ، وهو أمر يحتاج للشرح .

١٠٠

(١) وفي رواية أخرى : تامت بمعنى تيمت . انظر المغني دار الفكر ٣٠٠/١ . وقائله لقيط بن زرار . والبيت الآخر

الذي ينسب لامرأة حارثية هو :

لو يَشَأْ طار ذو مَيْعَةٍ لاحق الا طال تَهْدُ ذو خَصَلٍ =

الفصل الثامن

هُذَيْل

a- ١ - مع أن هذيلاً كانت قبيلة كبيرة ، إلا أن دورها كان صغيراً في الأحداث السياسية والثقافية في القرون الإسلامية الأولى : ولكن لهجتهم نالت عناية كبيرة من اللغويين . وقد بقي ديوان شعرهم دون أشعار سائر القبائل ، مع أنهم لم يقدموا شعراء من الطبقة الأولى . وقد ألف ابن جني كتاباً خاصاً بأشعار هُذَيْل (الخصائص ١/١٣٠) وقد ضاع لسوء الحظ^(١) . ودون شك كان اهتمامه الأول منصباً على اللغة : ولهذيل صيت هو أنها ، بصورة خاصة ، تتكلم لغة عربية سليمة فصيحة (انظر : في الفصل الثالث ، الفقرتين ٨ ، ٩) . وفي الحقيقة ، يبدو أن لهجتهم قد تأثرت بلهجات شرق الجزيرة بصورة أكبر من أية لهجة في غرب الجزيرة . وهذا يشير إلى الاتصال غير المحدود بشرق الجزيرة . ووجود شعر هُذَيْل الجاهلي ، غير المشكوك فيه ، بالعربية الفصحى يصبّ في الاتجاه نفسه . وكان من الطبيعي أن يغلب على لغة القصائد طابع لهجة شرق الجزيرة العربية ، وجلبت مهارتهم في استعمالها الشهرة اللغوية لهذيل . وفي الوقت نفسه تشربت اللغة اليومية للقبيلة ملامح من اللهجات الدارجة في قبائل شرق الجزيرة ، مما أعطى لهجة هُذَيْل وضعاً خاصاً في غرب الجزيرة العربية .

b- ٢ - واعتبار لهجة هُذَيْل ضمن لهجات غرب الجزيرة . أمر طبيعي وأساسي لا شك فيه ؛ ليس لأنها تشارك لهجات غرب الجزيرة في معظم ملامحها فقط ، ولكن لأن ملامحها المعروفة تتناسب تماماً مع موقعها الجغرافي بين شمال اليمن والحجاز . هذا إلى جانب الملامح النحوية التي ستكون موضوعاً للبحث والدراسة في هذا الفصل ، مع بعض المقارنات المعجمية مثل : أَوَاب عند هُذَيْل وكنانة وقيس (أبو عبيد ، الرسالة ص ١٥٦) ؛ والثاقب عند هُذَيْل (الرسالة ص ١٥٥) ، والإتقان ص ٣١١) وكنانة (الرسالة ص ١٦٢) ، والجَدَث عند هُذَيْل (الرسالة ص ١٥٥) ،

(١) لم يضع الكتاب بل طبع محققاً في بغداد سنة ١٩٦٢ واسمه : التمام في تفسير أشعار هذيل ، حيث شرح فيه لثلاثة وخمسين شاعراً . (المترجم)

الإلتقان ص ٣١١) وتهامة (المصباح ص ١٤٤) في مقابل جَدَف في نجد (المصباح) أو قيس أو تميم (شرح ديوان الخنساء ، بيروت ١٨٩٠ ، ص ٢٣٠) ؛ خَرَص عند هُذَيْل وكنانة وقيس (الرسالة ، ص ١٥٧ ، الإلتقان ص ٣١١) ، انظر في العبرية ربما : حَارَص لاشون (Exod,xi,7) ؛ قَوْر ، أي الوجوه^(١) ، في القبائل نفسها (الرسالة ص ١٤٣) ؛ رَجَا ، رَجَّى «يخيف» عند هُذَيْل (الرسالة ١٥٧، ١٥١) ، هذيل ، كنانة وخزاعة (السجستاني ، الأضداد ، ٨١) ، تهامة (البيضاوي ٣٧/٢) ؛ وَعَسَل جمعاً لعَسَل عند هُذَيْل وكنانة وخزاعة (ياقوت ، المعجم ، ٦٥٥/٣) .

c- ٣ - إن صيغة نَعَم في نَعَم كان استعمالها جارياً في لهجتي هُذَيْل وكنانة (القسطلاني ٢٠٤/٤) ، إنها صيغة عامة في غرب الجزيرة (انظر : الفصل السابع ، فقرة ١٦ ، والفصل العاشر فقرة ١٠) . ووجودها هنا ببرهن ، على أية حال ، على أن لهجة هُذَيْل لم تتأثر بالنزعة الشرقية^(٢) نحو التوافق الحركي . أما الاقتباسات الصوتية ستتم مناقشتها بصورة كاملة (في الفصل العاشر من الفقرات ٦-١٤) .^(٣)

d- ٤ - ولم تتبع لهجة هُذَيْل ما يحدث في شرق الجزيرة من إسقاط الحركات القصيرة غير المشددة في جموع الإناث من الأسماء الثلاثية المفردة المؤنثة الصحيحة العين الساكنة غير المضعفة من طراز فَعَله ، تُفَحِم اللغة الفصحى فتحة فيقال : فَعَلات^(٤) ، وذلك إذا لم يكن الحرف الثاني الأصلي واواً أو ياءاً (انظر : رايت wright, I, 193) ولهجة هُذَيْل هي الأخرى تفحم هذه الفتحة فيقال مثلاً : جَوَزَات من جَوَزَة (ابن مالك ، التسهيل : ٦ ، الزمخشري ، المفصل : ٧٧ ، الفائق ٤٣/١ وما بعدها) . ولكن السيوطي (الجمع ٢٣/١) يقول إن محل هذه اللغة هي الأسماء وليس الصفات . والأمثلة المعتمدة تشير إلى الأسماء فقط . وأحدها في بيت من الشعر قاله شاعر هذلي حيث يوصف فيه ذكر النعام بأنه أبو (أو أخو)

(١) كما في قولهم : جاءوا من قَوْرهم أي من وجههم (اللسان مادة قور) . (المترجم)

(٢) أي التي تحصل في لهجات شرق الجزيرة العربية . (المترجم)

(٣) ويستشهد سيبويه ٤٥٨/٢ بقول أبي الخطاب إن نَعَم في نَعَم هي لهجة هذلية . وهي صيغة هذلية نادرة

كالشاهد على لسان طرفة الذي هو من قبيلة بكر الواقعة في شرق الجزيرة . (وأبو الخطاب هو الاخفش الأكبر)

(٤) مثل بَحْفَنَة يقال فيها بَحْفَنَات ، وأجاز النحاة مثل هذا الأمر في مضموم الفاء ومكسورها أيضاً حيث يقال في

عُرْفَة وسِدْره : عُرْفَات وسِدِرَات . (المترجم)

بَيَضَات^(١) (جمعاً لبيضه ، الأسترباذي ، شرح الكافية ١٩٠/٢ ، اللسان ٣٩٣/٨) . والمثال الآخر في قراءة قرآنية للأعمش الكوفي (الآية ٥٨- من سورة النور) : «ثلاث عَوَرَات»^(٢) في عَوَرَات ، حيث يقول الزمخشري (في الكشف ٩٦٠/) إنها في لهجة هذيل . وهذا ، بالطبع ، يجب ألا يؤخذ على أن الزمخشري قد اعتبرها قراءة هذلية ، ولكنها وافقت ما يعرفه من الاستعمال الهذلي ويصرح ابن خالويه (البدیع ١٠٣) إن قراءة الأعمش تسائر لهجة تميم . ونعرف عن طريق الزمخشري (المفصل ٧٧) والفراء (الآيتان ٧/٦- من سورة الرعد)^(٣) أن قبيلة تميم تسقط الفتحة في صيغ مثل : جَمَرَات ، حيث ينطقونها جَمَرَات . وربما استخلص ابن خالويه هذه النتيجة عن أصول الأعمش القبلية ، أو الأكثر احتمالاً ، أن يكون أحد مصادره قد خلط بين هُذَيْل وقبيلة حنظلة القريبة من تميم . وسنواجه أمثلة أخرى وقع لها الخلط نفسه . وليس من الواضح ما إذا كان في اللهجة أيضاً فتحة في نطق المجموع التي على وزن فَعْلَةٍ ، وَقَعْلَةٍ . ويقول الأسترباذي (في شرح الكافية ١٨٩/٢) . إنَّ العَيْرَ تجمع على عَيْرَات ، وقد استعمل عند غير هذيل^(٤) . ولا بد أنه يعني أن هذا الجمع عن هُذَيْل وغيرها . يؤكد اللحياني (اللسان ٥٩/١٦) في معرض تعليقه على قراءة نَعَمَات (نَعِمَات ، نَعِمَات) في الآية ٣١ من سورة لقمان^(٥) وإن نَعَمَات من لغة أهل الحجاز . وعليه يجب أن تكون قراءة نَعَمَات لغة هُذَيْل وسائر قبائل غرب الجزيرة العربية . ما دام أنه يمكننا أن نفترض

(١) والبيت بتمامه :

أبو بَيَضَاتٍ رَائِحٌ مَتَأَوَّبٌ رَفِيقٌ بِمَسْحِ الْمُنَكَبِّينِ سَبِيحٌ . (الترجم)

(٢) والآية الكريمة طويلة : «... ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عَوَرَات لَكُمْ . . . » ، ورقمها في السورة ٥٨ وليس ٥٧

كما أوردها المؤلف . (الترجم)

(٣) (ولا يوجد فيهما كلمة (جمرات) وإنما فيها كلمة مُثَلَّات في قوله تعالى : «... وقد خلت من قبلهم

الْمُثَلَّاتُ . . . » في الآية رقم ٦ ، ولا ينطبق عليها كلامه . (الترجم)

(٤) (ويقول عند هذا الجمع : «شاذ عند غير هُذَيْل» انظر شرح الكافية ٩١/٢ ط بيروت . (الترجم) .

(٥) (يقصد قوله تعالى : «ألم تر أن الفلَّك تجري في البحر بنعمة الله . . . » وعليه فهي ليست نَعَمَات وإنما

مفردا ، ولكن اللحياني حكى قراءتها عن بعضهم بالجمع بفتح العين وكسرها ، قائلاً : الإِبَاعُ لأهل الحجاز .

(الترجم)

أنَّ نَعَمَات هي صيغة شرقية^(١) . من الواضح ، على أي حال ، أنَّ حركاً في هذه الجموع قديمة جداً في العربية ولكنها فقدت بعض مدّها في الصّ حتى أصبحت من العربية الفصحى القياسية ، وفقدت مدّها كله في شرق الجزيرة العربية . وهي في العبرية من الأمور العادية (mlakoth ووجدت في الآرامية القديمة كما في rugaze التي هي جمع rugza العقاب) في نص آرامي مكتوب بالمسمارية (انظر : Afo,xii,I 14/64 ، وفي الآرامية المتأخرة قد سقطت الحركات كما في عربية شرق الجزيرة ، السابق يمكن تبينه من خلال الاحتكاك غير المنتظم (rock, GVG,i,439) أيضاً بعض الأمثلة في الإثيوبية . وهنا ، وكما هو في أي مكان ، تبره غرب الجزيرة العربية على أنها أكثر محافظةً من لهجات شرق الجزيرة ، و موقعاً وسطاً بينها وبين العربية الفصحى القياسية .

e - o - ومثال آخر على احتفاظ لهجة هُذَيْل بالحركة القصيرة غير المشدّدة ه الهذلية في ابن (ابن دريد ، الاشتقاق ، ١٠٨) ، فإن كسرة الحشو تلفظ اللهجات السامية التي توجد فيها هذه الكلمة (وقد ذكر بروكلمان في GVG,I,332) ، وأضف الأمورية بن-أم (Bina-ammi) كما Bauer في Ostkanaanaer,P.15 وفي المنائية : bhn=binu ابن-بن) .

المبدوء بها يصعب نطقها ، وهي في الواقع ليست كذلك ، في مثل التي في الكلمة الفصيحة (ابن) ، وهي سائغة صوتياً .

(Volkssprache,p.17) يعتبر (ابن) صيغة عربية أصيلة . والكسرة في ا- كلمة ابن هي حركة لوصل الكلام مثل تلك Segdates العبرية . وهذا ينظريته التي ترى أن حركات الإعراب قد اختفت من العربية في إحدى المبكرة . ومثل هذه الحركات التي لوصل الكلام في الواقع مألوفة في لهج المعاصرة (Shouck Hurgronje, Mekkanische spricfi worterP.99) وال الدارجة الأخرى . وهناك صورة أخرى مشابهة تماماً لذلك في هذيل ، بال إعراب ، سارية في لهجة نجد المعاصرة (Socin,Diwan,ii,108) ولكن لا ي

(١) أي خاصة بلهجات شرق الجزيرة العربية . (المترجم)

(٢) في اللسان ٢١٧/١٤ عزيت لابن هرمة (١٥٠هـ-٧٦٧م) وهو من هُذَيْل أو كنانة (انظر : الأغاني ٤/

دليل على استغناء لهجة هُذَيْل القديمة عن الإعراب ، ويمكننا ، على الأصح ، أن نعتبر (إِبْن) حالة وسطى بين (ابْن) الشرقية (بحيث تكون في الغالب غير مهموزة ، وقد أسقطت حركتها تمثيلاً مع القانون الصوتي في شرق الجزيرة) وبين (بِن) الغربية . ووجود مثل هذا هو ما يجب أن نقيم عليه الدليل^(١) .

٢- ٦ - إن افتقاد التوافق الحركي وإسقاط الحركات من المعالم التي تميّز لهجة هُذَيْل باعتبارها إحدى لهجات غرب الجزيرة العربية مهما كانت طبيعة تأثير اللهجات الشرقية عليها ، فإنه من المؤكد لن يغيّر من نهجها الأساسي الذي سارت عليه بانتظام متواتر (انظر : الفصل العاشر ، الفقرة ١٢٥) .

g- ٧ - لقد عدّ أبو زيد^(٢) (اللسان ١/١٤) في قائمته هذيلًا ، ضمن اللهجات التي تسهّل الهمزة (انظر : الخريطة رقم ١٥) . وقد أيد ذلك بألفاظ مختلفة استشهد بها من اللهجة ، بما سنذكره عند مناقشة هذه الظاهرة في لهجة الحجاز (انظر : الفصل ١١ ، فقرة ١١ وما بعدها) .

h- ٨ - إن الواو المضمومة المبدوء بها تتحوّل في لهجة هُذَيْل إلى همزة مضمومة وكذلك الواو المكسورة إلى همزة مكسورة^(٣) وليس لدي سوى أمثلة قليلة على القانون الأول^(٤) مثل : أسادة في وُسادة (ابن دريد ، الجمهرة ٢/٢٦٧) ، وأما فريتاغ (Freytag, Einführung, p.83) فيستشهد ببيتين من الشعر من ديوان هُذَيْل يتضمنان : أَشْكُ في وُشْك (السرعة) .

وأذ في وُد ، وأبّي المدني في مخطوطته قال أجْوههم في وجوههم في الآية ٦٠ / سورة

(١) والصورة المشابهة تماماً كلمة ابْنَتْ ، ابْنَتْ في لهجة دارجة قديمة في بَنْت وابْنَتْ ذكرها الحريري في درة الغواص . طبعة ثوريك Thorbecke ص ١١٨) .

(٢) حيث جاء في اللسان : «قال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون» أي لا يهمزون . (المترجم)

(٣) مع أن الألفاظ مكتوبة بالهمزة في المراجع العربية ، إلا أنني لم أضع لها علامة تدل عليها ، لأن السبب في تغيير الصوت فيها كلها هو حذف الهمزة أو إسقاطها .

(٤) يقصد تحويل الواو المحركة بالضم إلى همزة مضمومة . (المترجم)

الزمر^(١) Jeffery, Materials, p.161 وأمثلة تحويل الياء المكسورة إلى همزة مكسورة كثيرة مثل: إشاح في وشاح (ابن دريد، الاشتقاق، ص ٣٠١، الجمهرة ١٦١/٢)، إلد في ولد وإعاء في وعاء، إقاء في وقاء (كلها في كتاب القلب لابن السكيت، ص ٥٧)، والتغيير نفسه قد حصل أيضاً عند الشاعر الحجازي النابغة^(٢) (انظر: اللسان ٢٦/٢٠، ١٩٠/١) حيث إضياء بدل من وضياء، وفي بيت من الشعر^(٣) رواه ابن الأعرابي في اللسان ٤٥٨/٩ وفيه إجدان في وجدان، وأخيراً الكلمة العربية الشائعة إزث في وزث.

i- ٩ - إن تغيير (ؤ) إلى (أ) ناتج بالطبع عن اختفاء الهمزة. حيث الضمة^(٤) كأنها على سطح ناعم منزلق منحدر مساوية عملياً للواو المضمومة، لكون الواو ليست سوى ضمة في مركز غير مقطعي^(٥). وعليه فإذا سقطت الهمزة (دائماً أو تكراراً) فإن الاختلاف بين حرفي العلة لا يكون إلا في وعي المتكلم. وقد حدث ذلك في كثير من اللهجات العربية الدارجة (انظر: Brockelmann, GVG, i, 187) متساوفاً مع تفشي الابتداء بالعلل (الصوائت) فيها (المرجع السابق ٤٥/١). ويلاحظ كانتينو (parlers, p.42) أن لهجة البدو في سوريا قد احتفظت الهمزة بمركزها في بداية الكلمات مثل: إذن في أذن، أذفر في أظفر، ولم تُسمع الهمزة في الكلمات التي يبدأ بالضمة المتحوّلة عن الواو المكسورة مثل: أصِل في وِصِل (والعربية الأدبية وِصَل)، وألاد في ولاد. ومعالجة كانتينو للهمزة غير مرضية، كما يعترف هو نفسه، ولكن الملاحظة قد تكون صحيحة لدرجة كافية: الهمزة الأصلية^(٦)

(١) يقصد الآية الكريمة: «يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مُسْوَدَّة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين». (المترجم)

(٢) في قوله: فهنُ إضياء صافيات الغلائل. والوضاء هي الحسان. (المترجم)

(٣) وهو: وآخر ملتأ يجزُّ كساءه نفى عنه إجدان الرّقين المَلأويا.

(٤) هي في الحقيقة ليست ضمة عند النطق وإنما تنطق همزة مضمومة. (المترجم)

(٥) وغير المقطعي هو نوع من الأصوات يمثل العنصر الساكن أو الصامت في تركيب المقطع. (المترجم)

(٦) لم أجد أفضل من هذه الكلمة لأضعها مقابل كلمة Etymological لأن أفضل مصطلح عربي يقابل Etymology هو علم أصول الألفاظ وليس الاشتقاق أو التصريف وفي دائرة المعارف البريطانية، ط ٥١، المجلد ٣ ص ٩٨٤ Etymology. هو العلم الذي يعنى بتاريخ الكلمة وجوهرها المشتمل على أصلها واشتقاقها. (المترجم)

اختيارية . ولكنها تظهر بصورة طبيعية عندما يكون في الكلام حرص وأناة ، بينما (خاصة عند الحرص والأناة في الكلام) لا تظهر في تلك الحالات التي تحتفظ فيها القرابة في الأصل ببقاء الواو حية (أصل في واصل ، أولاد في ولد) . ونستطيع في الواقع أن نعمل تجربة عكسية ؛ فالكلمة المقترضة أقيّة قد نطقها بنو عامر في لهجتهم قرب المدينة وقيّة (القسطلاني ٣٦/٤)^(١) . ويمكن حدوث ذلك فقط عند عدم نطق همزة أقيّة .

k- ١٠ - إن تغيير الواو المكسورة إلى كسرة مناقض لنزعة اللهجات الدارجة المعاصرة التي تغيّر الواو المضمومة إلى ضمة (Brockelmann, GVG, i, 187) وهذا الأمر مفهوم فقط عند افتراض أن الواو المكسورة قد تغيرت أولاً إلى ياء مكسورة ، وعلى المبدأ نفسه الذي تغيرت فيه الواو المضمومة إلى ضمة تغيرت الياء المكسورة . على كل حال ليس لدينا عبارة أو أمثلة للبرهنة على تحوّل الياء المكسورة إلى كسرة في لهجتنا . في عبارة ابن جني عن التغيرات الجائزة عموماً (انظر : لاحقاً) ، وقد استبعد على وجه الخصوص تغير الياء المكسورة إلى كسرة . وربما اعتبر ، لسبب غير معروف ، أكثر عامية من التغيرين^(٢) الآخرين^(٣) . إن تغيير الواو المبدوء بها إلى ياء قد وجد فقط في اللغة السامية الشمالية الغربية (الكنعانية ، الآرامية ، الأوغاريتية) . لا يتم هذا الأمر ، على وجه العموم ، قبل الكسرة فقط . وبالطبع أيضاً ربما يكون التغير الصوتي من الواو المكسورة إلى الياء المكسورة قد بدأ مرهوناً بشروط ولكنه انتشر بعد ذلك عن طريق القياس . والسؤال هو هل جرى أيضاً في لهجة هذيل تغيير الواو إلى ياء قبل الحركات الأخرى؟ والشاهد الوحيد على ذلك هو (يازعهم) في وازعهم في قصيدة الحُصَيْب^(٤) الضمري (ديوان هذيل ٧٣/١) ،

(١) في اللسان (٢٨٤/٢٠) ، والتاج (٣٩٧/١٠) وردت لغة عامية بدلاً من لغة عامرية ، ومن أسلوب التاج المميز نفهم أنّ اللهجة لا تعني العامية . وهذا الارتباك ليس نادراً .

(٢) ويقصد تغيير الواو المكسورة إلى ضمة ، والواو المضمومة إلى ضمة . (المترجم)

(٣) ويمكن ملاحظة حالة مماثلة في أسلوب قراءة العربية المعاصرة حيث يخفف المتكلمون الياء المفتوح ما قبلها إلى كسرة مَمَّالَة (مثل بَيْت : بَيْت) وأنهم في الغالب يسكون عن تحويل الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة مَمَّالَة .

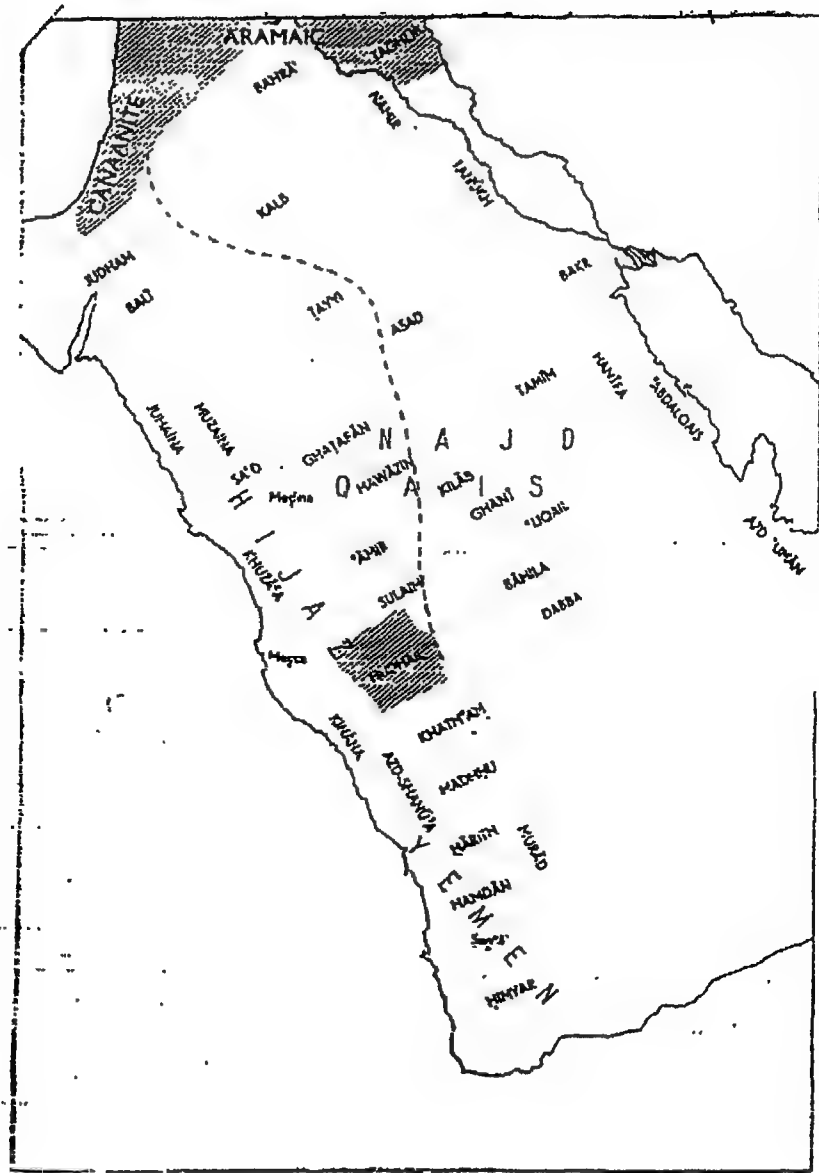
(٤) في اللسان مادة وزع ، لخصيب بالخاء والبيت هو :

لما رأيت بني عمرو ويازعهم أيقنت أنّي لهم في هذه قَوْدٌ .

وبصرح السكري بجلاء بأنها لهجة هذلية . والجمحي في معرض تعليقه على القطعة يقول إنها لهجة كنانة . وغالباً قد تمثل كنانة اللهجة الغربية بوجه عام أو اللهجة الحجازية . والشاهد الواحد غير كاف لتقرير الحالة والفصل فيها ، ولكنه يجعل من المحتمل أن تغيير الواو إلى ياء كان أوسع انتشاراً مما تسمح به عبارات اللغويين (١) .

١١ - الأمثلة الحجازية المستشهد بها أنفاً ، بالرغم من قلتها ، فإنها توحى بأن التغيرات الصوتية التي ناقشناها هي عربية غربية عموماً . والأساس الصوتي لها- ولا يقال بالضرورة- مشروط أينما وجد باختفاء الهمزة . والصورة بالنسبة للتطورات في الكنعانية لافتة للنظر . وتلفظ وُ (أي حرف العطف الواو) في العبرية ضمة ، وياء المضارع المكسورة في الفعل المسند للغائب المذكر كانت تنطق في العصور الوسطى كسرة (انظر : أيضاً في العربية اسحق من العبرية يصحاق) ، وتوحي بعض التهجيئات في نصوص العهد الجديد بالخلط الواضح بين الياء المكسورة والهمزة المكسورة (انظر : Bergsträsser, Hebr. Gramm, i, 104) وتغيير الواو إلى ياء قد ذُكر أنفاً . وسيكون من دواعي العجب إذا حدثت سلسلة التغيرات الصوتية نفسها في السامية الشمالية الغربية ولهجة هذيل دون أي تدخل من التواصل الجغرافي وإن انطباعنا يقوى إلى حد بعيد عندما نجد اللغويين يؤكدون أن تغيير الواو المضمومة إلى ضمة ، والواو المكسورة إلى كسرة (ولكن ليس الياء المكسورة إلى كسرة) أمر صحيح في العربية الأدبية (ابن جني اقتبسه الأشموني ٢٢٢/٤ ، أبو العلاء المعري رسالة الملائكة ، ط كراشكفسكي ، ص ٦) . والمرادي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) كما في حاشية الصبان (على شرح الأشموني ، المرجع السابق) يقرر أنه قد قرأ في كتاب ما أن التغيير قد نشأ في لهجة هذيل . وهذا يثبت إلى أي مدى كانت مقبولة على أنها صحيحة لدى النحاة . وفي حقيقة الأمر نادراً ما نجد أمثلة من أبنية هذيل في العربية الفصحى العادية . وعليه يمكن ألا تكون وجهة نظر اللغويين مبنية على ملاحظة الاستعمال في اللغة الأدبية ؛ وبما أنه يجب أن يكون لها أساس ما ، يمكننا التماسه في معرفتهم أن مجموعة كبيرة من اللهجات المهمة ،

(١) في العبرية والأوحياريتية كليهما بعض الكلمات لم تتغير فيهما الواو إلى ياء وهذا النقص في القانون الصوتي غير شائع باعتباره ظاهرة في علم اللغة الجغرافي .



خريطة رقم (١١) تغيير الواو والياء إلى ضمة وكسرة

ومن ضمنها مجموعة اللهجات الغربية ، قد اشتركت في هذا القانون الصوتي . ومن المؤكد أنه لا يوجد دليل على الرأي الذي ينافح عنه فولرز-Volks (sprache,p.43f) من أن التغيير الصوتي كان نهجاً عاماً في العربية ، وليس عاماً في السامية . إنه يخص منطقة محددة من السامية ، أعني السامية الشمالية الغربية بالإضافة إلى العربية الغربية . إنه إلى حد ما مطابق لمصير الياء في الأكديّة ، ولكن تطوّر الواو في تلك اللغة مختلف تماماً . العربية الشرقية ، والعربية الجنوبية والإثيوبية تبقي على الواو والياء كليهما في جميع الحالات ؛ والأهمرية وحدها هي التي بلغت في تطور مشابه ما حصل في اللغات الشمالية الغربية (Praetorius, Amhar,) sprache,p.48).

m- ١٢ - وإن لهجة ما غير معيّنة (ربما شرقية) تغيّر الياء المفتوحة والواو المفتوحة إلى همزة مفتوحة^(١) ، ويتكرر ما يحدث للواو (والى حد ما الياء كما في أوم : يؤم) في الأكديّة (Brockelmann, GVG, i, 139) ولدينا أرقان في يرقان (الصحاح ٦٧/٢) وألب في يلب^(٢) (ابن المظفر في اللسان ٢١٠/١) وأد في يد (اللسان ٣٠٣/٢٠)^(٣) ، وفي حالتين آخرين نجد هذا التغيير في الفصحى : أناة وهي في الأصل وناة (المرأة الفاترة الهمّة) وفي الجمع الذي يسمى به أسماء في وسماء (المرأة الجميلة) وهذا تجاه مناقض لما يحدث في لهجة هذيل .

n- ١٣ - وفي لهجة ما غير معيّنة يُقال أَيْنَاءُ في «أَيْنَاءُ» جمع بَيْن (عن سيبويه في المختصص ١١٢/٢) . وهذا تغيير مشابه ولكنه خلال الكلمة . ومن المشكوك فيه أن يكون لمثل هذا الأمر شأن في الظاهرة الهذلية .

o- ١٤ - وابن مسعود الهذلي قد قرأ الآية ٣٥- في سورة يوسف عتّى حين في : حتى

(١) يكتبها المؤلف - a ولكنها في اللسان مادة يد قال : وقالوا قطع الله أديّه ، يريدون يديه وقد يجوز أن ذلك لغة . . . وحكى ابن جني عن أبي علي : قطع أدهُ وعليه رسمت همزة مفتوحة وليست فتحة كما رسمها راين . وفي بعض اللهجات العامية المعاصرة يحصل مثل هذا الإبدال فيقال : إديه أي يديه . (المترجم)

(٢) قيل هي الدروع ، وقيل هي جلود يُحَرَّرُ بعضها إلى بعض وتلبس على الرؤوس كالبيّض . ومفردتها يَلْبَة .

(٣) ويجعل فريتاج (ص ٨٩) أد لهجة لحياينة أحد أحياء هذيل كما يرى . وربما يعود هذا التغيير إلى مراحل متأخرة من استقلال العربية عن السامية ، ولم أتبع مصدر فريتاج وربما تعود أد إلى بنية سامية مستقلة دون الياء انظر الكتعمانية badiu أي في يده (العمارة ٣٥ ، ٢٤٥) (والأوجارية bd في يد .) وفي الإثيوبية إد .

حين . (Jeffery, Materials, p.44, etc.) وقد عزاها الشراح والنحاة إلى لهجة هُذَيْل (ابن جني ، المحتسب ص ٢٣ ، ابن مالك التسهيل ص ٧٥ ، البيضاوي ١/٤٦٠ . . الخ) . وتعتبر بعض المراجع المتأخرة جعل الحاء عينا قاعدة عامة في لهجة هُذَيْل (السيوطي ، المزهر ١/١٣٣ ، العنطابي ، قاموس ترك ١/٢٨٤) ، وتعطي أمثلة قليلة أخرى غير عتي حين . واليازجي (في مؤتمر الاستشراق السابع ٧٧/٢) ، من ناحية ثانية ، يذكر لنا جملة كاملة في لهجة هُذَيْل : «اللَّعْمُ الْأَعْمَرُ أَعْسَنُ مِنَ اللَّعْمِ الْأَبْيَضِ» أي اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض . وبما أنَّ اليازجي لا يسمي مراجعه ، مع حرثته في ذكر الأمثلة التي ليس لها مكان ، فليس في إمكاننا إلا أن نتعامل معها بريبة .

ويشبه السيوطي جعل الحاء عينا بفحفة هُذَيْل التي ذكرتها بعض المصنفات . وتعني الكلمة البُحَّة في الصوت . والرحالة في الجزيرة العربية يلفتون النظر إلى استمرار هذه الفحفة بين البدو ، كتتابع الصباح النُدِّي (انظر لذلك : Guarmani, Northern Nejd, p.22) ولكن من الصعب أن نتبين أثر ذلك على جعل الحاء عينا في الواقع فإن السيوطي نفسه يقول في مكان آخر بأن مصطلح فحفة يشير إلى جعل الهاء (وليس الحاء) عينا في لهجة هُذَيْل (عن الاقتراح ، استشهد بها برافمان p.42 Materialien) ولم أعثر على ذكر آخر لمثل هذا التغيير . على أية حال فإنه من غير المحتمل غالباً أن تطلق الفحفة على ظاهرة أخرى غير مألوفة في اللهجة . والشاهد الذي في متناولنا حتى حين لا يكفي دليلاً على وجود قانون صوتي عام ، كالذي تتسع له الشروح الأخرى . ولم نعلم في أي مكان آخر أن ابن مسعود قد قرأ عتي في حتى ، في أي موطن آخر من القرآن الكريم . وفي حالتنا يمكن أن تعود العين إلى المخالفة^(١) الصوتية (هذا رأي برجستراسر في GQ, iii.68) . ومن ناحية ثانية ، فإن كل شقيقاتها من اللغات توجد فيها عين في كلمة حتى : العربية الجنوبية عد d' وعدي dy (انظر : الفصل الرابع - الفقرة ٢٨) ، وفي العبرية : عَد ، عاذي ، الخ ؛ ومع ذلك ربما لا يكون لحتى أية صلة اشتقاقية بـ: عَدَ (ي) (ad(ai) (انظر Brockelmann, GVG, ii, 417) والعربية الغربية ، ولو لسبب جغرافي فقط ، ينبغي أن تكون قد استخدمت عَدَي adai في

(١) هي تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوتي مجاور ، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين (انظر : دراسة الصوت اللغوي - د . أحمد مختار عمر ط ١ ، عالم الكتب ١٣٩٦-١٩٧٦ م : ص ٣٢٩) . (الترجم)

وقت ما . وصيغة هُذِيل من ثم لا بد أن تكون في منزلة وسطى بين الاثنتين . وفي الحقيقة فإن في لهجة ظفار الدارجة في أيامنا في جنوب اليمن صورة مشابهة وهي إْتِي . ويرى فولرز (ZASS.,xxii,226) إن في هذه تشابهاً مع لفظ هذيل ؛ ومع ذلك فإن في ذلك عقبه تتمثل في أن لهجة ظفار لا تجعل مكان العين ألفاً في موطن آخر (انظر : Rhodokanakis,Dhafar,ii,76) وربما تكون إْتِي في منزلة متوسطة بين حتى وشقيقتها الإثيوبية إِسْك . وقد لا تحصر صيغة عَتِي في هذيل ، ولكن يبدو أن استعمالها جار في جنوب الحجاز أيضاً . بناء على ما نقله اللسان (٢٥٣/١٩ ، دون ذكر المصدر) فإنها كانت مستعملة أيضاً في الطائف .

p- ١٥ - وعن ابن هشام (المغني ٢/٢٥) أن ابن مسعود كان يقرأ في القرآن الكريم «نَحْم» في نعم^(١) . وهذا يعارض الأخبار التي تقول إن هذيلاً قالت نَعِم في نَعَم (انظر : الفقرة الثالثة السابقة) . على أي حال ، ليست هذه هي الحالة الأولى التي يقرأ فيها ابن مسعود العين حاءً . وقد رأى الفراء ما كتبه ابن مسعود في مخطوطته الآية^(٢) في سورة العاديات : بُحْثِرَ في بُعْثِر . وقد سمع الفراء القراءة نفسها من أحد بني أسد (انظر : Beck,orientalia,xv,182) وفي مثل هذه الحالة قد يرجع نطق الحاء إلى المماثلة مع الصوت المهموس الشاء . وضم أسد إلى هذه الحالة يجعلها أكثر احتمالاً ، خاصة أنه لدى تميم ، وهي قبيلة شرقية أخرى ، مثل هذه الصيغ نحو مَحْم في معْهم (و«مَع» الشرقية في «مَع» سيبويه ٢/٤٦٢) أَحْذ في أَغْهَد^(٣) (ابن خالويه ، البديع ص ١٢٥) . ولكن ذلك لا يوضح قولهم «نَحْم» . وهناك عبارة متأخرة مأثورة هي أن جعل العين حاء كان أحد مميزات لهجة سعد بن بكر ، شمال المدينة (انظر : الفصل الحادي عشر الفقرة ٤) . ولو استشهد لها بدليل أفضل لكان يمكننا أن نرى فيها نطقاً مدنياً محلياً من الذي اختاره ابن مسعود في قراءته . على كل حال ، يجب أن نكون على حذر من السقوط في خطأ ما افترضه فولرز من أن قراء القرآن الكريم قد حملوا تلاوتهم شيئاً من ملامح لهجاتهم

(١) ولم ترد مثل هذه القراءة باسمه في كتاب جفري Materials .

(٢) يقصد الآية الكريمة : «أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا يَعْتَرِ ما في القبور» . (المترجم)

(٣) بالرغم من شكوك المؤلف فإنه يرى أن هذه هي القراءة الصحيحة وليس «أَحْذ» التي أدخل عليها تنقيحه ، التي يجب أن تكون في تميم «إَحْذ» (الفصل السادس / فقرة ٩) ويحيى بن وثاب الكوفي قرأها : «إِغْهَد» .

الخاصة . والذي قصدوا إليه إما أن يكون موافقاً للطريقة التي صدرت بها الكلمات من فم النبي [ﷺ] أو موافقاً لوجه من وجوه العربية الصحيحة^(١) . والنزعة الأخيرة ، وهي خاصة بقراء العراق ، كانت هي السبب في تبني بعض سمات اللهجات الشرقية^(٢) في قراءاتهم . وقراءة ابن مسعود لا تبدي انحيازاً لهجياً ، وأي شذوذ نحوي فيها لا يمكن أن يعزى إلا للحقيقة واحدة هي أنه قد عاش هو ومن أخذ عنهم النص قبل عصر التعيد النحوي .

q- ١٦ - وعليه فإنه لا يوجد تفسير حقيقي لجعل الحاء عيناً في لهجة هذيل . وهناك بعض الأمثلة فيها مثل هذا الإبدال في أقصى الشمال . في قليل من أسماء الأماكن الفلسطينية تظهر العين بدلاً من الحاء العبرية أو الآرامية مثل : بيت عسور^(٣) في بيت حورون ، وعَصُور في حاصور ، وَزُنُوع في زانوح (انظر : Kampffmeyer, ZDPV, xv, 25) وَعَمْتَا (في شمال الأردن) في حَمْتَان^(٤) . . الخ . وهناك أيضاً ، نوعاً ما ، بعض الحالات التي لا شك فيها تتحوّل فيها الهمزة في أول الكلمة إلى عين في مثل الأسماء التالية : عسقلان في أشكلون ، كفرعانا في أونو^(٥) (انظر : كمبفاير ، المرجع السابق ص ١٤) . والتغيير الأخير ينتمي ، بلا ريب ، إلى لهجات شرق الجزيرة العربية . تميم ، وأسد ، وقيس (المشرقية) ، وعُقيل قد ذكرت في هذا الخصوص (الفراء في اللسان ١٦٨/١٧) وقضاة أيضاً (الثعالبي ، فقه اللغة ص ١٠٧)^(٦) . والأخيرة لها أهمية خاصة ، لأن قضاة قد تاخمت فلسطين لقرون . وليس من الواضح تماماً كيف تأثرت تلك

(١) لم يذكر الشرط الثالث للقراءة الصحيحة وهو موافقة القراءة للرسم العثماني . (المترجم)

(٢) أي لهجات قبائل شرق الجزيرة العربية . (المترجم)

(٣) هي إحدى قرى فلسطين في منطقة رام الله وهي قسمان : بيت عور التحتا وبيت عور الفوقا وكأنه يجعل الأصل في الاسم عبرياً وليس عربياً . (المترجم)

(٤) ما أظنه يريد سوى ما يقال في الأردن وفلسطين للحماة : عمّة فُتْنَادِي يا عمّتي . (المترجم)

(٥) ويصر هنا أيضاً على أن (أشكلون وكفر أونو الاسمان العبريان لهاتين المدينتين العربيتين هما الأصل ، وليس الاسمان العَرَبِيَّان) . (المترجم)

(٦) وما جاء فيه عن جعل العين همزة قوله في ط دار مكتبة الحياة «العتنة تعرض في لغة تميم وهي إبدالهم العين من الهمزة كقولهم ظننت عنك ذاهب أي أنك ذاهب» وأتى بشاهد لذي الرؤمة ولم يذكر قضاة . (المترجم)

اللهجات بالتغيير الصوتي . وبناء على ما أورده السيوطي (في الزهر/ ١٣٣) فإن التغيير الصوتي قد أصاب كل همزة مبدوء بها ، وأما في الأشموني (٢١٢/٤) فإن بعض هذا التغيير قد أصاب كل همزة متبوعة بحركة . وهناك على أية حال ، بعض أمثلة التغيير في المعاجم ، ومع ذلك لم يورد النحاة أمثلة عدا : عَنْ وعن (حيث العين في شرق الجزيرة قد يكون لها أصل آخر غير الأصل الصوتي)^(١) في كلام السكان الآراميين المحليين تنطق الحاء كما تنطق الألف (الهمزة) (Dalman, Gramm, p.57) ؛ حيث يمكن أن ترجع العين في هذه الأسماء إلى تخليق مثل هذه الألفات (الهمزات) في لهجات عرب شرق الجزيرة . وعلى أية حال ، إن انتشار الخلط بين الأصوات الحلقية في الآرامية المحلية يوحي أن الأمر يعود إلى التماثل الصوتي أكثر من كونه مصادفة . وقد توجد حالات أخرى ، على قدر مساوٍ لسابقتها من الشك ، في كلمات مسجلة في النص التلمودي كما استعمل في الجزيرة العربية . وهذه الكلمات كما يرى كوهين (A.Cohen, JQR, iii, 228) مأخوذة من كلام اليهود الآرامي من عاشوا شمال الحجاز ، ولكنه يحتوي على كلمات مقترضة من العربية . في التلمود الفلسطيني (سنهدرين ٢/١٠) طُعْم المدراس^(٢) بما يفيد أنهم كانوا في الجزيرة العربية يقولون عَتَر في حَتَر (أي حفر) . حَتَر في العربية الأدبية لا تفيد هذا المعنى^(٣) ، بما يوجب أن تكون بصورة ما ، صيغة محلية ، وهو ما لا نستطيع أن نقول فيه شيئاً^(٤) وشبيهه بذلك ، ما جاء في التَّنَحُّوما ، تروماه الفصل السابع ، من أنهم كانوا في

(١) يقول د . إبراهيم أنيس (في اللهجات ص ٧) أن سكان البوادي المصرية يغيرون الهمزة عيناً ، ولكنه لم يعبّر السياق الذي يرد فيه هذا التغيير ، واللغويون العرب يطلقون على جعل الهمزة عيناً ، عننة تميم ، ولكن الأمر أكثر من كونه أحد الملامح العامة للهجة تميم (انظر : فصل ١٤ ، فقرة ٦) . حيث الفعل عنن يعني يثن ، وينوح ، وعليه فإن هذا الاسم يشير إلى بعض التنعيم الخاص . (وفي اللهجات المعاصرة تقلب الهمزة عيناً في قولهم لع في لا وسعال في سؤال في ريف فلسطين ، وفي صعيد مصر) . (المترجم)

(٢) هو التفسير اليهودي التقليدي للتوراة

(٣) ومعنى الكلمة الحقيقي ينفذ (كما في العبرية) ويتضح من التعبير حَتَرُه (حَدَق فيه وتفرّس) ، مختصرة من قولهم : حَتَره بعينيه . قارن ذلك بما يتكرر من خيال في الشعر العربي بقولهم إن عَيْنِي المحبوبة تطلق سهاماً ، وفي المصرية القديمة يقال : سَت Sit أي يطلق أو يحملق .

(٤) ويحتمل أن يكون الفعل عبرياً مشتقاً من لفظ المشاء «عَتَر» أي المدراة .

الجزيرة العربية يقولون في «يسرق» «قَبَحَ». ويجعل كوهين (المصدر السابق ص ٢٣٣) هذا مشتقاً من «قَبَحَ» العربية، ولكن ذلك لا يعني سوى اعتباره كريهاً ومؤذياً. حتى «قُبَحَ» لا يمكن أن تحمل معنى السرقة في العربية العادية. ولا تسعنا كذلك «قَبَحَ» العربية، بالرغم من اشتقاقها من المعنى نفسه. ولا حاجة بنا للبحث عن أصلها العربي. وفي التلمود البابلي روش هشاناه (Rōsh Hashānāh, f.2a-b) قَبَحَان (اللسن) وهي كلمة لم تكن مفهومة تماماً في ذلك الحين. وكلمة «قَبَحَ» قريبة من الكلمة العربية «قَبَضَ»، ويمكن أن تكون اللهجة العربية السورية الدارجة قد احتفظت بـ «قَبَحَ» بمعنى قَلَعَ وسحب. ولا يمكننا اعتبار أي من الحالتين حجة^(١). والحالة الوحيدة التي تُجَعَل فيها الحاء عيناً حقيقية وذلك حين يخاطب الفلسطيني بَرَقَبَارا البابلي رباً حياً ويقول له هازلاً عِيّاً^(٢) مستهزئاً بالنطق الآرامي البابلي (التلمود البابلي: Kêrithōth, 8 a.)

r- ١٧ - إن مصير الأصوات الحلقية في لهجة هَذِيل غير واضح البتة. وكل ما نعرفه عنها أنها ربما تكون قد فقدت بشكل كبير النطق الحلقى الواضح، فالهمزة صارت ألفاً، والحاء هاء، كما في اللهجة اليمانية المعاصرة في الجنوب، واللهجة الحجازية القديمة في الشمال (انظر: الفصل ١١، الفقرتان ٥، ٦ منه). والدلالة الأكيدة على ضعف نطق الحروف الحلقية يمكن تبينها في غياب تأثير هذه الحروف في الحركات المصاحبة، ومستقابلنا حالات مثل هذه في الحجاز (انظر: الفصل العاشر الفقرة ٧ وما بعدها). وبالنسبة لهذيل ليس لدى سوى حَقَو في حَقَو، أي الخاصرة أو العورة (التساج ٩٥/١). وإذا كان للكلمة صلة بـ «حَقَ» العبرية فإن الكسر فيها هو الأصل (Barth, Etym., Studien, p.61)، ولكن هَوَبَ Houbt (AJSL, xxvi, 227) يقرن الكلمة العبرية بكلمة «خاق» أي الفَرَج العربية. وكلا الافتراضين في الصيغة يصعب الاقتناع به، لأن البنية العبرية تشير إلى حَيَق haiq (Baur-leander, Hist, Gramm., p.22) ^(٣) على كل حال. انظر الحالات (في الفصل العاشر-الفقرة ٩) حيث تجدد الكسر في اللهجات النجدية مقابل الفتح في اللهجات الغربية.

(١) أي حجة على جعل الحاء عيناً. (المترجم)

(٢) أي بدلاً من «حياً» بجعله الحاء عيناً. (المترجم)

(٣) على أية حال فإن الكلمتين الإثيوبيتين haquē, hauqē بالفتح أيضاً.

s- ١٨ - إن غياب التأثير الكامل للأصوات الصامتة الشفوية^(١) مسؤول عن الاختلاف بين إم الهذلية وأم في الفصحى (في الأغاني ، ١٢/ص ٤٣ ، في الجمهرة ١/٢٠ ذكرت على أساس أنها صورة لهجية دون الإشارة لهذيل) . إن صيغة إم يَمْ مستعملة في عدة لهجات عربية دارجة ، وهذا يدل على أنها لم تكن محصورة قديماً في لهجة هذيل . واللهجة الدارجة في وسط اليمن تستعمل «أم» في أيامنا هذه (Goitein, Jemenica, p.28) . ولكن هذا ، كغيره من ملامح تلك اللهجة ، يمكن أن يكون قد طرأ عليها بعد الإسلام . وربما يتوجب علينا أن نعارض إم العربية الغربية والكنعانية بـ «أم» العربية الشرقية والآرامية والأكدية (وأوم في المنشاة العبرية مصطلح فني وتقني ويحتمل أن تكون مقترضة) باعتبارها إحدى الصيغ البديلة في السامية الأولى .

t- ١٩ - تقول هُذَيْل عَصَيٌّ بدلاً من عصاي ، وشبيهه بذلك أيضاً قَفَيٌّ ، وهُدَيٌّ وهَوَيٌّ ، وأقدم شاهد على ذلك هو ابن حبيب (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م ؛ في اللسان ٢٠/٢٤٩ ، انظر أيضاً الزمخشري ، المفصل ص ٤٤ ، والتبريزي ، شرح الحماسة ص ٢٢ ، والبيضاوي ١/٥٩٣ ، وابن عقيل ص ٣٥٤) . والصيغة موجودة في بيت شعر لأبي ذؤيب^(٢) (ديوان هذيل ٧/١ ، ١) ولكنها ليست محصورة في تلك اللهجة . ويصرح عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ) بأنها لهجة قرشية ، وهي شائعة في القراءات القرآنية . وقد قرأ النحوي البصري ابن أبي اسحق الحضرمي (ت ١١٧هـ/٧٣٥م) «عَصَيٌّ»^(٣) في الآية ١٨ من سورة طه ، من «مَحْيَيٌّ»^(٤) في الآية ١٦٢ من سورة الأنعام . وقرأ الحسن البصري وآخرون «يا بُشْرَيٌّ» في الآية ١٩ من سورة

(١) كالباء والميم مثلاً . (المترجم)

(٢) يقصد قوله :

سَبَقُوا هَوَيَّ وَاعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتَغَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ

وفي اللسان مادة هوى : قال ابن حبيب : هَوَيٌّ لغة هُذَيْل وكذلك تقول قَفَيٌّ وَعَصَيٌّ . (المترجم)

(٣) ذكر المؤلف أنها في الآية ١٩ وهي في الحقيقة في الآية ١٨ ونصها كاملاً : «قال هي عصاي أتوكتاً عليها

وأهش بها على غنمي ، ولي فيها مأرب أخرى» . (المترجم)

(٤) ونص الآية الكريمة كاملاً : «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين» .

- يوسف^(١) . الأصح أن يقول المؤلف «القراءة المتواترة .» لأن القراءة المذكورة ليست خاطئة ، وإنما هي قراءة شاذة (انظر المحتسب ٣٣٦/١ فيها (بشرى) وبعضهم قرأ (هَدْيً) في الآية ٣٨ من سورة البقرة^(٢) . وهذه القراءة في مخطوطة سمرقند (انظر JAOS,1xii,183) ويخبرنا الزمخشري (الكشاف ص ٦٤٦) أن أهل السراة على زمانه (توفي في مكة ٥٣٨هـ/١١٤٣م) كانوا يقولون في الصلاة : يا سيدي ومولّي وهذه الصيغ تنتمي إلى المثال الحميري قَفَيْكَ (انظر : الفصل الخامس-الفقرة ٩) وإلى اللفظين الغربيين^(٣) لَبَيْكَ ، وسَعْدَيْكَ . والياء المفتوح ما قبلها القديمة التي تنتهي بها الأسماء في السامية الأولى ، قد احتفظ بها هنا كما هو الحال في العربية الفصحى في : عليك وعليّ . . . الخ (انظر : Sarauw,ZASS,xxi,40) في اللهجات التي تقع خارج دائرة اللهجات العربية الغربية أصبحت الياء المفتوح ما قبلها التي تنتهي بها الأسماء وحروف الجر ، بناء على قانون صوتي ، مميّزاً لتلك اللهجات ، وعلاوة على ذلك فإن الكسرة الممالة في بداية الكلمات ، مع الكسرة الطويلة السامية الشائعة ، قد اتحدت مع الفتحة الطويلة الممالة بقوة : وقد امتدت الفتحة الطويلة بصورتها التامة في الأسماء عن طريق المحاكاة إلى الصيغ المضافة إلى الضمائر ، بينما في حروف الجر احتفظت الصيغ الملتحق بها ضمير بإعلالها القديم^(٤) . وربما يرجع الخلاف إلى أن حروف الجر لا تأتي منفردة^(٥) أبداً في نهاية الجمل ، ثم إن التغيير قد انتقل إلى صيغها المنفردة ، بالمحاكاة بعد وجودها لبعض الوقت في الأسماء . احتفظت
-
- (١) ونص الآية الكريمة كاملاً : «وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ، قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ ، وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةً ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» . (الترجم) . . . هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة كما نصّ على ذلك القرطبي في تفسيره ١٠١/٩ ، وقرأ أهل الكوفة (يا بشرى) وهم (عاصم وحزمة والكائي وخلف) .
- (٢) ونص الآية الكريمة كاملاً : «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ، فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» . (الترجم)
- (٣) أي إلى غرب الجزيرة العربية . (الترجم)
- (٤) لعله يقصد هنا قلب الألف ياء في حروف الجر حين تتصل بالضمائر فيقال في : «عليّ» عليك ، عليه . . . الخ ، بينما في الأسماء مثل فتى أو عصا يقال فذاك وعصاك دون قلب الألف (الفتحة الطويلة) ياء ولعله أيضاً يقصد بالواحق الضمائر التي تضاف إليها الأسماء . (الترجم)
- (٥) أي دون أن تتصل بضمير . (الترجم)

اللهجات العربية الغربية بالياء المفتوح ما قبلها منفردة في نهاية الجمل (انظر الفصل العاشر . الفقرة ٢٨) ، وعليه فلا أساس لإدخال الفتحة الطويلة (الألف) في الصيغ المضافة . وعلينا كذلك أن نفترض أنه لم يُقَل في العربية الغربية سوى عَصِيَّ وعَصِيَّكَ ، بل عَصِيَّهُو أيضاً . الخ . (انظر : الفصل العاشر - فقرة ٦) وإن حالات الاختلاف في الإعلال في نصوص العربية الغربية طبعاً وبلا جدال ، تعارض هذا ؛ وذلك إما لأنها دليل على التقيد التام بالعربية الفصحى من قبل المؤلفين ، أو أنها جاءت كذلك نتيجة لما حدث لها من تصحيح متأخر . إذ وجدنا في قصيدة لأحد بني الحارث (الحماسة ، ص ٢٢ ، البيت ٢) صيغة «هَوَايَ»^(١) ، فإن ذلك يمكن أن يكون برهاناً على تغيير الياء المفتوح ما قبلها إلى ألف ، الخاص بتلك القبيلة (انظر : الفصل السابع الفقرة الخامسة) . والأستراباذي مُحِقُّ بلا شك في ملاحظته أن مثل هذا التغيير لا يحصل في المثني حيث هُذَيْل تقول عَصِيَّ ولكنها في المثني تقول خليلاي (شرح الكافية ١/٢٩٤)^(٢) . وملاحظاته نادراً ما تعتبر ضرورية ، ولكن لأجل وجهة النظر التي يتبناها النحاة العرب (على سبيل المثال ابن مالك في التسهيل ص ٦١) من أنه كان في عَصِيَّ ما يشبه الألف . مما يعني بالطبع التأثير في كل ألف على الطريقة نفسها^(٣) .

١١- ٢٠ - وكان أصل الكلمات مثل عَصِيَّ وقَفِيَّ في لهجة هُذَيْل بناء على ما أورده ابن دريد (في الجهمرة ٣/٤٨٨) هو عَصَاً وقفاً ، تماماً كما هي في العربية الفصحى .

(١) لعله يقصد البيت : هَوَايَ مع الرُكْبَ اليماني مُصْعِدُ جَنِيْبَ وجثماني بمكة مُوثِقُ

وهو في الحماسة ٦٣/١ لجعفر بن عُلْبَةَ الحارثي .

(٢) يقصد ما أورده الأستراباذي : «والألف تثبت في اللغة المشهورة الفصيحة للتثنية كانت كمسلماي أو

لاكفتاي ، وهذيل تجيز قلب الألف التي ليست للتثنية ياء . . . » وقد جاء في الشعر قلب الألف ياء مع

الإضافة إلى كاف الضمير قال :

يا ابن الزبير طالما عصيكا

وطالما عنيتنا اليكا

لنضربن بسيفنا قفيكا (المترجم)

(٣) واللغويون العرب يرون ، بالطبع ، أن الفتحة الطويلة مؤلفة من الفتحة والألف كما أن الضمة الطويلة مكونة من

الواو المدية والضمة .

v- ٢١ - والموقف معقد إلى حد ما بسبب أن بعض الأسماء الأنفة الذكر من ذوات الأصول الثلاثة بالواو . وبالرغم من أن قفا وعصاً يكتبان بالالف ، إلا أن الفعل الذي تنتمي إليه قفاً هو قفا يقفو ومن عصاً لدينا عَصَوْتُ (بمعنى ضربته بالعصا) . وفي اللهجة اليمانية كانت «عَصَوُ» (انظر : الفصل الرابع - الفقرة ٢١) . وهناك ، مع ذلك ، أيضاً الفعلان ، عَصَيْتُ ، وعَصَيْتُ اللذان يصنفهما المعجميون ، تكلفاً ، من باب عَصَوْتُ . عَصَيْتُ لغة في عَصَوْتُ في رأي ابن سيده (اللسان ٢٤٩/١٩) . وهذا خلط عربي شائع بين الواو والياء في الكلمات ذات الأصل الثلاثي وعلى العكس من ذلك فإن إني^(١) الشائعة (بالياء) وهي الساعة من الليل كانت في لهجة ما إئتو (ابن الأعرابي في اللسان ٥٢/١٨) . ويمكننا اعتبار (عَصَوُ) لهجة يمانية .

w- ٢٢ - ويبدو أن المثال (عَصَيْ) ليس هو الوحيد الذي عومل معاملة هذه الأسماء . وإني الأنفة الذكر تظهر بصورة أخرى هي إني في بيت من الشعر للمتنخل الهذلي^(٢) (ابن ولاد ، المقصور والمدود ص ٧ ، واللسان ، السابق نفسه) . هذا يماثل (عَصَوُ) اليمانية . وقد افترض مقدماً إنها إني وربما كانت ميزة لبعض هذيل وقد قيل إن الجمع آناء هو لهجة هذلية (أبو عبيدة الرسالة : ص ١٤٣ ، السيوطي ، الإتقان : ص ٣١١) .

x- ٢٣ - وقد قرأ ابن عامر الدمشقي (من أصل يمني) ، وعاصم الكوفي (من أسد) وحمزة

(١) وجمعها آناء ، ومفرد آناء قد يكون إني على مثل مَعَى وأمعاء ، وقد يأتي إني مثل نَحْيٍ وأنحاء (انظر : اللسان مادة أنى) . وانشد ابن الأعرابي شاهداً على الإني :

أَتَمْتُ حَمَلَهَا فِي نَصْفِ شَهْرٍ وَحَمَلُ الْحَامِلَاتِ إِنِّي طَوِيلُ

وقال الأخفش : واحد الآناء إئتو . (الترجم)

(٢) يقصد البيت :

السَالِكُ الثُّغْرَ مَخْشِياً مَوَارِدَهُ بِكُلِّ إِنِّي قَضَاءَ اللَّيْلِ يُنْتَعَلُ

وانشده الجوهري برواية أخرى هي :

حَلَوُ وَمُرٌّ كَمَطَفِ الْقَدْحِ مِرْثُهُ فِي كُلِّ إِنِّي قَضَاءَ اللَّيْلِ يُنْتَعَلُ

وقال ابن الأنباري : واحد آناء الليل على ثلاثة أوجه : إني بسكون التون ، وإني بكسر الالف وإني بفتح الالف . (انظر اللسان مادة أنى) . (الترجم)

(من تيم) الآية ١٠٥ من سورة هود: «يَوْمَ يَأْتِ»^(١) (البيضاوي ٤٤٧/١). ومن غير الممكن اعتبار «يَأْتِ» مجزومة ويذكر الزمخشري (الكشاف، ص ٦٣٢) إن مثل هذه الصيغ تتكرر في لهجة هذيل^(٢). وفي الحقيقة فإن تقصير الكسرة الطويلة في نهاية الكلمة هو سمة ثابتة لللهجة الحجازية، ومن المحتمل أن يكون ذلك سمة اللهجات غرب الجزيرة العربية كلها، ومؤثرة في لهجتي أسد وقيس أيضاً (انظر: الفصل العاشر- الفقرة ٣٢، الخريطة رقم ١٣).

y- ٢٤ - وفي لهجة هذيل، على النقيض من لهجتي: اليمن (الفصل الرابع الفقرة ٦٢) وطيء (الفصل ١٤، الفقرة ٢١) يستخدمون اسم الموصول العربي الشائع «الذي». وقد ذكرت صيغة «الَّذِ» مرتين^(٣)، في بيت من الشعر لشاعر هذلي مجهول (ديوان هذيل ٢٨٧/١)، وفي بيت آخر لشاعر هذلي مجهول أيضاً (اللسان ٢٠/٣٤٢، الخزانة ٤٩٨/٢). ويقول الليث (اللسان، السابق نفسه) إن هذه الصيغة قد استعملها بعض العرب، ولكن الأندلسي (في شرح الكافية

(١) يقصد الآية الكريمة: «يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ». (الترجم)

(٢) في بيت الشعر الذي يحتوي على: اشْتَرَلْنَا سَوِيْقاً (مجهول القائل، ابن يعيش ص ١٣٢٠/الحموي، شرح شواهد الكشاف ص ٩٥) في اشْتَرِ، ولا علاقة لسقوط الكسرة فيها في الظاهرة التي نحن بصدد مناقشتها. وقد قيل إنها صيغة تيمية. وما لدينا هنا هو امتصاص كسرة الراء. ومن المشكوك فيه حصر هذا في لهجة ما. وقد قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب وأبو بكر أعني قراء حجازيين معروفين، وتابعيهم، «أَرْنَا» في «أَرْنَا» من الآية ٢٩ في سورة فصلت (انظر: البيضاوي). وقرأ التميمي أبو عمرو الذي ولد في مكة وعاش في البصرة في الآية ٢٠ من سورة الملوك: يَنْصُرُكُمْ فِي يَنْصُرُكُمْ وفي الآية ١٠٩ من سورة الأنعام يُشْعِرُكُمْ فِي يُشْعِرُكُمْ، وفي الآية ٦٧ من سورة البقرة: يَأْمُرُكُمْ فِي يَأْمُرُكُمْ (الشنقيطي ٨١/٢). وتعزى ظاهرة مشابهة إلى لهجة تميم، تحدث في المائدة كالميم والنون كما في يعلّمهم ويلقّنهم (انظر: ابن جني، المحتسب، ص ٢٣).

(٣) لعله يعني البيتين التاليين:

وَالَّذِ لَا شَاءَ لَكُنْتَ صَخْرًا أَوْ جِبَلًا أَصَمَّ مَشْمَخْرًا

كَالَّذِ تَزْبِي زُبْيَةً فَاصْطِيدَا

(الزبية هو الحفرة وجمعها الزبى) في المثل: (بلغ السيل الزبى). (الترجم)

للأسترباذي ٤٠/٢) ينكر ذلك ، ويرى أن ذلك من قبيل الضرورة الشعرية^(١) ،
ونعرف أن الضرورة الشعرية غالباً ما تعكس استعمالاً مهجوراً أو لهجياً . والعلاقة
بين الذي والذ كالعلاقة نفسها بين hallāzeh هلازه (أي هذه) العبرية الإنجيلية
(Gen,xxiv,65,xxxvii,19,both JE) وبين hallāz هلاز الأكثر تكراراً وألفة .
وبارث (Barth, Pronom, p.158) يحاول أن يبرهن أن «الذ» هي الصيغة الأقدم ،
وترجع الذي إلى تأثير التي . ولكن في لهجات غرب الجزيرة ، كما في لهجة
هذيل ، يمكن تعليل «الذ» بما يحدث من تقصير أو حذف للكسرة الطويلة في
لهجات غرب الجزيرة العربية . وقد استخدمت صيغة الذي في الحجاز أيضاً
(انظر : الفصل ١٢ ، الفقرة ٩) ، وربما تكون موضوعاً للتقصير نفسه هناك .

z- ٢٥ - ولدينا صيغتا جمع للذ(ي) . قابن عقيل (ص ٣٩) والأسترباذي (في شرح
الكافية ٤٠/٢) يريان أن هذيلاً تستخدم «اللذون» في حالة الرفع (في مقابل
الذين المستخدمة في الفصحى في الأحوال الإعرابية الثلاث) . ويذكر الزمخشري
(المفصل ص ٥٦) على أساس أنه ليس لهجة خاصة . ويقول ابن هشام (بانت
سعاد ص ٨١) إما عَقِيل أو هُذَيْل تستعمل «اللذون» ، وتستعمل هُذَيْل «اللاؤون»
ويبدو أن المادة يفصل فيها الشاهد المعزوف إلى العقيلي أبي حرب الأَعْلَم (انظر :
Schaw-Indices, p.53, b5) ، الذي يحتوي على «اللذون» ، وأما عدم ذكر
(اللاؤون) فيعني أنها كانت مستعملة في لهجة هذيل . ويؤكد أبو حيان (في
شرحه على التسهيل لابن مالك ، واقتبسه الشنقيطي ٥٨/١) ، أن (اللاؤون) ،
الحالة المحرفة عنها اللاتين ، كانت مستعملة في حيٍّ من هذيل ؛ بالرغم من أن
الشاهد (Shaw-Ind. 52, b.6) قد استشهد به الفراء (اللسان ٣٤٢/٢٠) وآخرون
دون الإشارة لهذيل . وهذا يشبه بدقة «اللاتي» المستعملة جمعاً في الحجاز
(انظر : الفصل ٢١-الفقرة ٩) . ومن الممكن أن تكون اللاؤون مرحلة انتقال من
اللاتي العربية الغربية إلى الذين العربية الفصحى .

aa- ٢٦ - في تعميم أبي عمرو عن حركة حرف المضارعة (انظر : الفصل ٦-فقرة ٩ ،
الخريطة رقم ٦) من أن جزءاً من هُذَيْل يفتح حرف المضارعة كالحجازيين ، وجزءاً

(١) بقوله حسبما جاء في شرح الكافية ٤٠/٢ : «الوجوه الثلاثة (يقصد في الذي) أي تشديد الياء وحذفها
ساكتاً ما قبلها أو مكسوراً يجوز أن تكون لضرورة الشعر لا أنها لغات» . (الترجم)

آخر يكسرونه مثل لهجات شرق الجزيرة . وهذا يصوّر الموقف الخاص لهذه اللهجة . وما كان منها مكسور حرف المضارعة ، بما يعتبر حديث الأصل في شرق الجزيرة ، قد تغلغل إلى منطقة هُذَيْل أيام أبي عمرو (ت ١٥٤هـ) ، أو استعمل متزامناً مع الصيغ القديمة . والمثال الوحيد على كسر حرف المضارعة في هذه اللهجة ، هو مثال ، بأي شكل ، غير صحيح . ويستشهد الأصمعي (الأضداد ، ص ٢٥ ، وانظر : اللسان ٣٨٦/١) ببيت من الشعر لدكين بن رجاء الفقيمي (ت ١٠٥هـ انظر : ياقوت : الإرشاد ٢٠٠/٤) فيه كلمة : نَزَبَهُ^(١) في نَزَبَهُ . ويُذكر هنا إن كسرة حرف المضارعة جاءت موافقة للهجة هذيل . وَفَقِيم . مع ذلك ، من عشائر حنظلة ، وعليه يكون انتمائها إلى تميم ، ومن المحتمل أن ذكر هُذَيْل كان من خطأ الناسخ . وما يستحق الاهتمام فعلاً في الكلمة ليس حرف المضارعة فيها ، ولكن في فك تضعيف المضارع السالم الذي يُذكر بما يحدث في العربية الجنوبية المعاصرة والإثيوبية ، وكذلك بالمضارع السالم المجزوم في اللهجة الحجازية (انظر : الفصل ١٢-الفقرة ٢٤) .

وتوجد صيغة مشابهة في أحد الأحاديث المشكوك^(٢) في أصلها : لِمَا يَغْرُوكَ ، أي يلحق عاراً بك ، (الزمخشري ، الفائق ٦٧/٢ ، اللسان ٢٣٢/٦) . وربما كان استعمالها سارياً في بعض اللهجات ، ما دامت الضرورة الشعرية قد سمحت لها (رايت ٣٧٨/٢) (wright,ii,378) .

bb- ٢٧ - فيما يتعلق بـ «إخال» فإن المرزوقي (كما جاء في التاج ٣١٣/٧) يقول بأن هذه صيغة عربية عامة مصدرها لهجة طيء . وقد استشهد بها فريتاج (Einführung, P.82 Freytag) قائلاً إن استعمال إخال قد بدأ في هذيل ، ومن ثم انتقلت إلى طيء ، وبعدها شاعت سائر اللهجات الأخرى . ولدينا إشارة أخرى للمرزوقي أن أسداً فقط هي التي تقول إخال ، وقد زعم أن هذه الصيغة للأزد

(١) وقد جاءت الكلمة في شطرين من هذا البيت ذكره صاحب اللسان في مادة وريب : كان لنا وهو فُلُو نَزَبَهُ .
(٢) في اللسان مادة عرر : «وفي حديث عمر ، أن أبا بكر أعطاه سيفاً محلىً ، فنزع عمر الحلية وأثابه بها ، وقال أتيتك بهذا لِمَا يَغْرُوكَ من أمر الناس ، قال ابن الأثير : الأصل فيها يعرّك ، فكك الإدغام ولا يجيء مثل هذا الاتساع إلا في الشعر ، وقال أبو عبيد : عندي لما يعرّك بالواو ، أي لما ينوبك من أمر الناس ، قال أبو منصور : لو كان من العرّ لقال لِمَا يَغْرُوكَ» . (المترجم)

(انظر: الفصل ٦، الفقرة ١١) وتُتَقَّى كذلك في الحجاز (انظر: الفصل ١٢/ الفقرة-١٥). ولا يحتمل أن تكون الكلمة حالة من حالات الأفعال الناقصة في لهجة شرقي الجزيرة المبدوءة بالكسرة، ولكنها مستقلة تماماً. ويضرب فولرز (ZASS., xvii, 308) أمثلة متنوعة ومختلفة مبدوءة بهمزة قبل صوت حلقي صحيح أو حنجري متبوعاً بالألف في المقطع الذي يليه نحو: إخوان، إحدى (مؤنث أحد). ويمكن شرح هذه الحالات كلها بطريقة أخرى أيضاً ولكن باعتبارها أمثلة لإخال. والكلمة، بمعاملتها وكأنها كلمة معترضة، نُطِقت بلا نبر أو نبر ضعيف، عدا تعرضها لتأثير الميول الصوتية. ومن غير الممكن معرفة ما تعنيه تماماً عبارة المرزوقي، ولكن يبدو أنها تلمح إلى وجودها في هُذَيْل وطيء، مقارنة باللهجات المجاورة.

cc- ٢٨ - واستخدمت متى في لهجة هُذَيْل (أو بالأحرى الصيغة العربية الغربية متى بالإمالة) باعتبارها حرف جر (ابن مالك، التسهيل الوجه ٥٨، ابن هشام، المغني-٢/٢١، الأصمعي والفراء في اللسان ١٠/٣٦٤... الخ) حسب اللغويين إنها مرادفة للباء^(١) ووسط ومن ويتضح معنى الوسط في الشاهد الذي ساقه أبو زيد: «وضعت متى كمّي»؛ حتى ابن هشام يقول إن «متى» كانت في لهجات أخرى^(٢)، اسماً مرادفاً للوسط. ويبدو كل ذلك خيلاً أو وهماً. وتدل في الشواهد المقتبسة من شعراء هُذَيْل على أنها بمعنى «من»: أبو ذؤيب (xi,8) «من الأعماق»^(٣)، وأبو المثلث (V.3): «من خاصرتيها-جوانبها»، وفي رواية أخرى

(١) في المراجع التي ذكرها لم ترد بمعنى الباء وإنما بمعنى في وقد جاء في اللسان مادة متى: وضعت متى كمّي، أي: في كمّي. (المترجم)

(٢) لم يشر الكاتب إلى مصدره، ولكن في المغني الذي اعتمد عليه ذكر أنها قد تأتي مرادفة للوسط ولكن لم ينص بقوله: «في لهجات أخرى». (المترجم)

(٣) يقصد في بيت الشعر:

شَرَيْنَ بَماَ البحر ثم ترفعت متى ليح خُصِرَ لهن نثيج

أي من ليح. هذه رواية اللسان مادة متى والمغني ١١/١، والنثيج: المُرْ السريع الصوت. (المترجم)

«لدى». وساعدة بن جؤية (ix,6): يبرق من سحاب ثقيل^(١). وفي شاهد مجهول القائل في اللسان: سكر من خمرة^(٢). وهذا يشجعنا على أن نقارن متى هذه بحرف الجر الزمني المساوي لها، الغريب في العبرية مدي middê (مدي) بمعنى منذ أو من... إلى. وإن استعملاته في تراكيب مختلفة تحيط معالجته بالشكوك. فمن غير الممكن ربط «مدي» بـ «كذا» بمعنى كافٍ، أو لدرجة... الخ؛ لأنه لا أثر لمعنى كافٍ يمكن أن يكتشف فيه.

dd- ٢٩ - بناء على ما ذكره الفراء (في اللسان ٣٥٠/١٠) إن بعض العرب تستعمل: «إذا» بمعنى- إذ ذاك، كآز az' العبرية، إنه لفظ مهجور منذ افترض أن الاصطلاح المركب «حينئذ» وأمثاله هو الاستخدام المبكر له «إذ» في أنحاء الجزيرة العربية كلها (قائمة تولدكه، Zur Grammatik p. 63) والأمثلة الوحيدة المقبولة جاءت من شعراء هذيل: أبو ذؤيب (ed. Hell, xvii,2)، وساعدة بن عجلان، (ديوان هذيل xxvii,13). واستعمال هذيل أيضاً بناء على ما ذكره الفراء، إن تركيب «إذ» لم يكن معروفاً أينما كان. أو أنه جاء في بيت شعر لدخيل بن حرام الهذلي (الديوان: ١٢٤، ١١). ربما تكون الورطة في اعتبار (أوان) كلمة هذلية أو عربية غريبة.

ee- ٣٠ - في تفسير الآية الرابعة من سورة «الطارق»: (إن كل نفس لما عليها حافظ) كان الفراء متردداً نوعاً ما فيما ذكره من أن هذيلاً تجعل بعد «إن» النافية لما بدلاً من إلّا (orientalia, xv,214)^(٣) وسنناقش تركيب: إن كل... لما مؤخراً في (13e).

(١) يقصد بيت الشعر:

أخيل برقاً متى حابٍ له زجلٌ إذا تفتّر من توماضه حَلَجَا. (المترجم)

وأخيل: مضارع يخال، والحابي: السحاب الثقيل فكانه يحبو. انظر اللسان مادة متى، وفي ديوان الهذليين ٢٠٩/٢. (المترجم)

(٢) يقصد البيت الذي جاء في اللسان مادة «متى»:

إذا أقول صحا قلبي أتيج له سكرٌ متى قهوة سارت إلى الراس. (المترجم)

(٣) وعبرة الفراء في تفسيره ٢٥٤/٣: «قرأها العوام (لما) وخففها بعضهم، الكسائي كان يخففها. ولا نعرف جهة التشكيل، ونرى أنها لغة في هذيل، يجعلون إلّا مع إن الخففة لما ولا يجاوزون ذلك، كأنه قال ما كل نفس إلّا عليها حافظ» والحقيقة التي تتبادر من قراءة العبارة أن الفراء قد شكك في تثقيب لما وعزا هذا التشكيل إلى لهجة هذيل دون تردد، كما يفهم من عبارة المؤلف. (المترجم)

وتصريح الفراء لا يساعد في شرحها ، ولكن يمكن أن تؤسس عليه بعض الخصائص الحقيقية للهجة هذيل ، لم تكن مفهومة حقاً بشكلها الصحيح .
 ff- ٣١ - لقد سبب تركيب «أما أنت براً فاقترَب» إشكالات كبيرة للنحاة العرب . ورفضه فيشر (ZDMG, Ixiii, 597602) على اعتبار أنه من اختراع اللغويين أو تلفيقهم . ولا يستطيع المرء أن يفهم تماماً السبب الذي حدى باللغويين أن يخترعوا لأنفسهم مثل هذا الصدادع . ولا يوجد سوى شاهدين ، أحدهما :

إمّا أقمت وإمّا أنت مرتحلأ

فأله يكأ ما تأتي وما تذر^(١)

ويُعزى إلى هذلي (Schawahid-Indices 90, b, I). والآخر^(٢) قيل إنه للسلمي عباس ابن مرداس ، ولكن في طبعة المفصل لبروكلمان (ص ٣٤ ، سطر ٨) ذكر إنه لهذلي . وهذا العزو في الخزانة (٨١/٢) منسوب إلى أحد شارحي كتاب المفصل . ومهما كان الأمر خطأ أو صواباً فإنه يدل على تقليد أثبع في عزو هذا التركيب إلى لهجة هذيل . ولا يوجد ، طبعاً ، سبب إنكار وجوده . إنها تتناسب مع حالة النصب بعد أما^(٣) في اللهجات الغربية (انظر : 13cc وما بعدها) . ويكون من المغزى ربطه بإما بمعنى إذ^(٤) في اللهجات العربية الغربية (13 oo) بالتساوي مع شاهدنا الأول .

(١) انظر : شرح المفصل ٩٨/٢ ، ٩٩ وقال الشاهد فيه : إمّا أقمت بكسر الهمزة . . . فمن رواه كنت كسر إمّا في الأول والثاني لظهور الفعل معهما ، ومن رواه وأما أنت كسر أما الأولى لظهور الفعل معها وفتح الثانية لحذف الفعل ، ويعزى في المفصل ، كما جاء في شرح ابن يعيش ، الهذلي ، انظر الخزانة كذلك ١٩/٤ (طبعة هارون) . (المترجم)

(٢) وهو : أبا خراشة إمّا أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبيح
 انظر شرح المفصل ٩٩/٢ . والخزانة ١٨/٤ - طبعة عبد السلام هارون - مكتبة الخالجي . (المترجم)

(٣) وقد يكون قصده قولهم : أما علماً فعالم . (المترجم)

(٤) قد يقصد إنها شرطية كقولهم : إمّا تُكرمني أكرمك ، أي إن الشرطية التي دخلت عليها ما . (المترجم)

الفصل التاسع

الحجاز: مقدمة

a- ١ - من الطبيعي جداً أن نكون على اطلاع على اللهجة الحجازية أكثر من أية لهجة أخرى . وليست المعلومات التي نستقيها من مصادرنا عنها أكثر وفرة فحسب ، بل بين أيدينا بعض النصوص التي تحمل بعض ملامحها وإن لم تكتب بها . بل إن هناك خطراً في هذه الوفرة ذاتها ، قد نميل إلى اعتبار أي شذوذ في نص حجازي ، إنما هو نتيجة النسخ الرديء أو تقادم العهد بها ، كما لو كانت لمحة من هذه اللهجة ؛ فقد كان اللغويون الأقدمون عرضة لمثل هذا الخطأ بالذات فقد تغير عدد سكان الحجاز كثيراً في القرون الإسلامية الأولى ؛ وبالتالي فلربما انقرضت اللهجة القديمة من المدن وحل محلها مزيج عامي شبيه بلغة المحادثة السائدة اليوم ، وما لا شك فيه أن اللغويين يسجلون ، في الغالب ، كلام معاصريهم في مكة والمدينة كما لو كان لهجة حجازية ، وقد يكون مردُّ الانطباع ، الذي يتكون لدينا من أن اللهجة الحجازية تميل في كثير من أوجهها إلى لهجة غرب الجزيرة العربية أكثر مما تميل إلى لهجة شرقيها ، إلى مثل هذا النوع من المعلومات ؛ ولا ينطبق على اللغة التي كان يتحدث بها النبي [ﷺ] ، ويعيق أبحاثنا هذه نقص المعلومات الخطير عن كلام أهل الريف الحاليين من الحجازيين الذي قد يكون قد احتفظ بخصائص من اللهجة القديمة .

b- ٢ - كانت كلمة الحجاز (الحاجز) تطلق في بادئ الأمر على أي جزء من منطقة الحزام الفاصل بين السهل الساحلي ، أو تهامة ، والأراضي المرتفعة ، أو نجد . ومن الناحية العملية ، كانت هذه الكلمة تعني بلاد الحجاز حول المدينة (انظر : Lammens, L'Arabie occid., p.300) وقد يكون ما قاله الأصمعي (المعجم لياقوت ، ج ٢ ، ص ٢٠٥) الذي يفترض أنه مبني على ما ورد من استعمال في الشعر الجاهلي أغوذجاً لما كان شائعاً في فترة ما قبل الإمبراطورية ، فهو يستثني السهل الساحلي ، ولكن يوسّع البلاد في اتجاه الداخل لتشمل مناطق سليم وهلال وجزءاً من هوازن ، وتمتد الحدود الشمالية من النقطة التي تباعد عندها الحدود بين قبيلتي خُزاعة وجُهينة عن السهل الساحلي إلى

شَغْب^(١) وبداءً ، وهما موقعان في أراضي بَلِي جنوبِي تيماء (انظر الجزيرة للهمداني ، ص ١٧٠) . وفي العهد الإمبراطوري كانت ولاية الحجاز تضم مكة المكرمة والطائف وبقية تهامة جنوباً حتى حدود هُذَيْل (انظر: Lammens, opcit., p.302; Noldeke, Beiräge, p.11. وبدو واضحاً على ضوء مساواة اللغويين الدائمة بين لغة قريش ولغة أهل الحجاز ، أن استخدامهم هذا إنما كان يعني لغة أهل الحجاز^(٢) . فبدو الداخل كان يُشار إليهم على أنهم من بين أهل الحجاز أحياناً ومن بين قيس أحياناً أخرى .

c- ٣ - ويُنسب لقاسم بن معن^(٣) قوله في الصَّحَّاح (ج ١ ، ص ٣٣) ، بأن لهجتي مكة والمدينة كانتا متطابقتين باستثناء كلمة تابوت ، التي كانت تنطق تابوه في المدينة (انظر: الفصل العاشر ، الفقرة ق) . ويرفض شوارتز (ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ج ٤ ، ص ٩٥ ، الملاحظة رقم ٢) هذه العبارة على أنها لا معنى لها لأنها تشير إلى نطق كلمة أجنبية ؛ ولكن هذا هو ما ترمي إليه ملاحظة قاسم بن معن : أي أن هناك اتفاقاً تاماً في الأساسيات . والواقع أن المدينة ذُكرت وحدها عدة مرات فيما يتعلق بالمعلومات عن اللهجات . وتنسجم عبارة ابن معن تماماً مع نزوع في العصور المتأخرة إلى الإشارة إلى اللهجة الحجازية على أنها هي اللغة العربية الفصحى (انظر: الفصل الثالث ، الفقرة ش ، والفقرة التالية لها) . وبطبيعة الحال كان يعني أن عبارته لا تنطبق لا على الاستعمال في القراءات القرآنية أو التعابير الدينية .

d- ٤ - وفي الحقيقة لا بد أن يؤخذ في الاعتبار الاختلاف بين مكة والمدينة ، فضلاً عن ذلك ، فإن كلا منهما ، لم تكن مأهولة بالسكان إلى قبيل الإسلام بقليل ، ولا بد أنهما كليهما كانتا إلى حد ما ، جسماً غريباً في بيئتهما اللغوية . ويحجب تعبير لغة أهل الحجاز كل هذا عن عيوننا . ويعطي تكرار الإتيان على لهجة كنانة فيما

(١) ضبطها المؤلف : شَغْب بفتح الغين ولكنها في كتاب صفة جزيرة العرب ص ٢٨ «شَغْب وبداءً» إذ يقول الهمداني : «ولبلي دار بشَغْب وبداءً بين تيماء والمدينة» . (الترجم) .

(٢) أكثر الآراء غرابة ما عبر عنه بعض أهل الحجاز في اللسان ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ الذي يقولون إن إقليم الخبت يقع «بين المدينة والحجاز» .

(٣) هو القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي ، كان عالماً بالحديث والفقه والشعر والنسب ، ت ١٨١هـ أو ١٧٥هـ وهو الأصح كما ذكر ياقوت . (معجم الأدباء ٦-٣/٥) . (الترجم) .

يتعلق بالغريب من لغة القرآن بعض المؤشرات على لغة أهل مكة . أما بالنسبة للمدينة ، فإن مادة مشابهة يبدو أنها مشمولة في المعلومات التي تندرج تحت عنوان العالية الذي يبدو للوهلة الأولى متطابقاً مع عوالي المدينة^(١) وهي مجموعة من القرى كانت تقع على بعد ٤-٨ أميال من المدينة في اتجاه نجد (انظر : القسطلاني ، ج ٤ ، ص ٢١٧ ؛ اللسان ، ج ١٩ ، ص ٣٢٠) . وقد كانت هناك مجموعة من عشائر هوازن بالقرب من المدينة وتضم عشائر سعد بن بكر وجشم بن أبي بكر ونصر بن معاوية التي كانت تدعى أعجاز هوازن أو عليا هوازن (تفسير الطبري ج ١ ، ص ٢٣)^(٢) وقد نُعِبَر ، بتصريف ، عن المصطلح الأخير بقولنا : «هوازن العالية» ، وعند الجوهري «الصحيح ج ٢ ، ص ٥٢١) وابن دُرَيْد (الاشتقاق ، ص ٣٤)^(٣) وياقوت (المعجم ج ٣ ، ص ٥٩٣) فإن العالية كانت مرادفة للحجاز القديمة كما وصفها الأصمعي (انظر الفقرة «ب») . ويضيف الأزهري (في اللسان ج ١٩ ، ص ٣٢٠)^(٤) عاليات الحجاز بأنها بلاد واسعة تضم حرة ليلى (من أراضي ذبيان ؛ ياقوت ج ٢ ، ص ٢٥٠) وحرّة شُورَان (بالقرب من العقيق ، ياقوت ج ٢ ، ص ٢٤٩) وحرّة سُلَيْم (المرجع السابق) . وبالمثل يعرف فولرز (انظر : volkssprache:p.6) الإقليم على أساس أنه مثلث المدينة -خيبر- عينة ، أي الأراضي الواقعة جنوبي وادي الرُّمّة . بل إن تعريفاً أكثر اتساعاً من ذلك هو ما وضعه أبو علي (اقتبس من ياقوت ، المرجع المذكور أعلاه) الذي يقول إن الإقليم يشمل «كل الأراضي ما بعد وادي الرُّمّة في اتجاه مكة ، بما فيها قبائل

(١) قد ورد في اللسان مادة علا : «والعالية : ما فوق أرض نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكة ، وهي الحجاز وما والاها ، وفي الحديث ذكر العالية والعوالي . . وهي أماكن بأعلى أراضي المدينة وأدناها من المدينة على أربعة أميال وأبعدها من جهة نجد ثمانية» . (المترجم) .

(٢) ما جاء في تفسير الطبري ٥٢/١ (ط دار الكتب العلمية ١٩٩٧/٢) قال أبو جعفر والعجز من هوازن : «سعد ابن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية ، وثقيف» والأخيرة لم يذكرها المؤلف . (المترجم) .

(٣) في الاشتقاق ص ٥٥ : العالية . . وهي أرض أعلى الحجاز وما يليه . (المترجم)

(٤) والعبرة في اللسان عن الأزهري مادة «علا» : وحرّة ليلى وحرّة شُورَان وحرّة سُلَيْم في عالية الحجاز» بعد قوله : «عالية الحجاز . . وهي بلاد واسعة» . والحرّة هي الأرض ذات الحجارة السود النخرة» انظر الإتيان : ص ١٣٥ . (المترجم)

عُكَل وتيم وجزء من ضبة وعامر كلها وباهلة وجزء من أسد وعبد الله بن غطفان أي جنوب غربي نجد . أما عند المبرد (انظر الكامل ، ص ١٦) فإن المصطلح المذكور يضم ببساطة «قريشاً وجيرانها» أي الحجاز الإمبراطورية . ومن الغريب أن يكون مثل هؤلاء الباحثين الأوائل على هذا القدر من الإبهام فيما يتعلق بهذا المصطلح ، وعلى أية حال ، فلن يجانبنا الصواب إذا اعتبرنا أن هذا المصطلح مساوٍ لمصطلح شمال الحجاز^(١) .

e - ٥ - وفي معرض حديثه عن الهمزة (انظر اللسان ج ١ ، ص ١٤ ، يبدو أن أبا زيد^(٢) «التوفى عام ٢١٤ هـ/ ٨٢٩» يرسم حدوداً بين كلام الحجاز وكلام مكة والمدينة عندما يعدّد الناس في الحجاز وهذيل والناس في مكة والمدينة ، ولربما يقصد هنا بمعنى العالية ، الحجاز ويكاد ألا يوجد لدينا أي تسويغ إذا قلنا إن هذا من قبيل التمييز بين كلام المدن وكلام الريف .

f - ٦ - وما نجده في مصادرنا بطبيعة الحال هو مصطلح المدن المقدسة ، وتتمثل الطبيعة المدنية للهجة الحجاز بالكلمات الأعجمية التي ينظر لها على أنها من غريب الكلام عليها مثل كلمة البطريق «atricius» تاج العروس ٦ ، ص ٢٩٦) وكلمة بَلَّاس^(٣) (المِسْح) «Saddlecloth» من الفارسية (الصحاح ج ١ ، ص ٤٤٣ ؛ الجمهرة ج ١ ، ص ٢٨٨ ، وج ٣ ، ص ٥٠٠) وكلمة فرسيك^(٤) «Peach» الجمهرة ج ٣ ، ص ٣٣٨ .

(١) كوفلر (WZKM ج ٤٨ ص ٥٧) يعرف العالية بأنها إقليم عاش فيه العديد من شراذم قبائل متفرقة ، ويعزو إلى لغتها (أي العالية) طبيعة مختلطة ، وهذا ما لم يرد في المعلومات التي جمعناها .

(٢) حيث يذكر صاحب اللسان في حرف الهمزة : «وقال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل ، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون» . (المترجم)

(٣) في اللسان مادة بلس : قال أبو عبيدة : وما دخل في كلام العرب من كلام فارس المسح تسمية العرب البلاس . . . وأهل المدينة يسمون المسح بلاساً وهو فارسي معرب ، وهذا يوضح أن كلمة المسح هي الفارسية وليس البلاس ، كما أراد المؤلف . (المترجم)

(٤) يمثل هذا التعبير الكلمة الآرامية اليهودية الفلسطينية بيرسيقا (Pirsîqa) بيرسقا (Pirseqa) أكثر مما تميل إلى الكلمة السريانية برسايا (Parsāyā) كما تظهر الكلمات الدخيلة (المترجم : المستعارة من لغات أخرى) شكلاً يوحي أنها أخذت من الآرامية الفلسطينية وليس من آرامية بلاد ما بين النهرين .

g - v - كان الحجازيون فُخراً بكلامهم الأصلي المحلي ، ويتضح هذا من القصص التي يبدو فيها أشراف قريش وقد أظهروا الغيرة وهم يدافعون عنها ضد الحذقة المتكلفة (انظر : الفصل العاشر ، الفقرتين h,i) ، التي يظهر فيها أهل المدينة وكأنهم في حالة استنفار وتحذّر لنصرة اللغة العربية السليمة (انظر : الفصل الحادي عشر ، الفقرة zz) ومن الواضح أن هذه القصص متحيّزة النظرة وإنها لا تخلو من قدر ضئيل من الحقيقة إذ ليس مصادفة أن المدرسة الحجازية من قراء القرآن غالباً ما تحافظ على مميزات اللهجة الحجازية وتحاول إكسابها المزيد من المكانة المرموقة . بعزّو مثل هذه القراءات إلى الخلفاء الأوائل . وقد يكون هذا هو آخر أصداء المعركة الخاسرة التي خاضتها لغة غرب الجزيرة ضد المد المتنامي للغة شرق الجزيرة الفصيحة التي يعزّزها النحويون بتقديمهم للبدو والمجد الذي منحوه للشعر البدوي الجاهلي .

الفصل العاشر

الحجاز-الصوائت

a- ١ - إن من أبرز الاختلافات بين نظام الأصوات في اللهجات الشرقية واللهجة العربية الغربية يظهر في الحركات التي تتغير بتأثير الفونيمات المحيطة بها ، ومن النبر والتشديد ؛ وهي التأثيرات التي تخلو منها العربية الغربية تماماً تقريباً . والأخيرة تحتفظ بالصيغ الكاملة الموجودة في اللغات الشقيقة كالكنعانية والأثيوبية ، وتنحاز العربية الفصحى في هذا الجانب إجمالاً إلى العربية الغربية أكثر من اللهجات الشرقية . فمنذ ظهور هذه السمة في الشعر القديم وفي وقت لم يكن فيه أدنى تصور لإمكانية التأثير الحجازي ، يمكننا فقط أن نعزو الاحتفاظ بالحركات تامة إلى سمة مهجورة في العربية الفصحى ، وأن نرد إسقاط الحركات في اللهجات الشرقية إلى تاريخ متأخر نسبياً . وفي الحقيقة إن إسقاط الحركات في العاميات نادراً ما يحدث بالقدر الذي حدث في اللهجات الشرقية ، حسبما أفاد النحاة ، ومن جانب آخر فإن تأثير الفونيمات المجاورة على الحركات أكثر وضوحاً في العاميات .

b- ٢ - أسقطت في اللهجات الشرقية الكسرة والضمة غير المشدّتين كالذي حدث في الأمثلة التالية : فَعِلَ ، فُعِلَ ، إلى فَعِلَ وفُعِلَ (كتاب سيبويه ١٩٨/٢) ، وفَعِلَ وفُعِلَ إلى فَعِلَ (السابق ٢٧٧) ، والصيغتان الفعليتان فَعِلَ إلى فَعِلَ (السابق) مثالان في بيت شعر واحد للأخطل (بتحقيق الصالحاني ١٧، ٢١٧) ، وفَعِلَ إلى فَعِلَ (Jeffery, R.S.O, xvi, 261) ، وفَعِلَ إلى فَعِلَ (الجمهرة ٣٢٩/٢) ، أو إلى فُوَعِلَ (ابن مالك ، التسهيل ، ١٣) ، وترينا الحالة الأخيرة تأثير حذف الحركة على ما يسبقها ، أي توافق الحركات مع الحذف اللاحق .

وتطال العملية نفسها نحو : كَلِمَة في كَلِمَة (ابن جني^(١) ، الخصائص ٢٥/١) وصدقة في صدقة (المصباح : ص ٥١٣) ، وصَبِيغ نحو : فَيَخَذ في فَيَخَذ (اللسان ٣٧/٥)^(٢) ؛ وعُضْد في عُضْد (المخصص ١٦٣/١) ، والكلمتان الأخيرتان لم تُعَدَّ من الصيغ اللهجية . وتخلو

(١) من الجدير بالذكر أن كَلِمَة ، منسوبة لبني تميم في الخصائص . (٢٦/١) . (المترجم) .

(٢) في اللسان مادة فخذ ، كذلك : فَيَخَذ وفَيَخَذ أيضاً بكسر الفاء . (المترجم)

اللهجة الحجازية من كل ذلك تماماً .

وكثيراً ما تُقدّم الصيغ ذوات الحركات المكتملة بوجه خاص على أنها تنتمي إلى تلك اللهجة ، حتى لو وردت للكلمة صيغتان في العربية الفصحى نحو : عُثِقَ في عُثْق (المصباح ص ٦٢٢) ، ضِلَع في ضِلَع (التاج ٤٣٣/٥) ، وَصَدَّقَهُ (المصباح ص ٥١٣) أو صُدِّقَتْهُ (الفراء^(١) في الآية ٦- سورة الرعد) في صُدِّقَتْ . ويؤمّ الجُمُعة ، بينما تقول عُقِيل جُمُعة ، وتقيم جُمُعة (الفراء في Orientalia , xv, 186). والصيغة التميمية جاءت في قراءة الأعمش الكوفي ، أما الصيغة الحجازية ففي قراءة القراء الحجازيين ، وقراءة عاصم الكوفي . وتكون الصيغة الشرقية في بعض الحالات شائعة في العربية الفصحى ، كما في حالة الحُسْن الحجازية في الحُسْن^(٢) (البيضاوي ٧٠/١ - قراءة غير مقبولة في الآية ٢/ سورة البقرة) . ولا يمكن أن يقال دائماً إن الصيغة الحجازية أقدم والصيغة الشرقية تقدّمت بالحذف . وأما بالنسبة للمثال العربي «مَلِك» والعبري «مَلِك» فإنه يبرهن على أن هناك كمية لا بأس بها من الصيغ الاسمية السامية تتردّد بين المقاطع الأحادية والثنائية .

وللسبب نفسه لا أحد يمكنه الادعاء بأن اللهجة الحجازية قد أقحمت الحركات في الصيغ التي لا تملك مثلها في الأصل . وقد حصل ذلك فعلاً من بعض الشعراء الغربيين طلباً للقياس . (شوارتز ، ديوان عمر ، ١٠٠/٣ وما بعدها) واللهجة المكية الحالية تقدّم مجموعة من الحركات من هذا النوع (Snouk Hurgronie, Mekkanische sprichwörter, p.99). ربما وجدت النزعة نفسها في اللهجة القديمة مع أنه ليس لدينا برهان على ذلك .

c- ٣ - والحالة الخاصة قد تكون في الجموع التي تتم بزيادة الألف والتاء على المفردة المؤنثة ، وتصوغ اللهجات الشرقية هذه الجموع بزيادة الألف والتاء إلى الجذر . بينما في العربية الغربية يتم بإضافة حركة ، وتتقلب الفصحى في صوغ الجموع على فَعَلَات من فَعَلَهُ مع الامتناع عن تحريك الواو والياء بالفتح في الأجوف ، وعلى

(١) والحقيقة أن لفظ «صَدَّقَاتِهِنَّ» قد جاء في الآية ٤ من سورة النساء وهي : «وَأَتَوْنَا نِسَاءَ صَدَّقَاتِهِنَّ بِخَلَّةٍ» ولكن ما ذكره المؤلف جاء في معاني القرآن للفراء في سياق تفسير الآية ٦ من سورة الرعد حين قال الفراء في قوله تعالى : «وقد خلت من قبلهم المثلّات» : هي المثلّات وتقيم تقول المثلّات وكذلك قوله : «وَأَتَوْنَا نِسَاءَ صَدَّقَاتِهِنَّ» حجازية ، وتقيم صُدِّقَات ، وأهل الحجاز يقولون أعطها صَدَّقَتْهَا ، وتقيم تقول : أعطها صُدَّقَتْهَا في لغة تميم» (المترجم) .

(٢) في قوله تعالى : «وقولوا للناس حسناً» من الآية ٣٨-سورة البقرة . (المترجم) .

فِعَلَات وفُعَلَات في فِعْلَه وفُعْلَه ، مع قبول فِعَلَات وفِعَلَات .. إلخ من ناحية ثانية . وحيشما بحثت تجد الصيغ الثلاثية المقاطع في لهجة الحجاز ؛ فقد قال الحجازيون : مَثَلَات ، وصُدُقَات (الفراء في معاني القرآن آية ٦ - سورة الرعد) ونِعِمَات (عن اللحياني في اللسان ج ١٦/ص ٥٩) . وتبدو الصيغتان الأخيرتان بأنهما تُمَيِّزَتَان في الحجاز ، ويقال في اللهجات العربية الغربية نِعَمَات وصُدُقَات كما في العبرية (Kebhāsōth from kibhsāh and hōrāhāth from horbāh) (انظر في هذا الفصل الثامن - d) .

d - ٤ - وقد لاحظ أبو عبيدة (d 210-825) عدم الحذف : فأهل الحجاز يفخّمون الكلام كله إلا حَرَفًا واحدًا وهو عَشْرَةٌ فإنَّهُم يجزّمونه . وأما أهل نجد فيتركّون التفخيم في الكلام إلا هذا الحرف فإنَّهُم يقولون عَشْرَةٌ (عن السيوطي في الإتقان ص ٢٢٠)^(١) والفخامة^(٢) في النحو تعني التوليد الذي يجعل المعنى واضحاً تماماً (الأستراباذي ، شرح الكافية ٥/٢) . وينطبق هذا كذلك على الفتحة التي لم يحدث فيها إمالة^(٣) ، وفي اللهجة الحجازية (انظر الفقرة p) .

ومن الواضح أن المقصود شيء أكثر من مجرد الاحتفاظ بالحركات وهو الإشارة إلى عملية التثقيب وما يناقضها من تخفيف (الفراء ، معاني القرآن آية ٩ - سورة الجمعة مقتبسة من

(١) نقلت الخبر بنصّه عن الإتقان (١/٢٠٣ ط ٣ دار الكتب العلمية) . ووجدت في موضع آخر من الكتاب نفسه ٤٩٣/١ قراءة مناقضة في : «اثننا عشرة عيناً (البقرة-٦٠) : قريء بسكون الشين وهي لغة تميم ، وكسرهما وهي لغة الحجاز ، وفتحها وهي لغة بلي» . وقبل هذا النص ينقل السيوطي من معاني التفخيم «تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر .. دون إسكانها ؛ لأنه أشبع لها وأنخم» . وعليه فإن قصد المؤلف بعدم الحذف عدم حذف الحركة أي التحريك . (المترجم) .

(٢) قد يقصد التفخيم . (المترجم) .

(٣) إن مصطلح التفخيم يستعمل مع الصوامت المشددة ، ولا يمكنني تحديد قِدَم هذا الاستعمال ولكن يبدو أنه مشتق من حقيقة أن ألف التفخيم توجد بانتظام بجوار الصوامت المشددة . في العراق ما زال التفخيم يوظف في وصف ألف أواخر الكلمات البغدادية التي هي أشبه بالألف الممالّة دون أي مكان آخر .

(Orientalia, xv, 186)^(١) وهناك عدة درجات من التضعيف والتحييد للحركات المشددة قبل حذف الحركة كلياً. وكانت تعطي العلل القصيرة غير المشددة في لهجة الحجاز الصوت نفسه المعطى للمشدّد منها. وعلى هذا النحو تشبه العربية الحجازية الإنجليزية الأمريكية بينما الخطاب النجدي أشبه بالإنجليزية الملكية.

e - ٥ - لسنا بحاجة إلى موافقة وجهة نظر أبي عبيدة بأن عَشْرَة تشكل استثناء من القاعدة الحجازية. والصيغة التي يعينها هي المستخدمة في الأعداد المؤنثة من الأرقام ١١-١٩. وهنا قال أهل الحجاز «إحدى عَشْرَة... إلخ، وتيم وأهل نجد بوجه عام يقولون إحدى عَشْرَة (سبويه ١٧٦/٢، الصحاح ٣٦٤/١) وبعض التميميين قالوا إحدى عَشْرَة (السيوطي، المزهري ١٧٥/٢)^(٢). وعُدّت الحجازية هي الصيغة الفضلى (الأستراباذي، شرح الكافية ١٥٠/٢)^(٣). والكلمتان: العبرية عَشْرِي esrê (في البابلية 'asrōh) والسريانية عسري esrê تبرز هنا على أنها صيغة سامية الأصل، وعَشْرَة التميمية لها ما تعتمد عليه. والحالة نفسها مع الصيغة التميمية سَمْرَة، والصيغة الحجازية سَمْرَة (شجرة الصمغ العربي) (ابن دريد، الاشتقاق ص ٥٠)^(٤).

ويبدو أن العربية الفصحى قد تبنت الصيغة التميمية، ومن الجدير بالملاحظة أنه في

(١) يقصد ما جاء في معاني القرآن ١٥٦/٣ في قراءة الجمعة حيث قال: «من يوم الجمعة خَفُّها الأعمش فقال الجمعة وثقلها عاصم وأهل الحجاز» ويفهم التخفيف والتثقل هنا على ما فهمه المؤلف أي التخفيف نطق الميم في الجمعة بالسكون وهي قراءة الأعمش على لغة تميم، والجمهور بضم الميم أي تثقيلها وهي قراءة عاصم وغيره على لغة أهل الحجاز (انظر البحر المحيط ٧٦٢/٨ ففيه وضوح أكثر) (المترجم).

(٢) وما جاء في المزهري ٢٧٥/٢: «أهل الحجاز يقولون خمس عَشْرَة خفيفة لا يحركون الشين، وتيم تثقل وتكسر الشين ومنهم من يفتحها» وهو ما يناقض ما جاء في الإتيان ٤٩٣/١ في قراءة الآية: «اثنتا عشرة عينا» حيث ذكر السيوطي: «قريء بسكون الشين وهي لغة تميم، وكسرها وهي لغة الحجاز، وفتحها وهي لغة بلي» (المترجم).

(٣) شرح الكافية ١٥١-١٥٠/٢: «وتيم تكسر شين عَشْرَة المركب في المؤنث... وأما الحجازيون فيعدلون من حركة الوسط إلى السكون... وهي الفصحى» (المترجم).

(٤) جاء في الاشتقاق ص ١٨/٨٠: «سَمْرَة مشتق من السمر، وهو ضرب من العضاء، والعِضاء: كل شجر له شوك، وأهل الحجاز يقولون: سَمْرَة، وينو تميم يقولون: سَمْرَة» (المترجم).

كلتا الحالتين^(١) يقترن تغيير الحركة بالراء ، وهو الصوت الصامت الذي يبدو أنه يمارس تأثيراً خاصاً على الحركات في اللهجات الشرقية (انظر : الفصل ١٢ الفقرة k ، والملاحظة في الفصل الثامن من الفقرة x) . وهذه الحالة ، بوجه خاص ، لها ما يناظرها في الأكديّة فإن هناك حركة تحذف في العادة ؛ إذا ما تلاها مباشرة مقطع متحرك بحركة قصيرة ، دون الفتحة قبل الراء (Geotze, orientalia, xv, 233) ويبدو أنه من الصعوبة بمكان نطق الراء مباشرة بعد صوت صامت آخر . ففي المصباح ص ١٠٧٩ ذكر إن كل اسم في لهجة أسد على وزن فُعْل ينطق فُعْلاً ، ولكنه اكتفى بضرب أمثلة معينة دون غيرها نحو : عُسْرَ ونُسْرَ اللذين أصبحا (عُسْراً ونُسْراً) . وربما يكون في هذا مثال آخر على اقتران التغير الصوتي للحركة بالراء^(٢) .

f-٦ - وفي اللهجات الشرقية ملمح آخر وهو التوافق أو الانسجام الحركي مثل التشابه بين الحركات غير المشددة والحركات المشددة . ففي لهجة تميم تنطق «فُعْألى» صيغة جمع الإناث فُعْألى (ابن خالويه ، البديع ص ٢٦) . وتكثر هذه النزعة فقط مع الصوامت الحنجرية (التي لا تحتاج تعديلاً من أعضاء النطق الفموية) كما في رأيي التميمية في رأيي (اللحياني في اللسان^(٣) ١٠/٢١ ابن قتيبة ، أدب الكاتب ص ٤٠١) ويعبر في بغير (التاج ٥٢/٣) . وبشكل عام في فَعِيل (سيبويه ٢٧٤/٢) . وفي لهجة أسد تتغير (فَ ، وَ) قبل الهمزة إلى (فَ ، وَ) (الأخفش في بديع ابن خالويه ص ١٧) والأمثلة مع حركات أخرى : أُرُومَة في أُرُومَة (المفضليات ص ٤٥٢) ، والحَصَاد في الحَصَاد (السيوطي ، الزهر ١٧٦/٢)^(٤) ،

(١) يقصد حالتي : عَشْرَة وسَعْرَة . (المترجم)

(٢) يورد كوفلر (wzkm, xlviii, 260) شاهداً آخر على هذا دون راء ، واعني «وَسْمَه» الحجازية في «وَسْمَه» وكان مصدره اللسان ١٢٣/١٥ الذي جاء فيه على عكس ما قال تماماً أي الوِسْمَة ، أهل الحجاز يشقّلونها وغيرهم يخففها .

(٣) والرئي الجنني يراه الإنسان فقد قال اللحياني في اللسان مادة رأى : . . . وتميم تقول رأيي بكسر الهمزة والراء مثل سعيد ويعبر . (المترجم)

(٤) يجعل كوفلر في (wzkm, xlviii, 262) حَصَاد صيغة حجازية ، وحَصَاد من لهجة تميم ويستشهد بعدد من حالات أخرى حجازية على «فَعَال» بينما في تميم : فَعَال ، وفُعَال من كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة . في مثل هذه المصادر لا تعزى مثل هذه الصيغ إلى قبائل محدّدة ، وأما اللسان فلا يذكر الاختلافات اللهجية في مثل هذه الحالات ؛ إلا أنه ذكر رَصاص مقابل رِصاص غير الفصيحة . (جاء في اللسان مادة رصص : في رِصاص والعامّة تقوله بكسر الراء) . المترجم

والظاهرة الوحيدة من هذا النوع في الفصحى هي التشابه بين الضمائر المتصلة : هـ ، هُمُ وهُنَّ بعد الكسرة أو الياء^(١) . وهذه هي الحالة الوحيدة من المماثلة التقديمية التي تعرض في العربية الفصحى وهي في لهجة ربعة أكثر أصالة ووضوحاً ، حيث المماثلة فيها تتخطى الصحيح كما في قولهم : مِنْهُمْ (سيبويه ٣٢١/٢)^(٢) . وما حصل مع هُمُ حصل مثله مع «كُم» السابق^(٣) . ومع تواضع هذه الكمية من التناسب الحركي فقد عزَّ وجودها في لهجة الحجاز . وهناك من قال بغلامِهُو ، بغلامِهُمُ إلخ (سيبويه ١٢٣/٢) وقد قرأ قراء الحجاز «بُه وبِدَارُه» الآية ٨١ من سورة القصص^(٤) (ابن جني ، المحتسب ص ٥٧) ويبدو أن لفص الكوفي (تلميذ عاصم) قراءة على النمط نفسه تماماً (السيوطي ، الجمع ٥٨/١)^(٥) ، وقد وجد فيها معظم القراء تسوية ما لقراءاتهم ، فحمزة الكوفي (من تيم ، إحدى قبائل العالية) وإن لم يقرأ بها بعد حروف الجر فإنه قرأ بها بعد الأسماء (الأستراباذي ، شرح الكافية ١٢/٢) فيما عدا إذا جاء الضمير قبل همزة الوصل مباشرة . وعليه قرأ «فقال لأهلِه أمكثوا» من الآية ١٠ في سورة طه ، وقرأ بعض القراء مع جمع المذكر- هُمُو ، وآخرون هُمُو ، إلّا أبا عمرو البصري فقرأ هِمُ ،

(١) ينكر بارث في (Pronominalbildung, p.49) أن تكون هذه الحالة من التناغم الحركي ولكنه يعتقد أن- هـ من قبيل القياس على السامية الأم- هُنَّ . وقد يكون هذا صحيحاً ، ولكن الحقيقة التي تبقى أن توزيع اللاحقتين المثالين محكوم بالتناغم أو التوافق الحركي .

(٢) فقد جاء في الكتاب ط هارون ١٩٥/٤-١٩٦ : «فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة . . . واعلم أن قوما من ربعة يقولون : مِنْهُمْ ، أتبعوها الكسرة ولم يكن المُسَكَّنُ حاجزاً حصيناً عندهم ، وهذه لغة رديئة» . أي أتبعوا كسرة الهاء لكسرة الميم مع أن الصامت النون بينهما وهذا ما عناه المؤلف بقوله المماثلة تتخطى الصحيح وهو فهم المؤلف لما قاله سيبويه : «لم يكن المُسَكَّنُ حاجزاً حصيناً» أي الصوت الصحيح الساكن لم يمنع التماثل بين الصائتين (كسرة الميم وكسرة الهاء) . (المترجم) .

(٣) يقصد ما ذكره سيبويه ١٩٧/٤ ط هارون : «وقال ناس من بكر بن وائل : من أحلامكم وبِكِم ، شبهها بالهاء لأنها عَلِمَ إضمار وقد وقعت بَعْدَ الكسرة ، فأتبع الكسرة الكسرة . . . وهي رديئة جداً» (المترجم) .

(٤) وقد جاء في همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي ٥٨/١-٥٩ : «أما الحجازيون فلغتهم ضم هاء الغائب مطلقاً ، وبها قرأ حفص «وما أنسانيه» ٦٣- الكهف ، وبها عاهد عليه الله» ١٠- الفتح . (المترجم)

(٥) على خلاف ما ذكره الداني (انظر Pretzl, Islamica, vi, 297) .

ووجدت كل هذه القراءات في جميع المخطوطات الكوفية ، حيث يستدل أحياناً على كلتا القراءتين الحجازية والشرقية بالنقطة المختلفة الألسوان. (Nöldeke, GO..Isted, p.328) وقد سمع الكسائي (ت ١٨٩هـ-٨٠٥م) من رجل طاعن بالسن من هوازن صيغاً دون توافق حركي (اللسان ٣٦٨/٢٠) . وحرصه على ذكر سنّه يوحى بأن الجليل الأصغر من القبيلة قد استعمل الصيغ الشرقية .

g- v - إن التأثير اللهوي ، والحلقي ، وتفخيم الصوامت على الحركات المجاورة كان أقوى في اللهجة الشرقية منه في لهجة الحجاز . وبالطبع ليس لدينا وسائل لاكتشاف التغيرات الفونيمية مثل تقصير العلة الطويلة (أو تحول الألف إلى فتحة) «انظر Gairdner, phonetics, p.47 سوى تلك التي جرى استبدالها بفونيم حركة مختلف تحت تأثير الصوامت المذكورة . وتحتل العربية الفصحى مركزاً وسطاً ، بامتلاكها كلاً من الصيغ الغربية والشرقية ، وغالباً ما يستحيل التحقق معجماً مما يمكن اعتبارها الصيغة الفصحى . ومن أجل ذلك سأضرب أمثلة مما يمكن أن نعده حقاً من لهجة الحجاز ومن لهجة تميم . . . إلخ مفترضاً أن الصيغ المختارة قد استعملت على كل حال في اللهجة المغايرة حتى وإن لم يذكر هذا بوضوح .

h- ٨ - ويمكننا أن نلاحظ الحالات الآتية : بمجاورة الصوامت اللهوية والحلقية نجد في اللهجات الشرقية الفتحة ، في الوقت الذي نجد فيها الضمة في لهجة الحجاز : عَفَر الدار ، تميم : عَفَر الدار (الأصمعي ، الأضداد ، ص ٥ ، ابن السكيت : الأضداد ص ١٥٤) . العالية : يَفْرُغ في يَفْرَغ (المفضليات : ص ٢٨١ ، المبرد ، الكامل : ص ٦١) لُحْد وُرْفَع مقابل لُحْد وُرْفَع عند تميم (الرافعي ، التاريخ : ٧٤١/١) ، شَهِد مقابل شَهِد عند تميم (المصباح^(١)) ، والتاج ٣٩٢/٢) ، الحجاز : جُهِد في جَهِد

(١) يقصد المؤلف : أن الألفاظ يُفْرَغ ولُحْد وُرْفَع وشَهِد من ألفاظ العالية ؛ لأن المصباح يذكر في مادة رَفَع : «الرُفَع أصل الفخذ ، الرُفَع بضم الراء في لغة أهل العالية والحجاز . . . وفتح الراء في لغة تميم» وفي مادة شَهِد : «الشهد فيه لغتان فتح الشين لتمييم . . . وضمها لأهل العالية» . (المترجم)

ولم ينقل المؤلف في عزوه صيغتي يَفْرَغ إلى العالية و تميم عن الكامل فالمبرد لم يقل سوى أن : «سنفَرُغ وسنفَرُغ» من الآية ٣١/سورة الرحمن تُقرأ على وجهين ولم ينسبهما لقبائل العرب ، ولكن نسبتهما مثلاً جاءت في البحر المحيط ١٩٤/٨ بقوله : قرأ الجمهور سنفرُغ بضم الراء وهي لغة أهل الحجاز . . . وفتح الراء وهي تميمية . (المترجم)

(المصباح ص ١٧٦) ، زُهو (ظهور الصفرة أو الحمرة على ثمر النخيل) في زُهو (الصباح ٢/٤٩٠) . يَجْنَح في تميم ، وَيَجْنَح في قيس (التاج: ٣٣١/٢) . في بكر: بَخَل في بُخَل (ابن خالويه : البديع ص ٢٦) . وفي ضَعْف يقولون ضَعْفاً «في لغة النبي» [ﷺ] (المصباح ١٧٦) ^(١) . واستقيت هذه المعلومة بلاشك من الحديث الذي يُسند لابن عمر الذي قرأ أمام النبي [ﷺ] «ضَعْفاً» في الآية ٥٤ من سورة الروم ^(٢) ، وصححه النبي [ﷺ] وأبلغه أن يقرأها ضَعْفاً (البضاوي ١١٠/٢) ، ولم يقرأها بالفتح سوى الكوفيين عاصم وحمزة . والفائدة التي نجنيها من النادرة ترينا أن الأساس ، الذي يستند إليه الخلفاء والنبي [ﷺ] نفسه ، هو النطق الحجازي ، وأميل إلى اعتبار (فُقِر في فُقِر) حجازية ، ولكن الليث (في اللسان ٣٦٦/٦) يرفضها ويعدها لغة رديئة (أو لا يمكن أن نقرأها أزديّة؟) . وقال أهل تهامة عَضُد في عَضُد وعُجَز في عَجَز (أبو زيد ، اللسان ٢٨٣/٣) . والصيغة الشرقية عَضُد كانت عَضُداً (سيبويه ٢٧٧/٢) ^(٣) ، على كل حال هناك أمثلة أخرى بعلاقة مناقضة لذلك نحو: زَعَم الحجازية في زَعَم مقابل زُعَم التميمية (يونس في اللسان ١٥/ص ١٥٦ ، التاج ٣٢٤/٨) . وربما هذه حالة الفتحة فيها تقابل الكسرة (انظر الفصل الآتي) .

i- ٩ - بالنظر إلى الشواهد الكثيرة التي تقابل فيها الضمةُ الفتحةُ ، إنه من المستغرب أننا لا نجد غالباً في اللهجة الحجازية كسرة تقابل الفتحة في اللهجات الشرقية ، بالرغم من تشابه الحالات والظروف ، فقريش تقول : نَعِم في نَعَم كما في هذيل (انظر الفصل ٨ فقرة c) وكنانة (انظر الفصل السابع فقرة q) ، وقد لاحظ رجل من خثعم بأن النبي [ﷺ] قد قال نَعِم . وقد شاع أن الخليفة عمر قد أمر بهذه

(١) وما جاء فيه : «الضَّعْف بفتح الضاد في لغة تميم وبضمها في لغة قريش» ولم يذكر صاحب المصباح أنها من لغة النبي (ص) . (المترجم)

(٢) يقصد الآية الكريمة : «الله الذي خلقكم من ضَعْف ثم جعل من بعد ضَعْف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً . . .» إلخ الآية ٥٤ - سورة الروم حيث (قرأ الجمهور بضم الضاد وعاصم وحمزة بالفتح (البحر المحيط ١٨٠/٧) . (المترجم)

(٣) وما جاء في : «الضَّعْف بفتح الضاد في لغة تميم وبضمها في لغة قريش» ولم يذكرها صاحب المصباح أنها من لغة النبي (ص) . (المترجم)

الصيغة^(١) . وقال بعض ولد الزبير : ما كنت أسمع أشياخ قریش يقولون إلا نَعِم بكسر العين (اللسان ٦٩/١٦) . استعملت تميم أَخَذَ في أَخَذَ بدلاً من إِخَذَ (التاج ٥٥١/٢)^(٢) . وبالعكس ففي لهجة الحجاز لَحْيَة في لَحْيَة (الزمخشري ، الكشف ص ٨٦٤)^(٣) .

وهذه من أغرب الحالات المتعددة التي تقابل الكسرة فيها الفتحة مما شاع في لهجة نجد : نَحْي في نَحْي (الخزانة ٢٣/٣) ، وفي تاريخ آداب العرب للرافعي ١٤٧/١ ، نَحْي عُزَيْتَ لتميم في اللسان ٢١٩/٢٠ ولكن لم يرد فيه سوى أن النَحْي والنَّحْي بمعنى الغدير في نجد^(٤) .

والحج في الحَجَّ (البيضاوي ١٦٧/١ ، والجمهرة ٤٩/١ مع شاهد لجرير التميمي) ، قَرِي عينا في قَرِي ، قرأها بعضهم في القرآن الآية ٦٢ من سورة مريم^(٥) ، اعتماداً على لهجة نجد (البيضاوي ٩٧٥/١) . ويمكننا أن نضيف إلى هذا أن في لهجات قيس (زَعَم) بينما في الحجاز زَعَم في زَعَم . الفقرة الأنفة الذكر عن (فولرز : Volkssprache ، ص ١٥ دون ردها لمراجع) . فولرز (المراجع السابق) ، ونخلص من هذه الأمثلة إلى أن الفتحة القصيرة في لهجة نجد ، عرضة للإمالة بقدر طولها ، وإن الكسرة في كل هذه الكلمات تمثل الكسرة الممالة أو الخالصة ، وعلى أية حال ، فإنه يستحيل في كل الأحوال أن تظل الفتحة مرتبطة بالأصوات التي تحول دون الإمالة ، وقياساً على الفونولوجيا السامية يمكن أن تكون الفتحة قد تطورت

(١) يشير إلى ما جاء في اللسان مادة نعم : «في حديث قتادة عن رجل من خثعم قال : دفعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بمنى فقلت : أنت الذي تزعم أنك نبي؟ فقال : نَعِم وكسر العين . . . وقال أبو عثمان النهدي : أمرنا أمير المؤمنين عمر ، رضي الله عنه ، بأمر فقلنا : نَعِم فقال : لا تقولوا نَعِم وقولوا نَعِم . . .» المترجم .

(٢) والشاهد اليميني في نفس الظاهرة : قَرِيَة في قَرِيَة (الأزهري : اللسان ٣٧/١٠) (انظر العبرية قَرِياه) .

(٣) حيث قال عند تفسير الآية ٩٤ من سورة طه ٨١/٣ ط دار الكتب العلمية) في قوله تعالى : «لا تأخذ بلحيتي . . إلخ . «قريء بلحيتي بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز» (المترجم) .

(٤) يشكك المؤلف فيما كتبه الرافعي في عزوه النَحْي لتميم حيث لم يرد ذلك في اللسان ، كذلك لم يرد في اللسان أن النَحْي بمعنى الغدير كما أفاد المؤلف بل فيه بمعنى الرِّق وهو ما أكدّه الأزهري في اللسان مادة نحى من أن العرب لا تعرف النَحْي غير الرِّق . (المترجم) .

(٥) في قوله تعالى : «فكلي واشربي وقَرِّي عيناً» (المترجم) .

عن الكسرة في الكلمات كلها . مع استحالة أن تكون الكسرة قد تطوّرت من الفتحة ، كذلك من غير الممكن أن نعرف المقصود بأهل نجد ، في هذه الحالة ، أهم قيس أم تميم؟ وإنما بحاجة إلى مزيد من المعلومات تلقي بعض الضوء على هذا التناقض الغريب الذي يظهر عند معالجة الكسرة والضمّة (١) .

k- ١٠ - في عدد قليل من الحالات ، نجد الكسرة في اللهجة الحجازية تقابل الضمة في اللهجات الشرقية عندما تجاور الصوامت اللهوية والمفخّمة ، إذا ركبت مع الأصوات الشفوية ، في معظم الأمثلة : مُصَحَّف الحجازية في مقابل مُصَحَّف التميمية (الجمهرة ٣٦٩/٢ ، ولكن في المرجع السابق ١٦٢/٢ : مُصَحَّف قيل إنها من لغة أهل العالية) ، قُدُوَّة مقابل قُدُوَّة التميمية (اليزيدي ، اقتباس السيوطي ، المزهرة ١٧٦/٢) . في الحجاز : قُنَّوان ، وكلب : قُنَّيان ، وقيس : قُنَّوان ، تميم وضبّة : قُنَّيان (الفراء ، التاج ٣٤/٥) . قَبْلًا في كنانة مقابل قَبْلًا في تميم (أبو عبيدة ، الرسالة ، ص ٥٤١- يؤيد هذه الحقيقة القراءة الكوفية قَبْلًا في الآية ٥٥ من سورة الكهف) . وسُخْرِيَّا التميمية قرأ بها نافع في الآية ١١٠- من سورة «المؤمنون» (٢) ، وحمزة والكسائي سُخْرِيَّا (أبو عبيدة ، الرسالة ص ١٥٦) ، رُضْوَان في رُضْوَان (يونس ، اقتباس السيوطي ، المزهرة ٦٧١/٢) ، قَنِية الحجازية مقابل قُنُوَّة التميمية (السابق) (٣) . ومع غياب الأصوات اللهوية والمفخّمة وبصحبة الأصوات الحلقية

(١) ربما يكون هذا الاختلاف في معالجة الحركتين مبنياً على اختلاف صوتيٍّ موروث بينهما الذي بنى عليه

معالجة مختلفة في آخر الكلمة ، حيث يجري تقصير الكسرة الطويلة وليس الضمة الطويلة (انظر فصل ١١)

(٢) يقصد قوله تعالى : «فَاتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا .» (المترجم) .

(٣) إن التبادل بين الواو والياء ، والضمّة والكسرة في قُنُوَّة وقُنَّوان ، لوضوح ترابطهما والأمر نفسه في كَلْيَه ، في

اللهجة اليمنية كَلُوَّة (اللسان ٩٤/١٠) ، والآخرية هي الصيغة الشائعة في اللهجة السورية . إن نطقها كَلُوِه ،

على عكس ما يحذر منه ابن السكيت (ت ٨٢٤٣/هـ - ٨٧٥م) ، (اللسان ، السابق نفسه) في فلسطين وحواران

(كانتينو ، حوران ، ص ٥١١) ، والمقابلة الأصلية بينهما : كَلُوِه : كَلْيَه . ولكن إلى أي اللهجات تنتمي

الصيغتان (انظر أيضاً الفصل ١١ فقرة k) .

نجد في الحجازية : عِدْوَه ، عِشْوَه ، إِسْوَه مقابل ضمها في التميمية^(١) (المرجع السابق) . ومن ناحية أخرى عَزِيت عِدْوَه في التاج (٢٣٦/١٠) إلى قريش ، وعدوه إلى قيس . مع الصوت الشفوي والراء : مِرْيَه في الحجاز مقابل مِرْيَه في تميم (أبو عبيد ، الرسالة ، ص ١٥٤ ، يونس في المزهري ١٧٦/٢ ، في القرآن الآية ١٧ - سورة هود ، قرأها القراء المقبولة قراءتهم مِرْيَه .

١١ - وبالعكس ذلك ، توجد أمثلة قليلة في اللهجة الحجازية بالضممة ، مقابل الفتحة في الفصحى : لَمَه في لَمَه (ابن سيده من الحَجْرِي ، استشهد بها التاج ٣٣٢/١٠) ، سَم في سَم (يونس في التاج ٣٤٥/٨) ، انظر سَم العبرية والآرامية . وهذه النزعة إلى تحويل الفتحة ضمة بجوار الحروف الشفوية ، نطقت أكثر إلى حد بعيد في النماذج الآرامية الفلسطينية (انظر Dalmann, Grammatik, p.89, Noldeke, ZDMG, xxii,455; Id., Mandeiche Gramm.p.17) ، وفي عامية ظفار في جنوب اليمن (Rhodokanakis, Dhafar, ii,94)^(٢) .

وكما أنه في تلك الاصطلاحات ، لم تتأثر الكسرة بالحروف الشفوية في الحجاز - راجع الأمثلة التي وردت في الفصل السابق k ، وهكذا تتناقض مع اللهجات الشرقية ليس بفعل التأثير القوي للحروف الشفوية ، ولكن بتأثيرها الأضعف . وبما يعزز هذا الأمر الاحتفاظ بـ «إم» مقابل أم في لهجة هذيل (انظر : الفصل الثامن من فقرة s) . وفي الواقع فإن كلمة سَم يمكن أن تكون كلمة مقترضة في العربية (Fronkel, Fremdwörter, p.262) وليس

(١) والمعلومة بتمامها في المزهري ٢٧٧/٢ : «أهل الحجاز تركته بتلك العِدْوَة وأوطأتَه عِشْوَه ولي بك إِسْوَه وقِدْوَة وتيمم تضم أوائل الأربعة» لم يذكر السيوطي الكسر في عدوة وعشوة ، كما أن الكلمة التي جاءت عند رابن هي عِشْوَة iswa وليس إِسْوَة كما هي عند السيوطي ، الذي قد يكون من قبيل الخطأ المطبعي في الأصل الإنجليزي . وعليه ربما يكون هذا التخليط مقصوداً ، ولم يأت عفواً من المؤلف ، ليطوِّع الأمثلة قصراً لما طرحه من أفكار . وما يلاحظ كذلك أنه ذكر قدوة في مثل سابق لأن فيها صوتاً شفوياً ولم يذكر عدوة وعشوة وأسوة وفيها أصوات شفوية لكي يفردا معلومة مع العين الحلقية . (المترجم) .

(٢) في لهجة قضاء سَم (الاسم) يقال سَم (اللحياني في اللسان ١٢٦/١٩) انظر : سَم الآرامية الفلسطينية . ويبدو أنها استعملت في الشرق أيضاً ، منذ أن سجل استعمال أَسَم في المرجع السابق ويجب أن ترد لهجة عمرو بن تميم إلى سَم .

مستبعداً أن تكون الضمة قد جاءت مع الكلمة من اللهجات الآرامية الفلسطينية^(١) . لاحظ أن العالية هي المنطقة الأقرب إلى منطقة سكنى اليهود في الجزيرة العربية ، التي تتكلم بهذه الصيغة . ويمكن أن تكون اللهجات الأخرى قد اقترضت الكلمة من السريانية .

على أية حال فإن هذه الأمثلة النادرة لا تعطي فرصة للافتراض مع شوارتز (عمر ١٠١/٤) أن هذه اللهجة تنزع إلى حد ما لجهر الحركات . لا علم لي بأمثلة أخرى لها مثل هذه النزعة . وفي الحقيقة فإن اللهجات الشرقية تحتفظ باستدارة الشفتين عند نطق الضمة الطويلة ، بتأثير فعال من الواو المجهورة ، ولكن الحجازية لا يحصل فيها ذلك (انظر فصل ١٢-الفقرتين (i,u) . والحالة الوحيدة في اللهجة الحجازية لا يمكن تفسيرها بتأثير الأصوات المحيطة هي : ذُكِرَ في ذِكر مصدر ذُكِرَ ، استشهد بها سيبويه دون تعليق ولكنه قال إنها حجازية عن ثابت ، عن الأحمر (في التاج ٢٢٧/٣) .

m-١٢ - إن الاختلاف بين اللهجات الشرقية والحجازية ناشيء بوضوح من الاختلاف في الإيقاع^(٢) . ففي الشرق للمقطع وحدة محدّدة ، بحيث تؤثر بعض العناصر في بعضها الآخر ، وبالمثل توجد في الكلمة قوة تسبب اختصار أو اكتمال الحذف في بعض الحركات . وبهذا تقف العربية الشرقية إلى جانب لغات كالألمانية والروسية ، ففي هذه اللغات تخط من النطق يدعى النبر الزفيرى أو النبر اللهجي^(٣) . وفي اللغات السامية يوجد مثل هذا النبر في العبرية ، والآرامية ،

(١) وكأنّ اليهود الذين سكنوا المدينة وما حولها كانوا يتكلمون الآرامية ولا يريد أن يعترف أن كلمة «سم» سامية الأصل أي من اللغة السامية الأم ، وأنها ملك مشترك لجميع اللغات ؛ أقصد اللهجات التي تفرعت عنها . (المترجم) .

(٢) لقد وصل أنيس (في كتابه اللهجات : ص ٥٦) من دراسة عن مماثلة الصوامت ، إلى نتيجة مشابهة وهي أن العربية الحجازية كانت تنطق بصورة أكثر بطأً وأناة ، إن الإجادة والتفصُّح في إيقاع النبر غير الزفيرى يعطى بالطبع الانطباع بالبطء وعليه ستناقش الأسماء المختصرة مؤخراً . ومن الواضح أن النبر ليس في سرعة النطق التي تسبب في ظاهري المماثلة والحذف .

(٣) يثبت ميه (La method comparative: p.88-q) أن اللغات التي لا تُنَبِّرُ فيها الفتحة تعامل بصورة مختلفة عن الضمة غير المنبورة ، أو الكسرة ذات النبر الطويل ، على ألا يكون حاداً ، وهذا ينطبق بالطبع على العربية الشرقية وكثير من العاميات ، ولست أدري علامَ اعتمد ميه في خبره هذا ، على أي حال إن فكرتنا عن النبر محدودة جداً ، بحيث يكون الاختلاف لفظياً .

وَوُجِدَ في اللغة المصرية القديمة أنه مطابق لعامية عربية بعينها وهي اللهجة السورية .

وعلى العكس من ذلك ، لا يسمع مثل هذا النمط من النبر الزفيرى في الفرنسية ، والإنجليزية الأمريكية واللغات الهندية ، والألمانية . وفي اللغات التي اعتادت على هذا النبر اللهجى ، فإن الانطباع الأول بأن النبر فيها مطرد التغيير ، مذهب ظهور النبر الزفيرى الخفيف على المقاطع بفعل عوامل التفخيم وتوازن الجملة . حتى حذف الحركات لم يكن شائعاً في بعض اللغات دون النبر الزفيرى ؛ ولكنه اختياري ويمكن أن يؤثر في أي مقطع من الكلمة ، وإن الانطباع العام عند سماعه مختلف ومتنوع في مثل هذه اللغات ، وفي بعض الحالات كما في الفرنسية والألمانية ، يبدو النطق غالباً مخلخلاً ومتقطعاً ، وفي لغات أخرى كالإنجليزية الأمريكية واضحاً جلياً ، ولا يمكن نبره بشكل كاف ، بحيث يصبح الأمر مزاجياً ، وقد وُجِهُنا بنقد شديد ؛ لأننا لم نحقق معالجة بالطريقة الصوتية الحديثة .

إن التحول من نظام في النبر إلى نظام آخر غير شائع على الإطلاق . وما زالت الفرنسية تريناً دليلاً واضحاً من التأثيرات في فترة من النبر الزفيرى القوي التي خلقت في وقت مبكر انعدام النبر الزفيرى في اللاتينية ؛ وفي الإنجليزية الأمريكية والإنجليزية البريطانية لدينا مثال من أنظمة مختلفة في لهجتين شقيقتين متلازمتين .

n-12 - إن المعلومات عن النبر في العربية ضئيلة ، وقد أسس النظام الذي أقيم عليه النبر في العربية على يدي العلماء الأوروبيين (wright, 27) على أساس من النبر في اللهجة السورية ، وهو نظام مختلف استخدم في مصر ، أقيم على العامية على نحو مشوش ومعقد وغير مباشر .

لم يلاحظ في القراءات القرآنية نبر الألفاظ ، وإن كانت تُشَدَّد المقاطع من وقت لآخر (Mayer, Lambert, JA, 1897, iii, 407) . عندما تقرأ في العربية الأدبية في المغرب تلاحظ أن هناك شكلاً محدداً من التقطيع ، ويظهر تركيز على المقطع الأخير ، لكي يبرز الصوت بشكل أدق .

يمكن أن نفترض أن القراءات القرآنية قد احتفظت ببعض الآثار من النطق الحجازي ، ويعزز ذلك إلى أبعد مدى ، وجود نمط من النبر في بعض عاميات العربية الغربية السابقة الذكر . في زنجبار ، النبر يؤدي إلى ضعف في الكلمة ، بما يستدعي عدم الانتباه إليها . وشبيه بذلك في لهجة تدمر شبه البدوية التي لا تظهر فيها آثار النبر بوضوح إلى حد يمكننا القول معه إنه غير موجود . (كانتينو ، تدمر ص ١٠٣) .

إن البحث الدؤوب الذي قام به فيرث أستاذ علم الأصوات في جامعة لندن بمساعدة أحد تلاميذه المصريين ، قاده ، كما تطف بإخباري ، إلى نتيجة مفادها أنه ليس في العامية القاهرية نبر زفيري ، وإن كان فيها تميّز نحوي ، وفيها حذف معتاد في الحركات ، همس الحركات . . . إلخ خاصة في حديث النساء السريع ، ويمكن أن تؤثر هذه النساء في الصوائت الطويلة المنبورة بالإضافة إلى الصوائت القصيرة وغير المنبورة ، ولكن هذا التوافق الغريب بين النبر غير الزفيري والحذف الاختياري قد حظي بالوصف الدقيق من جويتين Goitein في معالجته للنبر اليهودي في وسط اليمن^(١) : (Jemenica, p.17) يعتمد النبر في الكلمة ، بشكل كبير على إيقاع الجملة ، والتوكيد حسب وظيفتها في الجملة ، والقاعدة الأساسية التي يمكن تحديدها هي أن النبر يتراجع قدر الإمكان من نهاية الكلمة أو وحدة النبر . . .

يقول أشخاص بأعينهم مرة حسدوا ، ومرة أخرى أحسدوا ، وفي إحدى المناسبات : حُصِمَه ، وفي أخرى اُحْصِمَه ، أو خَشَبَه واخْشَبَه^(٢) . من الواضح أن التغير البدائي في النبر لا يسبب حذف الحركات ، ولكن على العكس فإن النزوع إلى حذف الحركات القصيرة يؤدي إلى حد بعيد ، إلى اختلاف وتنوع النبر في الصيغ المتشابهة نحوياً بتأثير التشديد أو إيقاع الجملة . وهذا الأمر ليس خاصاً باليمينية اليهودية ، وترينا عبارة روسي وبتفصيل أقل (صنعاء ص ٨) : يعتمد موقع النبر على التشديد في أثناء النطق ، وعلى موقع الكلمة في الجملة ، وعلى التشديد الذي يحصل في الكلمة . وكلام أهل ظفار مُقَطَّع يبدأ من الأمام ويتراجع إلى الخلف (Rhodokanakis, Dhafar, ii, 67) حذف الحركة الاختياري أمر معتاد عليه (المرجع السابق ٩٥-٩٦) . ويبدو أن هذه الطريقة المتقطعة الفردية المزاجية مغايرة للطريقة الحميمية في الحديث في العصور القديمة ، التي توصف على عكس ذلك بأنها معقدة ويجب أن نقول التقعر (أي الإجادة والتفصيح) . هذا التقعر المزاجي إنه لدليل في العامية العدنية كذلك . وقد ذكر كانتينو وصفاً دالاً على هذا النمط من الإيقاع الأخير في

(١) المؤلف يشغله كثيراً إثبات الوجود اليهودي اللغوي المختلف عما حوله وهو ينضم بهذا إلى فئة من المستشرقين تنبعت أصحاب الديانات الأخرى في الأوساط الإسلامية كلهجة المسيحيين في العراق/بغداد مثلاً واليهود في اليمن وكأنهم ليسوا عرباً أو يتكلمون العربية بمواصفات مختلفة عن ليسوا بإخوانهم وإنما (جيرانهم) العرب المسلمين وهو محض افتراء . (المترجم) .

(٢) لاحظ في هذه العامية أن الحركة محذوفة قبل النبر ولكن ليس كما في اللهجات الشرقية القديمة حيث تتبع الحركة النبر .

لهجة حوران ، حيث يتعلق الأمر بلهجة نادرة الاستعمال ، وتحديد مكانها ليس سهلاً ، عدا أن ترديد النبر فيها أقل . (حوران ص ١٨٤ وفيه وصف أكثر تفصيلاً ص ١٩٠) .

وفيما بعد فقدت لهجة حوران الكسرة والضممة غير المنبورتين ، وفي حالات كثيرة الفتحة ، وهي من هذه الناحية أشبه باللهجات البدوية المجاورة التي تحتوي على نبر زفيري قسوي (Cantineau, Parlers, i, 67) ويبدو أن هذا الوضع يشير إلى الامتزاج اللغوي في الماضي .

١٦-٥ - ويبدو أن المقصود بهذا التقعر ما يطلق عليه اصطلاح «غمغمة قریش» (التاج ٩/ص ٦) . ويفسره المبرد في (الكامل ص ٤٦٣) بقوله : «أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف» . في بيت شعر^(١) للشاعر الهذلي عبد مناف بن ربيع (اللسان ١٤٣/٥١) يستخدم في العادة ، لتمتمة الكاهن المسيحي في صلاته . وهي ، بلا شك ، لها علاقة بغمغيم gamgem العبرية المشناوية كما في ميغمغيم وقوريء (Bab. Talm. Berakhoth, 226) إنه يقرأ بسرعة بدون نطق واضح» . يحتل في اللهجات العربية الغربية أن الصوامت لم تكن تنطق بالقوة نفسها كما في اللهجات العربية الشرقية ، ولكن الوصف قد يتطلب أيضاً نمطاً من الإيقاع يفترق إلى ما يميزه من جبل أو واد .

في رواية اللهجات العربية المختلفة (فصل ٣ ، فقرة ١) يعزو الكامل واللسان الغمغمة إلى قضاة ، التزاماً بنقاء الكلام في مكة ، ويبدو أن لغة قضاة قد تميّزت بسمة العجعة . وهي التي اعتبرت من قبيل الشذوذ (الأشموني ٢١١/٤) ، إذ تبدل الياء بعد العين

(١) البيت كما جاء في اللسان مادة غمغم لعبد مناف بن ربيع الهذلي وليس ربّما كما ضبطه المؤلف ، والبيت على ما يبدو ليس له علاقة بغمغمة القس أو الكاهن المسيحي في صلاته إلا إذا أساء المؤلف فهم النص أو لم يقرأه بدقة ، فالوصف للقيسي أي الأقواس وليس للقس أو القساوسة إذ يقول الشاعر :

وللقيسي أزاميل وغمغمة حس الجنوب تسوق الماء والبردا .

فالشاعر يشبه أصوات القسي (فالأزامل أو الأزاميل هي الأصوات المختلطة - اللسان مادة زمل) بصوت ربح الجنوب التي تحمل المطر والبرد . وللبيت رواية أخرى في مادة زمل يبدو أن المؤلف تغاضى عنها لأنها ينقصها لفظ الغمغمة ، والرواية الأخرى :

وللقيسي أهازيج وأزملة حس الجنوب تسوق الماء والبسردا (الترجم) .

جيماً^(١) .

ولكن هذا التغير الصوتي ينسب في مكان آخر إلى طيء . ويمكن أن يكونا معاً من قبيل التلقيق (انظر فصل ١٤ فقرة m) . فالفعل عَجَّ يعني ينحدر^(٢) والفعل عَجَّعَ مرادف لغمغم لتخصيصه بالثيران ؛ وعليه فإنه على الأرجح اسم آخر للتقعر نفسه ، مما يجعله غير محصور في اللهجات العربية الغربية . ويمكننا أن نخرج بالاستنتاج نفسه من اصطلاح «تَضَجَّع» الخاص بلهجة قيس (ابن جني ، الخصائص ١١٤/١) ، الذي يبدو أنه يعني شيئاً مثل : الكسل وبطء النطق ، مما يعني أنه صورة من التقعر ، وعجرفية ضَبَّة (المرجع السابق) ربما تنتمي إلى نوع آخر من الوصف الصوتي . وقد فسَّرها ابن سيده (في اللسان ١١/١٣٩) بالتقعر ، وهو مصطلح يشير إلى سلوك متقعر أو متشدق في الكلام (انظر (Dozy, JA, 1869, ii, 172-3) .

p-١٧ - ويبدو أننا بهذا نستطيع إلى حد ما أن نقيم حكماً مفاده أن العربية الغربية لا تشتمل على نبر زفيري ، وهذه السمة لحقت بالعامية المحلية الآن في مناطق اللهجات العربية الغربية ، وإلى بعض العاميات خارج الجزيرة العربية المرتبطة بالعربية الغربية ، كما يظهر لنا في العربية المغربية ، وإن كان الأمر ليس على إطلاقه . وهناك اهتمام بالتأثيرات اللهجية التي تظهر في العربية الفصحى إلى جانب العربية الغربية^(٣) . وعليه يمكننا أن نفترض أنه ليس في اللهجات التي أقيمت عليها ، نبر زفيري أيضاً ، وإن ما نجده في اللهجات الشرقية من نبر لهجي قوي لا بد أنها اكتسبته أخيراً نسبياً . وإن البحث عن أسباب هذا التغيير لهذا السلوك المتواتر يمكن أن يلقي الضوء على جذور تلك اللهجات ؛ ربما يشير إلى الحالة بين الفرنسية والتيتونية^(٤) ، حيث فسرت التغييرات المشابهة بأنها من قبيل المزج اللغوي .

(١) فقد جاء في اللسان مادة عَجَج : «والعججة في قضاة . . يحولون الياء جيماً مع العين يقولون هذا راعج»

خرج معج أي راعي خرج معي كما قال الراجز :

خالني لقيط وأبو علج المظمان اللحم بالعشج (الترجم) .

(٢) لم يرد هذا المعنى في لسان العرب مطلقاً (مادة عَج) ، ولكنه ذكر أنه بمعنى : رفع صوته وصاح . (الترجم)

(٣) إن مفهوم النبر لم يكن معروفاً لدى النحاة العرب (انظر : شاده في محاضرة عن سيبويه ، ص ٨٢) .

(٤) الشعب التيتوني شعب جرمانى قديم . (الترجم)

q- ١٨ - إن الفتحة الطويلة تمثل في العربية الفصحى ثلاثة صوائت في السامية الأم :
الألف (الألف الآرامية ، الضمة الطويلة العبرية ، ê «الألف المماله» العبرية وآخرها
تمثل الحركة المزدوجة ai (في العبرية ai,eh ، وفي الآثيوبية ê) . وما زالت هذه
الحركات في لهجة الحجاز غير محدّدة ، فالألف القديمة ، كما في شرق الجزيرة ، لم
تكن تُمال (سيويه ٢/٢٧٩ ، ٢٨٢) .

إن رواة الحديث الحجازيين يحتجون لاستعمالاتهم بالحديث «نزل القرآن بالتفخيم»
(السيوطي ، الإتيقان : ص ٢٢٠) وفي الواقع فإن عاصماً الكوفي ، ولم يكن حجازياً ، هو الذي
كان ينأى بالألف عن الإمالة ، في حين تُعزى الإمالة بكثرة إلى تلميذه الكوفي حمزة وهو
من قبيلة تيم الغريبة (ابن يعيش ، ص ١٢٥٢)^(١) . والفتحة الطويلة التي وصفت في المصادر
بأنها أَلَف خالصة (دون إمالة) (الداني ، اقتباس السيوطي ، الإتيقان ص ٢١٦) ، وقد يقال له
التفخيم أو الفخامة (اللسان ٢٠/٣٦٥) . وبهذا لا يعني التفخيم أكثر من النطق الواضح
والجلي والتميّز . (انظر الفقرة d السابقة) . وقد صنّف الداني^(٢) التفخيم إلى متوسط وشديد
ويصف الجزري الأخير بأنه نهاية فَتَح الشخص فمه بذلك الحرف وقد سُمع في بلاد فارس
خاصة في خراسان ، وقد ذكر بأنها قراءة ممنوعة ، ولكن هناك حالة واحدة من التفخيم
الشديد ، أو كما يسميها مكّي (النهاية ص ٣١) أَلَف التفخيم ، ولم تكن مقبولة فقط ، بل
كان يشار إليها في المخطوطات بكتابتها واواً بدلاً من الألف . وهي الألف الملحقة بصيغة
الأسماء المؤنثة التي تنتهي بما يقال له في العربية بالألف والتاء المربوطة ، منذ رُسِمَت

(١) إن أكثر من عالج الإمالة في اللهجات الشرقية هو جرونيبرت ، وكان اعتماده بشكل كبير على السيوطي ، انظر
كذلك Pretzl, Islamica, vi, 318-25 (التجويد الأدبي القديم)

(٢) فقد جاء في الإتيقان ط ١٩٩/١ المكتبة العلمية : «وأما الفتح فهو فتح القاريء فاه بلفظ الحرف ويقال له
التفخيم وهو شديد ومتوسط» والعبارة في النشر أوضح ٢/٢٩-٣٠ : «والفتح هنا عبارة عن فتح القاريء لفيه
بلفظ الحرف وهو فيما بعده أَلَف أظهر ويقال له أيضاً التفخيم ، وينقسم إلى فتح شديد ، وفتح متوسط ،
فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف ، ولا يجوز في القرآن ، بل هو معدوم في لغة العرب وإنما
يوجد في لفظ عجم الفرس ولاسيما أهل خراسان . . . وهو ممنوع في القراءة كما نص عليه أئمتنا وهذا هو
التفخيم الخفص - ومن نبه عليه أبو عمرو الداني . . » (الترجم)

الكلمات العربية وكأنها في وقف مطلق^(١)، حيث تختفي التاء، ويعبر عنها بالصائت الواو بحيث يكون منبوراً في آخر الكلمة. وقائمة الأسماء التي رُسِمَت كذلك في القرآن الكريم هي الأسماء التي تحتوي على ألف قبل علامة التأنيث التي تنتهي بها، وهي: الصلاة^(٢) (الصلوة)^(٣)، الحياة (الحياة)^(٤)، الزكاة^(٥) (الزكاة)، النجاة (النجوة)^(٦)، الغداة (الغدوة)^(٧)، مشكاة (مشكوة)^(٨)، مناة (منوة)^(٩)، ويجب أن يضاف إليها الربا (الربو)^(١٠)، وكلها ترسم بالواو (صلوه إلخ) في معظم المخطوطات القديمة، والأعمال التي كتبت بالرسم القرآني، ولكنها في بعض المخطوطات الكوفية كتبت ألفاً (GQ,iii,41) وهو الرسم الذي أصبح معتاداً عليه في العربية مؤخراً. ولم تترك روايات كتب التجويد شكاً بأن المقطع الأخير قد نُطِق في هذه الكلمات ضمة طويلة وليس ضمة مائلة. يقول مكّي (المرجع السابق) إنه صوت بين الألف والواو المدّية ويقارنه بالألف مع الصوامت المشدّدة^(١٢)، يعني

(١) في هذا المبدأ انظر: تولدكه (Biertage,p.7)، وفيشر (Haupt Memorial,vol, (p402 note 1) و-Islam-ica,iii,52)

(٢) في الأمثلة الآتية الهاء تمثل التاء المربوطة.

(٣) في مثل: ٣-البقرة، ٨٢-البقرة، ٧٨-الحج وغيرها.

(٤) ٨٥-البقرة وكذلك الآية ٨٦ وغيرها.

(٥) ١١٠-البقرة، ٧٨-الحج، ٤-المؤمنون وغيرها.

(٦) ٤١-غافر.

(٧) ٥٢-الأنعام، ٢٨-الكهف.

(٨) ٣٥-النور.

(٩) ٢٠-النجم.

(١٠) ويقول الزمخشري ثانية في الكشف (ص ١٧٩) إن الخط يمثل نطق الذين قالوا «رَبَّنَا» بالتفخيم في المفصل

ص ١٦٠ ينصح في الألف بالإمالة. (الترجم)

(١١) وردت ثلاث مرات في ٢٧٥-البقرة.

(١٢) والنص في كتاب «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكي بن أبي طالب: ٢٠٦/١: «فإن وقع قبل هاء

التأنيث ألف منقلبة عن واو، فلا سبيل إلى الإمالة نحو الزكاة والصلاة، وعلة ذلك أنك لو أملت ما قبل هاء

التأنيث في هذا لأملت الألف، ولم تقدر على إمالة الألف حتى تميل الفتحة التي قبلها نحو الكسرة فيخرج

الأمر إلى حكم ذوات الواو وذلك غير مروي عن أحد، ويصير إلى إمالة ألف منقلبة عن واو ثالثة وهذا غير

جائز...». (الترجم)

أنه تقريباً مثل الصامت الإنجليزي في كلمة what (انظر : Gairdner,phonetics,p.42). ولا داعي للتفكير بأن هناك كلمات أخرى يجب أن تعامل في الوقت نفسه معاملة مختلفة نحو : غَزَاة ، رَجَاة ، إذا وردت في القرآن الكريم (هذه وجهة نظر بارت : Nominalbildung,p.409) منذ عُدَّت بعض الكلمات غريبة ، لا نستطيع أن نجادل بأن الضمة الطويلة الممالة َō تمثل صوتاً أجنبياً في صلاة ، زكاة ، حياة ، ومشكاة ، (من الآرامية : صَلوْثَا sêlōthā وزَاكُوْثَا zākūthā ، حَيُوْثَا hayūthā^(١) ، والإثيوبية ماسكوت maskōt^(٢) على التوالي)^(٣) ، خاصة أن هذه الألفاظ قد عوملت في غير القرآن معاملة متماثلة تماماً .

قرأ الكسائي الكوفي مشكاة بالإمالة (البيضاوي : ٢/٣٢) ، والزمخشري يقضي بإمالة الربا (المفصل : ص ١٦٠) . في الرسم القرآني تكتب ألفاً وليست واواً ، حين يلتصق بالكلمات لاحقة ما : يمكننا أن نستدل على أن الألف كانت تنطق بعد ذلك بصورة أقل كالضمة الطويلة الممالة َō .

٢- ١٩ - يبقى للنقاش البحث عن الأساس الذي أتاح لهذه الضمة الطويلة الممالة َō أن

(١) (سرو) Sarauw في (Zass,xxi,43) ينكر أن تكون الكلمة مقترضة ، مهما كان مستوى حياة العرب ويمكن أن ندير المناقشة نفسها حول exist باعتبارها كلمة أمجلوساكسونية . الكلمات العربية المحلية كانت : «عُمَر» و«عَيْش» . في الواقع إن كلمة حَيَوَان مشتقة من الجمع من الكلمة الآرامية نفسها (حَيُوْثَا hayutha أو حَيُوْثَا hewtha) بمعنى الحياة المعيشة .

(٢) الاستنتاج لتولدكه : (New Beitrage,p.51) ولست سعيداً مطلقاً به ، ولكن أفترض أن الكلمة الإثيوبية مقترضة من العربية الحجازية ، والحجازيون أخذوها من آرامية يهود الجزيرة العربية الذين استخدموا ماسكيث maskîth (Ezek,viii,12) بالمعنى نفسه . وفي الترجوم نجد فجوة السرير في غرفة النوم ترجمة ل hadrey maskîthā وعليه فإن maskîth تعني الفجوة ومن ثمَّ المشكاة . إن استعمال الكلمات العبرية بإشارة غير مباشرة يبدو أنها مألوفة من اليديش ، والعربية اليهودية اليمنية .

(٣) ورد في المعرَّب للجوالقي ص ٤١٩ عن كلمة صلوات التي وردت في الآية ٤٠ من سورة الحج «وصلوات» هي كنائس اليهود وهي بالعبرانية صَلَوْتَا ويذكر المحقق في الهامش : «قال الزمخشري . . . هي كلمة معربة أصلها بالعبرية صلوات» وينقل عن اللسان مادة صلا : «روى ابن عباس أيضاً أنها عبرية» ، وأما المحقق فيرى «إن كانت معربة فهي من السريانية بيت صَلَوْتَا أي بيت الصلاة ويطلق على المعبد» . كل ما ذكر يدل على أن الكلمة سامية الأصل ونطقها اللغات المتفرعة وهي التي كانت بمثابة لهجات للسامية الأم ، كل بطريقتها فنطقت في العربية صلوات ، وفي العبرية والسريانية صَلَوْتٌ وعليه فهي ليست معربة عن السريانية أو الآرامية أو العبرية . (الترجم) .

تقف بإزاء فونيم الفتحة الطويلة ā . فالكلمات الشقيقة لهذا النوع من جذور ثالثها الواو ، ويؤكد برافمان Bravmann (Orientalia, ix, 51) بأنها على مثال : فَعَوَه ، وعليه «و» تتحول إلى ضمة مائلة طويلة ē أحياناً ، وتبقى أحياناً كلمة أخرى ككلمة نَجْوَى^(١) في القرآن . ولكن هذا يعني إيراد قياس غير ضروري للفوضى الصوتية . وأكثر من هذا علينا أن نتوقع وجود مثال فَعَاه وفِعاه ، ما دام مثالا فَعَوَه وفِعَوَه يترددان كثيراً ، في نهاية الأمر ، إذا تحولت و- إلى wa إلى ضمة طويلة ē علينا أن نتوقع الأمر نفسه قبل اللواحق ، أو أن تبقى كما هي (و) في الموقع نفسه . وعلينا ، لذلك ، أن نتكتم على وجهة النظر القديمة التي ترى في هذه الأسماء ، الصيغ الأصلية لفَعَوَه (Barth, loc. cit, Brockelmann, GVG, i, 349) لا يوجد في العربية أسماء على مثال فَعَوَه : كان التلحرف^(٢) يختصر في جميع مواقعها بالفتحة الطويلة ā ، في لهجة الحجاز وغيرها . وهو ما يوازي تماماً في الإنجليزية الجنوبية par في power .

ولا يوجد في لهجة الحجاز الفونيم- ē منفصلاً ، وإن رسم الواو منفردة يمثل المواقع المتنوعة للفونيم ā (أي منبورة في آخر الكلمة) حيث تنطق أشبه بالضمة الطويلة ā أكثر من أي موقع آخر ، وبلا قصد يتوافق هذا مع الحالات التي تطوّرت فيها الفتحة الطويلة ā عن الصيغة القديمة awa . إذا نطق الألف ضمة طويلة مائلة (ā مثل ē) ، في هذا الموقع البارز على وجه الخصوص لا بد أن تكون في الأساس حركة خلفية كما في father الإنجليزية ، على الأرجح إنها تمال نحو ē (الضمة الطويلة المائلة) ، على الأقل في الموقع الأخير . وكذلك في المقاطع المنبورة غير الأخيرة . وإثبات ذلك قد جاء من عبارة لابن منظور (ت ٧١١هـ - ١١٣١م)^(٣) في اللسان (٣٧٤/١٤) : تفخيم الحروف مناقض للإمالة ، وألف التفخيم صوت بين الفتحة الطويلة والضمة الطويلة التي تسمع أحياناً في : سَلَوْنُ عَلَيْكُمْ ، وَقَوْمٌ زَيْدٌ (السلام عليكم ، وقام زيدٌ) . ومن أجل هذا كتبت الصلاة والزكاة والحياة بالواو ،

(١) وهي ما ارتفع من الأرض فلم يَغْلُه السيل (اللسان مادة نجأ) في الآيات ٧، ٨، ١٠، ١٢، ١٣ - وغيرها من المجادلة . (المترجم) .

(٢) أي الأحرف الثلاثة التي تصوّر صوتاً واحداً كما في الإنجليزية . cau- beauty (المترجم)

(٣) إنه لمن المستغرب أن مؤلف اللسان يذكر نفسه بالاسم ، ولا أعرف شخصاً آخر بهذا الاسم . ويبدو أن اسم عائلة الفراء فيها اسم ابن منظور . ولكن ما الداعي إلى زج هذا الرجل المشهور فجأة بهذه الطريقة المستورة .

لأن الألف (الفتحة الطويلة) في هذه الكلمات تمال نحو الضمة الطويلة ، وابن منظور هنا يصف استعمالاً في عصره ، تماماً كالذي حدث مع قراء القرآن ، أو لأنه كان قاضياً في طرابلس في شمال إفريقيا ، قد سمع مثل هذا النطق في عامية مشابهة لما ينطق في ريف مالطا (انظر : Brock elmann, GVG.i, 124).

s- ٢٠ - إن الضمة الطويلة الممالة օ باعتبارها صورة مثلة للألف (الفتحة الطويلة) في بعض اللغات الجنوبية العربية الحديثة وعلاقتها المحتملة مع العربية الغربية قد نوقشت في الفصل الرابع فقرة e بالنسبة للشمال فقد عرفنا جيداً تغيير الألف المنبورة إلى الضمة الطويلة في كنعانية تل العمارنة ، وفي العبرية ، والفينيقية (انظر Bergsträsser, Hebr Gramm., I, 143 تنطق الألف ضمة طويلة مالة في السريانية الغربية ، ويحدث تغيير في مدّ نبر الفتحة فتصبح ضمة طويلة مالة أثناء قراءة العبرية في شمالي فلسطين بين ١٠٠-٣٥٠ بعد الميلاد (المرجع السابق ، ص ٥٩)^(١) . ويحصل التبادل نفسه في اللغة المصرية (انظر : (sethe, ZDMG, lxxvi, 167, Gardiner, Grammar, p. 427)^(٢) ، أما بالنسبة لنطق الألف القديم ، في شمال العربية الغربية ، بصورة ضمة طويلة مالة فقد تطوّر ؛ بالنظر إلى أن عدداً من الأسماء السورية والفلسطينية التي تحوّل فيها الصوت الأجنبي օ إلى الألف العربية (إن في قائمة Fraenkel, Fremdwörter, pxvii زاد سليمان = شيلمون Shelemon في السريانية) . لقد قام المواطنون العرب في حديثهم بدمج الضمة الممالة الطويلة بألفهم المنبورة ، بينما عرب آخرون ، وقد أدركوا أن هذه الضمة الطويلة الممالة في تلك اللهجة تماثل ألفهم ، قاموا بإبدال

(١) حسب كاله (Cairo, Geni 3a, p. 52) فإن تغيير القامص (في العربية الألف والفتحة الطويلة) إلى ضمة مالة قد حدث في العبرية الفلسطينية في الوقت نفسه الذي حدث الأمر نفسه في السريانية الغربية . وكلاهما في القرنين السابع والثامن الميلاديين ، وهذا التاريخ إذا كان صحيحاً فإنه سيتلاءم بصورة أفضل مع النظرية التي تقول بالأصل العربي للتغيير الصوتي .

(٢) لا يُمكنُ بالطبع الاحتفاظ إلى مدى بعيد بنظرية برناريوس (ZDMG, liv, 369) التي ترى أن هناك تبادلاً بين الألف والضمة الطويلة الممالة في الكنعانية ؛ لعدم وجود مادة متاحة من غير السامية ، وإذا كان وجود المادة ضرورياً من أجل تعليل التغييرات الصوتية ؛ يجب أن نفترض حالة من حالات العربية الشرقية مسبوقة بالفتحة .

الأخيرة بالأولى .

ما زالت الفتحة الطويلة (الألف) تنطق ضمة طويلة بمالة في بعض أجزاء شمال فلسطين ، (Bergstrasser sprachtlas,p.22) وفي جبال شمال سوريا (Littmann, Volkspoesie, p.8). وربما أن عرب هذه المناطق قد غيروا إلى حد بعيد ومنذ العصور الإسلامية المبكرة في أثناء هجرتهم من البادية ، ذلك النطق الذي يبدو أنه انتشر على نطاق واسع في القرون الأولى . مما يجعلني أفكر بجدية فيما إذا كانت التغيرات الصوتية في العبرية المتأخرة والسريانية التي ذكرت آنفاً ، قد حدثت بتأثير التزايد المستمر من السكان العرب . إن بدايات مدينة إدسا^(١) كما هو معروف جيداً متصلة تماماً بالعناصر العربية . وبالقرب من الحجاز فإننا نجد الواو حيث يجب أن توجد الألف في النقوش النبطية ، في كل من الأسماء العربية والألفاظ الآرامية الخالصة (Cantineau, Le Nabateen,i,48) الأمر الذي يمكن أن تتبعه كلما ظهرت الواو (الضمة الطويلة الممالة) مكان الألف (خاصة قبل النون) في لهجات الآرامية الغربية الأخرى (Dalmann, Gramm,p.89,175) وقد اعتبر جويدي (Revue Biblique N.S.Vii,425) هذه التغيرات بأنها انعكاسات للغة النبطيين العرب ، وربطها بألف التفخيم الحجازية . وهؤلاء العرب ، بالطبع ، تكلموا بما يجب أن نطلق عليه لهجة ما قبل العربية Proto-Arabic. في نقوش ما قبل العربية Proto-Arabic خاصة ، حيث لم تكن تكتب الصوائت الطويلة في خطها ، لا يوجد دليل على وجود الألف ، ولكننا قد نجد هجاء استثنائياً كما في الكلمة الشمودية mnwt «مناة» (Ryckmans Nomw Propreo,i,19) والصفوية slwm «سلام» (Dussaud-Maccler,No11) باعتبارها أدلة على أن من نطق الألف وأواً مدية طويلة لم يكن مستغرباً منه في تلك اللهجات^(٢) .

(١) مدينة إدسا : تقع في الجنوب الشرقي لتركيا سكنتها قبل الميلاد الحثيون والآراميون والآشوريون . وكانت بعد الميلاد عاصمة لدولة الرها وانطلق منها المبشرون باعتبارها كانت مركز الكنيسة الشرقية . وفتحها العرب ٦٣٧ م ، وتوالى على حكمها بعد العرب ، عباسيين وأمويين ، الصليبيون والأيوبيون والمماليك والعثمانيون . . . (المترجم) .

(٢) إن أقدم شاهد للألف المنبورة ضمة طويلة بمالة في لهجة عربية قد يكون اسم كاهن مدين-يُثرو ، والد زوجة موسى ، وإذا كان حقاً هو يُثري أحد أسماء الإسماعيليين تكون لهجة مدين قد اجتازت هذا التغيير الصوتي ، الذي حدث في العربية الغربية الشمالية في الوقت الذي حدث في الكتعانية .

إن رسم الضمة الممالة الطويلة *ē* واواً هو بالطبع ، من خطّ الكتاب الآراميين ، والنسبة للنبطيين العرب كانت الضمة الطويلة الممالة *ē* جزءاً من فونيم الألف *ē* . وقد حدث مثل هذا في الواو آخر الأسماء (الفصل السادس الفقرة g) حيث قام الكتاب العرب بتقليده في لغتهم ، ولكنه استبعد أخيراً بعد أن وقف النظام الكتابي العربي واستقر على قدميه . إن الاحتفاظ بالواو المصطنعة في الكلمات الخاضعة لبحثنا هنا ، ربما لا يعود تماماً لخصوصية صوت الألف في هذه الكلمات ، بل يمكن رده إلى الحقة التي كان فيها استخدام الألف للتعبير عن الفتحة الطويلة في وسط الكلمة غير معروف . واحتُفظ بالواو باعتبارها وسيلة كافية لتمييز الكلمات التي تنتهي بالألف والهاء *-āh* عن علامة التأنيث العادية التي تأتي في أواخر الكلمات^(١) . وما يعزز هذا أن كلمة صلاة لم ترسم في المخطوطات ، فيما أعلم ، على الشكل : صَلة^(٢) .

١- ٢٠ - إن الكلمات الآرامية المقترضة : حياة ، صلاة ، وزكاة لافتة للنظر من جانب آخر : فالنهايات الآرامية : أوثا- *ūthā* دون إمالة ، أوثا- *ōthā* بالإمالة ، تمثلها في الكلمات النهاية : آه- *āh* بينما تمثيلها العادي في العربية يكون بـ أوت *-ūt* . بالتاء العادية في كلمات دالة على الذكورة^(٣) . (انظر، Fleischer, Kleiner Schriften, I, 172 seq. وقد عُرِّيت هذه الكلمات تماماً ، وقد يستدل على أصلها من المحيط الاجتماعي عن طريق الاتصال المباشر بالناطقين بالآرامية ، الذي يفترض أن

(١) قد يقصد أن مثل زكاة وصلوة كتبت بالواو للتعبير عن الألف ، لكي لا تلتبس بالكلمات التي تنتهي بهاء التأنيث المسبوقة بالألف نحو : حصاة ، فتاة . (المترجم) .

(٢) يمكننا أن نستعمل هذه الخصوصية الحجازية أيضاً لبيان أن قِيوم مشتقة من الآرامية «قِيَام» . ويجب أن يتخذ من الرسم القرآني «قيوم» دليلاً على ذلك . إن تذكر هذا يمكن أن يكون قد جاء في خبر عن الفراء في معاني القرآن ١/١٩٠ من أن «الحَيُّ القِيوم» آية ٢/آل عمران . قراءة عامة ، وقراها عمر بن الخطاب وابن مسعود «القِيَام» وقد اعتبرت الصيغتان حجازيتين صحيحتين ولكن «قِيَاماً» أكثر شيوعاً . وقد يكون محتملاً أن اللهجة الآرامية التي أدخلت منها الصيغة ، قد أحدثت فيها تغييراً شفوياً فنطقت الألف ضمة طويلة أو أنها نطقت ألفاً طويلة بصورة ضمة طويلة ممالة كما يفعل اليهود اليمنيون في أيامنا هذه .

ويلاحظ أن المؤلف قد ذكر أن اللفظ قد ورد في الآية ٢١ من سورة آل عمران وهي في الآية الثانية) . (المترجم) .

(٣) قد يقصد كلمات مثل : ملكوت ، طاغوت ، جَبَروت مما سيذكره فيما بعد . (المترجم)

يكون المدينة ، ويحتمل ألا تمثل هذه الكلمات الصيغ التي تنتهي بـ ūthā أو ثا على الإطلاق . ولكنها الضمة الطويلة-ū- تمثل الوضع الأقدم مطلقاً (Baur, Leander, Bible. Aram., p.244, Dalman, Gramm. p 194) الذي بقي حياً في كلام يهود الحجاز^(١) مدة طالت أكثر من أي مكان آخر ، فغالباً ما تحتفظ الجاليات بالألفاظ المهجورة . إن صيغاً مثل : زَكُّوا zakku (دون إمالة) و صَلُّوا salō (بالإمالة) لها وقع في آذان عرب الحجاز شبيه بالكلمات المحلية نحو : نَجُوة = بمعنى نجاة . وهناك وسيلة أخرى لتكييف هذه الكلمات مع النماذج العربية ، بإمكانية ردها إلى الأصل المطلق ، الذي يمكن أن تمثله : مَلَكُوت «ملكوت» ، (ملخوثا- malkhūthā) ، وجَبَرُوه «جبروت» (في السريانية gabhrūthā بمعنى العنف) .

u- ٢٢ - لقد نشأت مشكلة خاصة مع الربا ، وهي لا تناظر ribbitha الآرامية اليهودية . ولا rebhīthā السريانية ، ولا rbhāyā السريانية وتختلف عن الصيغ الأخرى موضع البحث لعدم انتهائها بعلامة تأنيث ، يقول القسطلاني (٢٦/٤) إن بعضهم قال رماء في ربا ، وهل يمكن أن يكون قد حصل خلط في العربية بين ربي ribī من رَبِيثًا ribbīthā (الربابة) ، ورماء ramāh من رَمِيثًا ramyūthā (الخداع) ، وربما يعود هذا إلى الاستعمال الواسع لكلمة ربا العربية ؛ لما لها من دلالة على أي نوع من البيع غير الشرعي (ابن حجر- فتح الباري ١٢٧/٤) .

v- ٢٣ - إن النتائج تجرنا إلى البحث في كلمة تابوه^(٢) المدنية للتأبوت (قاسم بن معن ، الصحاح ٣٣/١ ، ابن جني : المحتسب ، ص ٢٥ ، وابن خالويه : البديع ص ١٥) التي يصفها نولدكه (GQ,isted.,p.2) بالرهبة البغيضة ، ويكون من الواقعية إذا حاولنا أن نردها إلى الكلمة الأثيوبية تابوت ، ولكن تلك الكلمة ، كما في العربية ، قد أُخِذت من الكلمة الآرامية الفلسطينية : tēbhūthā, tēbhōthā ، وهي

(١) يصر المؤلف على تأكيد صلة اليهود اللغوية في العربية ولهجاتها ، وعلى نفي الأصالة العربية لهذه الكلمات ، فإذا لم تكن آرامية الأصل فقد تكون عبرية أو متأثرة بلهجة العبريين . (الترجم)

(٢) ٢٤٨-البقرة ، ٣٩- طه . وقد ذكر ابن جني في المحتسب ١٢٩/١-١٣٠ : قال أبو بكر بن مجاهد : «التابوت» بالتاء قراءة الناس جميعاً ، ولغة الأنصار التابوه بالهاء ، وعامة عقيل تقول في الفرات : الفراه بالهاء في الوصل والوقف ، ومن الجدير بالذكر أنهم في منطقة الجزيرة شمال سوريا ينطقون الفرات بهذه اللهجة أي فراه . (الترجم)

المشتقة بدورها من العبرية^(١) tebah. إن تحول المقطع e في العربية إلى a من الصعب تفسيره إلا من خلال مرور الكلمة أولاً عبر اللهجة الحجازية (انظر الفصل seq. x).

في المدينة ، صارت tebhûthā ، طبقاً للقاعدة ، tābāh (تاباه) ، كتبت بالواو كالعادة^(٢) . في حين في مكة تمت الغلبة لأحدث صيغة وهي تابوت التي كانت ، بناء على ما ذكره ابن مجاهد (في اللسان ٢٢٧/١) تستعمل من سائر الناس (قراءات الناس) ، وفرضت من الأعضاء المكين في لجنة كتابة القرآن بالرغم من مقاومة^(٣) زيد بن ثابت (GQ,ii,57) . لقد أخفق العلماء العرب أخيراً في ربط الصيغة المدنية المكتوبة بالصيغ المعروفة تماماً مثل : صلاة ، ولا بد أن تكون اللغة الأثيوبية قد عرفت الكلمة بطريقة ما بوساطة اللهجات العربية الغربية عبر قنوات ليست معروفة لدينا بعد .

لقد عرفت يهود المدينة كلمة tebhûhā ، وما يعزز ذلك ظهور كلمة تابوت اسماً لأحد يهود الحجاز عن ابن هشام (ص ٣٨٩) ، وانظر : Horovit3,Koranische un- tersuchungen,p157.

w- ٢٤ - في الختام ، إن الأسماء التي ناقشنا أمرها يمكن أن تعطينا مفتاحاً يحل لغز وضع «وا» مقابل u-ā- أو الموجودة في المصاحف القديمة (GQ, iii, 47) يفترض

(١) هاجس المؤلف الذي يشغله هو إسناد الظواهر الصوتية في الكلمات العربية ، ورد هذه الكلمات إلى أصول عبرية ، وغاب عن باله أن هذه الألفاظ من اللغة السامية الأم توزعتها فروعها (التي كانت يوماً ما لهجات) ونطقتها بكيفية مختلفة عن الأخرى مع تباعد الشقة بينها ، ولكنه نطق لم يبعدها عن الأصل المأخوذ من السامية الأم ؛ وعليه فلا تستطيع أن تثبت هذه الكلمة للغة دون غيرها من الساميات ، وهو التفسير الذي يمكن تقديمه دائماً لمثل هذه الحالة . (المترجم) .

(٢) يقصد كتبت تابوه .

(٣) لقد وهم المؤلف في نقله أن هناك خلافاً وقع عند كتابة الكلمة بين زيد بن ثابت يؤيده الأنصار والأعضاء المكين عند كتابة القرآن الكريم بعد جمعه وكأنهم انقسموا فريقين (فريق مدني ومعهم زيد بن ثابت مالوا إلى تابوه وقرؤا بها وفريق مكّي مال إلى تابوت) ويبدو أنه استند في ذلك إلى أن زيداً والأنصار ومعهم أبي قرؤوا التابوه ، والجمهور قرأها التابوت ، لأن كتب القراءات والتفسير لم تسجل خلافاً سوى الاختلاف في القراءة وهو ما نقله البحر المحيط ٢/٢٦١ حيث قال : «قرأ الجمهور التابوت بالتاء وقرأ أبي وزيد بالهاء وهي لغة الأنصار» . (المترجم)

برجستراسر (المرجع السابق) أنها تمثل الواو ، حيث تكون الواو منزلقاً إلى الهمزة (انظر : الفصل ١١ ، الفقرة bb) أي : āwn<ā'u ، (أو<أو) والألف الثانية هي ألف الوقاية^(١) (wright, i, 11). وهو أمر يجري على نحو مضاد لنهج الرسم القرآني في كتابة الكلمات كما تبدو عند الوقف . في ذلك الموقف تصبح ā'u - أوْأ ألفاً آ - (ما دامت الهمزة كانت تسهل أو تُحذف في الحجاز) ، مما ييسر كتابتها واواً ، وهكذا تُقرأ ضَعْفُؤْأ^(٢) = ضَعْفُؤْأ ، وأنْبُؤْأ^(٣) = أنْبُؤْأ . إلخ . (انظر : فوللرز : volkssprache, p.103). إن الألف بعد الواو إما أن تكون ألف الوقاية أو هي ما تبقى من الهمزة . وعلى افتراض أن أوْأ تتوافق قليلاً أو كثيراً مع أمثلة الألف (ol -ah) يمكننا أن ندعي أنها السبب في رسم اللواحق الأخيرة ، كما في : أولياهم = أولياؤهم (GQ,iii,64). والرسم المستعمل في المصاحف الكوفية : «او» (انظر : المرجع السابق ص ٧٤) يحتمل أن يكون ممثلاً للصيغة الشرقية (-أو) ، ولكن الرسم الذي اعتيد عليه في العصور الوسطى العربية ء (ورمز الهمزة ، بالطبع ، أضيف مؤخراً) يحمل شاهداً على ما افترضناه من قراءة للصيغة الحجازية المذكورة سابقاً ، التي تحمل محلها ، كالعلاقة نفسها بين صلاة وصلوه .

x - ٢٥ - وهناك دليل ما على أن السامية الأم تمتلك ، إلى جانب الحركات العربية الثلاث ، صائتاً آخر طويلاً : ê (الفتحة الطويلة المماله) . إن مسألة وجود صوت كهذا كانت موضوعاً لمناقشة حارة بين بارث Barth وفيشر Fischer . انظر : references in Sa- Bauer-Leander rauw, ZASS, xxi, 35-6) وإن بعض المراجع البارزة الحديثة مثل (Histor.,Gramm,p.392) ثم F.R.Blake (JAOS,lxv,111) ينكرون هذا الأمر الأكثر حداثة تماماً . وآخرون يقرّون به بفتور نوعاً ما ، أما بروكلمان (GVG,i,141) فيعترف بوجودها ولكنه لم يخصص لها مكاناً في مناقشة الظاهرة نفسها التي قادت الآخرين للتسليم بوجود مثل هذا الفونيم .

(١) قد يقصد الألف الفارقة .

(٢) ٢١ - إبراهيم : ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا...﴾ الآية . كذلك في سورة

٤٧ - غافر : ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا...﴾ . (المترجم)

(٣) على سبيل المثال في الآية ٥ من سورة الأنعام : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا

به يستهزءون﴾ . (المترجم)

أما برجستراسر (Hebr Gramm., ii144) فيولي اهتمامه للجذر الأجوف اللازم بالاستعانة بالفونيم ʕ (الفتحة الطويلة الممالة) في السامية الأم ، ولم يأبه بمناقشة الفونيم نفسه باعتباره حركة في السامية الأم ، وعلى وجه الإجمال فإن البيان يفضي إلى تعزيز وجود الفونيم ʕ (الفتحة الطويلة الممالة) في السامية الأم ، وإنه لا يوجد شيء غير محتمل أصلاً إزاء نظام يمتلك صوائت طويلة أكثر من الصوائت القصيرة ، بمقارنة النظام الثلاثي للصوائت الطويلة في العربية الفصحى : الفتحة الطويلة (الألف = ā) والضممة الطويلة (الواو المديّة = ū) والكسرة الطويلة (الياء المديّة = î) ، الذي كان في السامية الأم رباعياً : ʕ (الألف الممالة) ، ā , î , ū .

من الواضح أن الألف في مثل هذا النظام كانت حركة خلفية^(١) ، ولهذا كانت الضمة الطويلة الممالة الحجازية الكنعانية ، كصوت الألف (الفتحة الطويلة) ، تشير إلى أنها موروثه من الكلام العام الشائع وهذا يتيح لنا إلى حد ما أن نفترض ، استناداً إلى التشكيل الصوتي المتوازي ، أن هذه الألف قد صوّتت بصورة أقصر (أكثر من الضمة الطويلة الممالة) في المقاطع المفتوحة المنبورة . قياساً على نطقها وافية في مواقع أخرى ، ولذلك فإنّ الفونيم ʕ (الألف الممالة أو الفتحة الطويلة الممالة) هو الصوت الوحيد الذي يصوّت كذلك في المقاطع المفتوحة المنبورة ، وإلا فإنها تنطق ʕe بالإمالة بين بين ، وهذه الحقيقة هي التي سببت في النهاية تزامنها مع الألف في العربية الشرقية في فونيم بمدى يختلف عن الفونيم ʕ (الألف الممالة) بجوار الكسرة أو الياء ، مروراً بـ : أ والألف ، إلى ضمة طويلة ممالة بجوار الحروف المشددة .

إن الإشكالية في هذا الفونيم السامي الأصل الألف الممالة ʕ أنه لم يؤثر حتى الآن إلّا في الصيغ ذات الجذور المعتلة العين واللام (أي الأجوف والناقص) ؛ باعتبارها أيضاً علامة تأنيث في نهاية الكلمة . فضلاً عن صعوبة فصلها عن الفونيم ʕ الذي انبثق في لغات مختلفة من خلال عوامل صوتية متنوعة بعيداً عن الكسرة الطويلة . والفتحة الطويلة العربية الغربية هي الوحيدة التي لا تمتلك ، بقدر ما أعلم ، مثل هذه الألف الممالة ʕ أصلاً ثانوياً . لذلك إذا أمكن البرهنة على وجود هذه الألف الممالة ʕ في حديث منفصل هنا ، فإنه سيكون حجة دامغة لصالح الجانب الذي يعتبر هذا الصوت من السامية الأم .

y - ٢٦ - إن الألف في شرق الجزيرة العربية في أفعال الغيبة الماضية الجوفاء لم تتأثر

(١) أي تقع نقطة نطقها في الجزء الخلفي من التجويف الفموي ، عند تقويس الجزء الخلفي من اللسان في اتجاه

الطبق . (الترجم)

بالإمالة ، وتمنع الإمالة ؛ حتى وإن اقتضتها الأصوات المجاورة ، إذا اتصلت بالصوامت المفخمة واللهوية (سيبويه : ٥٨٢/٢)^(١) . في الحجاز ، لا توجد إمالة بأي حال^(٢) (المرجع السابق : ص ٢٨٤، ٢٧٩ ، كذلك فصل (q) ومع ذلك فإن بعض الأفعال الجوفاء الحجازية نطقت بالإمالة ، بالرغم من أن أصول عدد منها مفنح أو لهوية نحو : هَيْبَ (هاب) ، وَخَيْفَ (خاف) ، وَطَيْبَ (طاب) ، وَصَيْرَ ، وَمَيَّتَ (مات)^(٣) .

وقد سمع أبو إسحاق^(٤) (ربما يكون القارئ الكوفي عمرو بن عبد الله السَّبَّيحي ت ١٣٢هـ - ٧٥٠م) الشاعر الحجازي كثير عزة (ت ٥٠١هـ - ٧٢٣م) قد قال : صَيْرَ (صَار) . وبعض الحجازيين الذين استعملوا هذه الصيغ . وربما تتيح لنا حكاية كثير أن نخمن أن كبار السن هم الذين تكلموا بالإمالة (سيبويه ٢٨١/٢) . ولقد قرأ حمزة الكوفي بالإمالة كاملة في حين قارئ المدينة نافع قرأ بالإمالة بين بين

(١) في الكتاب ١٢٨/٤ (ط هارون) : «الحروف التي تمنعها (الألف) الإمالة هذه السبعة : الصاد ، والضاد ، والطاء والظاء والغين والقاف والحاء إذا كان حرف منها قبل الألف والألف تليه» . (المترجم) .

(٢) يبدو أن المؤلف يعتمد فيما ساقه من نفي تام للإمالة عند الحجازيين على قول سيبويه ١١٨/٤ : «وجميع هذا لا يُميله أهل الحجاز» ولكنه (أي المؤلف) يستثني ، ويعدّد حالات من الإمالة عند الحجازيين . هذا يدل على أنه ، بقصد أو بغير قصد ، لم يعن النظر فيما قاله سيبويه الذي لم يرد نفي الإمالة عند الحجازيين على الإطلاق وإنما أراد بالحالات التي سبقت عبارته أي الحالات التي وردت في الصفحة السابقة أي في ١١٧ . (المترجم)

(٣) بالإمالة في الأفعال الثلاثة ، وعن السيرافي في هامش الكتاب ١٢١/٤ : أما إمالة خاف فلأنه على فَعِيل والأصل خَوِفَ ، فللكسرة المقدرة في الألف جازت إمالته . (المترجم)

(٤) ما ورد في الكتاب ١٢١/٤ : «ابن أبي إسحاق «وليس» أبا إسحاق «والمقصود عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) جد يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، والخبر في كتاب سيبويه «وبلغنا عن ابن أبي إسحاق أنه سمع كثير عزة يقول : صار» (بالإمالة) . المترجم .

في الأفعال العشرة^(١) التالية : خَاف ، طَآب ، جَاء ، شَاء ، زَاد ، رَانَ ، حَاق ، ضَاق ، زَاغ ، (رسمها المؤلف كلها بالألف الممالة) (GQ,iii,198) حسب سيبويه فإن فعلين آخرين هما : هَاب وصَار ، لا يأتیان في القرآن بصورة أخرى . وإن سقط مات من قائمة حمزة أمر لافت للنظر ، وقرأ القراء الكوفيون الآخرون والدمشقي^(٢) بعض هذه الأفعال بالإمالة ، بينما بقية القراء من الحجاز ، قرؤوها كلها دون إمالة مطلقاً . (انظر : Pretzl, Islamica, vi, 322).

وقد نقل ابن يعيش قول الفراء (ص ٢٥٢١) : «أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد ، وما كان من ذوات الياء والواو»^(٣) ، وأضاف قائلاً : «وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يُسَرُّون إلى الكسر من ذوات الياء في هذه الأشياء ويفتحون في ذوات الواو مثل قال وجال»^(٤) ، وما يقوله المؤلف الذي يعتبر ذا خبرة جيدة في قضايا اللهجات ، هو على النقيض تماماً من سيبويه ، وهذه العبارة تناقض كذلك كل ما نعرفه عن الإمالة في المصادر الأخرى . وقد تدعو إلى الشك في أن بعض النسخ من يعرفون علاقة تميم بالإمالة ، قد قاموا بتغيير مواضع الإسناد ، لأن وجود نوعين من الإمالة متعارضين تماماً يبعث بعض القلق . ويمكننا أن نقرأ ما بين السطور في بيان الأنباري (أسرار العربية ص ١٦٠ ، اقتباس فيشر " : (ZDMG,lix,667) الإمالة ميزة أهل الحجاز وجيرانهم من تميم والآخرين» . والإمالة القرآنية كانت صعبة لقراء القرآن الذين اعتادوا ، أينما كانوا ، على تمثل الإمالة الشرقية .

وببلغنا أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٠هـ - ٨٦٤م) ، كما جاء في الإتيقان للسيوطي : ص ٢١٥) بأن الكوفيين احتجوا في الإمالة بأنهم وجدوا في المصحف الياءات في موضع

(١) جاء في كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ٥٠ : «وتفرّد حمزة بإمالة عشرة أفعال . . . وذكر الأفعال التي ذكرها المؤلف . (المترجم) .

وقد وردت «خاف» في خمس آيات من القرآن الكريم : ١٨٢-البقرة ، ١٠٣-هود ، ١٤-إبراهيم ، ٤٦-الرحمن ، ٤٠-النازعات والباقي على التوالي : ١٥-إبراهيم ، ٤٣-النساء ، (وفي سور كثيرة أخرى) ، ٢٠-البقرة ، ١٢٤-التوبة ، ١٤-المطففين ، ١٠-الأنعام ، ٧٧-هود ، ١٧-النجم . (المترجم) .

(٢) أحد القراء السبعة ، وهو التابعي عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي ، قاضي دمشق وقاريء أهل الشام ، ت ١١٨هـ . (المترجم)

(٣) شرح المفصل : ٥٤/٩ ، والقول كله للفراء ، ويفتحون تعني أنهم لا يميلون . (المترجم) .

(٤) المرجع السابق نفسه .

الألفات فاتبعوا الخط ، وأمالوا ليقربوا من الياءات (٤) .

وهذا يشير بالطبع ، على وجه الخصوص إلى الألف المقصورة (وهي في الحجاز على أي حال ai ياء مالة ، انظر الفصل (bb) ولكنه يلقي بعض الضوء على ما يخالف القراء من شك حيال هذا الأمر . وهذا هو السبب بلا ريب ، وراء عدم محاولة القراء الحجازيين القراءة بالإمالة الحجازية مع وجود الخط غير القياسي الذي تدل فيه الياء على الألف المالة .

وقد وجد السجستاني أن «جاء» قد خُطت بالياء في المصاحف المكية ، في نسخة من المصحف العثماني . (GQ, iii,40) وكان يمكن التأكد من هذا الرسم في المصحف الكوفي في سمرقند (Jeffery, JAOS, lxii,186). وسيبويه (٣٩٨/٢) يخبرنا ولم يحدد اللهجة أن كاد وزال نطقاً بالكسرة ، لأنهما خُطتا بالياء في موضع الألف ، وقد عدّها فولرز (volkssprache, p.102) إلى حد ما ، أمثلة للأفعال بالألف المالة ، بينما يصّر سرّو Sarauw (ZASS,xxi,41). على أن سيبويه يعني أنها نُطقت : كيدا kida ، وزيل zila ، مقارناً إياهما بالآرامية mēth = مات العربية (ميت الحجازية ، وميث العبرية) ، والآرامية الإنجيلية رِم rim (عال) ، ولكن في المازورة البابلية تكتب (رِم rēm) وفي الآرامية اليهودية الفلسطينية مؤنث مِثْ - مِثْ mēth mēthath (Dalmann, Gramm., p.315). وهذه الصيغ بالكسرة الطويلة ١ هو تطوير آرامي بحث (انظر أيضاً : Noldeke, Neue Beitr. p.209) ، ولا داعي لرفض وجهة نظر فولرز في الصيغ العربية . وقد استعملت الياء في الاصطلاح النحوي العربي بمعنى الإمالة ، انظر على سبيل المثال السيوطي (الإتقان : ص ٢٢٠) : إن الألف والياء مقبولتان على قدم المساواة في القراءة القرآنية ، ويقصد بهما هنا التفخيم والإمالة .

وشبيه بذلك قرأ حمزة والكسائي «ران» في الآية ١٤ من سورة المطففين «رَيْن» بالإمالة ، وهذا يعني أن الياء هنا تشير إلى الألف المالة (البيضاوي) . إن استعمال الكسرة للدلالة على الإمالة ، جاء في عبارة الفراء المقتطفة أنفاً والخط بالياء يوجد في الأفعال نفسها التي ذكرت أنفاً إلى حد ما في النقوش الصفوية نحو : بيت «بات الليل» (انظر : العامية العربية بيات) ؛ و«صير» بمعنى سافر ، وصيد «صاد» ، وميث «مات» (انظر مناقشة

(٤) الإتقان : ١/١٩٩ (طبعة دار الكتب العلمية - ط ٣ : ١٩٩٥ م) . (المترجم) .

هذا الأمر : (Littmann, Safat, Inscr. p. xvii-xviii)^(١) وهذا يعنى تماماً أنه في المخطوطة التي لا يُعبر فيها في العادة عن الحركات الطويلة ، من الصعب القول إن الألف الممالة ربما تحولت إلى الصوت المزدوج -ai- ولكن مهما كان الصوت الصفوي فإنه يشير إلى ألف ممالة قديمة في هذه الأفعال .

وسبب رسمها ياء في الحجاز ، وهو ما يمكن أن يكون عادة آرامية في الكتابة ، لم يبدُ قط أنه اتخذ ضبطاً خاصاً في الإملاء ، وقد يكون في وعي الناطقين أن الألف الممالة ʾ كانت منظاراً لفونيم الألف ʾ . ولا تتضمن أية درجة من الحركات القصيرة ، ولا تكون كسرة طويلة أو ضمة طويلة . ويمكن كذلك أن يلحظ في عامل آخر ، الطريقة التي يطرح فيها سيويه القضية ، والمسلك الاستثنائي بإيراد نطق شخص باسمه ، والتشويش في التعامل مع الألف الممالة من قراء القرآن . كل ذلك يدل على أن التمييز بين الألف والألف الممالة لا يصدر إلا من نسبة ضئيلة من الناطقين . ربما من الأجيال القديمة ، أو من أهل مناطق معينة ، وفي مكان آخر من الحجاز كان يتراجع قبل الاستعمال الشرقي ، الذي يصورهما كليهما في فونيم واحد .

z- ٢٧ - وهكذا يتضح أنه يجب الاعتراف على نحو واضح بأن اللهجة الحجازية (مع افتراض لهجات عربية غربية أخرى) تملك فونيم الألف الممالة المستقل . وهذا لا يعني بالضرورة أن الفونيم موروث من السامية الأم . ويناقش بروكلمان (GVG, I, 605) أن خيفاً قد تشكلت بالقياس إلى خفتْ ، وهي الصيغة المتأخرة ، طبقاً لنظريته في الجذر الثلاثي ، ويفسرها على أنها ترخيم لخَوِفْتُ^(١) . وهذا بالنسبة له واضح جداً كاللليل الوحيد الذي اقتبسه من عبارة للفراء (انظر أنفاً) حيث الصيغ التي تحتوي على ألف ممالة معزوة إلى اللهجات التي تختص بالإمالة ، حتى هناك مع ذلك ، مثل هذه العملية تظل ممكنة ما دامت تلمح إلى أن

(١) في الصفوية «ور» (كان أعمى) و«هور» بمعنى ذهب = عَوْر ، حَوْر ، يمكن أن تكون الواو صامتة لجاورتها الراء في العبرية تُصمّت الواو قبل الراء في حاور ، في العربية حَوْر ، وقبل الأصوات الحلقية في «جاءع» -gāwa- يوت ، ساقح- Säu'ah يصبح إلخ .

(٢) نظرية الجذر الثلاثي ليست من افتراض بروكلمان فهي نظرية صرفية عربية ، وخِفْتُ في التحليل الصرفي العربي مأخوذة من خَوِفْ حصل لها إعلال بالنقل أو بالتسكين (خَوِفْ) فوَقعت الواو ساكنة بعد كسر فقلبت ياء (صارت خِيفَ) . المترجم .

هذه الألف الممالاة تشكل فونيماً مستقلاً - بالنسبة إلى الكسرة الطويلة والفتحة الطويلة كما هو الشأن مع الضمة الطويلة^(١). ولكن الأمر كله في الإمالة العربية الشرقية هي أنها تنوع متوحد مع فونيم الألف .

لا يمكن إقامة أي جدل حول الإمالة في الحجاز . ومن ناحية أخرى ، إذا كان هناك استقلال لفونيم الألف الممالاة في لهجة الحجاز ، فالقياس الذي افترضه بروكلمان يمكن تطبيقه هنا أي : الألف والألف الممالاة تقابلان الضمة والكسرة ؛ وعليه فإن : زُرْتُ وخَفْتُ من زَارَ وخَافَ . على أي حال إذا كان هناك قياس صوتي خالص فعّال فإنه يجب أن يكون قد طبق بالفعل على نوع من الأفعال مثل : لِنْتُ : يَلِنُ ، ولكننا لم نسمع شيئاً عن قاعدة عامة من هذا النوع للأجوف اليائي ، كذلك هناك دليل آخر على ندرة الألف الممالاة في اللهجة الحجازية ، ودليلنا يجب أن ينصب بشكل رئيس على الأفعال الجوفاء . وعليه إذا قبلنا وجهة نظر بروكلمان فإنه سيؤدي بنا إلى الدوران ، وأن السبب الرئيسي ، من ناحية ثانية ، لعدم قبولنا وجهة النظر التي ترى في الألف الممالاة في هذه الأفعال تطوراً داخلياً في العربية ، هو وجود صيغ مشابهة في عدة لغات شقيقة ، ويلزمنا هنا أن تناقش فقط الصيغ الشقيقة في الأفعال التي سردناها من قبل .

من الأفعال الخمسة عشر التي نحن بصدددها لم أجد أي شبيه لـ : خافَ ، شاءَ ، وهبَ ، إذا كان لـ «جاء» صلة بـ «جسيء- gai» العبرية (بمعنى الوادي) . (انظر : Nöl deke, Zass, xii, 3) يمكننا أن نلاحظ باهتمام أن تلك الكلمة لها الصيغ البديلة : جيء و ge' بالألف الممالاة وبغيرها ؛ أي بكسر الجيم فقط تتلوها الهمزة ge ، القريبة منها كاقتراب meth- ميث العبرية من مَيّت وميّت العربيتين . ويمكن أن يكون لـ «حاق» صلة بـ «حيق» العبرية^(٢) (خاصة إذا استعملت في تعبير إنه في الصدر ؛ أي في الحماية) ؛ انظر الفصل الثامن ، فقرة t.

أما شبيه «ران على» فيمكن أن يوجد في الكلمة السامية الشمالية الغربية : روم rum «اغل» من الآرامية الإنجيلية التامة «رِم ، رِم» . وغالباً ما تظهر الميم بجوار الراء وكأنها في

(١) الكسرة والفتحة والضمة الطوال هي العلل الطويلة أو الحروف المدية في العربية . (المترجم) .

(٢) وكان العبرية هي الأصل وشقيقاتها الساميات فرع عليها ، مع أن الموضوعية تقتضي أن يذكر «حاق ، حيق» العربية والعبرية ينتميان إلى السامية الأم ، أي أصلهما واحد ، وليست إحدى اللغتين بأحق بالكلمة من الأخرى .

معظم الأحوال باء (انظر : Brockelmann, GVG, I, 226) ويمكن أن يكون له «زاد» صلة بالعبرية زيد- zēdh (المتكبر، المتعجرف). أما زاعً فانظر : زيع- zi' السريانية (بمعنى الارتجاف والارتعاش)^(١). وهناك شيء من الصلة له «صَارَ» بالعبرية - histayyārū هصطيارو (Josh., ix, 4) التي هي في حد ذاتها صيغة محيرة ومشكوك فيها، وعلى أي حال لا يعول عليها في اكتشاف نطق الجذر الأصلي. أما «ضاق» فتقارن بالآرامية الترجومية عيقلّي - āqli «أنا في ضيق» (ps., xxxi, 10) أما «طا» ب فتقارن ب- tebh- طبه السريانية، و- te'ēbh طبييه الآرامية الإنجيلية. وأما كاد فليس لنا سوى الكلمة العبرية الصعبة كيد- خراب. (job, xxi, 20) وأخيراً، مات التي خير ما يشهد لها ميث mēth العبرية، وميث mīth الآرامية. والحجة هنا ليست في الحقيقة كافية تماماً، ولكنها على وجه العموم، تبدو أنها تشير إلى صيغ الألف المماله في العبرية والآرامية، حتى إن هذه الصيغ قد زادت في صعوبة الأمر على النحويين، الذين يمكنهم أن يأخذوها في الحسبان عند افتراض أقيسة من أنواع مختلفة، ولكن بصورة مختلفة تماماً عنها عند الإشارة إلى حالة في العربية، وأسهل طريقة، وأكثرها طبيعية، بعد ذلك كله، هي في الاعتراف بالتوافق والتماثل بين العربية والصيغ الشمالية الغربية السامية؛ مما يعني وجود الألف المماله في السامية الأم، ويمكننا أن نتصور أن للأفعال الجوفاء أصلاً صيغة لازمة وأخرى متعدية، بغض النظر عما إذا كان الفعل منها أجوف يائياً أو واوياً، وعليه فإنها على أربع درجات : ١-أ- زار : يزور، ١-ب- شاط : يشيط، ٢-أ- ميث : يمات، ٢-ب- صير : يصار (يصير). في الصيغ ذوات اللواحق، لا توجد الفتحة المائلة. الدرجتان ١-ب، ٢-ب فيهما كسرة : شبط، ميت، صيرت، تدريجياً، مع ذلك فإن الاختلاف بين الأجوف الواوي والأجوف اليائي قد اكتسب أهمية في اللغات كلها، وألقى بظلاله على التضاد المبكر. في العربية الشرقية تم تعجيل تلك العملية، بلا ريب، عن طريق الاندماج الصوتي بين الألف والألف المماله. إن الصيغ العربية الغربية، بقدر ما أفهم، لا شأن لها بالصيغ الأثيوبية كون- kona، وشيط- shēta، أو الصيغ العربية الجنوبية : كُون- kwn، سم- sym التي تحتوي عنصراً صامتاً، لا يوجد في العربية. لا شك في خاصية اللزوم في الأفعال التي نُوقِشت هنا. بالنسبة لما بينها من جذور الأجوف الواوي فقد أكدتها

(١) الآرامية فيها بوضوح جذران : زَوْج- z'w- يذهب بعيداً (في المشناه، أبوت، ٢٢/٥)، والآخر يتصل بززع-

(z'z' يتزعزع). وكلاهما، بالطبع، يؤثر في الآخر.

صبيغ الناقص بالألف^(١) . و«مات» هو الفعل الوحيد الذي عومل في العربية الفصحى على أنه فعل متعد عادي ، وأما مِتُّ التامة^(٢) في مُتُّ فقد نسبها أبو عبيد (في الرسالة : ص ٥٥١) إلى لهجة الحجاز ونسبها ابن دريد (في الجمهرة : ٤٨٥/٣) إلى لهجة طيء ، أما الناقص أمات^(٣) فقد نُسبت إلى لهجة طيء (في الجمرة ٢٩/٢) .

أما استعمال قراء القرآن في هذه المواضع فلافت للنظر في عدم انسجامه ، فيقرأ حفص عن عاصم «مِتُّ» في الآية ٦٦-سورة مريم^(٤) ، وفي الآية ٢٣ من السورة نفسها^(٥) ولكن القراءة الثانية^(٦) لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر ، وهم ، إلى حد ما ، مؤيدو التقليد الحجازي ، قرؤوا مُتُّ ، وفي سورة آل عمران الآية ١٢١-٢٥١^(٧) ، والآية ١٥٧-١٥٨ يقرأ حفص مُتْم مرتين ، ومع ذلك قرأهما نافع^(٨) وحزمة^(٩) والكسائي^(١٠) مِتْم .

(١) لعله يقصد ما كانت عينه ألفاً من صبيغ الفعل الأجوف من نحو : زار يزور ، مات يموت . (المترجم) .

(٢) لحل خلوها الظاهر من حرف العلة دعاء إلى وصفها بالتامة . (المترجم) .

(٣) لحل هناك خطأ فالفعل الصحيح فيه أمات بفتح التاء وليس بضمها . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : «ويقول الإنسان إذا ما مِتُّ لسوف أخرج حياً» (٦٦-مريم) (المترجم) .

(٥) في قوله تعالى : «فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً»

(٣٢-مريم) (المترجم) .

(٦) القراءة الثانية هي مُت بضم الميم ، أما ابن كثير فهو القاريء المكي عبد الله بن كثير ت ١٢٠هـ . وأما أبو عمرو فهو ابن العلاء القاريء البصري ت ١٥٤هـ ، وأما ابن عامر فهو عبد الله اليحصبي قاريء أهل الشام ت ١١٨هـ ، وأما أبو بكر فهو شعبة بن عياش بن سالم الكوفي ، الراوي الثاني لعاصم ت ١٩٣هـ ، أما الراوي الآخر لعاصم فهو حفص الذي قرأ بكسر مِت ، وهذا لافت للنظر حيث اختلف الراويان بين الكسر والضم عن عاصم . (المترجم) .

(٧) لم ترد «مِتْم» في سورة آل عمران إلا مرتين في الآيتين : ١٥٧ : «ولئن قُتلتم في سبيل الله أو مُتْم . . . الآية . ١٥٨ : «ولئن مُتْم أو قُتلتم لإلى الله تحشرون» . ولم ترد «مِتْم» في الآية ١٥١-١٥٢ كما ذكر المؤلف فهو سهو منه . (المترجم) .

(٨) نافع هو قاريء المدينة أحد القراء العشرة ، ابن عبد الرحمن الليثي ، ت ١٦٩هـ . (المترجم) .

(٩) هو حمزة بن حبيب القاريء الكوفي أحد القراء العشرة ، ت ١٥٦هـ . (المترجم) .

(١٠) هو علي بن حمزة النحوي الكوفي قاريء الكوفة أحد القراء السبعة والعشرة ، ت ١٨٩هـ . (المترجم) .

كذلك يقرأ حفص^(١) نفسه «مِثْم» في الآية ٥٣- من سورة «المؤمنون»^(٢) . يقرأ حفص في كل موضع بالكسر ، وبوضوح لم يقرأ واحد من القراء الفعل التام من مات ، بالضمه بشكل دائم وثابت .

aa - ٢٨ - هناك شاهد ما على أن الألف المماله ، المماثلة للألف المماله في العبرية ، قد وُجدت في الأسماء ، فاللهجة اليمنية تُميل النار (اللسان ١٠١/٧) . أي تنطقها نِير nīr (النور أو الضوء) . وعَوْداً إلى مشكلة زيل - zyī وأمثالها (انظر الفقرة y أنفاً) ، إنه لمن المفيد أن نفهم أن ما نتج عن المناقشة هو أنه من الطبيعي أن نطق نير بما ينشأ عنه خلط في الخط (تصحيف) مع بشر . لم أظفر بخبر حتى الآن يذكر أن (جار^(٣)) قد نُطِقت جِير في أي مكان ، (انظر جِير gēr العبرية) ، ولكن عدم القبول للجدل الصامت حوّل الفتحة المماله قد ثبت مع حقيقة أن النطق اليماني للنار قد ذُكر فقط عند العَلَط في الحديث^(٤) . وقد رأى فولرز (Volks-
sprache,p.20) مثلاً آخر للألف المماله في عبارة السيوطي (المزهر : ١٧٦/٢) : أن قاراً قد نطقت في الحجاز قِير qīr^(٥) ، ويفترض أن تُقرأ «قيراً» بالإماله .

والكلمة مع ذلك مقترضة (Fraenkel,f remwörter,p:150) ، والمصادر المحتملة : السريانية قيراً ، والعبرية قِير (الحائط) ترينا الكسرة الطويلة أو الياء المدية وليس الألف المماله ، والأرجح في الغالب أن تكون مشتقة من الكلمة السومرية جِر gir ،

(١) هو ابن سليمان الكوفي ، راوية لعاصم بن أبي النجود أحد القراء العشرة ، ت ١٨٠هـ . (المترجم) .

(٢) في قوله تعالى : «أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِثْم وَكُنْتُمْ تَرَاباً وَعِظَاماً أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ» (٥٣-المؤمنون) ، ولا علاقة للآية ٣٧ في هذا الموضع كما ذكر المؤلف . (المترجم) .

(٣) يقصد المستجير حيث كان العربي يقول عن المستجير به : هذا جاري . (المترجم) .

(٤) والخبر كما جاء في اللسان مادة نور : «في حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه : العجماء جُبَّار والنار جُبَّار ، قيل هي النار التي يوقدها الرجل في ملكه فتطيرها الريح إلى مال غيره فيحترق ولا يملك ردها . . . قال ابن الأثير : وقيل الحديث غلط فيه عبد الرزاق وقد تابعه عبد الملك الصنعاني ، وقيل : هو تصحيف البشر ، فإن أهل اليمن يُميلون النار فتتكسر النون فسمعه بعضهم على الإمالة فكتبه بالياء ؛ فقرؤوه مصحفاً بالياء . (المترجم) .

(٥) ما جاء في المزهر ٢٣٩/٢ ط الإيمان- مصر في ذكر الألفاظ التي جاءت بوجهين في المعتل : « . . . وقار وقِير وعَاب وعَيْب » ولم ينسبه للحجازيين . ولكن في اللسان مادة قير : «القِير والقَار : لفتان» ولم يَعرُأياً منهما إلى قبيلة أو مكان . وربما يكون فولرز أو المؤلف قد وقعا في خطأ النقل أو تطويعه لما يخدم أفكارهم . . (المترجم) .

(انظر : Landersdorfer,sum.sprachgut,p.44).

إنه من الصعب أن نشرح كلمة قار العربية الشرقية ، ويمكن أن يكون هناك تصحيف عند اقتراض الكلمة الآرامية اليهودية الفلسطينية قيرا (الشمع) التي هي نفسها مقترضة من اليونانية kēros- كيروس ، والصيغة تظهر في اسم نهر «ذوقار» في أرض بكر بن وائل ، والألف المسألة الأصل كانت تلاحظ أيضاً في اسم الإشارة ذا ، والذي نطق ، استناداً إلى سيبويه (٢/٢٨٩) ، بالإمالة في بعض القبائل التي لم يعينها ، أي ذي dhî. وهذه ، حسبما أفاد بارث Barth (Pronominalbildung,p.104) هي صيغة السامية الأم ، وقد أثبت سيبويه كذلك أن الذين قالوا ذي ، قالوا أيضاً يضري في يضرباً^(١) (انظر فقرة cc لآتية) . بالنظر إلى وجود «ذي» في العامية ذات الطابع اليميني (Dathina,Zafar,Oman) يبدو أن الصيغة تستحق أن تكون من العربية الغربية .

bb - ٢٩ - كما هو معروف جيداً ، في العربية غالباً ما ترسم الفتحة الطويلة (الألف) في أواخر الكلمات على شكل ياء^(٢) ، في التعليم العربي ، في مدارس العصر العباسي ، لم يَجْرُ التمييز بين نوعي الألف^(٣) في أواخر الكلمات بأية وسيلة (انظر: Fischer,ZDMG,Lix,665) ، في المصاحف الكوفية غالباً ما تكتب أَلِف بدلاً من هذه الياء . (GQ,iii,39)^(٤) ، والآثار المسيحية المبكرة تخلط بين النهايتين تماماً (Graf, sprachgebrauch, p.8) وتداخلتا في العاميات وتطابقتا ولم يُفَرَّق بينهما من ناحية ، ولا بينهما وبين أَلِف التأنيث الممدودة -اء . وبالرغم من ثراء اصطلاح النحو العربي فإنه لم يزودنا باسم مميّز للألف التي ترسم ياء سوى أنه

(١) في باب من إمالة الألف ١٢٥/٤ يقول سيبويه : «وقالوا في رجل اسمه ذه رأيت ذهأ أملت الألف ... في

لغة من قال يضربا ومر بنا» (بإمالة الألف إليهما) أي يضري وييني

(٢) يقصد الألف المقصورة . (المترجم) .

(٣) يقصد الألف المقصورة والألف الممدودة (القائمة) . (المترجم) .

(٤) يبدو أن هناك توجّهاً في النطق حتى في الكوفة ، وينحبرنا الفراء أن أهل الكوفة يقرؤون في الآية ٦٣- من الأنعام : «أنجبتنا» أنجبتنا أو أنجينا ويصر على أنهم يكتبونها على أساس من ذلك . وترسمها بعض مصاحفهم بالألف (Beck,Orientalia,xvi,355) منذ كانت الألف في الكوفة مناظراً للإمالة ، والوسمان يمكن أن يكونا = قد نطقا أنجبتنا . (وما جاء في معاني القرآن ٣٣٨/١ : «لئن أنجنا من هذه ، قراءة أهل الكوفة ، وكذلك هي في مصاحفهم» أن ج ي ن أَلِف وبعضهم بالألف وقراءة الناس أنجبتنا بالتاء) . (المترجم) .

أطلق عليها الألف المقصورة ، كالكلمة المكتوبة بالألف (wright,i,11B) ويدّعي فيشر (المصدر السابق ص ٦٦٦) بأن شكلي الألف يقعان ألفي إطلاق في الشعر وهذا يحتاج إلى تقييد وتحديد ، إن اثنين من شواهد ثلاثة (لراعي النميري في الحماسة ، ص ٦٦٠^(١)) ، ورجل من سُلَيْم في الأغاني ج ١٦/١٣٧) ، تقع فيها الألف المقصورة من كلا الشكلين رويّاً في القافية مع الألف الممدودة ، وهذا يقتضي ضمناً نطقاً مختلفاً تماماً عن العربية الفصحى المبكرة ، إن نظرة شاملة إلى الفرزدق وجريز والشعراء الستة يكشف أن الألف المقصورة لا تظهر صِلَةً أبداً وظهرت مرة واحدة (عند جريز ، تحقيق الصاوي) رويّاً (بعكس القاعدة في كتاب رايت. (wright,ii,352) ولكنها وردت كثيراً ردفاً^(٢)) قبل : نِها ، وفي كل الحالات ظهر شكلا الألف باعتبارهما ألفي إطلاق في القافية وكتاهما عند الشعراء في شرق الجزيرة العربية وغربها ، ويظهر شكلا الألف كثيراً في الفواصل القرآنية^(٣) ، لكن مع استثناءات نادرة جداً وهو ألا تُقَفَّو إحداهما الأخرى (GQ,iii,37) .

ونادراً ما يأتيان رويّاً في شعر عمر بن أبي ربيعة (Schwarz,Umar,iv,102) ، في الرسم القرآني الرسمي استبعدت إحداهما عن الأخرى بدقة متناهية . ولم يقتصر الأمر على أواخر الكلمات ، بل على عكس الاستعمال الأخير ، قبل اللواحق أيضاً ، عدا الألف التي كتبت

(١) يقصد أبياتاً للراعي النميري جاءت في الحماسة ص ١٨٤-٤٨٣ مقطوعة رقم ٦٥٠ (ط دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد) ومنها :

عَجِبْتُ مِنَ السَّارِينَ وَالرِّيحِ قَرَّةً إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةٍ فَالْرُحَا (ويجوز فيها الرحي ، والرحاء) . (المترجم)
وَقُلْتُ لَهُ أَلْصِقْ بِأَيْتِسٍ سَاقَهَا فَإِنْ يُخْبِرَ الْعَرَقُوبُ لَا يَرَقًا النَّسَا (بالألف القائمة فقط) . (المترجم)
فَأَصْبَحَ رَاعِيَنَا بُرَيْمَةً عِنْدَنَا بَسْتَيْنَ أَبْقَتَهَا الْأَخْلَةَ وَالْحَسْلَا (والخلى بالمقصورة أولى كما في اللسان مادة خلا) . (المترجم)

فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خَذْهَا ثَنِيَّةً وَنَابَ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الْحَيَا
وبقية الأبيات بالألف المقصورة . (المترجم)

(٢) الرَّدْف : هو الصوت الصائت الذي يُلْتَزَمُ مباشرة قبل حرف الروي ، سواء كان ألفاً أم ياء أم واواً بالمد وغيره . (المترجم)

(٣) ومن أمثلة ذلك من فواصل في أواخر آيات كثيرة من سورة طه نحو : تشفى ، ينحشى / العلى ، استوى ، . . إلخ . (المترجم)

بسبب مجاورتها للياء أحياناً قبل ألف الوصل ، وياتنظام بعد ياء أخرى ، والاستثناء الوحيد من هذا أن يكون الرسم يحيى وسقيها^(١) (الآية ١٣/سورة الشمس) ، مما تنتهي مع غيرها من الكلمات بالفاصلة- اها^(٢) . ومن الواضح في الحجاز إن هذه الألف (التي ترسم ياء) قد نطقت بصورة مختلفة عن الألف القائمة ، ويفترض بروكلمان (GVG,i,619) وبرجستراسر (GQ,iii,37) أنها الألف الممالاة . وهذا يكشف عن صعوبة ما ، ما دمنا قد وجدنا أن هذه الألف الممالاة في نص جيد مستشهد به ، قد رسمت في أواخر الكلمات ألفاً قائمة كما في غزا ودعا والعشا بما نطق بالإمالة في التعليم العربي في العراق (سيبويه : ٢/٢٨٠)^(٣) . ومن ناحية أخرى فإن التجويد الرسمي لا يعترف بإمالة الألف بشكليها اليائي والقائم في أواخر الكلمات ، (Grünert,Imale,p.529-32) ، مع أن الكوفيّين حمزة والكسائي قد قرءا الألف المقصورة المرسومة ياء بالإمالة ، باستثناء الأدوات . وقرأ الكسائي الألف القائمة بالإمالة بالشذوذ لدى حمزة والكسائي (البيضاوي : ١٥٤/١) .

cc- ٢٢ - إن الحل لمشكلتنا نجده في عبارة لسيبويه (٣٤٩/٢)^(٤) ، إنهم في الحجاز وبعض قيس ينطقون الألف المقصورة بالإمالة كما في حُبَلِي ، وأَقْعِي ، وأسماء الأماكن : سَوَرِي ، قَلْهِي ، وصَفَوِي .

وفي مكان آخر من كتاب سيبويه ٣١٤/٢ يثبت دون الإشارة إلى لهجة الحجاز أن الألف المقصورة نطقت : - ي : - في الوقف . وقد دفع هذا سَرَو Sarauw (ZASS.xxi,39) وبركلاند (Pausalformen,p.76) إلى عدّ رسم الألف المقصورة ياء خطأً توقيفياً ، وليدلّ على

(١) بالرسم القرآني ، والمقصود وسقيها . (المترجم) .

(٢) كما في فواصل آيات سورة الشمس نحو (وضحها ، تلهها . . . يغشها . . . عقبها) . (المترجم) .

(٣) إن إمالة الألف المقصورة افترضها سيبويه (٢٨١/٢) . كوفلر في (wzkm,xlvii,23) يؤكد أن رمى لم تنطق بالإمالة ، ولا أدري من أين جاء بهذه المعلومة .

(٤) جاء في الكتاب : ١٨١/٤ ط هارون في باب الحرف الذي تبدل مكانه في الوقف حرفاً منه يشبهه : «وذلك في قول بعض العرب في أَقْعَى : هذه أَقْعِي ، وفي حُبَلِي : هذه حُبَلِي . . . فإذا وصلت صيُرتها ألفاً ، وكذلك كل ألف في آخر الرسم . حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لغة لفزارة وناس من قيس وهي قليلة ، فأما الأكثر الأعرف فإن تدع الألف في الوقف على حالها ولا تبدلها ياء ، وإذا وصلت استوت اللغتان» الملاحظ أن سيبويه لم يذكر لهجة الحجاز ولا الكلمات التي تنتهي بها الفقرة . (المترجم)

أن الصيغة في وصل الكلام ليست إلا ألفاً مالة . وذهب بركلاند إلى أبعدَ وافترضها أن حُبلي في الأصل تنتهي بالألف المالة ، ولكنها في الوقف صارت ai قياساً على فتي ، وهي في الوقف فتى والأصل فتي . ووجه النظر يمكن تصحيحها على ضوء ما أُخبر به سيبويه (٣٤٩/٢) من أن فزارة ، وهي قبيلة في وسط الجزيرة العربية قرب المدينة ، تقول في الوقف حُبلي وفي وصل الكلام حبلاً^(١) ، وهذا يقتضي أنها لم تكن لغة الحجاز ، وهي حقيقة يمكن أن تستنتج من المحافظة على الياء قبل اللواحق في الرسم القرآني .

إن الخط المقتبس من سيبويه يجعلنا نفترض أيضاً أن حُبلي ، في لهجة فزارة ، في وصل الكلام ، كانت «حُبلاً» وليس حُبلي ، ويمكننا أن نفهم أن شكلي الألف القائمة أنهما رذافان في القافية حتى في أعمال الشعراء الذين ينتمون إلى قبائل قيس الغربية كالناطقة وعنترة ، ويبدو أنهما قد نطقتا مالتين في لهجات معينة (انظر أنفاً) . وهذه الإمالة رُمز إليها بنقطة سفلية في المخطوطات الكوفية في : أنى - (أنى) ، نصارى : نصاري ، تماماً كالإمالة في المقطع الأول من (كافرين) (انظر : (Noeldeke, GQ, 1st ed. p.328). وإن هذه الإمالة ليست من خيال النحاة الذي أقيمت له الحجة فيما بعد كقراءة إيسي في آسي في الآية ٩٣- من سورة الأعراف^(٢) (البضاوي : ٦٣٣/١) حيث الإمالة في المقطع الأول حدثت بتأثير من المقطع الثاني . . . وليس في إمكاني تفسير هذه الظاهرة . . . ويمكن أن يشير النطق اللهجي لـ«يضربي» الذي ذكره سيبويه في الفقرة aa-28 ، إلى الإمالة بشكل عام للألف في أواخر الكلمات .

dd- ٣١ - على أي حال ، يمكننا أن نقبلها بعدّها دليلاً على أن في اللهجات العربية في وسط الجزيرة ألفاً (مالة) في الوصل و-ai-ي^(٣) في الوقف .

وفي اللهجة الحجازية ألف للمخالفة بعد الياء ، وفتحة باعتبارها حركة في المقاطع المغلقة ، ما دما نستطيع أن نستشهد برسم الألف قبل همزة الوصل^(٤) والتنوين على أنه يمثل نطقاً لهجياً وأن نعدّ ما كان بالياء نوعاً من التسوية في الخطّ أقيم على الصيغ الأكثر دوراً دون تقصير . وما حدث صوتياً ليس تقصيراً للألف بنطقها مالة ، والتخلص من الكسرة

(١) هكذا أوردها المؤلف للفرقة بينهما وبين حُبلي ، أي يريد أن يقول إنها تنطق ألفاً خالصة دون إمالة .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ . . . فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ . (المترجم) .

(٣) كما في «حُبلي» . (المترجم) .

(٤) كما في : هذه حُبلي الرجل ومِعزَى القوم (سيبويه ٦٥١/٤) المترجم .

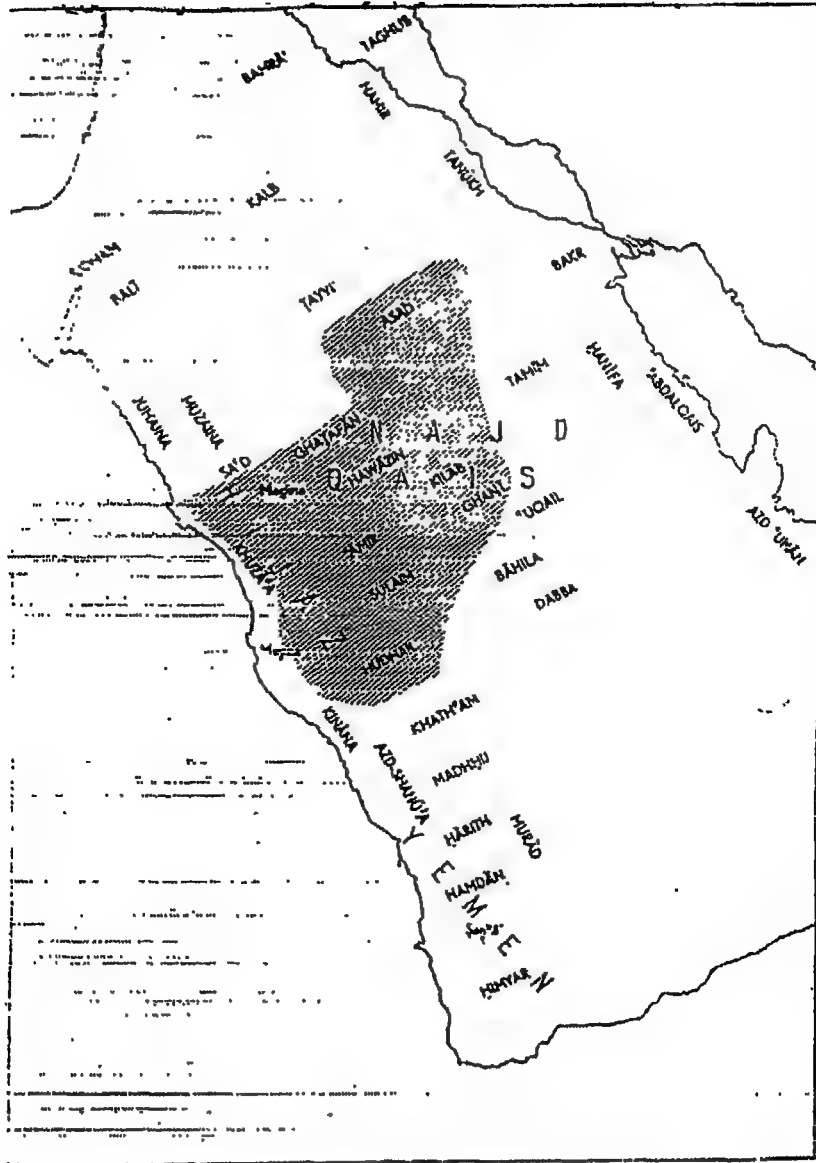
لتجنب توالي العلل في المقطع (لاثقاء الساكنين) . في لهجات وسط الجزيرة بدأ التطور ، بلا شك بالطريقة نفسها ، بانتشار هذه الألف من موقع قبل ألف الوصل إلى مواطن الوصل كلها . في تلك اللهجات (ربما الشرقية) التي تحدّد الاستعمال الأخير امتدت إلى مدى أبعد من مواطن الوقف . والصيغة الأقدم في كل الأحوال هي -ai-ي . وقد احتفظت العبرية أيضاً إلى حد ما ، شعراً ولهجة بمثل هذه الظاهرة (Bauer-Leander, Histor. Gramm, p.203, 512) ، بينما في غالب الأحوال في النثر العبري العادي أعلّت إلى حركة كانت تنطق ألفاً مائلة مفتوحة (سيجول seghöl) عندما تنبر ، وألفاً مائلة مغلقة (صيري -sêrê) عند عدم النبر^(١) . ومن أجل هذا وُسِّمت اللهجة الحجازية بالمحافظة . إن خبر إمالة عَصَى -عَصِي في لهجة هذيل (الفقرة ٤ في الفصل الثامن) ، وصيغ قَفَيْكَا في قفاكا وأَتَيْكَ في أتاك في الإنشاد اليميني^(٢) (الفقرة ١٠-الفصل الخامس) ، تترك قليلاً من الشك بأن هذه الصيغ نفسها كانت جارية في اللهجات العربية الغربية .

ولدينا لهذا الأمر تلُّ من البراهين الخارجية ، في سفر التكوين ٨٧/١ : ربّ -ربّ ليفي (٣١٠ بعد الميلاد) وردت كما يقال في الجزيرة العربية أن هناك فتى يدعى متيا ، ويحتمل أن تنطق فَتِيّا ، وهي ليست إلا فَتَيّ الحجازية بالأداة الأرامية . والكاتب السوري إسحاق الأنطاكي في قصيدة تصف أحداث عام ٤٥٧م (ed, Bickell, I, 210) ينقل العُزَيّ اسم آلهة يعبدها العرب «عُزَيّ» في المخطوطات النبطية السينائية ، ربما تكون أقدم من القرن الثاني بعد الميلاد تظهر الكلمة نفسها في اسم عبد العُزَيّ دون العنصر الأزواجي^(٣) ، وهذا يبرهن على

(١) في العبرية كما في العربية إن-ي- -ai- بإمالتها المزدوجة لم تُعالج بالطريقة نفسها التي عولجت بها ai-التي نوقشت لنوها ؛ بدلاً من تبسيطها بتوحيدها ، لقد خُدمت سلفاً عندما نبرت ، واختصرت في ey-ي في غير نبرها .

(٢) يقصد : ما ارتجزه من أبيات الجند اليمانيون التابعون للدولة الأموية عند محاصرتهم عبد الله بن الزبير في الكعبة بأمر من الحجاج وهي : يا ابن الزبير طالما عَصَيْكَا / .. أَتَيْكَا / .. قَفَيْكَا .. (المترجم) .

(٣) أي دون نطقها عُزَيّ-ي : كما في : اثْنَيْن ، يَوْم . (المترجم)



الخريطة رقم (١٣) تقصير الكسرة الطويلة في آخر الكلمة (gg/١٠)

أن أفراد العلل قد أخذ مكانه منذ فترة مبكرة تماماً^(١) .

ee- ٣٢ - لا بد أنه قد أصبح واضحاً تماماً أن كل ألف مقصورة في القرآن الكريم يجب أن تقرأ -ai- ي^(٢) ، ما لم نكن نرغب في أن يكون الرسم القرآني حقلاً للفوضى والاستثناء الوحيد من هذا النطق هو إذا ما وقعت الألف المقصورة قبل همزة الوصل ، التي تذكر قبل السكون^(٣) ، مما يرجع قراءتها ألفاً كما في الحالات القليلة التي تكتب فيها ألفاً ، أما الاسم يحيى أيضاً فلم يكن الوحيد المميز خطياً عن نحيا^(٤) .

وقد استدل على ذلك بتقليد عبر عنه السيوطي في الإتيان ص ٥١٢^(٥) من أن بني سعد ، شمال المدينة (المنورة) كانوا ينطقون يحيى بالإمالة ، أي كالكلمات الأخرى التي تنتهي بالألف . مما يتضمن أن أهل المدينة كانوا يقولون يحيى ، وبدوا أن الاسم نفسه مقترض من صيغة التحبب اليهودية يُوحَي yōhai .

ff- ٣٣ - إن التطبيق المتوالي لقراءة الألف المقصورة في الأفعال -ai- يّ يقود إلى نتائج غير متوقعة . الأفعال الناقصة مثل يرضي تتوازى في العبرية في البقاء مع أسماء

(١) وهناك قضية أخرى يحتمل أن تكون في اسم إله النبطيين الذي يُذكر في المصادر العربية «ذو الشرى» إذا كان تحقيق مَير (Die Israeliten und Ihre Nachbarstimme.p.269) صحيحاً في توحيد الاسم مع ساريّ الإنجليزية ، وهذا يزودنا بدليل أوضح على أن -ي- -ai- بدلاً من الألف a في لغة النبطيين العرب . وبالنسبة قد يكون مستغرباً إذا ما كان تطوير ساريّ إلى ساراه (Gen,xvii,150) قد عرفه بعض العلماء باعتباره تغييراً صوتياً لا يدل على أن مجموعة أخرى من القبائل لم تأخذه ، حيث تحولت فيه ai إلى ألف a حتى اسم أبراهام يمكن أن يفسر باعتباره صيغة أبرام في لهجة ما بمقطعين ضعيفين كما في Minacan ، وفي الآرامية أحياناً (رَهِط - رَاظ ، وبَهِيث - باث) (GVG, i,53) وكلها جلور جوفاء مثل رام .

(٢) كما في حبلى - حُبْلَى . (المترجم)

(٣) نحو : رأيت حُبْلَى الرجل . (المترجم)

(٤) بينما أحيا ونحيا كانت تكتب مثل يحيا باعتبارها صيغة فعلية كتبت بالياء . وأفترض أن هذه نتيجة لفوضى كتابة الأسماء .

(٥) يقصد ما جاء في الإتيان ١٩٨/١ : «عن صفوان بن عَسَّال أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ -يا يحيى- ، فقل له : يا رسول الله تُعَمِّل ، وليس هي لغة قريش ، فقال : هي لغة الأخوال بني سعد» . (المترجم) .

الأعلام نحو: يَخْدِي، يَخْمِي، ما الذي حُذِفَ من أواخر تلك الكلمات النواقص؟ ووجدت في القرآن مثلاً واحداً هو: يَرْضَهُ في آية ٧ من سورة الزمر^(١). ويحتمل أن تكون مشتقة من يَرْضِي، بعملية تبسيط العِلل أو توحيدها. نفسها كما في الفقرة dd، أو أن حذف العلة الأخير قد حصل في تلك اللهجة ليس بالحذف الصوتي ولكن قياساً على يَبْنِ، يَغْزُ، وأكثر صعوبة من ذلك المشكلة التي تحصل مع الفعل المسند إلى المفرد المذكر الغائب: بَنَى، مما سنناقشه مؤخراً في الفصل الثاني عشر فقرة v كما يبدو أن أصلها صرفي أكثر منه صوتياً.

gg- ٣٤ - لا بد أنه قد لوحظ أن الأسماء في العربية الغربية، التي تنتهي بـ -ai- ي تأخذ قبل اللواحق الهيئة نفسها التي تأخذها حروف الجر من الشكل نفسه. في العربية الفصحى عوملت الأسماء وحروف الجر بصورة مختلفة، والمثالان كلاهما في العربي: إِي، إِلَيْكَ، وفي الوقت الذي يوجد أيضاً في العربية الغربية: قَفَيَّ، قَفَيْكَ، تستخدم العربية الفصحى: قَفَايَ، قَفَاكَ. وسبب هذا الاختلاف، بالطبع، أن الصيغة في الأسماء التي بلا لواحق كانت في وعي المتكلم أكثر من كونها مع حروف الجر^(٢). وستكون مثلاً للاستغراب إذا لوحظ هذا الفرق بصرامة في كل مكان تطورت فيه العربية الفصحى. وإن انعكاساً متقلباً يمكن إدراكه في الأخبار التي جاء في أحدها من أن الكوفيَّين: حمزة والكسائي قد قرءا: متى وبلى وأتى بالإمالة، ولكنهما لم يُميلا: حتى، وإلى وعلى ولدى (Grünert, Imāla, p.530, Pretzl, Islamica, vi,320) يوسف بن الحسسين الأسترباذي (ما استشهد به أبو حيان في المنهاج، ص ٢٤٢) ينقل، على عهدة ابن مقسّم أن بعض أهل نجد ومعظم اليمنيين قد قالوا «حتى» بالإمالة (انظر الفصل الرابع فقرة cc)، مما يثبت أنها لم تنطق كذلك في العربية الفصحى.

(١) في قوله تعالى: «إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ». الآية. (الترجم).

(٢) ويبدو أنه لا يوجد اختلاف من هذا النوع في العبرية، وعدم انتظام الإعراب في الأسماء مثل مرأة قد فسرت جيداً باعتبارها من بقايا إعراب الأسماء التي تنتهي بالياء مثل بونيه أو قياساً على الأسماء من ذوات الجذور القوية، (ربما يقصد امرأ وامرؤ وامرئ وليس مرأة لأنها من الألفاظ المنتظمة في إعرابها، أما بونيه التي ضربها فلا أدري لها أصلاً). (الترجم).

hh- ٣٥ - وعلى النقيض من ذلك ، يمكننا أن نلاحظ غياب الضمة الطويلة (تتماهى في باء بإشمام^(١) الضمة) من نظام الحركات الحجازي ، (انظر : الفصل ٢١ ، الفقرتان t,u) . وهذه الحركة التي توجد في العربية الفصحى تتحول في الحجازية إلى كسرة طويلة .

ii- ٣٦ - يُعثر كثيراً في القرآن الكريم والحديث ، على صيغ حدث في آخرها تقصير للكسرة الطويلة ، أو حذفت بالكامل أحياناً (GQ, iii,34) ، وقد يمتد مثل هذا إلى ضمير المتكلم المفرد في الإعلال ، قد تكون الكسرة دليلاً على ذلك في العادة ، ولكن الكوفيين وأبا عمرو (البصري من أصل تميمي) قد قرؤوا في الوقف «أكرمَنْ» (الآية ١٥-سورة الفجر)^(٢) ، و«أهانَنْ» (الآية ١٦-من الفجر)^(٣) وقد تكررت كثيراً صيغ مشابهة في شعر الحجازي عمر بن أبي ربيعة (Schwarz,Umar,iv,98) (119;ZASS.,xxx,49) والظاهرة الشائعة في الصيغ من الوقف إلى الوصل . وقد أخذت حظها تماماً من المناقشة من بيركلاند (Pausal formen,pp,20 seq 68) (seq,78) الذي قام بجمع مادتها الثرية ، مما يغني عن إعادتها هنا ، وهي بلا ريب ظاهرة لهجية ، ويعزو الزمخشري النزوع إلى تقصير الكسرة الطويلة في الوصل إلى لهجة هذيل . (انظر الفصل الثامن ، فقرة x) . ولا تعزيز لمثل هذه النزعة في متناول اليد من أي لهجة من لهجات العربية الغربية^(٤) .

(١) الإشمام هو ضم الشفتين بعد سكون الحرف ويكون في الرفع والضم لا غير ، (التيسير في القراءات السبع- ص ٥٩) . (المترجم) .

(٢) في قوله تعالى : «فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن» . (المترجم) .

(٣) في قوله تعالى : «وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن» . في الآيتين الكريميتين حركت النون في أكرمن وأهانن بالكسرة على رواية حفص بن سليمان الكوفي عن عاصم الكوفي ، بالرسم العثماني ، وفي التيسير للداني يقول : «ووردت الرواية عن الكوفيين وأبي عمرو بالوقف بالإشارة إلى الحركة . . . رُوِّمَ وإشماماً» وفي كتاب سيبويه ٦٨١/٤ : «وقد قرأ أبو عمرو : فيقول ربي أهانن ، وربي أكرمن» على الوقف . (المترجم) .

(٤) في الصحاح ٩٦٥/٢ يقول : إن بعض العرب يقصرون الباء المدية في أواخر الكلمات من الأسماء إذا كانت معرفة بال كما في : طوال الأيدي ، وليس من المتعين أن يشير هذا إلى اللهجات التي نحن بصدددها ، والشاهد لشاعر أسدي ، وأسد إحدى القبائل التي لها صلة بما ذكرناه .

ومن ناحية أخرى يخبرنا سيبويه (٣٢٨/٢) : أن حذف الكسرة الطويلة (الياء المدية) ، والضممة الطويلة (الواو المدية) في لهجات قيس وأسد كان شائعاً لدرجة أن المتكلمين قد حذفوا الضمة الطويلة من الصيغ مثل : قَتَلُوا ، والكسرة الطويلة من يقضي في وصل الكلام ، وبهذا تبرز لدينا صيغ لافته للنظر كالتي في السريانية ، ويبدو أن هذا الضعف الشديد في العلل الطويلة في أواخر الكلمات كان أمراً خاصاً في البادية الوسطى - التي من ضمنها لهجة أسد باتفاق - وربما يكون التماثل مع السريانية ليس إلى حد التطابق ولكنه يشير إلى وجوه الشبه في كلام العرب أكثر من تمثيلها للمجتمع الأدسدي . ويحتمل أن تشير إلى اللهجات نفسها التي يقول فيها سيبويه (٣٠٢/٢) من أن بعض العرب يقولون في الوقف : اِزَمْ ، اِغْزْ ، اِخْشْ ، في اِزَمْ ، اِغْزْ ، اِخْشْ . هذه الصيغ تشير ثانية إلى اللهجات الشمالية الغربية ، إلى صيغة الأمر في العبرية : يִבְהֵן - yibhen ، يִישֹׁט - yēsht إلخ . والموقف في لهجات وسط الجزيرة مختلف تماماً عما في الحجاز ، حيث لا تكلف قط في الضمة الطويلة . ويبقى الموقف موضع شك بغض النظر عن أي ارتباط ، ويبدو أن حذف الكسرة الطويلة (الياء المدية) وتقصيرها متأصلان بعمق كبير في لهجة الحجاز أكثر من كونهما من قبيل التأثير بالعربية في وسط الجزيرة ، ويحتمل أن يكون النزوع إلى تقصير العلل الطويلة ، موروثاً في لهجات الجزيرة العربية كلها ، ولكنها تطوّرت باتساق في لهجات وسط الجزيرة العربية أكثر منها في اللهجات العربية الغربية . وقد جرى العمل بها في تفاوت في سياقات نحوية مختلفة ، كحركات الإعراب التي قصّرت وحذفت ، تقريباً أينما كانت ، بما فيها الألف في شرق الجزيرة العربية . (انظر: الفصل السادس ، فقرة g) .

٣٧٠-kk - إن وسط الجزيرة والحجاز مرتبطان بحقيقة أن لهجات قيس والحجاز تستعمل في وصل الكلام اسمي الإشارة للإناث : هذه ، ته ، للمؤنث ، بينما اللهجات الشرقية تستعمل في الوصل صيغة هذي ، وهكذا ؛ وفي الوقف هذه ، وهكذا . والهاء بالطبع ، هاء السكت ، وهي ظاهرة وقفية خالصة ، ويمكن أن تكون ذي وتي اسمين للإشارة للمؤنث في اللهجات الغربية (انظر: الفصل الثاني عشر ، فقرة f) وعلى أي حال ، لا بد أن يكونا قد نُطِّقا في الحجاز ، إتباعاً لنزعة حذف الكسرة الطويلة - هاذ - وغيرها . كذلك الصيغة الهذلية اللد (انظر الفصل الثامن ، فقرة y) ، وهذا يؤكد انتشار صيغة الوقف في الوصل .

في الحقيقة إن مثل «هذه» هو الصيغة الوحيدة السارية حقاً في العربية الفصحى ، ويبدو أنها ، ومعها النزعة الصوتية التي ولّدها ، قد نشأت في اللهجات التي استخدمتها

باعتبارها قاعدة العربية الفصحى ، وربما لم تعرف لهجة الحجاز أية صيغة أخرى غير هذه ، ما دامت لا توجد صيغة أخرى في اللهجات التي يمكن أن تكون قد اكتسبت منها هذا النوع من أسماء الإشارة لتحل محل الذي تستعمله وهو تا .

احتفظت القراءة المعتادة في القرآن الكريم بالصيغة الشرقية في الآية ٣٥ من سورة البقرة ، وهي التي تمثل الصيغة التميمية في التعبير كله : ﴿ لا تقربا هذي الشجرة ﴾ في ﴿ لا تقربا هذه الشجرة ﴾ . (البضاوي : ٣٢/١) .

٣٨ -١١ - عند الشعراء الحجازيين نجد - يَ iya دائماً في نهاية الأفعال الماضية ، تعامل معاملة «مقطع» واحد ، إن حالة مثل نَسِيَ تنتهي بالياء المدية ترىنا أن مثل هذه الصيغ كان يُنطق نَسِي ، بَلِي (انظر : شوارتز ، عمر ، ٩٩/٤) وتكررت نسبياً أيضاً حالات أخرى تنتهي بـ : - يَ - iya اختصرت كسرة طويلة (ياء مدية) ، و - وُ - luwa اختصرت ضمة طويلة (واو مدية) في حالة الإضافة ، وقيل هنا إنه ملمح لهجي ، ولا توجد صيغ من هذا النوع في القرآن الكريم ^(١) .

إن علامة النصب الفتحة على الياء أو الواو تحذف دائماً عند الشعر من كل القبائل .
وإنه لما يلفت النظر أننا لم نسمع شيئاً يتعلق بالحجاز عن تقصير بَلَى ونَسَى ، اللتين وجدتا : في الشمال ، في لهجة طيء ، وفي الجنوب ، في شمال اليمن ؛ ولا ارتباطها بالعبرية تبرهن على أنها صيغة لهجية عربية غربية متطورة (انظر : الفصل ١٤ ، فقرة k) . وهذا يضع الصيغ الحجازية في ضوء مختلف ، أي يمكن الافتراض بأن الصيغتين بناء على القياس النحوي الدقيق ، مماثلتان تماماً المثل المتدع المضروب في الفصل الثاني عشر فقرة ٧ وهو بَنَى في بَنَى .

إن صيغة نَسِيَ ربما تكون هي الأصل الشائع في العامية وهو : نَسِيَ . (انظر : أيضاً الفصل ٢١ - الفقرة w) ، كذلك (الفصل ١١ - الفقرة cc) .

(١) يفترض كوفلر (WZKM,xlviii,78) الانتقاد الحقيقي لتعبير المد في هذه الصيغ التي تختص بتقصير الكسرة الطويلة إلى ضمة طويلة ، وأن الواو والياء من مخلفات النظام الإملائي ، وهناك أساس كافٍ إلى حد ما لتفسير مثل هذه الحقائق .

mm- ٣٩ - الخلاصة : يمكننا أن نمثل نظام العلل في لهجة الحجاز على الشكل التالي :

علل قصيرة (صوائت قصيرة) علل طويلة (صوائت طويلة)
(الحركات)

الفتحة ألف مماله

الضمه ألف

الكسرة كسرة طويلة

ضمه طويلة

(الصوائت المزدوجة)

au - و في مثل : يَوْم ، رَوْم ، لَوْن : في اللهجه : يَوْم ، لَوْن

ai - ي في مثل : عَيْن ، اثْنَيْن ، بَيْت : في اللهجه : عَيْن ، بَيْت

إن هذه كلها كانت استمراراً للأصوات السامية الأم المشابهة ، فالكسرة الطويلة (الياء المدية) تحل في بعض الحالات محل الضمة الطويلة في بعض الاستعمالات القديمة في اللغة العربية . وفي حالات معينة (المقطع المقفل ، المخالفة) -ي- ai تتحول ألفاً^(١) .

nn- ٤٠ - إن كثيراً من تقصير العلل يحصل عند تسهيل الهمزة ، وهذه التغييرات ستتم مناقشتها في الفصل الحادي عشر ، فقرة b وما بعدها .

(١) لا يوجد في العربية حركات مزدوجة (كانتينو BSL, xliii, 127) وإن -ي- ai العربية الغربية تبسيط حقيقي للحركة المزدوجة لتتكايف الحركات الطويلة عند تقصيرها ، في المقابل إن تحول الألف إلى -ai ي معادل للفتح .

الفصل الحادي عشر

الحجاز- الصوامت

a- ١ - إن معلوماتنا عن صوامت اللهجة ضئيلة . وما زال من المشكوك فيه ، إلى أي مدى نستطيع أن نجعل من قواعد التجويد القديمة مثلة للنطق الحجازي . إن التجويد يختلف في تعامله مع الهمزة عن اللهجة الحجازية (انظر فقرة 11 ، أنفاً) مع احتمال اختلافه في جوانب كثيرة أخرى ، فالقاف في التجويد القديم صوت لهوي انفجاري مجهور (انظر Volders,Ninth (or.congr.ii,138) كما هي الآن في العاميات البدوية وما ينحدر منها ، وفي أواسط اليمن -Goi- tein,Jemenica,p.xiv,Rossi,san'a,p.2)

ولا أعرف عن العامية الحجازية إلا الخبر الذي ذكره مالتزان ، بناء على ما سمعه ، من أن القاف العربية كانت تُسمع في مكة (ZDMG,xvii,243). في معجم للمفردات العربية التجريدية بالحروف الحبشية ، من تحقيق ونشر ليمان (ZASS,xx,I,57-90) غالباً ما تكتب القاف العربية على صورة جَمَل الحبشية ، والمفردات العربية يحتمل أن تكون قد جاءت عن طريق تجار الحجاز . إن البرهان على وجود القاف قديماً يحتمل أن يكون في (قَصص) ، قال ابن درستويه^(١) : (في الزهر -السيوطي ٢٦١/١) التي استعملها أهل الحجاز في الكلمة العربية الشائعة جِصص (ابن سيده ، في اللسان ٥٤٣/٨ : يقول إن المثال الحجازي كان قَصصاً أو قصصاً) . ولا بد أن يكون هذا دليلاً على أن القاف الحجازية كانت مجهورة ، إلا إذ اشتقت الكلمة من السريانية جِصصاً ، وهذه بدورها من اليونانية جبسون) . على أي حال إن الكلمة بهذا الشكل يحتمل أن تكون من جنوب الجزيرة ، حيث القاف فيها الآن جيم (gāf) ، وفي العصور الوسيطة كذلك (الهمداني ، الإكليل ، ص ٢٩) ، في نقوش العربية الجنوبية في وادي رُخَيْلة ظهرت الكلمتان «جِرم وقصم» (الجير والحص) (Stark,JRAS,1929,plate7-) Ryckmans,Musean,lili,313) من المحتمل أن تكون الصيغ بالجيم كما في السريانية أو في

(١) جاء في الزهر ٣٧٢/١ ط مكتبة الإيمان : «قال ابن درستويه في شرح الفصيح : الجِصص فارسي معرب أبدلت فيه الجيم من كاف أعجمية لا تشبه كاف العرب ، والصاد من جيم أعجمية ، وبعضهم يقول القَصص بالفتح ، وهو أفصح ، وهو لغة أهل الحجاز» . (المترجم)

عبرية المشناه (Mishnah, Miqwoth, xi,2) هي الصيغ الأقدم ، في هذه الحالة فإن القاف في جنوب الجزيرة بناء على مقارنة بعيدة (GVG, I,166) والمثال الحجازي يكونان مقترضين من اليمن ، وبهذه القاف التي أدخلت هناك ، لا نجد ما يساعدنا على تحديد صوت القاف الحجازية . القاف في لهجة تميم تنطق في حالة وسطى بين القاف والكاف أي تلفظ بوضوح في غلظة^(١) وغير لهوية ، وهذا الصوت التميمي كان يُمثَّل بالحرف كاف (الجمهرة ٥/١ ، ابن فارس ، الصاحبي : ص ٢٥) . وهذه الطريقة في نطق القاف تدعى القاف المعقودة ، وفي كثير من الحالات تُرسم القاف التميمية في المعاجم كافاً . ويلزم من هذا أنهما كانا صوتين متشابهين ، وهذا يقودنا إلى نتيجة مفادها أن القاف في اللهجات الشرقية كانت مهموسة مثل التي في العاميات الحضرية المعاصرة في سوريا ومصر . . الخ . العامية العراقية المعاصرة قافها مجهورة ، نوعاً ما ، ولا بد أن يكون لها صورة واحدة في قديم الأيام ، لأنه في بعض الحالات ترسم الجيم g الأرامية في أسماء الأماكن العراقية قافاً مثل : باقداري (بجوار بغداد ، ياقوت ، المعجم ٤٧٥/١) من : بجداري ، وجَدَر اليونانية ، وباقردي (بالإمالة) ، أو قَرْدَا (ياقوت ٤٧٦/١) من جَرْدَا ، وينقل الشاعر بشار بن برد (ت ١٦٧/٧٨٣) الكلمة الأرامية جَمَلًا في إحدى قصائده على قَمَل (الجواليقي ، المعرب ، ص ٦٧) . وهو من الصعب تفسيره على ضوء ما قلناه عن القاف الشرقية ، على أي حال ، هناك إشارات أخرى على أن اللهجة العراقية كانت في وقت ما قد تأثرت بشكل كبير باللهجات البدوية من غط اللهجات الغربية ، ويمكننا ، على ضوء حقيقة أن اللهجات البدوية والعامية اليمنية قد جهرت القاف ، أن نفترض أن القاف في اللهجات العربية الغربية قد جهرت أيضاً ، مع أنه حتى الآن لا دليل مقبولاً على نطقها كذلك قديماً ، إن جهر القاف في التجويد لا بد أن يكون استمراراً حقيقياً لنطق الرسول [ﷺ] . ولكن التجويد نادراً ما يُمثل القاف الحجازية التقليدية الخالصة (انظر الهمزة والصوائت) . إضافة إلى أن القاف المجهورة يجب أن تكون قد نطقت خارج الحجاز ، خاصة في بقايا اللهجات النجدية التي تدعم قواعد العربية الفصحى ، وعليه فإن الصوت المهموس المستعمل في اللهجات الشرقية لم يكن موروثاً من زمن قديم ، على أي حال فإن الأصوات المفخمة كانت في الأصل حيادية أو متعادلة صوتياً (انظر الفصل ٤١ ، فقرة h) وقد ثبتت في مختلف اللهجات . إن همس القاف الأرامية كان عاملاً مساعداً في تحويل القاف الشرقية إلى صوت مهموس .

(١) أي مُفَخَّمة ، انظر الفصل nn

b- ٢ - لقد لاحظ فولرز (ZDMG, xlix, 495) جهرا القاف في العربية ، أينما كانت ، والجيم صوت غاري ، ويمكننا أن نضيف أن اللهجات بهمس القاف تظهر ميلاً نحو الكاف الغارية ، وهي نزعة لم تكن معروفة لدى اللهجات الشرقية القديمة (انظر : مناقشة الكشكشة من بارث ، (WZKM, xxiv, 281seq) إن الجيم في التجويد لم تكن جيماً غارية كاملة ، عند الأخذ بعين الاعتبار نطقها في اللهجة اليمنية (انظر الفصل الرابع فقرة i) . لقد سمع مالتزان (ZDMG, xxvii, 243) الجيم في الحجاز تنطق غير شديدة^(١) كما في الفرنسية dj في مفردات العربية التجريدية كتبت الجيم العربية زايماً وليس جيماً^(٢) ؛ مما يخرج أي صوت يشبه الجيم^(٣) (انظر : .
(Littmann, ZASS, xxi, 52)

يقتبس كمبفمير (kampffmeyer, ZDPV, xv, 18) رسالة شفوية لسوسين مفادها إن أجزاء من الحجاز تنطق الجيم g^(٤) ، ولكن لا يوجد أي دليل على هذا النطق .
c- ٣ - إن المعلومات عن الأصوات الحلقية مضطربة ، وعلى ضوء ما قيل في الفصل الرابع فقرة يمكننا أن نخرج من البحث أنطى في أعطى باعتبارها شاهداً لصوت العين وفي الخبر أن الصيغة امتدت إلى المدينة^(٥) وسعد بن بكر ولم تذكر مكة ، وقد تكرر الفعل أعطى في القرآن الكريم ولا أعرف سوى موضع واحد قرئت فيه أنطى ، أعني في الآية ١- من سورة الكوثر^(٦) التي جاءت في قراءة أبي «أنطيناك» ، وقرئت كذلك من اليمني والبصري أخيراً : ابن السمين والحنس البصري

١) الوصف الدقيق الذي يجب أن توصف به هذه الجيم أنها صوت مركب من صفتي الشدة والرخاوة (أو الانفجار والاحتكاك) ، أي صوت يبدأ بالدال وينتهي بالجيم المعطشة ، وهذا واضح من تشبيه هذا الصوت بالصوت زك في اللغة الفرنسية . (المترجم)

٢) إذا كان المؤلف يقصد التجريدية المعروفة في أرتيرية الآن فإنه يكون قد وقع منه سهو فحرف y ليس زايماً . وإنما هو الجيم العربية وهو صحيح فالزاي ترسم عندهم H .

٣) هذا كلام غير دقيق علمياً حسبما ذكرنا آنفاً . (المترجم)

٤) كالجيم اليمانية أو القاهرية كما في God الإنجليزية . (المترجم)

٥) في المزهر ٢٢٢/١ : «الاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار ، تجعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء كأنطى في أعطى» (المترجم) .

٦) أي في قوله تعالى : «إنا أنطيناك الكوثر» في إنا أعطيناك . (المترجم) .

الكبير^(١) ، (Jeffery, Materials, p.80) ولا نكاد نظفر بمن يعلق أهمية كبيرة على حقيقة أن هذه السورة من أقدم السور ، ومن الصعب التصديق بأن النبي [ﷺ] قد عرف في وقت متأخر أن القراءة الصحيحة هي أعطى .

d- ٤ - إن مصدراً متأخراً جداً (العنطابي (Qāmūs Ture, i, 284) أفاد أن قبيلة سعد بن بكر ، شمال المدينة ، تقول : نَحْم في نَعَم ، وابن مالك في (التسهيل [مخطوط] ورقة ٨٦- الصفحة ب) يذكر الخبر بنفسه دون تخصيص اللهجة وقد عرفنا ما قيل من أن الهذلي ابن مسعود قد اعتاد على هذا النطق (ابن هشام ، المغني^(٢) ، ٥٢/٢ ، انظر الفصل الثامن من الفقرة c) . وقد نطقت في مكة : نَعَم (انظر الفصل العاشر فقرة i) ويحتمل أن تكون نَحْم صيغة محلية في المدينة وما جاورها ، إن قبيلة شَمَر في الجزيرة وهي القبيلة التي تدعي أنها انحدرت من طيء ، تقول حَطًا في عَطًا ، (انظر : Montagne, Contes, BEOIFD, p75, quoted) ، (انظر : الفقرة by Cantineau, Parlers, p. 145) يربط كاتينو هذا بـ «هات» ولكن يمكن تفسيرها بأنها نتيجة لتغيير صوتي مركب ، أي عَطًا- حَطًا ثم هُتَّت الحاء هاءً (انظر : الفقرة فيما سيأتي) .

e- ٥ - يُعَيِّن الأزهري (في التاج ، ١٠ ، ١٢) أمثلة في لهجة الحجاز نحو : أدى ، استأدى^(٣) في : أعدى ، استعدى ، والشاهد على ذلك للشاعر الطائي الطُّرْمُح (xlvi, 8) وهناك دليل أَفْضَل على تجريد العين من التحليق^(٤) (انظر الفصل ١٤-

(١) جاء في البحر المحيط ٥١٩/٨ عن هذه القراءة : «وقرأ جمهور أعطيناك بالعين ، والحسن وطلحة وابن مَخْصِن والزعفراني أنطيناك بالتون وهي قراءة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال التبريزي هي لغة للعرب العاربة من أولي قریش ، ومن كلامه صلى الله عليه وسلم : «اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاه» . لم يذكر محمد بن عبد الرحمن بن السميع أبا عبد الله اليماني (له اختيار في القراءة شد في قرأ على شريح وقيل على نافع وطاوس) ، وبحث في كتاب المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات ولم أجد فيه إشارة لهذه القراءة فضلاً عن نسبتها لابن السميع . (المترجم)

(٢) وفيه ٣٨١/١- ط دار الفكر : «نعم بفتح العين وكنانة تكسرهما . . . وبعضهم يبدلها حاء ، وبها قرأ ابن مسعود» (المترجم)

(٣) في اللسان مادة عدا : استعداه استنصره واستعانه . . . ويقال : استأده بالهمز فأداه ويقال : أديتك وأعديتك من العَدوى وهي المعونة . (المترجم)

(٤) يقصد المؤلف التخلي عن أن تكون العين حلقية بنطقها همزة أي من الحنجرة (المترجم)

الفقرة q) وهذا لا يعني أنها لم تكن شائعة في الحجاز ، كما يستنتج من بعض اقتباسات الأزهري من الحديث . وقد سمع مالتزان (ZDMG,xxvii,244) نطق العين همزة بجوار الحذيفة في تهامة اليمن ، وفي صنعاء أيضاً ، العين ضعيفة إلى حد ما (انظر (Rossi,San'a,p.4).

إن نطق العين غير حلقية^(١) من طرفي المنطقة العربية الغربية : الجنوبية والشمالية يفرض بقوة نوعاً ما أنها نزعة موروثية في اللغة ، وعلى العكس من ذلك يحدث في اللهجات الشرقية إذ تتغير فيها الهمزة عيناً^(٢) في حالات معينة ، (الإشارات في الفصل الثامن الفقرة q) وأفضل مثال يشهد لذلك هو : أن في عَن ، وعَنَّا في أُنَّا ، وفي مثل هذه الحالة يصعب تعيين أقدم الصيغتين ، خاصة أن الحرف المصدرى والنصب أن ، وحرف الجر عن ليس لدهما شبيه ، ويحتمل أن تكون «أن» لا شيء سوى «عن» التي نَفَحَتْ فشَدَّتْ وخلُصَتْ من تحليق العين ، من أجل تحوّل المعنى يلزمنا مقارنتها بالكلمة الآشورية شَاشا بمعنى من ، والفنيقية والعبرية شَاشا - وش - she بمعنى أن (أو من للعاقل وما لغير العاقل ، أيضاً) ولا بد أن هذا يوضح امتداد الميل إلى التخلص من التحليق^(٣) ، إلى الشرق في اللهجات التي شكلت قواعد العربية الفصحى .

f- ٦ - ولدينا دليل على إضعاف مشابه للحاء في الحجاز ، ويثبت ذلك ابن دريد (في الجمهرة ٣٧٧/٢) بشكل عام بإعطاء مثال حجازي : مَدَه في مَدَح ، ومن الأخبار عن النبي ﷺ [أنه قال : وَيَهَكَ فِي وَيَحَكَ . ويذكر المبرد (في الكامل : ص ٥١٧) أن مثل هذا التغيير قد جاء في لهجة سعد بن زيد مناة ، وإنه في مخطوطتين آخرين للكامل أضيفت قبيلة لحَم ، والأخيرة ليست إلا التعبير المعتاد لدى النبطيين ، الذين عاش معهم اللخميون في الحيرة ، ويحتمل أن تكون سعد في الأصل هي سعد بن بكر التي تعيش في شمال الحجاز والقراءة الأخرى قد تكون من وهم النُساخ . الحاء في جنوب اليمن خالية تماماً من الاحتكاك بالخلق - Land)

(١) أي نطقها همزة . (المترجم)

(٢) في مثل قول ذي الرّمة :

أَعَنُ تَرَسَمْتُ مِنْ خَرْقَاءِ مَنْزِلَةِ ماء الصبابة من عينيك مسجورم

أراد أن ترسمت ... (المترجم)

(٣) أي النطق من الخلق . (المترجم)

berg, Hadramout, p253, Arabica, v,77, 281, Rhodokanakis, Dhafar, ii, 57)

g- v - وردت في قافية بيت من الشعر للسموأل بن عادياء ، (ط شيخو ، ١٢/٣ ، استشهد به أبو زيد في النوادر ، ص ١٠٤ ، في اللسان ٣٣٢/٢) كلمة خبيت^(١) ، وقال الأصمعي أراد الخبيث ، واستنتج منها أن يهود خبير يبدلون من الثاء تاءً ، ويعترف بأن الخليل (ت ١٧٥هـ ، ٧٩١م) ينكر أن يكون قد سمع مثل هذه السمة في تلك اللهجة ، ومؤلف اللسان يفترض أن القراءة هي ختيت ، ولا شئ هناك بعيد الاحتمال في الظاهر بإمكانية أن يكون اليهود الذين تكلموا ، أو تكلموا حديثاً الآرامية ، قد خلطوا بين الثاء والتاء والمثال المطروح ، لا يمكن استخدامه ، إلى حد ما ، للبرهنة على ذلك ، إن التاء في آخر الكلمة لا بد أن تكون قد نُطقت تاءً في الآرامية ، أيضاً ، ومهما يكن من أمر فإن «خبيت» كلمة عربية جيدة ، ربما تكون خاصة بلهجة الحجاز ، وإن كلمة «مُخَبِّت» الموجودة في القرآن ، في الآية ٣٤- من سورة الحج^(٢) ، وفي الحجاز منطقة صحراوية تُدعى الخبت . والجذر نفسه

(١) والنص كما جاء في نوادر أبي زيد ٣٤٥-٣٤٧ ط دار الشروق قال أبو زيد : «حدثني شيخ لنا من البصريين

عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي قال : أنشدت الخليل بن أحمّد قول السموأل :

ينفع الطيّبُ القليلُ من الرُّزِّ ق ولا ينفع الكثيرُ الخبيثُ

ولكلٍّ من رزقه ما قضى الله له ولو حكَّ أنفه المستميت

فقال لي (أي الخليل) : ما الخبيت؟ فقلت : أراد الخبيث ، وهذه لغة لليهود يبدلون من الثاء تاءً ، قال : فلم لم يقل الكثير فلم يكن عندي فيه شئ؟ قال : أبو زيد ، وفي المخصص ٩٥/٣ «قال أبو سعيد السيرافي : والخبيت لغة قرظنة والنضير . (وذكر البيت وقال اليهودي ولم يسم الشاعر) وفي اللسان مادة خبت : والخبيت : الحقير الرديء من الأشياء ، قال اليهودي الخبيري ، (وذكر البيت) ، وسأل الخليل الأصمعي عن الخبيت في هذا البيت ، فقال له أرد الخبيث وهي لغة خبيير ، فقال له الخليل : لو كان ذلك لغتهم لقال : الكثير وإنما كان ينبغي لك أن تقول : إنهم يقلبون الثاء تاء في بعض الحروف ، وقال أبو منصور (يقصد الأزهري) أن هذا تصحيف قال لأن الشيء الحقير الرديء إنما يُقال له الختيت ، بتاءين ، وهو بمعنى الخسيس ، فصحّفه وجعله الخبيت» (المترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿... يرش الخبتين﴾ . (المترجم)

يرجع إلى الكلمة المحلية الفلسطينية «حَبْتَا» Habhtā^(١) (Aphtha in Josephus)

وبهذا لا صعوبة في الاعتراف بأنَّ حَبْتَا بمعنى حقير .

h - ٨ - يخبر الفراء (في اللسان ٧٤/١٣) بأنَّ «بَنُ» في بَلْ ، التي عدّها آخرون كابن جني بأنها من فصحي العربية ، كانت شائعة في لهجة سَعْد وکَلْب (في التاج ١٤٥/٩ - وقضاعة مع كلب) . وفي خبر منفصل يضيف أنه سمع ناساً من قبيلة قيس ، إن باهلة تقول لا بَنُ في لا بَلْ . هذه المخالفة وجدت في منطقة واسعة ، وفي تلكما اللهجتين اللتين شاعت وامتدت فيهما الصيغة المخالفة (انظر : التيجرنية والعربية المغربية : ن في ل بمعنى إلى ، بروكلمان GVG,i,227,224) .

i - ٩ - في بيت شعر للأعشى (تحرير جأير ١٩/١) ورد خييص (بمعنى غُزُور العين) بدلاً من خُوص مصدراً للفعل خُوص^(٢) . وليس ببعيد أن الفعل في لهجة الحجاز قد صار

(١) انظر كذلك الكلمة العبرية حابستهم - كعك منبسط - (تتصل بالجذر العربي في المعجم العبري لبراون ودرايفر وبريفز) . (وربما يقصد الكلمة «حَبْتَا» ما يقال في العامية الفلسطينية حَبْتَي أي لا يملك شيئاً وهو عالة على غيره فيكون محقرًا) . (المترجم)

(٢) يقصد بيت الشعر في ديوان الأعشى الكبير تحقيق د . محمد محمد حسين ص ١٤٩ (القصيدة ١٩/البيت الأول) هو :

لعمري لئن أمسى من الحيّ شاخصاً لقد نال خَيْصاً من عُفَيْرَةِ خائصاً

ويقصد بالخَيْص هنا القليل ، ولكن المؤلف فسرها بغُزُور العين وهو المعنى الذي جاء في أبيات أخرى للأعشى ولم يستعمل كلمة الخييص وإنما الخُوص ؛ مما يعني أن المؤلف راين قد سها أو أخطأ في هذا التوجيه الذي بنى عليه حكماً لغوياً سيتلو ، والأبيات التي وردت فيها كلمة خُوص هي :

ص ١٢٣ من الديوان : ضوامر خُوصاً قد أضربها السرى وطابقن مشياً في السريح المستخدم

ص ١٦٧ من الديوان : إذا أدجوا ليلة والركا ب خوص تخضخض أشوالها

ص ١٥١ من الديوان : فهل كنتم إلا عبيداً تُعدون خُوصاً في الصديق لوامصاً

وكلمة «خوص» التي وردت في الأبيات جمع أخوص وهو الغائر العينين (انظر : اللسان مادة خوص) (المترجم)

خَيْصَ أو خَيْصَ^(١) [خاص الألف فيها بمالة] ، (انظر الفصل العاشر- الفقرة y) ،
ويحتمل أن يكون هذا المثل من الخلط العام بين : او- au و اي- ai من مثل الذي
سنراه في لهجة طيء (انظر الفصل ١٤- الفقرة n)^(٢). وقد سمع أبو الأسود الدؤلي
(ت ٦٩هـ- ٦٨٨م) ابن عُمر يقول : حَوْتُ فِي حَيْثُ (اللسان ٤٤٤/٢) . وَيَعْدُ
المفضل (في اللسان ٣٠٠/٨) الصيغة التي تصير فيها : أو- awwā ، إِيّا-
ayyā^(٣) معاقبةً ، ومن الأمثلة التي يستشهد بها لذلك : صَيَّامٌ فِي صَوَّامٍ ، وَصَيَّاغٌ
فِي صَوَّاغٍ^(٤) .

والأخيرة منهما ذكرها الجوهري أيضاً (في الصحاح ٦/٢)^(٥) على أنها صيغة حجازية .
جميع الأفعال المعتلة التي بالواو في الأرامية اليهودية الفلسطينية ، واوها المشددة تقلب ياء

(١) إن كل ما ذكره المؤلف أخذ من اللسان دون إشارة إليه حيث جاء في مادة خييص : «الخَيْصُ القليل من
النيل ... وخاص الشيء يخييص أي قل» ، قال الأصمعي : سألت المفضل عن قول الأعشى :

لعمري ! لئن أمسى من القوم شاخصاً لقد ناك خَيْصاً من عُقْبَةٍ خَائِصاً

ما معنى «خَيْصاً»؟ فقال :العرب تقول فلان يخوص العطية في بني فلان أي يقللها . قال : فقلت فكان ينبغي
أن يقول خَوْصاً ، فقال : هي معاقبة يستعملها أهل الحجاز يسمون الصَوَّاغَ الصَّيَّاغَ ... ونلت منه خَيْصاً خائِصاً
أي شيئاً يسيراً وهكذا يكون المؤلف قد أعطى الخييص وهو قلة العطاء ، معنى الخَوْص ، وهو غُور العين نتيجة
الخلط الصوتي أو الصرفي الذي حصل في الحجاز . (المترجم) .

(٢) لقد ورد أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان يقول في صلاته : «حَيْلٌ» في حَوَل (اللسان ٨٠٢، ٣٤١/٣١) .
(ربما يقصد المؤلف ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم ذا الحَيْل الشديد . (المترجم)

(٣) في مثل : الصَوَّاغُ تصير صَيَّاغاً ، والصَوَّامُ تصير صَوَّاماً . (المترجم)

(٤) إن الأمثلة التي ساقها المؤلف راين دالة على المفرد بفتح الصاد في الكلمتين كما في النص الإنجليزي مع أن
النص في اللسان مادة خَيْص التي ضرب فيها المفضل الأمثلة يذكرها بالجمع أي بضم الصاد وليس فتحها مع
أنه يقر في ملاحظة له في الهامش أنها قد وردت في المعجم بالضم ، بتأثيره في رأيهم من الصوامت المجاورة
ويحيل إلى الفصل العاشر -) - (المترجم)

(٥) ويقر الفراء (في اللسان ٤٠٦/١٥) أيضاً بأن «صَيَّاغ» من اللهجة الحجازية ، ويحللها على أنها فَيْعَال
(صَيَّوْغ-صَيَّاغ) ويؤكد بأنها بما يستعمل الحجازيون أكثر من غيرها «أهل الحجاز أكثر شئ قولاً للفَيْعَال من
ذوات الثلاثة» ومعنى ذلك ليس واضحاً لي . ولكن النص قد يتضمن أن فَيْعَالاً قبلت في الحجاز أكثر من
فَيْعُول ولكن صَوَّاغاً لا تفيد ذلك .

في التصريف المضعّف العين (DaImann, Gramm, p.316) وهذا هو المبدأ الثابت في التطبيق العملي الذي جرى على أساس فيه تغيير قوام (بالإمالة) إلى قِيَام (بالإمالة) ، في وقت مبكر جداً ، وهي الصيغة التي تظهر على ورقة البردي الضخم في الإنجيل الآرامي ، فيما بعد الإنجيل العبري ، والسرياني ، كما قام شوارتز (Umar, iv, 102) بشرح الأمثلة الحجازية من الأفعال المعتلة العين بالياء ، عن طريق القياس ، وفعل الشيء نفسه بروكلمان (GVG, I, 616) في الأفعال الآرامية ، ومن ناحية ثانية ؛ الأفعال المعتلة العين بالياء في الآرامية ، وهي نادرة دائماً ، كانت تختفي معاً ؛ فكان الاحتمال بعيداً أن يجد ما يشده إلى جذور الأفعال المعتلة العين بالواو ، لذلك كان فقهاء اللغة العرب على حق في جعلهم هذا التغيير من قبيل التشكيل الصوتي الوظيفي . ولدينا تطوّر آخر متأخر شائع في فلسطين وغرب الجزيرة^(١) .

k - ١٠ - حسبما جاء عن ابن مالك (في التسهيل وجه ١٠٨)^(٢) : «تبدل الياء من الواو لأمال «فُعلى» صفة محضّة ، أو جارية مجرى الأسماء ، إلا ما شدّ ، كالحلوى بإجماع والقصوى عند غير تميم» . وقد ذكر الفراء إلى أن القصوى تُقال في الحجاز خاصة (انظر اللسان ٤٤/٠٢ ، كذلك في أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٦٢٦ ، وابن عقيل ص ٣٧١)^(٣) . ربما لأنها ترد في القرآن (الآية ٤٢ - سورة الأنفال)^(٤) . والقرآن يتضمن كذلك أمثلة بالياء نحو : دُنيا ، عُليا . . الخ . وسبب الإبدال

(١) وبودي أن افترض أن هذا يمكن أن يشرح السبب الذي يقف وراء نطق الكلمة العربية الجنوبية «قول- qwl» بمعنى الأمير في العربية (الشمالية طبعاً) : قَيْلاً . وقول قد تكون «قَوَّالاً» (انظر : مَغِيذ ، أي الأمير ، العبرية من هِجْد ، «يقول») . ولا بد أن يكون قد صار في العربية الغربية «قَيْلاً» وسيظل علينا أن نشرح كيف صار قَيْال قَيْلاً واجمع أقيال .

(٢) في التسهيل ص ٣٠٩ تحقيق بركات ، وقد نقلت العبارة بنصها كما جاءت في التسهيل . (المترجم)
(٣) في أدب الكاتب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ٨٨٤ : «قال الفراء : أهل الحجاز يقولون القصوى بالواو . . . وفي اللسان مادة قصا ينسب هذا القول إلى ابن السكيت وليس للفراء» قال ابن السكيت : ما كان من النعوت مثل العُليا والكَخيا فإنه يأتي بضم أوله وبالياء لأنهم يستثقلون الواو مع ضمة أوله ، فليس فيه اختلاف إلا أن أهل الحجاز قالوا القصوى ، فأظهروا الواو وهو نادر وأخرجوه على القياس ، إذ سكن ما قبل الواو ، وتميم وغيرهم يقولون القصيا» . (المترجم)

(٤) يقصد الآية الكريمة : «إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى» (المترجم)

خارج الحجاز إذا كانت الواو فعلاً خاصة بالحجاز ، يحتمل أن يكون صوتياً ، مثل سائر الأمثلة التي تتردد بين الواو والياء إذا وقعتا بعد صامت ، وفي حالتي خُصُوة وخُصِيّة ، وكُلِيّة وكُلُوة وإن ما يقوله البدو السوريون في عاميتهم : خُوصُوه ، وكُولُوه (Cantineau, Parlers, p.15,222) قد يقودنا إلى تعيين الصيغ الواوية في اللهجات العربية الغربية . ولا يتعارض هذا بالضرورة مع قُنِيّة الحجازية في مقابل قُنُوة التميمية (عن يونس في المزهري للسيوطي ١٧٦/٢ : من الألفاظ ذكر قُنُوه وقُنِيّة) ويبدو أنه كلما كان في العربية الشرقية قنو كان في العربية الغربية قني ، كما في العبرية والآرامية ، والعربية الجنوبية ، والإثيوبية . وقد قال صخر الغي الهذلي (١) : قُنَيان (اللسان ٦٤/١٠) التي تبدو أنها كلمة مقترضة . إن الأمثلة كلها التي ساقها اللسان للفعل قني من مصادر عربية غربية كالأحاديث وحاتم الطائي ، والطماحي (٢) .

١- ١١- إن أكثر الملامح ذيوعاً وشهرة في لهجة الحجاز هو تسهيل الهمز ، والهمزة مسؤولة عن الصعوبات الحقيقية والوحيدة في كتابة العربية ونطقها ، وقد نال تغير هذا الصوت قسطاً وافراً من الاهتمام ، إذا صرفنا النظر عن أعمال فقهاء اللغة العرب ، فإننا لا نستطيع أن نغض النظر عن أعمال اللغويين الأوروبيين نحو : فايل : weil, 63-1, xix, Zass, والمادة مأخوذة من النحويين) ، شوارتز : عمر ص ١٠٣-ص ١٠٩ (الشعر الحجازي) كذلك Zass, xxx-59-64 (رسم المخطوطات القرآنية) ،

(١) ربما يقصد البيت الذي جاء في اللسان مادة قنا والذي هو في الحقيقة لأبي المثلّم الهللي يرثي به صخر الغي وهو :

لو كان للدهر مالٌ كان مُتِلَدَه لكان للدهر صخرٌ مالٌ قُنَيانٍ

والقنية والقنوة من معانيهما ما يُقْنَى من الغنم أو غيره . (المترجم)

(٢) ربما يقصد ما قد جاء في اللسان مادة قنا من قوله صلى الله عليه وسلم : «فاقنوهم» فسرهما في اللسان : أي علّموهم واجعلوا لهم قنية من العلم . . . قال ابن سيده أيضاً : وأما البصريون فإنهم جعلوا الواو في كل ذلك بدلاً من الياء لأنهم لا يعرفون قنيت» .

وأما حاتم الطائي ففي قوله :

إذا قلّ مالي أو نُكِبْتُ بنكبةٍ قنيتُ حيائي عفةً وتكرّماً

وكذلك الطماحي وقوله :

كيف رأيت الحِمقَ الدُّنْظَى يعطى الذي ينقصه فيقنى؟

بيرجستراسر في : (GQ,iii,43-49) الرسم القرآني الرسمي التقليدي) ، فولرز :
 Volkssprache, pp.83-96 (مصادر عدة) ، فتستشتاين في ZDMG, xxii,168-
 178 العامية البدوية ، برتزل (Islamica, vi,303-318 التجويد) . حاول الكتاب
 المعاصرون في (Comptes, Rendus de, GLEcs,iii,97-79) أن يفسروا الحقائق
 صوتياً مع استشهادات من أعمال مجرّبة ومطبّقة من العبرية الحديثة ، في المواطن
 التي حدث فيها التغيير نفسه .

إن كثيراً من تعقيد المشكلة ينشأ عن الموقع المتميز للنطق الشرقي على الخط الحجازي ،
 مع التعديل المتتابع فيهما كليهما ، الذي أدى إلى طريقة الكتابة المعاصرة ، والأمر نفسه ، أي
 عدم وجود محاولة دائبة لتقديم تصويت تام يجعل الهمزة ضمن الأصوات الصامتة ساهم في
 إيجاد نطق أخفى ذلك الصوت ، كان مسؤولاً عن بعض الشذوذ في التعبير العبري
 الإنجيلي . انظر : (Bergstrasser, Hebr.,Gramm.,I,89-93).

m- ١٢ - تعطي كل لهجة سامية إشارات إلى نزعة الاستغناء عن الهمزة ، ومع ذلك
 نلاحظ في الآرامية وحدها أنها اختفت تماماً كما في العربية الغربية^(١) . والعربية
 الشرقية ، كما وصفها فقهاء اللغة^(٢) ، كانت لغة محافظة إلى حد بعيد في هذا
 الجانب ، ولم تنافسها في ذلك سوى الأوجاريتية ، ومع ذلك ، حتى مع حذف
 الهمزة من يُقتل في يُؤقتل ومن «الله» في الإله (انظر : شوارتز ، عمر ، ١٠٣/٤) ،
 في لهجة تميم : يَرأى (العبرية يَرئي) صارت يرى ، كما هي في أي مكان آخر
 (سبويه ٣٧/٢) وأسقطوا الهمزة الأخيرة بعد حركة في الوقف (انظر : السابق
 ٣١١) .

كل اللهجات باستثناء تميم ، خففت الهمزة الثانية من همزتين منفصلتين بحركة قصيرة
 فقط^(٣) . ولا يتم تطويل تلك الحركة إلا إذا جاءت الهمزة مباشرة قبل صوت صامت
 (الزمنخشري ، الفصل ص ١٦٧) . في لهجة ما مُدَّت الحركة ولكنها ما زالت تنطق الهمزة

(١) عدا المادة الموجودة في النحو المقارن ، أضيف الآن ما لاحظته أوليان دروف (لم يطبع بعد) من أنه في التجريدية
 نزعة متزايدة للعمل بالهمزة في الكلمات ، بدأت تترك أثرها في الخط .

(٢) ما يشكك بأنه حتى اللهجات الشرقية لم تحافظ على الهمزة تماماً كما أشار النحاة ، وأنه من المؤكد جداً أن أيّاً
 من العاميات ، مع كل نطقها القوي قد فعلت ذلك .

(٣) في الخط الصفوي الصعب : أأثر ، أأسد (النقوش الصفوية ، ص ٣١) .

(المرجع السابق) . حتى لو حصل اتفاق بين اللهجات في هذه النقطة فإن وجهات نظر النحاة تظل مختلفة ، فأئمة جمع إمام ، رفضها سيبويه مؤثراً رأيّه ، ولكن القراء الكوفيين تبناها ، ولم تُخفّف الهمزة في مثل هذه الحالات في المخطوطات المتأخرة ، إن الرسم القرآني القديم في حاجة ماسة إلى الاتساق . (GQ, iii,45) إن التخفيف أو الحذف المؤثر في الحركات التي يبتدأ بها كما في لَوَّانٌ في لَوَّانٌ ، وجد في الشعر الشرقي نحو : يالَ في يا آلَ (wright,ii,153B)^(١) وهي الصيغة الموجودة في أي مكان ، إذا كانت قاعدتنا(*) صحيحة بأن الرخصة الشعرية تعكس استعمالاً حقيقياً ، ستكون الهمزة من ثَمَّ ، أقلُّ ثباتاً في اللهجات الشرقية أكثر مما يريدنا النحاة أن نعتقد ، أما بالنسبة للهجات العربية الغربية فإن الهمزة قد سُهلَّت أو جرى التخفيف منها في كل مناطقها .

ويجعل أبو زيد^(٢) (في اللسان ١٤/١) تسهيل الهمزة مقتصرأ على أهل الحجاز ، وهذيل ، ومكة والمدينة ، بعد أن ذكر مباشرة شيئاً^(٣) مما يقوله بنو عجلان من قيس^(٤) . ومع ذلك قيل إن قيساً تحقّق الهمزة (الجاربردي ، مما استشهد به هُول ٩٣٠/٤) ، وقد تقلبها أحياناً عينا^(٥) . (السيوطي ، المزهر ١/١٣٣) .

يقول الأزهري (اقتباس هُول : ٨٢٤/٤) إن بعض طيء لا تنطق الهمزة وقد وجدنا إشارات على تسهيل الهمزة في اللهجة اليمنية (الفصل الرابع - فقرة n) كذلك أنظر الخريطة رقم ١٤ .
n - ١٣ - إن الأخبار الواردة من النحاة كلها بوجه عام تشير بوضوح إلى اختفاء الهمزة تماماً بوصفها فونيماً (وحدة صوتية) ، وليس تخفيفها في النطق ، التميميون يحققون الهمزة دائماً ، والحجازيون يحققونها فقط عند اضطرارهم لذلك (عيسى بن عمر

(١) ويقدم بارث Barth (Sprachwiss,Untersuch,ii,38-4 مثل هذه المناقشات ذات الشأن على التائيل والتأصيل .

(٢) بقوله في اللسان في مقدمة عن حرف الهمزة : «أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون» . (المترجم)

(٣) إذ قال أبو زيد في اللسان (السابق) : «وسمعت بعض بني عجلان من قيس يقول : رأيت غُلامَيْبِك ، ورأيت

غُلامَيْسَد تحول الهمزة التي في أسد وفي أيبك إلى الياء ، ويدخلونها في الياء التي في الغلامين» . (المترجم)

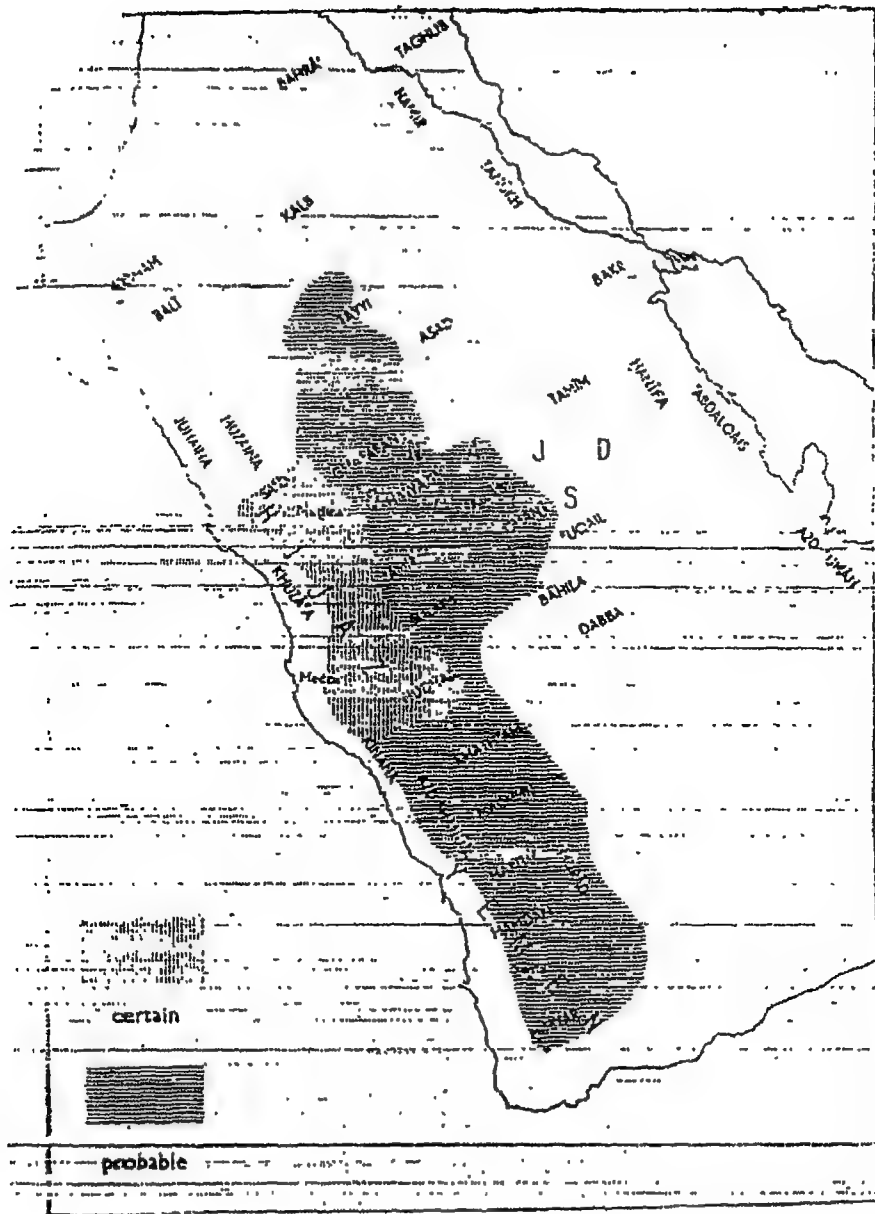
(٤) لا أعرف تجمعا بهذا الاسم ، وربما يكون قد حصل خطأ والمقصود قيس غيلان .

(٥) يقصد العننة فقد ورد في اللسان مادة عن أن الفراء ينسبها إلى تميم وقيس وأسد . (المترجم)

(*) تقول الشاعر الحماسة المرزوقي ٢٢١/١ .

ادعا دعوة يوم الشرى يا لما لك ومن لا يجب عند الحفيظة يُكَلِّم

وقد نشرها المرزوقي على غير ما يرى المؤلف .



خريطة رقم (١٥) تسهيل الهمز (m/١١)

في اللسان ١٤/١^(١) . وإن أهل الحجاز يجدون صعوبة في نطق ولو همزة واحدة فما بالك بهمزتين متتاليتين (سيبويه ، ١٧٢/٢) ؛ أهل الحجاز لا ينطقون الهمزة (الصحاح ٤٠٢/١) ، والهمزة ليست من لغة قریش (ابن الأثير في التاج ١٣٨/١٠) ، الخ . وهذا لا يعني أنهم كانوا لا ينطقون الهمزة في ابتداء الكلام . وما فعلوه أثبتته بوضوح ابن فارس (الصاحبي ، ص ٧١) والجزري (في النشر ٤٢٢/١) ، وفي الإدراج طبعاً تسهّل الهمزة (انظر : الأستراباذي اقتبسها هُوَ ٩٣٠/٤ ، والجاربردي ، السابق ص ٩٤٠)

١٤ - ٥ - كان الحجازيون ، طبعاً ، قادرين على نطق الهمزة كالإنجليزي تماماً ، وبما أنها ليست فونيمياً في لغتهم ، كان يخطئون مكانها حين يحتاج نطقها إلى جهد ما وهذا ما يسمى أحياناً فوق القياس .

غالباً ما يعامل شعراء الحجاز همزة الوصل معاملة همزة القطع (شوارتز ، عمر ، ١٠٩/٤) وهذا ليس من قبيل الضرورة الشعرية (wright, ii, 377A) ، ولكن عدم الاعتياد على الاستعمال الصحيح يستدل عليه بحقيقة أنه من الصعب أن يؤثر الإبدال في ال التعريف التي كانت أكثر تكراراً ووضوحاً في الكلمات المبدوءة بألف الوصل ، وقال الحجازيون : «نبيء» بدل «نبي» ، والبريئة في البرية (سيبويه ١٧٥/٢) والقارئ الحجازي نافع هو الوحيد الذي قرأ : أنبياء في أنبياء (البيضاوي ٧٣/١) والكلمتان من أصل أجنبي (Jeffery, foreign vocabulary, p.276,76) ومن المفترض أن تكونا قد وصلتا إلى العربية بصورتها الأرامية دون همزة .

p- ١٥ - لا يتحدث النحاة العرب عن اختفاء الهمزة أو عدم ظهورها وما يعقب ذلك ، ولكنهم يتحدثون عن التخفيف الذي يجعلونه في درجات مختلفة : الحذف ، إبدالها بالواو أو الياء^(٢) ، أو تحويلها إلى همزة بين بين (Weil, ZASS, xix,16) . ويمكن التعبير عن اصطلاحاتها هذه أو تمثيلها بالصوامت . ومن وجهة نظرنا إنها مسبار لكل ما يحدث عند اجتماع الأصوات التي سبق الفصل فيما بينها بالهمزة ، خاصة أن سقوط الهمزة قد تبعه ظهور أصوات مزدوجة ليست معروفة

(١) عيسى بن عمر قال : «ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا لبروا» (المترجم)

(٢) قلب الهمزة واواً أو ياء يضعه الصرفيون العرب في باب الإعلال . (المترجم)

في العربية ، مما يجب أن نتخلص منه اللغة ، وعليه فإن تصنيف هذه الظاهرة حسب مواقع الهمزة المحذوفة ، متصل بجوارتها للصوائت والصوامت .

ولسنا بحاجة إلى أن نأخذ بعين الاعتبار الهمزة في بنية الكلمة الداخلية مادامت تعامل في بدء الكلمة ونهايتها معاملةً في وسط الكلمة ، باستثناء وجودها غير المقيد بالبداية أو النهاية ، من المحتمل جداً أن الاختلافات في التطور الصوتي قد نشأت عن موقع الهمزة المحذوفة وارتباطها بنبر الكلمة ، ولكنني لم أجِد دليلاً على ذلك حتى الآن .

q- ١٦ - إن الهمزة التي تقع بين صامت وصائت ، لا ينشأ عن حذفها أي تغيير سوى عدم تعيين حدود المقاطع نحو : قَرَأَ : ق رَأ في : قِرَأَ (الأصمعي ، الأضداد ، ص ٥) ، قُرَأَ في قرآن (النيسابوري ، الغرائب ٣١/١) . وهذا ما حدث بالضبط في الآرامية المسيحية الفلسطينية (انظر Nöldeke, ZDMG, xxii, 466 ، والعبرية التوراتية ، والحديثة (انظر Rabin, Melilah, ii, 248 ، والعاميات : مَرَأ في مَرَأة-Rhdo kanakis, Dhafar, ii, 76) في الرسم القرآني لا يشار إلى الهمزة الأصلية في معظم الأحوال نحو يَسْمُ^(١) (٩٤/فصلت) وتَسْمُوا^(٢) (٢٨٢/آل عمران) في يَسَامُ وتَسَامُوا ، ومَشَمَ^(٣) في مَشَامَ (٩/الواقعة) وَيَنسون^(٤) (٦٢/الأنعام) في يَنَازُونَ ، وتَجَرُوا^(٥) (٦٥/المؤمنون) في تَجَارُوا ، وقد تكرر : أَفَدَّة في أفئدة ، ويسَل في يسأل ، الخ ، ومَلَك في مَلَاك . والألف في أل التعريف تكتب في العادة ، والسبب في ذلك بلا شك لأن المثال دون أل التعريف كان حاضراً في ذهن الناسخ ، ولكن هناك حالات مثل : أصحاب لِيَكِه^(٦) في أصحاب الأيكة

(١) يقصد قوله تعالى في الآية ٩٤/ من سورة فصلت بالرسم القرآني : (لا يَسْمُ الإنسان من دعاء الخير... الآية) . (المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى من الآية ٢٨٢/ من سورة البقرة بالرسم القرآني : (.. ولا تَسْمُوا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً... الآية) . (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى في الآية ٩/ من سورة الواقعة : (وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة) . (المترجم)

(٤) يقصد قوله تعالى في الآية ٢٦/ من سورة الأنعام : (وهم يَنهون عنه ويَنشون عنه... الآية) . (المترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى في الآية ٦٥/ من سورة المؤمنون : (لا تجفروا اليوم إنكم منا لا تنصرون) . (المترجم)

(٦) يقصد قوله تعالى في الآية ١٣/ من سورة ص : (وعمود وقوم لوط وأصحاب لِيَكِه أولئك الأحزاب) . (المترجم)

(الآية - ١٣ / سورة ص) ونشأة وردت مسرتين بالألف (في الآية - ٢٠ / العنكبوت^(١)) ، وفي الآية - ٦٢ / سورة الواقعة^(٢) . ويقدر علمي فإن هذه هي الحالة الوحيدة في القرآن الكريم التي تأتي فيها الهمزة بعد صوت صامت وهي متبوعة بعلامة التانيث ، ولا حاجة للتوضيح بأنها تُقرأ (نشأة) .

يخبرنا الزمخشري (في المفصل ، ص ١٦) بأن بعض اللهجات غير لهجة الحجاز ، تقول : المرأ في المرأة والكمأ في الكمأة ، ويُعزى الشاهد المُعطى إلى شاعر عراقي حضري هو الكميت وهو من أصل تميمي^(٣) . وفي العامية التونسية يقولون مرأ كذلك ، الذي يبدو أنها مقيسة على نمط رداً في رداء (Stumme, Grammar, p.49) ويمكن أن يكون المثال القديم من قبيل تجنب النمط غير العادي . والأمثلة الأخرى بالمد أو التطويل مشكوك في أمرها ، ففي بيت لعمر بن أبي ربيعة قال : تَدَابَانِ فِي تَدَابَانِ (شوارتز ١٠٦/٤) ، ويمكن أن يكون هذا قد أعيد اشتقاقه من داب الحجازية في دَابٍ ، وبالنسبة إلى ملاك في ملاك ، لا يوجد دليل أو شاهد أقدم من القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي (انظر : Boneschi, JAOS, lxx, 109) .

r - ١٧ - أينما تحذف الهمزة قبل الحركة الإعرابية ، لا نجد ما يعبر عن ذلك كتابة ، خاصة أن الحركة نفسها تسقط أيضاً عند الوقف . وعليه فـ «رَدء» وفي الحجازية «رِدء» ستكون عند الوقف «رِدء» (الاسترابادي ، اقتباس هُول ، ٨١/٤) . وتحفظ لهجة تميم بالهمزة في الوقف سواء من خلال نقل حركة الحالة الإعرابية قبلها نحو : الرُدء (حالة الرفع) ، الرُدء (حالة الجر) ، الرُدأ (حالة النصب) ، أو من خلال إقحام حركة حيادية قبل الهمزة التي تتحمل نبر الحركة ، وهو ما يحدث في بعض اللهجات نحو : الرُدء في جميع الحالات الإعرابية (سيبويه ٣١٢/٢) ، وانظر : (Birkeland, Pausal formen, p.61) في احتفاظ نظام الكتابة العربية بالهمزة في

(١) يقصد قوله تعالى في الآية ٢٠ / من سورة العنكبوت : (. . . ثم الله ينشيء النشأة الآخرة . . . الآية) .

(المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى في الآية ٦٢ / من سورة الواقعة : (ولقد علمتم النشأة الأولى . . . الآية) .

(٣) بناء على ما ذكره ابن يعيش ص ١٣٠٧ فإن الفراء والكسائي قد أجازا مثل هذا الإبدال في العربية الفصحى ، بحيث يمكن أن نعزوه إلى بعض اللهجات الشرقية ، سيبويه (١٧٥/٢) بالرغم من أن هناك شكاً ما ، يلمح إلى أن يسأل في يسأل قد استعملت في اللهجات نفسها كما في سِلْتُ (انظر فقرة g g) .

أواخر الكلمة حافظ على القراءات القرآنية ورسمها ، حتى في البنية الداخلية للكلمة حرصت على وضع الألف لتدل على وجود الهمزة قبل الفتحة نحو : مشامة في مشمة بالرسم القرآني الخ .

s- ١٨ - والاستثناء الوحيد من قاعدتنا التي تخص الهمزة بعد أحد الصوامت ، إذا كان هذا الصامت واواً أو ياءً ، في مثل هذه الحالات يضعف الصامت نحو : أوأنت في أوأنت ، أو : رأيت غلاميينك في غلامي أبيك (سيبويه ١٧٥/٢-١٧٦) ، والتعبير الأخير سمعه أبو زيد في بني عجلان من قيس (اللسان ١٤/١) وانظر كذلك الفقرة m أنفاً) ، وربما هناك مثل آخر هو : حُدياً في حُديآه تصغير حِذأة (أبو حاتم في اللسان ٤٧/١) ، انظر كذلك فقرة ee فيما يلي) : والإجراء نفسه يمكن أن يكون في لهجة ظفار حيث تحتفظ بالهمزة بكثرة نحو : نوة في نوة ، هبة في هبة (Rhodokanakis, Dhofar, ii, 74)^(١) ، ويفترض كانتينو (BEO, I, 9) (٢) أن هذا التغيير قد حصل في حالة تشديد الجمع في الآرامية آياً- ayyā في آياه (كما في المفرد ملكا في ملكاى) . والهمزة في كل هذه الحالات أشبه بنصف الصامت ، مثل هذا التغيير ، بالطبع ، لا بد أن يكون قد حدث قبل اختفاء الهمزة تماماً .

t- ١٩ - كذلك في القراءات القرآنية هناك حالات من مماثلة الهمزة للأصوات الصامتة التي تتقدمها^(٢) ، في الآية ٢٤/ من سورة الأنفال ، قرأ بعض القراء المر في المر^(٣) .

وفي الآية ٤٤ من سورة الحِجْر قرأ الزهري المدني «جُرْ» في «جُرْ»^(٤) وكلاهما في

(١) وقد يكون مماثلاً حقاً للهمزة حوران ، والأمثلة التي يضربها كانتينو (جوران ص ١٤٠) للمماثلة في الأصوات التي تتقدم الهمزة : ضو ، في ضوء ، وفي وفي في في ، وفي .

(٢) هذا النمط من المماثلة في الآرامية ليس شائعاً في صيغة ائفعل في ائفعل ولكن في الآرامية اليهودية البابلية كذلك في : ائبعل فيما كان أول جذره الألف نحو : ائبجر- ائبجر . بمعنى تنبأ (B ab, Talm, Abodah Zarah, 2b).

(٣) يقصد قوله تعالى : «... واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه... الآية» .

(٤) يقصد قوله تعالى : «لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم» . ففي الكشف ٦٥٥/٢- ط دار الكتب العلمية (وقريء جزء بالتخفيف والتثقيب ، وقرأ الزهري جُرْ بالتشديد ، كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي) . (المترجم)

الوقف . وبعد الزمخشري (الكشاف ص ٧٢٠) مثل هذه الحالات من قبيل التشديد الذي يحصل في الوقف (wright,ii,369A) مما تحوّل في درج الكلام ، وهو مع ذلك ، كغيره من النحاة يرى أن هذا التشديد لا يمكن تطبيقه في الكلمات التي تنتهي بالهمزة (المفصل : ص ١٦١) ، وبالطبع لا يوجد همزة في أواخر الكلمات في لهجة الحجاز .

والراجع أن الكلمتين اللتين تمثلان محاولة التكيّف مع الأغمات الأكثر اعتباراً هما : مَرُو وجَزُو (انظر : أب ، أخ في الفصل السابع فقرة m ، ومَرَاه ونَشَاه ، فصل q أنفاً) . ومع ذلك فإنه لا ينطبق أي تفسير من هذه التفاسير على حالة تَرِيَّة (غير تَرِيَّة) في تَرِيَّة بمعنى : آخر دم الخيض (عن الليث في اللسان ١٠/١٩) ، ويبدو أن هذه الكلمة أجنبية ، من الكلمة المِشْنَائِيَّة «رَيْيَاه» مسرب الدم أو سيلانه^(١) . ومن المشكوك فيه أن يكون أحد هذه الأمثلة له علاقة بلهجة الحجاز .

٢٠ - حيثما تجد الهمزة بين الصائت (الحركة) والصامت فإن المقطع يغلق ، والحركة تطول والهمزة تختفي كما رأينا في الرسم القرآني . وهكذا حوِّظ على مقدار طول الصوت ، الإيقاع في العربية يخص التنويع في طول الصوت (انظر Trubetzkoy, Grundzüge der (ogy, phonol p.174, Cantineau, BSL,xliii,128)

إن الحركات الطويلة الناتجة من هذه القافية تكون طليقة كالصوائت الطويلة في الأصل ، (شوارتز ، عمر ، ١٠٩/٤) ، إن الألف التي تشير إلى تطويل الفتحة كانت تُغفَل في المخطوطات القديمة ، بالطريقة نفسها التي تغفل بها الألف الأصلية (GQ, iii, 33) إلا من حالات قليلة ذُكرت في المعاجم ، مثل جُونه في جُؤنه (يونس في المزهري ، السيوطي ١٧٦/٢ ، وابن قُرُقُول^(٢) في التاج ١٥٩/٩) ، ولكن الجوهري (الصحاح ٣٦٤/٢) لا يعرف

(١) التاء للاشتراك مع المصدر والتصريف الثاني وقد لاحظ مالتزان (ZDMG,xxvii,245) إضافة مشابهة للتاء في العامية اليمنية : تراس في رأس ، وأتذكر أن هناك حالات في المعجم . كما في الكلمات المبدوءة بالحروف الشمسية . وقد يكون هذا هيئاً بالنسبة لعلامات التانيث التي يفترض أن تأتي في أواخر الكلمات ولكنها تسبق الكلمات نحو : ات - إراس - تراس كما في الإنجليزية - an apron تنطق a napron (المريّة ، الوزره) . وفي العامية الفلسطينية تلحمني نسبة إلى بيت لحم (St ephen,JPOS,xiii,235) . (المترجم)

(٢) ابن قُرُقُول ، هذا ضبطه وليس قُرُقُول كما أورده المؤلف وهو أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني ولد بالاندلس وانتفى به الأمر إلى مدينة سلا بالمغرب وكان فقيهاً وأديباً ونحوياً ومحدثاً ، ت عام ٥٦٩ هـ . (انظر سير أعلام النبلاء ٥٢٠/٢٠) .

سوى جونة وأما جؤنة فلا علم له بها^(١). في عامية وسط اليمن يطيلون الحركة السابقة على الهمزة التي يليها صوت صامت ، بالرغم من أن نطق الهمزة ما زال باقياً . (Goitein, Jemen-ica, p.xiii) ، وشبيه بهذا تطويل الفتحة القصيرة إلى ألف في الإثيوبية قبل الأصوات الحلقيّة الساكنة ؛ وربما يكون هذا سبباً في الخروج على القياس في العربية ؛ حيث تصير الحركة في مثل رأس ، ألفاً وبالتالي ضمة طويلة مُمّالة في وقت مبكر جداً (رُشْنُو في تل العمارنة) ، وكتبت الألف فيما بعد في روش Rosh ، وصَوْن Son الخ . ولا حاجة إلى الإشارة إلى أن الألف كانت تحذف بالتزامن مع التطويل أو قبله ، ويمكننا أن ندّعي أن ترتيب الأحداث نفسه قد حصل في عربية الحجاز : أولاً تطويل الحركات مع الاحتفاظ بالهمزة ، ثم سقوط الهمزة ، والإبقاء على الصائت الطويل فقط ، إن مصطلح التطويل المكافيء لا ينطبق على مثل هذه الحالة .

v- ٢١ - لمماثلة الهمزة بنصف الصائت الذي يليها ، لدينا مثال وحيد وهو : رِيّا في رُؤيا (الزمخشري ، الكشف ، ص ٤٦١ ، الكسائي في اللسان ٩/١٩) ، وعدّها الزمخشري من قبيل العامية ، و الفراء (في اللسان المرجع السابق) يعترف بأن مثل هذا يحدث في الكلام وليس في القراءة القرآنية^(٢) ، إنه ، على أي حال ، النطق الذي أقيم عليه الرسم القرآني رِيّا . وهناك صيغة أخرى وهي رِيّا (الأخفش^(٣) في اللسان ، السابق نفسه) ، ولم يُذكر في أية لهجة تقال كذلك ، بناء على حقيقة أن

(١) في إقحام الهمزة بعد الحركة الطويلة (خاصة مع الضمة الطويلة) ، انظر : الفصل ١٤ الفقرة ٢.

(٢) رجعت إلى الكشف في المواضع التي وردت فيها الرؤيا في سورة يوسف ٥ ، ٤٣ ، ١٠٠ ، والإسراء ٦٠ والصفاء ١٠٥ والفتح ٢٧ ، ووجدت في ٤٢٧/٢ في أول ورودها في الآية ٥ من سورة يوسف : ﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك...﴾ ، قوله : «قُريء رويّاك بقلب الهمزة واءاً ، وسمع الكسائي رِيّاك ورِيّاك ، بالإدغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة...» وأما نسبتها إلى العامية فقد وردت في مكان آخر ٣٢٤/١ مع تفسير الآية ٢٨ من سورة البقرة ، وأما في اللسان مادة رأى فقد أورد قول الكسائي بعد ما ذكر عن الفراء بقوله : وزعم الكسائي أنه سمع عرابياً يقرأ : «إن كنتم للرؤيا تعبرون» (٤٣/ يوسف) . (المترجم)

(٣) في اللسان مادة رأى : الرؤيا ما رأيته في منامك وحكى الفارسي عن أبي الحسن : رِيّا... وكذلك حكى أيضاً رِيّا... قال ابن جني : «قال بعضهم في تخفيف الرؤيا رِيّا بكسر الراء...» واستبعد أن يكون المحكي عنه المقصود هنا الأخفش كما ذكر المؤلف راين لأنه توفي ٢١٥ هـ ، والفارسي توفي ٣٧٧ هـ فهما لم يتعاصرا حتى يحكي عنه ، خاصة أن الأخفش في تفسيره لم يذكر هذا الأمر . (المترجم)

الصيغة الأقدم هي رُويًا (وهي كذلك في اللسان) وأن اللهجة الحجازية غيّرت الضمة الطويلة إلى كسرة في الأفعال الجوفاء (انظر الفصل ١٢ ، فقرة (t) يبدو من المحتمل أن رُيًا هي الصيغة الحجازية الحقيقية في المنطقة الكنعانية ، فيما يبدو في الظاهر أنه الحذف نفسه ، توجد في -ryt ري ت- (مشهد) في ميثا المؤابية (سطر ١٢) ، مما يجب أن نقرأه رُيَّة^(١) .

في حالة رُي في رُي^(٢) وهي قراءة أهل المدينة في الآية ٧٤/ من سورة مريم ووردت في الحديث الشريف^(٣) (اللسان ٧/١٩) ، ولا نستطيع أن نقرر فيما إذا كانت تمثل رُي بالتطويل العادي للحركة ، أو : رُي بالمماثلة ، وهناك أمثلة أخرى من ماثلة الهمزة مع صوامت أخرى ، ويبدو أن إقامته بصورة أفضل على التاء في التصريف الثامن^(٤) ، فقد قرأ عاصم الكوفي في الآية ٢٨٣ من سورة البقرة : الذي أثمن في أوْثمن^(٥) (الزمخشري ، الكشف ، ص ١٨٤) . والصيغة موجودة في النثر القديم (Tabari Glossary, p.cxx). ويذكر الزمخشري في المصدر السابق نفسه أن (أثرز) كذلك عامية ، أما (اتخذ) فهي من المماثلة الجائزة في العربية الفصحى ، وقيل إن الجذر الفرعي «تخذ» الذي اشتق منه ، من لهجة هذيل (الفارسي ،

(١) استناداً إلى البروفيسور ريكمانز أن هذه الكلمة مأخوذة من -rwy روي التي تعني القديم .

(٢) يقصد قوله تعالى : «وكم أهلكنا قبلهم من القرون هم أحسن أثاثاً ورثياً» . (المترجم)

(٣) يقصد ما استشهد به صاحب اللسان في مادة رأى من قوله صلى الله عليه وسلم : «حتى يتبين لهما رُيُّهما» . . . يكسر الراء وسكون الهمزة أي منظرهما . (المترجم)

(٤) يبدو أنه يقصد صيغة افتعل . (المترجم)

(٥) في قوله تعالى من الآية ٢٨٣/ البقرة : «... فليؤد الذي أوْثمن أمانته» الآية . وقد ورد في الكشف ٣٢٤/١ ، ط دار الكتب العملية «وعن عاصم أنه قرأ الذي أوْثمن ، بإدغام الياء في التاء قياساً على أآسر في الافتعال من يَسَر ، وليس بصحيح لأن الياء منقلبة عن همزة ، فهي في حكم الهمزة ، وأثرز عامي ، وكذلك رُيًا في رُيَّا» . (المترجم)

ديوان هذيل ٨٦/١^(١) . مثل هذه الأمثلة نادرة جداً في العاميات مثل مومين في مؤمن من العامية البدوية السورية (wetzstein, ZDMG, xxli, 172) هناك أمثلة منفردة في الأكديّة والآرامية والآثيونية (انظر: (Brockelmann, GVG, I, 56,64) ، ويحتمل أن يكون تكرار مثل هذه الأمثلة في القرآن أكثر مما نظن ، لقد كتبت (شثما) في النسخة الكوفية في سمرقند «شثما» في الآية ٥٣/ من سورة البقرة . (Jeffery and Mendelsohn, JAOS, lxii, 183) ، إن المرات الكثيرة التي تكرر فيها حذف الالف في «أخطأنا التأويل» الخ (GQ, iii, 33) يحتمل أن يخبيء كثيراً من الحالات . وتكتب العربية المسيحية القديمة كذلك : أثمر ، وأثمن (Graf, sprachgebrauch, p. 18)^(٢) .

w- ٢٢ - حيثما تجد الهمزة مسبوقة بالحركة نفسها يحصل لها التسهيل المماثل نحو : سأل في سأل (في الحجاز ، البيضاوي ٥٥٢/١ ، ٣٥٥/٢ ، في هذيل : التاج ٣٦٥/٦) . ليس من الواضح تماماً ما الذي يحدث حين يقع الصوت المركب في مقطع مقفل بينما العربية تتجنب الحركات الطويلة ، يبدو أنه قد يتمنخض عن هذا التسهيل ، حركات قصيرة نحو : وَيَلْمُهُ وَيَلْمُهُ (وَيْلُ أُمِّهِ) في الشعر(*) . كل الحالات التي استشهد بها شوارتز (عمر ، ١٠٧/٤) تتعلق بالمقاطع الأولى ، أي حين تؤدي ألف الوصل

(١) في الآية ٧٧/ سورة الكهف قرأ المكيان مجاهد وابن عباس والبصري أبو عمرو ابن العلاء : لَتَنخِذَتْ فِي لَتَنخِذَتْ ورفض الثعالبي القراءة القياسية بحجة أنها تؤدي إلى عكس المعنى المقصود في السياق ، وقرأ أبو زيد لَتَنخِذَتْ وهو بوضوح حل وسط (اللسان ٦/٥) ، وبناء على ما جاء في تفسير البيضاوي إن ابن كثير والبصريين هم الذين قرأوا : لَتَنخِذَتْ في الآية ٦١- الكهف كُتِبَتِ الألف في : فانتخذ ولم يقرأ أحد فانتخذ . (والبصريان هما أبو عمرو بن العلاء ويعقوب بن إسحاق الحضرمي ، وأما نقله عن أبي زيد ففيه سهو فقد جاء في اللسان إن القراءة «لَتَنخِذَتْ» عليه أجراً» وليس كما أورد المؤلف لَتَنخِذَتْ ، ولم يوضح المقصود من أبي زيد أهو زيد بن ثابت الذي كان يكنى أيضاً بأبي زيد ، أم أبو زيد الأنصاري حفيده؟ (المترجم)

(٢) مثل هذه المماثلة تظهر متفرقة في اللغات الشقيقة ففي العبرية ماكُولِتْ في يأكُولِتْ (طعام جماعي) ، وقيل إنها مقترضة من الفينيقية (Rosenrauch, Revue Biblique, Iv, 77) إن الثقافة العربية لا تعرف مصطلح العربية المسيحية فليس هناك لغة خاصة بالمسيحية وأخرى خاصة بالإسلام ، فالعربية ليس فيها هذا التقسيم اللغوي) . (المترجم) .

(*) كقول الشاعر (الحماسة ، الرزوقي ١٢٠٢/٣) . (المترجم)
وَيْلٌ لِّلَّذَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةً مَعَ الْكَثْرِ يُعْطَاهُ الْغَنَى الْمُتْلِفُ النَّدِي
وقول الآخر (نفسه ١٧٩٨/٤) :

إلى حذف بسيط في الحركة الأولى ؛ ففي الرسم القرآني تكتب سألتكم بالألف ، وفي الحديث (البخاري ، الديات ، ٢١ ، والقسطلاني ٥٦/١) نجد أنتم (ءانتم) في أنتم؟ إن أهل الحجاز كما في اللسان (٥/١٩) قالوا : أرايت في الصيغة العامة أرايت^(١) . إن رسمهما في القرآن يتعارض مع المعهود (GQ, iii,44) . وعليه ربما تكون الصيغة مشتقة من أراي .

ومن الواضح أن القراء الحجازيين قد توهموا أنها صورة من رأى ؛ وعاملوها على أنها مأخوذة من رأى . على أي حال فهذه ليست من قبيل الصوائت الطويلة . (Barth, sprachw. , unters., ii,27 seq. Marcel Kohen, Expression du temps, p.89)

يقول أبو زيد (اللسان ٧/١٩)^(٢) في رأيت إذا أردت تخفيف الهمزة قلت رايت الرجل فحركات الألف بغير إشباع الهمز ، ولم تسقط الهمزة ؛ ما يبدو أنه يتضمن نبرين ضئيلين أو توزيعاً لحركة طويلة على مقطعين ، وهو ما يطلق عليه الهمزة بين بين (انظر فيما سيأتي bb) . ولا يطلق هذا الاسم عليه في أي مكان . ويؤكد الزمخشري (المفصل ص ١٦٦) وجود الهمزة بين بين في مثل سأل ، معترفاً بالتخفيف على أنه وجه من وجوه الإبدال ، ولكنه لم يأت على ذكر الحالة التي نحن بصدددها .

وتشكّل «كأي» حالة خاصة ؛ وقد جاءت «كاين» في بيت شعر لجرير التميمي (I,ix,4) ، ولكن اللسان (٢٥٥/١٧) يستشهد ببيت فيه «كاين» ومِل من العربية الغربية في من ال (الفصل ٧ / الفقرة ٥) ، وقرأ ابن كثير المكي «كاين» أو كاين من العربية في الآية ١٤٦ / من سورة آل عمران^(٣) . وترد أمثلة أخرى للشاعر لبيد (٢/٩) ولشاعر حنفي ، أي مشرقي (حماسة البحتري ، ص ١٨ ، البيت الأول) . ولا دليل على أن كاين من العربية الغربية . وقرأ ابن مُحَيِّصِن المكي كأي (السيوطي ، الجمع ٧٦/٢) . ولا أستطيع تفسير
== فويلها حيلاً بهاءً وشارةً إذا لاقت الأعداء لولا صدورها

قول الخنساء نفسه ١٧٩٨/٤

وَيْلَمَهْ مِسْعَرَحَرَبْ إِذَا أَلْقِي فِيهَا وَعَلَيْهِ الشَّلِيلُ

(١) وما جاء في اللسان مادة رأى : «أريتكم فلاناً . . . فإن أهل الحجاز يهمزونها ، وإن لم يكن من كلامهم الهمز ، فإذا عدوت أهل الحجاز فإن عامة العرب على ترك الهمز» نحو قوله تعالى : «أرايت الذي يكذب بالدين» وبه قرأ الكسائي . (المترجم)

(٢) أثبت أعلاه ما جاء في اللسان مادة رأى ، بنصه . (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى : «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير . . . الآية .

العلاقة بين الأمثلة الثلاثة ، كذلك الحالات الأخرى غير متيسرة إلى حد بعيد .

x- ٢٣ - حيثما تجد الهمزة مسبوقة بحركة قصيرة ومتبوعة بصائت طويل مائل ، تختصر أو تختزل الاثنان في واحدة طويلة كما في جبريل من جبرئيل (التاج : ٨٤/٣) .

وروس في رؤوس في بيت شعر لقيس بن الخطيم (ابن دريد ، الاشتقاق ، ص ٦٨) (١) ، وفي النص القرآني يكتب الصائتان ، مع أنه يجب أن ينطقا صائناً واحداً نحو : خاطين في خاطين مما تكرر كثيراً ، وفي الآية ٢٤ / من سورة الرحمن - المنشآت في المنشآت (انظر GQ, iii,44,45) وبالطبع كذلك روس في رؤوس ، والمقاطع المختصرة عُدت في الشعر الحجازي في طول واحد (شوارتز ، عمر ١٠٧/٤) .

y- ٢٥ - وبالمقارنة مع حالة نادرة ، لا تصاحب إلا الفتحة القصيرة ، وذلك حين يسبق الهمزة صائت طويل ويتلوها صائت قصير مائل كما في ساءل (للمزيد انظر فقرة kk الآتية) تجوز فيها طريقتان ، أحدهما أجازها النحاة ، وهي التي تبقي كل صائت على حدة ، دون تقصير أو تطويل وكأنهما مقطعان تطريزيان عروضيان (اللسان ١٩٦/١) ، يعتبر فصلهما إخلالاً ، فنية الصوت (ابن يعيش ، ص ١٣٠٨) ليست صوتاً محققاً (انظر : schaaade, sibaw, (Lautlehre,p.32; Bravmann, Ma- terialien,p.93) ولا عجب إذا لم يجد النحاة ما يمكن أن يَصِفُوا به الصوت (Weil, ZASS, xux,19) وإننا سنجد مثل هذا الأمر ، الذي سمي همزة بين بين في كثير من السياقات . من المشكوك فيه ما إذا كانت الهمزة بين بين تخص النطق الحجازي حقاً ، في الوقت الذي قد يمثلها الرسم القرآني بتصويرها ألفاً ، غالباً ما يُعدُّ المقطعان مقطعاً واحداً في الشعر الحجازي ، (شوارتز ، عمر ١٠٨/٤) ؛ وهذا يرينا أنهما بالنسبة للحجازي قد اندمجا تماماً ، والاختلاف في الحقيقة على درجة واحدة . في العامية اليهودية المعاصرة تُنطق مثل هذه المركبات بنغمة واحدة ومن الصعب غالباً القول بأن المسموع حركة واحدة أو حركتان ، فالصائت الأول على درجة عالية من النبر ، أما الثاني فدرجة نبره هابطة (انظر Rabin, GLECS, iii,78) ، وقد جعل ابن قتيبة تقصير الصوائت من العامية (أدب الكاتب ، ص ٣٩٤) .

z- ٢٥ - إن الهمزة بين بين هي الأقرب إلى تحقيق الهمزة التي تحتفظ بها لهجة الحجاز ، وأنه من المحتمل أن يكون الحجازيون قد تلفظوا بها في كلامهم عند محاولتهم (١) في الديوان (تحرير كوالسكي ، ١٧/٤) جرى تنقيح البيت بحذف روس ، (وللأسف لم أعر على هذا البيت في الاشتقاق تحقيق عبد السلام هارون- المترجم) .

بحرص أن يتجنبوا التقصير أو التطويل في لهجتهم ، إنهم يبذلون جهداً في نطق الحركات بوضوح وإلا سيحصل له تقصير ويبدو أحياناً قد حصل تطويل للحركات القصيرة التي تسبق الهمزة ، وعاملوها عروضاً معاملة الطويلة (انظر ، شوارتز ، عمر ، ص ١٧٤ ، كذلك ZASS, xxix, 50) وقد وجدت بقايا من نزعات مشابهة في الرسم القرآني ، ولكن يبدو أنه قد أسيء تطبيق أو استعمال ما يفضي إليه هذا الخط (انظر : GQ, iii, 48, seq) ، ولدينا هنا مثال آخر أكثر من صحيح على ذلك (انظر فقرة o) . .

aa - ٢٦ - وليس لدينا أمثلة في النصوص الحجازية على الهمزة التي تُسَبَق وتُتلى بالصائت الطويل نفسه ، ويورد شوارتز (عمر ، ١٠٩/٤) يترائانا^(١) . ولكنها ليس تحويلاً صوتياً لـ «يتراءنا» بل هي مأخوذة من التصريف الثالث الحجازي رايي - rayā^(٢) (اللسان ، ٨/١٩) ، التي أعيد صوغها من الفعل الناقص : يُرائي - يرايي (انظر الفصل الرابع فقرة (p) ، وقد انبثقت قرايات العربية المسيحية في قراءات بالطريقة نفسها (Graf, sprachgebrauch, p.19).

bb - ٢٧ - إذا أحيطت الهمزة بحركات مختلفة يترتب على طرق التناول المختلفة نتائج متعددة جنباً إلى جنب ، وأكثرها شيوعاً أو ظهوراً هو الإبقاء عليها منفصلة عن الهمزة بين بين ، أو ربطهما بمدٍّ يوصل فيما بينهما ، وإن تبع ما يحدث في العربية الحديثة يقودنا إلى أنها ليست إلا اختلافات في الدرجة ، مع تفاوت متعدد من التدريج فيما بينهما ، وإن ظهور الإبدال نفسه قد لاحظته جويتين (Goitein, Je-menica, p.xiii) في عامية وسط اليمن ، والعامل الرئيسي هو سرعة نطق الكلام ، فالإبطاء يسمع انزلاقه الصوتي بصورة أقل ، إن طبيعة الانزلاق الصوتي يُقدَّر بالحركة الأضيق : فبين الفتحة والضممة واو ، وبين الفتحة والكسرة ياء ، ويذكر الزمخشري (في المفصل ص ١٦٦) إن الانزلاق الصوتي يظهر بوضوح بين الضمة والفتحة ، والكسرة والفتحة ، وليس بين الفتحة والضممة والفتحة والكسرة ، إنها ملاحظة صوتية مؤيدة تماماً بالسجلات العبرية الحديثة .

ولا تزال مدونات النطق الحجازي تكتب في الحالة الأخيرة واواً وياء أيضاً لعدم وجود رموز أخرى مقبولة نحو : حينئذٍ في حينئذٍ (ابن خالويه ، البديع ، ص ١٥١) ، وقراءة ابن

(١) ولكنها في الديوان : يترايانا . (المترجم)

(٢) الأولى أن تكتب : رايأ أي بالالف القائمة ، ولكن المؤلف اصطاح أن يشير للألف المقصورة بالحرف اللاتينية . (المترجم)

عباس في الآية ١٤٢/ سورة النساء يراوون في يراؤون^(١) (Jeffery, p.179)، ولا يُؤخذ آخر الكلمة في الحسبان عند النطق كما في أَقْرِيَّابَكَ في أَقْرِيَّابَكَ (سيبويه ١٧٢/٢). مثل هذا الخط نادر في القرآن، ولكنه يظهر في عبارات يعتقد أنها تُكوّن وحدات مغلقة نحو: يَبْنُوْمُ في يا ابن أمّ- يَبْنُوْمُ (٩٤/ سورة طه)^(٢).

إن الخط بالمد قد طُبّق في القرآن بلا اعتراض أو شذوذ، ولم يُغيّر الرسم المتأخر شيئاً غير وضع الهمزة على الصوت الذي فيه مدّ أو انزلاق، والأمثلة التي حصل مد في نطقها جمعها الجاربردي (هول ٤/٤٩٠)، وشوارتز (عمر، ١٠٦/٤)، ولم يتضح المد الذي جعل بين الكسرة والضمّة؛ والمثال سيل^(٣) (في الآية ١٠٨- البقرة) ليس تطوّراً صوتياً من سِيل، من سِيل، ولكنه صيغة المبني للمجهول الحجازية العادية من الفعل الحجازي: سَال = سأل. «مستهزّون» في «مستهزّون»^(٤) (في الآية ١٤/ البقرة) يمكن أن تمثّل: مستهزّون أو مستهزّون، وقرأ الأخفش يستهزّون (الزمخشري، الفصل ١٦٦).

cc- ٢٨ - إن قراءة «مستهزّون» مثال على معالجة أخرى لهذه المركّبات: كامتصاص الحركة القصيرة من خلال الحركة الطويلة، وفي بعض الحالات تنماهي الحركة القصيرة الثانية في الحركة القصيرة الأولى وهكذا إن «سَائِلٌ»^(٥) (١/ سورة المعارج) قد كتبت سأل في مُصَحَّفِي أَبِي وابن مسعود (Jeffery, materials, p.173). يقول أبو ذؤيب الهذلي (الديوان ٢٦/٤) «رأد» في «رائد»، ويؤكد صاحب اللسان (٩٦١/٤) كثرة دوران هذه الصيغة في تلك اللهجة^(٦). وعلى الأرجح أن أسماء

(١) يقصد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ...﴾ الآية. (المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنُوْمُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي...﴾ الآية. (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ...﴾ الآية. (المترجم)

(٤) يقصد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُنَ﴾. (المترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾. (المترجم)

(٦) جاء في اللسان في مادة رود: «وفي شعر هذيل: رَادَهُمْ وَرَائِدُهُمْ ونحو هذا كثير في لغتها... قال أبو ذؤيب يصف رجلاً حاجاً يطلب عسلاً:

فبات يجمع ثم تَمَّ إلى منى فاصبح راداً يبتغي المرح بالسَّخْلِ (المترجم)

(اعتقد أن الأولى أن يقال رادهم في رائداهم، وليست كما جاءت لكي ينسجم مع ما جاء بعدها). (المترجم)

الفاعلين من مثل «قال» من الأفعال الجوفاء بالواو أو الياء والأفعال المهموزة العين التي قام بجمعها نولدكه (Neue Beitrage, p.15-210) يجب أن تُفسّر على هذه الطريقة^(١)، خاصة تلك الأمثلة المأخوذة من نصوص عربية غربية. إن صيغاً مشابهة قد تصادفها أحياناً في العاميات خاصة أسماء الفاعلين التي فقدت ارتباطها وصلتها بأفعالها.

إن مثل هذا الحذف (التخفيف من الهمزة) غير القياسي والفوضوي يتردّد في أواخر الكلمات، خاصة إذا اتصلت بالضمائر نحو: «حيا» في «حياء» و«بها» في «بهاء» (حالة الحركات الإعرابية مثبتة في نصوص شعرية)، «تحي» في «تحيء»، «سْتَنْبِي» في «سْتَنْبِي»، شانك في «شانئك» (شوارتز، عمر، ١٠٧/٤-١٠٨)، وحالات أخرى، من اللهجات العربية الغربية وردت عند نولدكه (Zur Gramm, p.6)، ويبدو أنه بين الكلمتين الأخيرتين يمكن أن تتوسط صيغتا: سْتَنْبِي وشانئك، اللتان خلّتا خطأ إلى سْتَنْبِي-ني، وشانئي-ك، وكذلك هنا في الحقيقة، امتصّت الحركة الطويلة الحركة القصيرة، ولا بدّ أن يتيح لنا هذا إمكانية أن نضمّ بليّ (انظر فصل ١٢، فقرة و)، أعني أن بليّ قد خلّلت على أنها بليّ- (بفتح الياء) ثم خففت بحذف الفتحة، وبما أن الهمزة لا تنطق في اللهجة فإنه لا يوجد فرق سواء أكانت الصيغة معطاة بالهمزة أم بدونها، واستناداً إلى الأمثلة الشعرية يجب أن نقرأ يستهزيء (١٥/ البقرة)^(٢) يستهزي... الخ.

وهذا في الحقيقة، لا شيء سوى ما شاع في العربية من النزوع إلى حذف الحركة مثل: القاضي إلى القاضي، وربما يرمي إلى يرمي، مع الإبقاء على حركة الفتحة في: القاضي، ويرمي، ويدعي شوارتز (عمر، ٩٩/٤) أن اختصار -ي أي الكسرة والياء والفتحة إلى الياء المدية فقط شائع في القصائد العربية، وهو أمر لم أستطع التثبت منه، ويمكن أن يلاحظ نبر الكلمات: تَنْبِي، شانئك، يستهزي- في الحقيقة إنه موقع النبر في الكلمات العبرية المماثلة- الذي سيكون مؤيداً وموافقاً بوجه خاص لمثل هذا التطور؛ ولسوء الحظ، ليس لدينا معلومات أخرى تجعلنا قادرين على دراسة موقع النبر في لهجتنا، الذي يميزها عن مثيلاتها (انظر في هذا فصل ١٠/ فقرة n) وانظر للمزيد كذلك صيغة: أدْفُوه (فيما يأتي فقرة mm).

(١) أي سأل- سائل- ثم سال. (المترجم).

(٢) يقصد قوله تعالى: «الله يستهزيء بهم...» الآية. (المترجم)

وَيَصِفُ ابْنَ الْأَثِيرِ فِي التَّاجِ (١٢٨/١٠) مِثْلَ هَذَا التَّخْفِيفِ أَوْ الْحَذْفِ بِأَنَّهُ شَاذٌ وَيُؤَكِّدُ بِأَنَّهُ نَطَقَهَا الصَّحِيحُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِالْهَمْزَةِ بَيْنَ بَيْنَ ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْقَصْرِ أَوْ التَّخْفِيفِ قَدْ طُرُقَ مَسَامِعُ عَرَبِ شَرْقِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَرَبَّمَا يَكُونُ هُوَ الْبَاعِثُ الرَّئِيسُ الَّذِي يَفْرَضُ بِقُوَّةِ الْهَمْزَةِ فِي النَّصِّ الْقِرَاءَتِي .

dd - ٢٩ - إن الحذف أو القصر في : -ائي التي تقع في آخر الكلمة يحوّلها إلى صائت ثنائي أو مزدوج -diphthong أي (ألف وياء) ، وبه قرأ ابن كثير وراي^(١) في ورائي في الآية ٥ من سورة مريم^(٢) . وقرأ أهل الحجاز في مواطن غيره : شركائي في شركائي (ابن خالويه ، البديع ، ص ٧٢) ، وقرأ البصري وأبو عمرو اللائي في اللائي (انظر الفصل ١٢ - فقرة i) إن سمة الازدواج الصائتي في الكتابة تبدو أنها محل التميّز في البحث الذي قام به دي ساسي، Noticeo et extraits, ix, 67, (Barba, Hamze, p35) فالياء في آخر هذه الكلمة ليست هي الحاملة للهمزة وإنما هي رمز للكسرة ، وقد لاحظ فتسشتاين Wetzstein تقصيراً مشابهاً في العامية البدوية السورية : أسماي في أسمائي ، كرائيك في قرائيك ، نائمين في نائمين (ZDMG, xxii, 170) كذلك توجد في عبرية المشناه نحو : نوي nōy في نوئي nō'ī - بمعنى الجمال - (من نائه nā'eh) صيغت على مثال حُولي - hōlī . في مثل شركاء تتصل الضمائر بالكلمات التي تنتهي بألف مقصورة تُكتب بألف قائمة ، وقرأ نافع محيائي في محيائي^(٣) في الآية ٢٦١ من سورة الأنعام^(٤) (البيضاوي ، الأستراباذي ، شريح الكافية ٢٩٥/١) ويمكن أن تكون هذه الأمثلة وراء اختفاء الضمير المتصل - ي بعد الصوائت الطويلة والمزدوجة (انظر : الفصل ١٢ - فقرة d). والتقصير الوحيد من هذا النمط في وسط الكلمة ، الذي عثرت عليه بعد جُهد

(١) وقد ذكر الزمخشري في هذا القراءة : وراي ، وابن خالويه (البديع ص ٣٨) : ورائي ، وكلاهما قالا إنه قرأ بالقصر .

(٢) يقصد قوله تعالى : ﴿وَأَنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي...﴾ الآية . (المترجم)

(٣) إنها محيا وليست محيي لوجود التاء (فصل ١٠ - bb) مع إمكانية الخلط بين الألف الممدودة والألف المقصورة إضافة إلى أن الأخيرة لا تنطق في الحجاز عمالة .

(٤) يقصد قوله تعالى : ﴿إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . (المترجم)

يوجد في قراءة ابن عباس : سِيلٌ في سَائِلٌ ، في الآية ١ / من سورة المعارج^(١) ، (الزمخشري الكشاف ، ص ١٥٢٥)^(٢) . إن هذه الطريقة من العناية بالبنية - ائي أو المال منها ، يتكرر في اللغات السامية نحو : شَائِلِينَ ، وفي الآرامية المسيحية الفلسطينية ، شَائِلِينَ^(٣) «يسألون» - (Noldeke, ZDMG, xxii, 467) وفي الإثيوبية أَيْدُوغ في أَيْدُوغ «الحمار» (Mittwoch, Tradit, Aussprache, p.13) ، كذلك في عبرية أوروبا الشرقية يقولون : maisه في ma'ase «قصة» . وربما أن ai- تمثل بوضوح ay التي حصل لها تقصير بالنسبة للصائت الثاني ، فإن المرء ليعجب لِمَ لا يصيب التغيير نفسه أيضا الكلمات التي تقع ay (الألف والياء) - في آخرها ، مما نطقت في الواقع : وَرَيَ- waria شُرَكَي ، واللي^(٤) . وإن مثل هذا الحدس يؤيده تكرار كتابة شاء في شيء . (GQ, iii, 49) وربما تعود شهرتها إلى الرغبة في تجنب نطقها شي - shi^(٥) ولكن لا بد أن يكون لها جذور توافق الهجاء القياسي ، في الآية ٤٣ / من سورة الأنبياء ، كتبت أفنان : أفنان^(٦) حيث تشير الألف فقط إلى ai . ولسبب ما استخدم هجاء الألف ياء للتعبير عن الهمزة المفتوحة المسبوقة بكسرة أو عن الهمزة المفتوحة المسبوقة بكسرة طويلة ، وفي بُنَيٍّ أخرى (GQ - المرجع السابق) انتهت إلى إسقاطها من آخر الكلمة ، ويبدو أن الألف والهمزة

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿سأل سائل بعداب واقع﴾ . (المترجم)

(٢) جاء في الكشاف ٥٩٦/٤ ط دار الكتب العلمية في تفسير سورة المعارج : «وقريء : سال سائل ، وهو على وجهين : إما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون : سلت تسال وهما يتسايلان ، وأن يكون من السيلان ، ويؤيده قراءة ابن عباس : سال سيل ، والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر» . (المترجم)

(٣) ويقابله في العربية خاصة العامية الفلسطينية : سائلين أو سائلين أو ما يسائل أي لا يسأل .
(٤) ربما طَيْر- في الآية ٤٩ - آل عمران ﴿...إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير...﴾ الآية ، وبالهمزة طائر يشبه المثال الأخير ، وفي السنسكريتية الفتحة الطويلة (الألف) مع الكسرة تقصر في السندية إلى ألف مالة - ne وليس فتحة طويلة وكسرة āe .

(٥) أيش» لفظ شائع في الحديث وفي العاميات وهو صيغة قياسية في اللهجة الحجازية وهي أي- شي بحذف الياء المدية حسبما جاء في فصل ١٠ / فقرة gg .

(٦) يقصد قوله تعالى : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئد من فهم الخالدون﴾ . (المترجم) .

المضمومة قد جرى تقصيرهما إلى فتحة وواو كما في الحجازية حِدَوٌ في حِدَاء^(١) (اللسان ٤٧/١). كذلك حِدَوٌ في: «حِدَاء» (الزمخشري، الفائق ١١٤/١). وعلى النقيض من: -ي- في اثني مثل هذه النهايات الحجازية لا يمكن ظهورها في هجاء يقام بناء على هيئة الوقف؛ ومن أجل هذا السبب نفضل أيضاً البحث عن تفسير آخر لرسم مثل: ضعفوا في «ضعفاء» (انظر فصل ١٠ - فقرة و)، ويظهر في اللهجة العراقية تقصير في: كَوَلْ (قول)، والإسبانية: هَوَلين في هَولاء (Brockelmann, GVG, I, 319)، واللهجتان كلتاهما لهما نصيب من العربية الغربية.

ee - ٣١ - على عكس ما هو معتاد في الرسم القرآني بعرض ما يشير إلى النطق في الوقوف، تكتب الأسماء الممدودة عند خفضها في بعض الحالات بالياء، iii، G. (64) ولا أظن أن هذا يمثل مجرد هروب إملائي من القاعدة؛ ومن ثم يجب أن نتوقع حالات مشابهة بالواو في حالة الرفع، بصرف النظر عن الجمع المشكوك فيه المنتهي بالالف والهمزة (انظر فصل ١٠ - w، وفصل ١١ - dd) فإنها لا تمدنا بما نحتاجه من بيان. والأكثر احتمالاً أن -ي- ai - التي تنتهي بها هذه الصيغ عوملت على أنها ألف مقصورة -ي-، ويجري أمر أمثلة الأسماء المنتهية بألف مقصورة أو ممدودة في اللهجة هكذا:

إِنَاءٌ : أَلَنَوُ ، أَلَنِي ، أَلَنَّا
أَفْعَى : أَلْفَعِي ، أَلْفَعِي ، أَلْفَعِي

هذا التماثل الجزئي يجعل انتقال الأسماء من درجة إلى أخرى سهلاً حيثما تجد في لهجات نجد (شِري)، تجد في الحجاز شِراءً (أو بالأحرى شِروُ)، ومِلطاءً^(٢) «القشرة الرقيقة

(١) إن المؤلف قد وقع منه سهو في النقل، وما ذكره هو كلام ابن عباس ونسبه لأهل الحجاز كلهم حيث جاء في مادة حدأ: «قال أبو حاتم: أهل الحجاز يخطئون فيقولون لهذا الطائر: الحَدَيَّا، وهو خطأ، وروى عن ابن عباس أنه قال لا بأس بقتل الحِدَوُ، وكأنها لغة في الحِدَاء» وربما يكون قد سها أيضاً في رسم حِدَاء فهي في النص اللساني حِدَأً. (المترجم)

(٢) يبدو أن المؤلف انتقائي من ناحية ويخلط من ناحية أخرى من أجل تطويع المادة اللغوية لتفسيراته فالنص المنقول عن الواقدي لا يوجد فيه ملطاء وإنما ملطاء، وكذلك ابن الأثير ومِلطاء عن الليث كما جاء في النص المنقول عن اللسان: «قال الواقدي: المِلطَى مقصور ويقال: المِلطَاء بالهاء... الليث: تقدير المِلطاء أنه معدود مذكر وهو بوزن الحرباء» وكذلك لا بد من ملاحظة أن ملطى بالألف المقصورة وليست كما ذكر المؤلف بـ: ai- وهي صيغة من النطق يصعب تصويرها كتابة بالحروف العربية إلا بالألف المقصورة مع أن المؤلف اعتاد أن يرمز للألف المقصورة بـ: ä. (المترجم)

بين عظم الرأس ولحمه». من ناحية أخرى: مِلَطَى^(١) (الواقدي في اللسان ١١٤/٢٠).
ورد عن تميم: الزَّناءُ في الزنى (الليحياني في اللسان ٧٩/١٩، الصحاح ٤٨٩/٢)^(٢)،
الحالة الأخيرة^(٣) كان تأثير الرسم القرآني واضحاً في توجيهها، بينما الصيغة التميمية
وجدت في شاهدين شعريين وردا في اللسان أحدهما للفرزدق والآخر للنابغة الجعدي، في
أولاءٍ وأولى، انظر الفصل ١٢- فقرة i، وأكثر ما جاء الاضطراب عن طيء (انظر الفصل
١٤- فقرة ee)، ومن المستغرب حقاً أن مثل هذه التغييرات والاضطرابات لم تحدث مع
الألف المهموزة^(٤) (بتنوين الضم). ويثبت الزمخشري (في المفصل، ص ١٦١) أن النطق
الحجازي لكلمة «كلاً» في الوقف «كَلَاً» kala في الحالات الإعرابية الثلاث، في حين
يقول الآخرون كَلَوْ في حالة الرفع، وكَلَيَّ في حالة الجر، وكَلَى في حالة النصب، ويعزز
ذلك تماماً كلمة «ملاً» التي جاء رسمها موحداً في القرآن وهو الملا في المواضع التالية: في
الآية ٦٠/ من سورة الأعراف «الْمَلَأَ»^(٥) وفي الآية ٣٨/ من سورة هود «مَلَأَ»^(٦)، وفي الآية
٢٤٦/ من سورة البقرة «إِلَى الْمَلَأَ»^(٧)، وفي الآية ٢٠/ من سورة القصص «إِن الْمَلَأَ»^(٨).
ويمكن أن تطبق الحالات المختلفة على المثال «نبأ». الصيغ التي وردت يصور رسمها حالة

(١) كتبت في اللسان أولاً مِلَطَى وبعدها مباشرة في نص مستشهد به مِلَطَى. (أو هي ملاحظة من المؤلف غير
ضرورية بهذه الصورة وأعتقد أن هناك خطأ ما، وقد يقصد أنها جاءت مِلَطَى ثم بعدها مباشرة ويقال ملطاة).
(المترجم)

(٢) ورد في اللسان مادة زنى: «الزنى يد ويقصر... قال الليحياني للزنى مقصور لغة أهل الحجاز... والزَّناء ممدود
لغة بني تميم، وفي الصحاح المَدُّ لأهل نجد قال الفرزدق:
أبَا حَاضِرٍ مَن يَزْنٍ يُعْرِفُ زِنَاهُ وَمَن يَشْرَبُ الْخِرْطُومَ يَصْبِيحُ مُسْكِرًا
ومثله للنابغة الجعدي:

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّناءُ فَرِيضَةً الرَّجْمِ (المترجم)

(٣) يقصد الزنى. (المترجم)

(٤) ربما يقصد مثل: بناءً. (المترجم)

(٥) في قوله تعالى: «قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ...» الآية.

(٦) في قوله تعالى: «وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ...» الآية.

(٧) في قوله تعالى: «وَأَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...» الآية.

(٨) في قوله تعالى: «وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ...» الآية.

الوقف ، ولكنها في نطقها الفعلي في سياقها يجب أن تكون : مَلَوْ ومَلَي . . . الخ . وليس لدينا سبيل إلى معرفة ما حدث في حال تنوين «ملاً» .

ff- ٣١ - مع أننا سعيًا جاهدين لحفظ التطورات الصوتية دون تدخل ، كذلك كان علينا أن نذكر بعض التشكيلات القياسية المعيارية وميدانها الواسع الفعل خاصة ؛ حيث يكون الانجذاب إلى النماذج المعتادة أكبر ، ويسعى الناطقون بدهياً إلى المواءمة بين الصيغ المنحرفة وأنماط الأفعال الموجودة في اللغة ، ومن هذه الصيغ التي أصابها التغيير يوكَّد في يوكَّد ، يُوصد في يُوصد ، يوكف في يوكف ، امتدت الواو إلى الأجزاء الأخرى من الأمثلة ، حتى إن الحجازيين قالوا أيضاً : وكَّد في أكَّد (السيوطي ، المزهري ١٧٧/٢) وأوصد في أصد وأوكف في أكف ، انظر «أكف» العبرية بمعنى السرج (الليثاني^(١)) في اللسان ٣١٥/١٠ .

ويوجد في لهجتي اليمن (الفصل ٤ ، فقرة n) وطيء (فصل ١٤ - فقرة r) صيغ واوية مشابهة مما يرسم في بدء الكلمة ألفاً ، ويوجد الكثير مما يمكن أن يحتج به في العاميات (Brockelmann, GVG, i, 590) ولا نستطيع القول الآن فيما إذا كانت هذه الأمثلة والصيغ موروثه من العربية الغربية ، أو أنها تشكلت حديثاً بعد أن فقدت العاميات الهمزة .

gg- ٣٢ - صاغت اللهجة الحجازية سَلْتُ بدلاً من سألت . . . الخ ، من فعل الغيبة : سأل في سأل ، والمضارع يَسِيلُ المأخوذ مباشرة من يَسأل ، ويبدو أنها مشابهة لـ «يَذرُ» . . . الخ . (wright, I, 79) لأن الأمر منها سَلْ وليس «اسل من اسأل» وهذه الصيغ تأتي في الشعر من جميع القبائل ، ولم يكن لهم إجماع قدر إجماعهم على يرى ، دون الهمزة من رأى (سيبويه ١٧٥/٢^(٢)) (Noldeke, Zur Gramma, p.6) والمخطوطات العربية المسيحية القديمة اتخذت درجة أبعد في مناسبة المضارع للماضي فلقد جاء فيها سَلُوا في الأمر الموجه للجمع^(٣) (Vollers, Volksprache, p.88, Graf, sprachgebrauch, p.18) وربما لا يكون لهذه صلة

(١) جاء في اللسان مادة أكف : «قال الليثاني : أكف البغل لغة بني تميم ، وأوكفه لغة أهل الحجاز ، وأكف أكافاً وإكافاً عمله . (المترجم)

(٢) في الكتاب ٥٤٦/٣ - تحقيق هارون : «وما حذف في التخفيف لأن ما قبله ساكن قوله : أرى وترى ويرى . . . من رأيت وقد أجمعت العرب على تخفيفه لكثرة استعمالهما إياه» . (المترجم)

(٣) انظر الملاحظة في فقرة q .

بحقيقة أن الآرامية المسيحية الفلسطينية نقلت هذا الفعل تماماً إلى أجوف واوي : المضارع yeshol والأمر shol (Nöldeke, ZDMG, xxii, 466, shulthess, Shol).
 (Gramm, p.66) فليس في مضارع هذا الفعل وأمره في القرآن ألف أبداً ، ولكن صيغ الماضي مع الضمائر المتصلة من الحروف الصامتة^(١) (سَأَلْتُمْ ، سَأَلْتُكَ ، سَأَلْتَهُمْ ... الخ) قد كُتبت بألف ثابتة ، مع احتمال أنها تشير إلى الهمزة بين بين (انظر فقرة y أنفاً) . وإن المرء ليشك في أن وضع الألف خطأ لكي تحول دون القراءة بصيغة اللهجة غير الفصيحة : سِلْتُمْ ... الخ . و«سأل» في العاميات تُصَرَّف فيها بتوسّع وكأن الهمزة موجودة. (Driver, Grammar, p.83).

وليس في إمكاننا أن نقول شيئاً في معالجة الأفعال المهموزة العين^(٢) . ولم يظهر في القرآن ماضٍ مهموز العين من طراز (فَأَلَّ) . إن صيغاً مثل يثس مما كُتبت بتلك الطريقة ، ليست صيغاً حجازية أصيلة . في تلك اللهجة ظهر الجذر «أيس» ومضارعه يَأِيسُ ، والتصريف العاشر استأيسَ (ابن خالويه - البديع ، ص ٥٦) ، يعزز ذلك رسمها في المصاحف القديمة. (GQ, iii, 50-94).

hh - ٣٣ - يجب أن يكون المرء حذراً في عزو الخلط الحاصل بين الأفعال الثلاثية المهموزة والأفعال الثلاثية المعتلة^(٣) إلى اختفاء الهمزة أو عدم ظهورها فقط ؛ إن الصيغ من مثال الثلاثي المعتل بالياء من الجذور المهموزة ليس معهودة في أعمال شعراء شرق الجزيرة (شوارتز ، عمر ، ١٠٧/٤ ، ورايت : ٣٧٥-٣٧٦) ويعرض فولرز-volks (sprache, p.86) قائمة طويلة من جذور حصل فيها خلط دائم بين النوعين .

ويتوافق النوعان في العاميات حتى في المواطن التي تلاحظ فيها الهمزة بوضوح ، وفي الواقع يبدو أن الحجازيين يَدْعُونَ كلاً منهما منفصلاً عن الآخر ، ويحافظ عليهما الرسم القرآني ، بطريقته الخاصة متمايزين ، والوحيد الذي يقوم بعملية استبدال الهمزة بالياء في

(١) المقصود أن يكون الضمير من الحروف الصامتة أصلاً كالتاء والنون وليس ألف الاثنين أو واو الجماعة مثلاً .
 (المترجم)

(٢) إن مثلاً مثل : ناشٍ ، ينوش مقارناً بـ : نَأَشٍ ، يَنَأَشٍ ، ولكن لا أحد يقول إن هذه الصيغة حجازية ، والفراء وحده يفترض (في اللسان ٢٥٤/٨) أن أهل الحجاز قد قرأوا «التناوش» في الآية ٥٢ من سورة سبأ ، لأنهم اشتقوها من ناشٍ وليس من نَأَشٍ . على أي حال «التناوش» قد قرأها أبو عمرو البصري وبعض الكوفيين .

(٣) وكذلك دائماً في العربية المسيحية القديمة (Graf, sprachgebrauch, p.19).

المضارع هو عمر بن أبي ربيعة (شوارتز ، عمر ، ١٠٧/٤) . إن صيغاً من مثل قرأتُ في قرأتُ (الزمخشري : المفصل ، ص ١٦٥) إنما هو من النطق الحجازي للصيغ الفصيحة العادية (بما قد يتماثل مع الأمثلة اللهجية) .

ii- ٣٤ - لأمر ما فقد تصريفاً رأى ونأى همزتيهما قبل أن تتحوّل الألف إلى ai- أي في اللهجة (انظر الفصل ١٢- فقرة (٧) ولذلك حوفظ على صيغتي : را ، ونا لأنهما من الرسم القرآني . في الأشعار المستشهد بها في اللسان ٣/١٩-٤ يفترض أن هذه الصيغ قد قيلت خارج الحجاز ، وأنها قد رسمت معتلة العين بالياء وتنطق : راء ، ناء بالهمزة بين بين . إن السمة الحجازية في هذه الصيغ قد احتج لها بأبيات من الشعر لكثير الخزاعي ، وقيس بن الخطيم المدني ، وفي خبر ورد عن الليث بأن الصيغة الوحيدة لرأى بتخفيف الهمزة قد جاءت في الواقع راء (اللسان ٧١/٩١)^(١) انظر كذلك (Noldeke, Zur Gramma., p.6) ويمكننا أن نقرأ الصيغتين القرآنيتين : نا ، را : (GQ, iii, 39) راء ، ناء .

وكان ابن عامر الدمشقي ، وهو غالباً ما يتمثل لغة الحجازيين ، قد قرأ : ناء في الآية ٣٨/ من سورة الإسراء^(٢) . وإننا نفترض أن يكون الماضي من راء : ريتُ مثل جيتُ في جئتُ . مثل هذه الصيغة : ريتُ قد استشهد بها فعلاً الليث (في اللسان ١٧/١٩) دون أن يعزوها لأية لهجة . في المناقشة الناشئة مساواة بينها وبين رُئيتُ ، وبين ما ذكره الثعالبي : أريتُ ولكنها يحتمل غالباً أن تكون رأيت ، ليس غير . في خط المخطوطات القديمة جاء ريتم في رأيتُم (GQ, iii, 44) ، بينما الرسم القرآني يسوي بينهما ، كما عرضتهما النسخة الملكية

(١) يقصد ما جاء في اللسان مادة رأى : قال في الحكم راء لغة في رأى . . . ويقال راءه في رآه ، قال كثير :

وكل خليل راءني فهو قائلٌ من أجلك : هذا هامة اليوم أو غدٍ
وقال قيس بن الخطيم :

فليت سويداً راء من فرمتهم ومن جر إذ يحدونهم بالركائب

والتهذيب : قال الليث يقال من الظن : ريتُ فلاناً أخاك ومن همز قال : رُئيتُ ، ومن قلب الهمز من رأى قال : راء كقولك : نأى وناء . (المترجم)

(٢) يقصد الآية الكريمة : ﴿وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ . . .﴾ الآية .

والآية ٨٣/ من سورة الإسراء وليست من سورة الأعراف كما جاء في نص المؤلف . (المترجم)
وابن عامر الدمشقي هو عبد الله بن عامر اليحصبي قاريء الشام توفي سنة ١١٨ هـ في دمشق .

المصرية^(١) من القرآن ، بالخطوط الثابتة للصيغ بالسوابق من الصوامت وعينهما ألف ، سواء أكانت كالفعل رأى (في الآية ٣١/ من سورة يوسف^(٢) ، والآية ١٠/ طه^(٣) والآية ١٩/ الأحزاب^(٤) ، والآية ٢١/ الحشر^(٥)) أو من أرأيت ، الخ ، وقد قيل إن أهل الحجاز وحدهم هم الذين نطقوها ألفاً (انظر أنفاً w).

ويذكر اللسان^(٦) أبياتاً من الشعر جاء فيها رئتُ في رأيتُ ، إحداها على لسان النحوي البصري أبي الأسود الدؤلي ، وهو من الصعب أن يلتزم فيما كتب باللهجة الحجازية ، وافترض أن تقرأ رأيتُ كريت ، والألف أقحمت من أجل ألا يقرأ ريتُ Ritu تماماً كما أقحمت في سألتُ حتى لا تُقرأ سِلْتُ (انظر gg) وفي شاي كي لا تقرأ : شي انظر dd).

إن المضارع كان في الحجاز ، وغيرها : يَرِي (الصيغ بالهمزة استشهد بها في المعاجم ، ولكنني لم أستطع أن أتبين مواطنها جغرافياً) ، والأمر رَ وللمؤنث رِي وللمثنى رَيَا وللجمع رَوَا ، ولإلانات رَيْن ، في حين يقال في تميم إرأ ، الخ (اللسان ١٩/٥)^(٧) . والأمرن الخ قد ذكر على أنه صيغة عربية شائعة ، ومع ذلك بعضهم يقول : أنفاً (اللسان ٢٠/١٧١) .

kk - ٣٥ - بالنظر إلى شيوع تسهيل الهمزة في لهجة الحجاز ، يبدو غريباً أن نجد من يعزو إليها صيغاً شائعة في العربية منذ القدم بالياء أو بالواو اللتين قلبتا همزة فيها . لقد ورد إلينا أن أهل الحجاز قالوا : عباءة في عباية ، وصلاة في صلاية ، وسحاة في

(١) في النص Royal Koran (المترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿فلما رأيتنه أكبرته وقطن أيديهن ...﴾ الآية .

(٣) في قوله تعالى : ﴿إذ رءا ناراً ...﴾ الآية .

(٤) في قوله تعالى : ﴿... فإذا جاء الخوف رأيتهم ...﴾ الآية .

(٥) في قوله تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً ...﴾ الآية .

(٦) يقصد ما جاء في اللسان في مادة رأى من أبيات مثل الذي استشهد به الكسائي على ترك الهمز :

صاح هل رأيتَ أو سمعت برأع رد في الضرع ما قرى في الحلاب؟

قال الجوهري : وربما جاء ماضيه بلا همز وأنشد البيت (السابق) ، وكذلك قالوا في أرأيت وأرأيتك : أرئتَ

وأرئتك ، بلا همز ، قال أبو الأسود :

أرئت امرأ كنت لم أبلسه أثناني فقال : اتخذني خليلاً (المترجم)

(٧) ففي اللسان مادة رأى : «وبنو تميم يهمزون جميع ذلك فيقولون : إرأ ذلك ، وأرأيا ولجماعة النساء أرأين» .

(المترجم)

سحاية (الغشاء ، الغلاف) ، وعظاءة في عِظاية^(١) ، (ابن السكيت ، القلب ، ص ٥٦) ، ذأى في ذوى (القالبي في المزهري للسيوطي ٣٠/١ ، ٢٧٤) ، وصيغ أخرى من هذا النمط مثل : غزاة وسِقاء ، استقاء ، استقاء (الأسترابادي ، شرح الكافية ١٦٣/٢) ، ولا تُعزى الأمثلة الأخيرة إلى أية لهجة ، كذلك لم ترد الألفاظ المستشهد بها على نقطة بحثنا في اللسان (٣٠٢/١٩ وما يليها) ، ولا إمكانية لاعتبار هذه الصيغ المهموزة لهجوية . إن كلمة سقاية وردت في القرآن مرتين ، وكتبت فيهما بالياء ، ولكنهما في الآية ١٩/ سورة التوبة قرأها بعضهم سقاة بما جعل البيضاوي يظنها سقاة ، ويحتمل أن تكون قد بُنيت على خط قديم - سقاء ، وعزوها إلى الحجاز لا يستند إلا إلى شهادة ابن السكيت ، ولم يكن فولرز على حق باحتجازه على أن هذه الهمزة أصلية في هذه الصيغ (Volkssprache) (p.96 ؛ لأن الكلمات المستشهد بها ، أينما وجدت ، تثبت الياء مثل : عباية ، والعبرية عبهه 'abheh' ، والأثيوبية عَبي : 'abiy' ، يعتقد شوارتز (ZASS,xxx,51) أن الهمزة تمثل موضعي النبر العالي ، وهو أمر لا شك في صحته ولكنه لا يفسر اختفاء الياء . وهناك ما يلفت النظر بشكل مواز لهذه الظاهرة في عبرية المشناه ، حيث حذف الهمزة يجري على قدم المساواة مع حذفها في الحجاز . في مثال من تلك اللغة (وليس من الواضح إذا ما كان ذلك المثال محدداً بمنطقة (أعني بابل أو فترتها) ، أعلت الياء ألفاً قبل النبر في مثل هورأه hōrā'ah في هورايه Hōrāyāh (وصية) ، رمأوث rammā'ūth في رمأوث (rammāyūth تحايل ، اختراع) ، هاؤو-ha'ū في هايو hayu (كانوا) ، (Gimsberg, MGWJ,lxxvii,416, Porah Ibid) . (lxxviii, 306) ويبدو أن العملية نفسها تحدث في الأمهرية ، حيث الكلمة الدالة على العدد عشرين قد كتبت hayā و hēyā ونطقت هاى- (Praetorius, Amhar, ha'a Sprache, p.54) إن الألف في عبرية المشناه ، بالطبع ، لا تتحمل همزة فوقها ولكنها مكان لالتقاء صوتين أو نبرين عاليين ، واتضح ذلك بشكل جلي في مخطوطة بإشارة بابلية من مشناه برخوث المجلد الثاني (HUCA,X,202) في هوذاآه hōdhā'āh ظن الناسخ أولاً لا بد أنها هوذاه ولكن عند التجديد داخله شك وزودها بفتحتين وقد قام في الحقيقة بكتابة الكلمة نفسها بعد ذلك مباشرة

(١) في التاج ٢٤٧/١٠ ، عزيت الكلمة إلى لهجة العالية .

بالألف . وأتوقع أن هذه الأمثلة قد أوجدتها حالة عدم الثبات الناتجة عن جمود اللغة الذي ظهر خلاله ، وبشكل ثابت ، خلخلة وانزلاق صوتي في الصيغ المتقاربة جداً ، أو حتى في الصيغة نفسها .

وهكذا ظهر في اللهجة الحجازية : بَدِيَّ في بَدِيَّ ، ومن هذا تشكل المصدر الجديد بداية (التاج ٤٢/١) ، إن المصدر من بَدِيَّ ، كان يَدَاءَة ، وفي الحجاز بدأ أو يَدُهُ ، وغالباً ما استعملت الصيغتان جنباً إلى جنب ، وقد يكون المكان الحقيقي لتسهيل الهمز في الأمثلة : بالفتحة- وبالكسرة ، أو بالفتحة- والضمّة ، حيثما كان بالإمكان نطق الانزلاق الصوتي أو الهمزة بين بين (انظر : bb أنفاً) . في المواطن أو الحالات التي لا يوجد فيها تمثيل حقيقي خطي قلماً نسمع قلب الهمزة ياء وواواً .

وهناك حالة واحدة تظهر فيها قراءة : تَرَيْنُ في تَرَيْنُ في الآية ٢٦ / من سورة مريم (١) ، والعاميات غالباً ما تستعمل صيغ لهجة شرق الجزيرة بالياء ، ولكن البدو في سوريا يقولون عباة (٢) ، وفي النسخة الملكية المصرية من القرآن عباتي (Wetzstein, ZDMG, xxii, 137) وهي التطوير الحقيقي المنطقي لعباءة .

١١- ٣٦ - بعد استقرار الرسم القرآني ، تقيدت الهمزة في نطقها وبالتالي في كتابتها في هذا النص المقدس ، بالنطق العربي الفصيح الذي أقيم على كلام شرق الجزيرة ، في حين أن الرمز الذي يدل على الهمزة من صنع النحاة وباتفاق تام ، ولكن تسهيل الهمزة في القراءة لم يكن بوجه من الوجوه متفقاً عليه ، ولكنه يعبر عن ظلال مختلفة من التسوية . فليس كل قارئ ينطق الهمزة ، بالرغم من أن قراء الحجاز بوجه عام أكثر ميلاً إلى تسهيلها ، ولم يُسهّلها واحد منهم أينما وجدت (GQ, iii, 51, n.1) ، ويبدو أن إيراد الهمزة قد اتّسم بشيء من التناقض ، وكثر هذا الأمر في تركيب الحديث ، وتزعم إحدى القصص أن النبي [ﷺ] قد أُنّب أحدهم : لأنه عندما ناداه قال : يا نبيء الله فقال له : لا تنبر باسمي (السيوطي : الإتيقان ص ٢٣١ ، وانظر كذلك : ابن جني ، الخصائص ٣٨٨/١) ، ورواية أخرى

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿فَكَلِمِي وَاشْرِي وَفَرِّي عِيناً فَلَمَّا تَرَيْنُ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا...﴾ الآية . (المترجم)

(المترجم)

(٢) وتكاد تجمّع على هذه الصيغة العامّيات العربية المعاصرة .

(في المرجع السابق^(١)) تخبرنا أنه لا النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، ولا أي خليفة قد نطق بالهمزة. وفي وقت متأخر كعهد المهدي (١٥٨-١٦٨ هـ، ٧٧٥/٧٨٥ م) تحمل الكسائي الكوفي غضب عامة المدنيين بالهمز في قراءته القرآنية (التاج ٣/٣٥٥). كذلك هناك رواية أخرى للقصة (في إرشاد الأريب، ياقوت، ٤/١٨٦) من أن هناك سبباً آخر لذلك وهو نطقه ضعيفاً بالإمالة (الآية ٩/ من سورة النساء)^(٢). من المحتمل أن يكون اصطلاح النبوة الذي يشير إلى تحقيق الهمزة قد استخدمه أهل الحجاز للدلالة على عدم الاحترام... إن نفرأ ممن يسلمون بكلام النحاة يثيرون جدلاً آخر، فالحديث المنسوب إلى علي يؤكد أن القرآن نزل بلغة قريش التي تسهل الهمز، ألم يُنحَ جبريل بالهمزة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لذا يجب علينا تسهيلها (الرافعي، التاريخ ١/١٠٤) والرواية الأكثر واقعية هي المنسوبة إلى نافع (ت ١٦٩/٧٨٥) وهو الأكثر تمثيلاً للقراءة الحجازية وللشرع حين سئل عن النطق الصحيح لكلمتي بئر وذئب (انظر II- فيما سبق) أجاب إذا تطلبت العربية (قواعد العربية الفصحى) همزها: عليك أن تهمزها (الذهبي، استشهد به GQ,iii, 139).

يبدو أن تحقيق الهمزة قد أصبح قضية تقليدية، وعُدَّت ملمحاً خاصاً من ملامح القراءة القرآنية... وحمزة الكوفي القارئ المشهور (ت ١٥٨ هـ/٧٧٥ م) وهو من قبيلة تيم الغربية وجد من الضروري أن يحذر من اجتماع الهمزة والمد في القراءة القرآنية (طاشكبري زاده، اقتباس فلوجل في الفهرست ٢/٢٠).

mm-٣٧ - هذه السمة في اللهجة الحجازية هي موضوع كثير من النواذر مما سنذكره مرتين نظراً لفائدتهما الخاصة، في حديث باسم أبي بكر إذ يخبر عن أسير قُدِّم إلى النبي ﷺ وهو يرتجف من البرد، فقال النبي: [ﷺ] اذِفِئُوهُ ولكنها قيلت أدفوه

(١) والخبر كما يُروى في اللسان مادة نبر ومادة همز: «قيل للرسول صلى الله عليه وسلم: يا نبي الله! فقال له: لا تنبر باسمي، أي لا تهمز، وفي رواية، فقال: إنا معشر قريش لا ننبر، والنبر همز الحرف ولم تكن قريش تهمز في كلامها، ولما حجَّ المهدي قام الكسائي يصلي بالمدينة، فهمز، فأنكر أهل المدينة عليه وقالوا: تنبر في مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن...». (المترجم)

(٢) في قوله تعالى: «وَلْيَنْخَسِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ...» (المترجم)

(انظر c c أنفاً) ففهمها الجند بمعنى اقتلوه فقتلوه (الجمهرة ٧٤/١)^(١). وفي حديث آخر، وردت النكتة اللغوية في رواية (البخاري- كتاب الأطعمة، القسطلانسي ٢١٠/٨)، لقبي أبو هريرة عمر في الطريق فسأله أن يعلمه قراءة آية وكما قال أبو هريرة: استقرأته آية، ويدخله عمر الدار ليشرح له الآية ويدعه ويترك البيت فجأة ويسقط على الأرض من شدة الجوع، وفي رواية أبي نعيم: قال أبو هريرة أقرئني، والنقطة الأبرز هنا هي أن أبا هريرة قال أقرئني (أعطني طعاماً) وفهم عمر أنه يعني أقرئني بدلاً من أقرئني^(٢). وقد يكون هناك قصص أخرى مشابهة مستترة وراء أحاديث أخرى.

mm- ٣٨ - عرفنا من الداني (كان في مكة ٣٩٧/ ١٠٠٧م) وابن مطروح (استشهد بها Bravmann, (Materialien, p.105-6 أن أهل الحجاز كانوا يفخمون اللام بجوار الصوامت المفخمة، ويدعى تفخيم اللام^(٣). يسمع تفخيم اللام في العربية الحديثة بانتظام في لفظ (الجلالة) الله: (انظر (Gairdner, Phonetics, p.19) عندما يكون موقع الألف المقصورة في آخر الكلمة، في اللهجة الحجازية يتحد

(١) ومن أجل روايات أخرى راجع كوفلر (wzkm, xlxi, 86).

(٢) ورواية الحديث كما جاءت في صحيح البخاري ١٢١/٧ (إدارة الطباعة المنيرية - المكتبة الثقافية - بيروت): كتاب الأطعمة: «عن أبي حازم عن أبي هريرة أصابني جهد شديد فلقيت عمر بن الخطاب فاستقرأته آية من كتاب الله فدخل داره وفتحها علي، فمشيت غير بعيد فخررت لوجهي من الجهد والجوع، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على رأسي فقال: يا أبا هريرة، فقلت لبيك يا رسول الله وسعديك فأخذ بيدي وأقامني وعرف الذي بي فأنطلق بي إلى رحله فأمر لي بعس من لبن فشربت منه... قال فلقيت عمر وذكرته له الذي = كان من أمري وقلت له تولى الله لك من كان أحق به منك يا عمر، والله لقد استقرأتك الآية ولأنا أقرأ لها منك... الحديث، ويبدو أن المؤلف راين قد فاتته أن الأمر من أقرى الضيف هو غير الأمر من أقرأ فالأول أقرني والثاني أقرئني وبالتسهيل أقريني، والخلط بينهما من قبيل التوهم الذي يسوق إليه التعامل النظري مع الصرف العربي الذي تنقصه الخبرة التطبيقية العملية، ففي العربية الفصحى نقول: أعطني وأرني وأهديني وليس أعطيني وأرئني وأهدينني وأقريني (من قرى الضيف). (المترجم)

(٣) بما يجذب الانتباه أنه في العاميات التي تفخم فيها الصوامت بشكل عام تبقى اللام كما هي عما يعني أن اللام ليست محلاً للتفخيم (انظر كاتنينو، حوران، ص ١٠٧)

جرسها بالفتحة المجاورة للصوامت الطبقية ، ويمكننا أن نعدّ المدن المقدسة من مواطن هذا النطق ، وما يتوافق مع ذلك واعتماداً على الشعالبي (اقتباس برافمان) فإن المصريين والمغاربة هم وحدهم الذين ينطقون اللام بالتفخيم في غير لفظ الجلالة «الله» .

oo- ٣٩ - في الحجاز (لهجة أو قرآء) لا يدغمون اللام الواقعة في آخر الكلمة بالراء التي تليها في كلمة أخرى كما في : هل رأيت (سيبويه ٦٧/٢) . ومن المشكوك فيه فيما إذا استطعنا أن نخرج بنتائج تخصّ النطق في صوت آخر .

pp- ٤٠ - في التصريف الثامن من الجذور المبدوءة بالذال - والذال والتاء يحصل بينهما تبادل وتماثل^(١) في الحجاز ويصبحان دالين ، وقد ورد في القرآن مذكّر (في الآية ١٥ من سورة القمر)^(٢) . وكذلك عند عمر بن أبي ربيعة (.xliv,1 ومن ناحية أخرى في لهجة أسد تصبح اذكر (الطبري ، التفسير ٧٢/ ص ٦٥ والفراء في معاني القرآن الآية ١٥/ سورة القمر) وفي النسخة المطبوعة من تفسير الطبري وجدنا ابن مسعود يقول إن النبي [ﷺ] قد قال اذكر ، وهذا من الأخطاء المطبعية ، وقد وردت صحيحة في اللسان (٣٧٦/٥) : اذكر وتُعزى صيغة دكر في ذكر إلى قبائل ربيعة ، وهم إلى الشمال الشرقي من أسد^(٣) . وبالرغم من أن علماء اللسان العرب يعدون هذا من قبيل الخطأ في إعادة الصياغة أو الاشتقاق من اذكر ، ولا شيء في هذا سوى أنّه نطق عامي مبكر جرى على ألسنة القبائل التي اختلطت مع من يتكلمون الآرامية .

qq- ٤١ - إن قواعد الرسم القرآني التي أوردها النيسابوري (الغرائب ٣١/١) توجب في حالات عدة ألا تُكتب النون قبل صامت آخر ، والحالات هي : (لننظر الآية ١٤/

(١) ما يحصل من إبدال يتبعه تماثل وإدغام فادكر مثلاً أصلها اذكر ثم اذكر- ثم اذكر أي أبدل من التاء دالاً ثم أبدلت الذال الأولى دالاً فاتحدت الدالان بعد ذلك . (المترجم) .

(٢) في قوله تعالى : «ولقد تركناها آية فهل من مدكر» كذلك في الآيات ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ من السورة نفسها . (المترجم)

(٣) من أجل المزيد راجع كوفلر أيضاً (wzkm,xlix,86) .

سورة يونس^(١) ، فَتَنْجِي^(٢) (الآية ١١٠ من سورة يوسف) ، وَتَنْجِي (في الآية ٨٨ / من سورة الأنبياء^(٣)) لَنْتَصُرَ (الآية ٥١ / من سورة غافر^(٤)) . نَنْجِي وَتَنْجِي وحدهما كُتِبَتَا هكذا في المخطوطات (GQ,iii,51) وجد القراء في تعاليم الخراز (انظر : GQ,iii,273) يكتب الأولى «فَتَنْجِي بالتشديد ، والثانية لنجى ، بنون فوق الجيم ، وبما أن الصامت الثاني للنون في كل حالة أسناني أو غاري ، يمكننا أن نفترض أن النون قد جعلت مشابهة لهن : لَنْتَظَرُ . . . الخ ، ويقارن شوارتز هذا (في ZASS, xxx, 48) بظاهرة وصفها الزمخشري (المفصل ص ١٨٩) بالنون الخفيفة أو الخفية ، وقد ذكر هذا ضمن ما ينتج عن المماثلة الجزئية كالشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي ، ووصفت النون الساكنة بأنها غنة في الخيشوم ، والمثال الوحيد الذي ورد هو عنك ، وهناك شك قليل بأن الزمخشري يصف في هذا الموضع النون الطبقية (الإنجليزية) التي في مثل king. للصوت الطبقي الأنفي غنة أنفية أكثر من النون الإسبانية ، وغالباً ما تسمى في أعمال العامة (غير المتخصصة) النون الأنفية .

اصطلاح النون بغنة في التجويد حديثاً مساوٍ للنون الغارية (كالنون الفرنسية في agneau^(٥)) (قبل الياء ، المصحوب غالباً بتأنيف قوى للصائت السابق عليها) (phonetics, p,56 Gairdner) . ويذهب شوارتز بعيداً في تحديد النون الخفية بتبسيطها بالتأنيف ، وبسبب وجهة النظر هذه يقرأ «هد» الموجودة في قصيدة لعمر بدلاً من هند (عمر ، ١١٢/٤) . والأكثر احتمالاً في هذه الكلمة «هد» أن تكون كلمة هَدْنُ في الوقف بالنون التي امتصت أو اختفت ، ومن ناحية أخرى قد تكون النون المركبة فوق الجيم تعبيراً حقيقياً عن التأنيف . ليست كل هذه الظواهر مصممة خصيصاً على أنها حجازية ، وليس الأمر كذلك

(١) يقصد الآية الكريمة : «ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون» .

(٢) وهي في الآية الكريمة : ﴿... جاءهم نصرنا فَنَجِّيْ مِنْ نِّشَاء...﴾ إلى آخر الآية ، أي ليست فَتَنْجِي . (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى : ﴿... وكذلك تُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

(٤) يقصد الآية : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا...﴾ الآية .

(٥) وضع المؤلف رمزاً للنون الفرنسية في الأبجدية الصوتية الدولية كذلك مع النون الطبقية الإنجليزية فوضعت نطقهما في سياق لفظي . (المترجم) .

في «سُبُل» التي يؤكد مصنف التاج (٣٦٦/٦) أنها الكلمة الحجازية لسُبُل . ومع ذلك يستشهد القاموس التركي (٢٤٠/٢) بخبر من الروض الأنف لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١هـ / ١١٨٥م) يَعدُّ فيه أهل الحجاز النون في سنبِل زيادة على الجذر لذلك قالوا في جمعها أسبال في حين يقول التميميون سنابل ، وفي همدان يقولون سُبُول . وقد يكون هذا مفهوماً إذا كان المقصود بيان أن الحجازيين يقولون في المفرد سُبُل . ولم يأت في اللسان شيء يميّز عن هذه الكلمة ، وربما لا يعرف شيئاً عن الاختلافات اللهجية حولها .

١٣- ٤٢ - في المضارع المتصل بضمير المتكلم : ني ، نا ، ن^(١) التي كانت غالباً ما تحذف عفواً في النصوص ذات الأصل الحجازي نحو : سيفقدوني في سيفقدوني (البنخاري ، كتاب الشهادات ١٥) ، لَتَصِدُقُنِي (السابق نفسه) ، صيغة فعّاله . وكثيراً ما يتردد مثل ذلك في الحديث والسيرة (Brath,ZDMG,lix, 642) والمثال الوحيد للماضي المتصل بضمير الإناث هو : فَلَيْتَنِي فِي فَلَيْتَنِي^(٢) في بيت من الشعر لعمر بن معدى كرب (المفضليات^(٣)) ، ص ٨٧) والتبريزي (في الحماسة ص ١١٠) والمفضل (في المفضليات) يقولان بجلاء أن هذا بما يقوله أهل الحجاز ، وهذا الحذف العفوي يتردد كثيراً في قراءة نافع المدني (Fischer, ZDMG,lix,449) .

ss- ٤٣ - ومن ناحية أخرى فإن قراءة القرآن الحجازيين يسوون بين تاء المضارعة والتاء الأخرى التي تنصدر الأفعال فيحذفونها في التصريفين الخامس والسادس^(٤) نحو : تَقْتُلُ فِي تَنْقَتُلُ ، في حين قراءة الكوفة يقرؤون مثل هذه الحالة تَقْتُلُ بالحذف (الطبري ، التفسير ٥٦/٥) . لا بد من الملاحظة أن القراءتين قد أقيمتا على الصوامت نفسها ، ويمكننا أن نفترض أن القراءة الحجازية تتفق مع مقاصد الكتاب الذين دونوا هذه الصيغ ، وعليه فإن هذه الصيغ نفسها حجازية اللهجة . إن المماثلة تستلزم ضمناً حذف حركة التاء وهي القاعدة التي تسير عليها عاميات المواطنين (بروكلمان GVG,I,530) .

في لهجات البدو الذين يركبون الإبل من شمر والروالة ، مع أنهم يحتفظون بحركة التاء

(١) كما هي : يتركُنِي ، يتركُنَا ، يتركُنْ . (المترجم)

(٢) من يَفْلِي القمل . (المترجم)

(٣) لم أجد شعراً لعمر بن معدى كرب في المفضليات ط دار المعارف . (المترجم)

(٤) فالفعل تنصدر مثلاً : التاء الأولى فيه هي تاء المضارعة ، في حين أن الثانية هي الداخلة على الحروف

الأصلية وكأنها حرف أصلي وليست حرف مضارعة فقد تكون في الماضي . (المترجم)

في مثل : تَحَدَّرُ^(١) مضارع تَحَدَّرَ (Cantineau, Parlers, p.189,190) ، والأمر نفسه يحدث في لهجة بدو وسط الجزيرة العربية (Socin, Diwan, iii, 155) ، وعليه وجدت مشكلتان : لِمَ يظهر الحذف فقط بالسابقة التاء؟ ، وَلِمَ وُجد في اللهجات البدوية المعاصرة ، التي هي أوثق صلة ، لأسباب أخرى ، بالعربية الغربية صيغ بالتاء كاملة^(٢)؟ التي بحسب خبر الطبري يجب أن نردّها إلى لهجة شرق الجزيرة . وهناك مشكلة أخرى سببها الصيغ التي استعملها الكوفيون ، إذ توجد هذه الصيغ بالحذف العادي في العربية الفصحى أو في لهجات شرق الجزيرة ، أو أنها مجرد محاولة قائمة على الرسم القرآني قبل إيقاع الحذف بها^(٣) . كذلك هناك حالة المدّثر في المدّثر (الآية ١/ سورة المدثر) . لم يناقش أحد من علماء اللسان العرب أنها صيغة لهجية ، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن هذا الأمر ليس صحيحاً تماماً ، ولم يخل الأمر من قراءة شاذة هي المدّثر من دَثَرٍ- يُدَثِّرُ بما يغيّر المعنى ، إن أصالة التصريف الخامس قد عَزَزَتْ بقراءة قبل خلافة عثمان^(٤) (الأبي والأعمش) : المدّثر (Jeffery, Materials, p.174).

tt- ٤٤ - إن شيئاً ما كالمماثلة الجزئية يبدو أنه قد حدث في صيغة استناع من استطاع ، التي قيل إنها حجازية (ابن جني ، الخصائص ٢٦٩/١) . والشيء اللافت للنظر في مثل هذا أن الطاء قد سقطت وليس التاء ، مما يجعل جذر الكلمة غامضاً ومبهماً . وعبارة ابن جني مستغرّبة لما جاء في القرآن ، الذي لا غلغ إلا أن نرى فيه مثلاً للاستعمال الحجازي في هذا الباب ، الذي تظهر فيه استطاعوا بالطاء (في الآية ٩٧/ من سورة الكهف^(٥)) . وبناء على ما ذكره البيضاوي من أن بعضهم قالها : استطاعوا . وهذا يعطينا مفتاحاً لحل مشكلة استناع ، ما دامت السين والطاء لا تتجاوران دون مماثلة ، والمتكلم إما أن يختار استطاع ، التي تجعل صيغة الكلمة

(١) والأصل فيها : تَتَحَدَّرُ . (المترجم)

(٢) أي التاء بحركتها . (المترجم)

(٣) يقدم برافمان (Monde oriental, xxxii, 16) نظرية تقوم على أن كل حذف عفوي لمقطع ما كان يسبقه دائماً حذف للحركة مثل : فَلْيَنِّي- فَلْيَنِّي- فَلْيَنِّي ، وفي تَقْتُلُ من تَتَقْتُلُ ، يفترض برافمان بقوة مرحلة وسطى اثْتَقْتُلُ . وإن ما حصل من تطوّر لـ : تَقْتُلُ يَصْبُ في نظريته ، ولا يتضح لي فيما إذا كان هناك صلة بين الظاهرة الموصوفة هنا وبين الإدغام الأكبر (انظر (Prezli, Islamica, vi, 295).

(٤) رما يقصد قبل جمع القرآن في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان . (المترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ . (المترجم)

مبهمة ، وإما استأع التي تساهم في غموض جذر الكلمة . ولم يبرز في اللسان (١٠/١١٢ وما بعدها) في أثناء إيراده لصيغها أي شيء يشير إلى استعمالها اللهجي ، ولم يرد أنها حجازية إلا في العبارة الموجزة المأخوذة من ابن جنبي ، وعليه يمكننا أن نصرف النظر عن قراءة حمزة الزيأت^(١) : استطاع ، على أساس أنها من وضع النحاة .

(١) هو حمزة بن حبيب الزيأت التميمي ، قارئ كوفي ، ت ١٥٦هـ . (المترجم)

الفصل الثاني عشر

الحجاز - الصرف

a- ١ - إن الضمير المعتمد للمتكلم المفرد في الحجاز هو «أَنْ» في وصل الكلام ، و«أنا» في الوقف (السيوطي ، الجمع ٦٠/١)^(١) كما هي الحال في أغلب لهجات العرب (اللسان ١٧٩/٦) . وهذا يتناقض مع لهجة تميم (أي اللهجات الشرقية بوجه عام) حيث تستعمل «أنا» في الوصل كذلك (ابن مالك ، التسهيل ، وجه ٨ ب الخ) . في الواقع وردت «أنا» في وصل الكلام في شعر شعراء غرب الجزيرة مثل : عنترة ، الأعشى ، كعب ، عُمر (Noldeke, Zur Gramm, p.14). والعلاقة بين الصيغتين ليست واضحة تماماً . وعلينا أن نتوقع التقصير في الوقف وهو بالضرورة نادر جداً ، وربما تكون هذه الصيغ متباينة أصلاً^(٢) . ووجدت الألف الطويلة في آخر الكلمة في الأكدية ، والعبرية ، والآرامية ، والمصرية ، والألف القصيرة في الأثيوبية ، ويجب أن تُضاف إلى الصيغتين السابقتين^(٣) : «أَنْ» في لهجة قضاة (ابن مالك ، المصدر السابق^(٤) ، وابن يعيش ص ٤١٤) ، في لهجات البلدو السوريين (Can-tineau, Parlers, p.70) وفي تلمسان وفي مالطا ، وفي التجرينية ، وفي الآرامية الشرقية الحديثة . وفي عبرية المشناه : أئو (نحن) يبدو أنها تميل إلى التركيب نفسه ، إن الرسم

(١) وقد بُنى خلاف بين النحاة على ذلك فهل الألف جزء من الضمير أنا؟ فالبصريون بنوا على لهجة الحجاز فقالوا إنها ليست من الضمير بلليل حذفها وصلأ وإثباتها وقفأ وهي الفصحى ولغة الحجاز والكوفيون يرون أن الضمير هو المجموع أي بالألف بلليل إثباتها وصلأ ووقفأ في لغة تميم وبها قرأ نافع «انظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع ٦٠/١» (المترجم)

(٢) في السريانية القديمة نجد قاطلنا- قاطلانا (أقتل) ولكن قالين- قاليانا (أشوي) بتوزيع الصيغتين حسب مبدأ تنظيمي دقيق .

(٣) يقصد أنا ، أن (المترجم)

(٤) لم أجدها في المطبوعات من الكتاب ، ووجدت ما أشار إليه أنفا ص ٢٥ تحقيق محمد كامل بركات ط ٦٨ «أنا» للمتكلم محذوف الألف في وصل عند غير تميم أي تثبت الألف عند تميم في الوصل . ولكنني وجدت إشارة إلى لهجة قضاة في اللسان مادة أنن إذ يقول : «وقضاة عد الألف الأولى : أن قلته» (المترجم)

القرآني يثبت أنه قد يوقف في الحجاز على الألف .

b- ٢ - إن ضمير الغائب المتصل : هـ ، هُم ، هُنَّ ، وهما لا تصير هـ بعد الكسرة والياء (انظر

الفصل العاشر- فقرة f)

c- ٣ - في لهجة العالية لا تسقط الفتحة عند الوقف من ضمير المخاطب للمفرد المذكّر ، بينما العرب الآخرون يقولون : لك ، وعليك ، وفي دارك . أما أهل العالية فيقولون لَكْه ، عَلَيْكْه ، في دارَكْه (أبو زيد ، النوادر ، ص ١٧١) . فإذا كانت هاء السكت تدلّ غالباً على الطول أو المدّ (Birkeland, Pausal formen, pp.31) يمكننا أن نستنتج أن فتحة كْ كانت طويلة في تلك اللهجة ، كما كانت في عبرية الماسورة (١) . بعض العرب يطيلون حركة كْ أو كِ قبل اللواحق كما في : أعطيتُكْه (سيبويه : بما استشهد به الأستراباذي في شرح الكافية ١١/٢) . وفي الغالب احتُفِظ بالصيغة القديمة في موقع قبل آخر الكلمة ويوجد التوزيع نفسه في الحبشية .

d- ٤ - من المحتمل أن ما يحدث في العربية الفصحى من كسرياء المتكلم بعد الياء المدّية

أو المزدوجة لم يلاحظ في الحجاز . ففي الآية ٢٢- سورة إبراهيم قرأ الأعمش ويحيى أو حمزة من الكوفة : « ما أنتم بمُصْرَخِيّ في مُصْرَخِيّ » (٢) (الفراء ، من استشهداد Beck, Orientalia, xv, 190 ، كذلك الزمخشري ، الكشاف ص ٧٠٤ ، ٨٩٤) عن النبأ (من اقتباس الفراء) يسمى هذا صيغة لهجية ، ثم يستشهد الفراء

(١) في وصل الصوامت في الكتاب المقدس غالباً ما تنتهي «كا» بالهاء . وما يثير الدهشة ألا يكون لهذه علاقة بهاء السكت التي بحثناها في العربية لتوتا . فما بين ٣٠٠ ق م و ٧٠٠ ب م كانت تظهر لاحقة الفتحة المتبوعة بالكاف-ك- ak- باستمرار في العبرية (انظر كاله ، Gineza ، ص ١٠٠) ربما يكون المقصود الإشارة إلى الاختلاف اللهجي في العبرية ، عندما تتكرر- كا في حديث الطبري .

(٢) في قوله تعالى من الآية : ﴿... وما أنتم بمُصْرَخِيّ إني كُفرت...﴾

(٣) البيت في خزانة الأدب ٤/٤٣٠-٤٣١ : للأغلب العجلي وتا في البيت اسم إشارة للمؤنث ، وفي معاني القرآن للفراء ٧٥/٢ قال في مصرخي : «وقد خفض الياء من قوله بمصرخي الأعمش ويحيى بن وثاب جميعاً... ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى... ولعله ظن أن الياء في مصرخي خافضة للحرف كله ، والياء من المتكلم خارجة من ذلك» والشاهد أن مصرخي بكسر الياء قراءة استشهد لها بقول الشاعر : في بكسر الياء وهي كما قال صاحب الخزانة «كسر الياء من نحو في لغة يربوع لكنه عند النحاة ضعيف كقراءة حمزة . (المترجم)

بيت من الشعر لشاعر مجهول^(٣) كما يقول الزمخشري وهو :

قال لها : هل لك يا تافي

قالت له : ما أنت بالمرضي

يقول الأستراباذي (في شرح الكافية ٢٩٥/١) إن هذه لغة يربوع^(١) ، وهي فرع من حنظلة التي تنتمي إلى تميم . ومع ذلك ستجد أن (تا) صيغة عربية غربية متميزة للإشارة للمؤنث^(٢) . في بيت من الشعر للنابغة الذبياني الغربي (٤/١) ، تُقرأ تقليداً عَلَيَّ في عَلَيَّ^(٣) (السيوطي ، الجمع ٥٣/٢) . وقرأ البصريان الحسن (الكشاف ص ٨٤٩) ، وأبو عمرو (الأشموني ٢١١/٢) الآية ١٨/ من سورة طه : عصاي في عصاي^(٤) ، حيث القراءة العربية الغربية الحقيقية : عَصَيَّ (انظر الفصل الثامن فقرة ٤) فالمادة المعطاة غير كافية حقاً لمعرفة القراءة بالكسري أي عربية غربية أم شرقية ؟ وتوجد ي (الياء المكسورة) بكثرة في العاميات بعد الصائت الطويل كما في عشاي ، كُرْسِيَّ (انظر : Diver, Grammar, p.30) وقد تكون السمة كلها عامية مبكرة أكثر من كونها لهجة .

e - o - الأداة «ذي» في الشعر الحجازي (انظر الفصل ١٠ - فصل aa في نهايته) يمكن إضافتها إلى أسماء الأعلام ساعة يشاء الشاعر دون أن يكون للمعنى أي تأثير . (شوارتز ، عمر ١٤٥/٤) وفي بعض الحالات قد يتمخض عنها تراكيب نحوية لم تكن محتملة إذا عُدَّت في حالة الجر من ذو (بمعنى صاحب) - شعر عمر^(٥) . حسبما أورد الأزهري (في التاج ٤٣٦/١٠) «ذو» شائعة في كلام قيس وما جاورها من القبائل . وفي الحقيقة ليس هذا إلا اسم الإشارة اليميني «ذي» (انظر الفصل ٧ - فقرة s) ، الذي أهمل وهُجِر في الحجاز إلا مع أسماء الأعلام (انظر : ظهورها مع أسماء الأعلام في ظفار والعبرية في المصدر السابق) . في الكلام الحجازي العادي حلت محلها «ذا» الشرقية أما من ناحية الأثر الباقي من «ذي» السابقة

(١) يربوع بن حنظلة بن زيد مناه بن تميم . (المترجم)

(٢) انظر كذلك البيت الفصل العاشر .

(٣) البيت كما هو في خزنة الأدب ٣٢٣/٢ :

عليّ لعمرٍو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : ﴿قال هي عصاي أتوكأ عليها . . .﴾ الآية . (المترجم)

(٥) كما جاء في الأغاني ١٤١/٧ ، وفي الديوان تقرأ بالمروخ .

يمكننا أن نضع في اعتبارنا أن «ذا» في هذا تتكرر كثيراً في الحديث . والشعراء الحجازيون كثيراً ما يُقجَمون^(١) كلمات أخرى بين الهاء وذا (شوارتز ، عمر ، ١٢٠/٤) وأما الحجازيون فيستعملون هو ذا بدلاً من ها هو ذا (الأنباري في اللسان ٣٤١/٢٠)^(٢) ، إذا وضعنا في الحسبان المفاوضات التي دارت في الحديبية (البخاري ، الشروط ، ١٥) ، حيث الحوار اتخذ أسلوباً مميزاً مختلفاً عن الرواية^(٣) يفترض أن يحمل بعض الملامح الحجازية ولدينا نصٌ أكثر كشافاً : حين كان عروة بن مسعود يخاطب النبي ﷺ قاطعه أبو بكر فسأل ابن مسعود : مَنْ ذا؟ ويضربه المغيرة فيسأل مرة ثانية : مَنْ هذا؟^(٤) وإذا استطعنا أن نجعل من هذا أنموذجاً ، نستطيع أن نتبين فرقاً مميزاً بين ذا وهذا أشبه ما يكون بين هذا وذاك في العربية الفصحى .

f-٦ - إن اسم الإشارة للمفردة المؤنثة ، كان في العربية العالية الفصاحة هذي في الوصل

(١) ربما يقصد قولهم : ها أنا ذا ، ها هو ذا ... الخ . (المترجم)

(٢) يخبر الحريري (في الدرر ص ٤٩) على أن هذا من العامية العراقية ، وأحدهم اسمه أبو بكر في اللسان اعتقد أن الأنباري على خطأ والصيغة الصحيحة للجمع جاءت في القرآن الكريم في الآية ١١٩ - سورة آل عمران : «: هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ .. » الآية : (إن ما نقله المؤلف عن اللسان مادة ذا فيه غموضاً في هذه المسألة والرواية في اللسان كالتالي : ابن الأنباري : قال بعض أهل الحجاز هو ذا بفتح الواو ، قال أبو بكر : وهو خطأ منه لأن العلماء المؤثوق بعلمهم اتفقوا على أن هذا من تحريف العامة والعرب إذا أرادت معنى هو ذا قالت : ها أنا ذا ألقى فلاناً» . (المترجم) .

(٣) يقصد المؤلف أن ما جاء في حديث باب الشروط في الجهاد والمصالحة من البخاري ٣٥/٤ - ٣٧ ط المكتبة الثقافية قد نقل بلغة المتحاورين لا بلغة من روى عنهم ، أي روي الحديث بلفظه وليس بمعناه فاتخذ شاهداً على لغة الحجازيين . (المترجم)

(٤) الحديث طويل من ص ٣٥ - ٤٤ من الجزء الرابع - طبعة المكتبة الثقافية اقتطف منه المؤلف ما يلزمه لغوياً ولكن مقاطعة أبي بكر لابن مسعود حين أراد الأخير أن يشكك النبي ﷺ في أصحابه بقوله له : « ... وإني لأرى أشواهاً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك ، فقال له أبو بكر : ... أنحنُ نفرٌ منه وتدعه؟ » فقال (ابن مسعود) : من ذا؟ ... وجعل (أي ابن مسعود) يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ويأخذ بلحيته (أي بلحية النبي عليه السلام) والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم .. فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب (المغيرة) يده بنعل السيف ، وقال له آخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع عروة رأسه فقال : من هذا؟ قالوا : المغيرة بن شعبة ... » .

وهذه في الوقف . ويبدو أن اللهجة الحجازية قد تمسكت بصيغة الوقف «هذه» فقط التي استعملت أيضاً في الوصل (سيبويه ٣١٤/٢ ، وانظر كذلك : Birkeland, Pauwalformerns, p.49 ، وفيشر 47, iii, Islamica) .

ويحتمل أن تكون الصيغة العربية الغربية الأصلية «تا» هي التي استعملت في لهجة طيء (انظر : الفصل ٤١ - u) أو تي ، التي تظهر في التعبير : كيف تيكّم؟ وقد قاله النبي ﷺ في مخاطبة عائشة [رضي الله عنها] - (البخاري ، الشهادات ، ١٥) وفي نقش النمارة تي ، على كل حال تظهر تا في الشعر كذلك ، ليس في شعر النابغة الغربي فقط ، ولكن في شعر القطامي التغلبي أيضاً (تَالِكَ في تِلْكَ في الديوان ٢٨/١٣ ، هذه) وكعب الغنوي هاتا في هذه ، كلها في اللسان ٣٤١/٢٠^(١) .

g-٧ - قيل إن جمع اسم الإشارة في لهجة تميم هو : أولى وفي الحجاز أولاء (ابن عقيل ، ص ٦٣ ، وشراح الألفية المتأخرون) . وقد ورد في الألفية :

وبأولي أشير لجمع مُطْلَقاً

والمدُّ أولى^(٢) ، ولدى البُغد انطقاً

ويبدو أن عَزَّو ابن عقيل أولاء إلى الحجاز كان معولاً فيه على وجودها في القرآن^(٣) ، حيث وردت فيه أولى لتدل على هيئة الوقف أولاً ، ومع ذلك فإن أولاء في الوصل قد قيلت في الحجاز أولى^(٤) (انظر فصل ١١ - dd) ، وهي لا معنى لها ما لم تعكس خطأً للهجة ما زالت تنطق نهاية اسم الإشارة بـ -ai -ي^(٤) . والصيغ الشقيقة كالعبرية 'elleh . . . الخ كلها تشير إلى الأصل في السامية الأم أولى^(٥) (انظر : Barth, Pronominalbildung, p.119) إن أولاء الفصيحة لا تتواءم مع صيغ اللغات الشقيقة (Brockelmann, GVG, i, 318) ، ولا بد

(١) في حكاية تصف عادات أهل المدينة قبل الإسلام إذ قد استعملت للمؤنث (البخاري ، الحرث ، ١٢) .

(٢) يقصد أولاء . (المترجم)

(٣) حيث قال ٣٣١/١ : «وفيها لغتان : المدُّ وهي لغة أهل الحجاز وهي في القرآن العزيز ، والقصر وهي لغة بني تميم» ، وإن المؤلف في قوله «يبدو» . . . يوحى بأن ذلك من استنتاجه مع أنه من كلام ابن عقيل .

(المترجم)

(٤) أي أولى . (المترجم)

(٥) يكتبها أولى لاعتقاده أن الألف المقصورة يجب أن تنطق . (المترجم)

لي أن أفترض أنها قد ظهرت بالعملية نفسها التي تمت بها القراءة القرآنية : اشتروا الضلالة في اشتروا الضلالة^(١) ، (آية ١٦ / سورة البقرة) يعني أن التطور في النبر العالي الثقيل وفي تحطيم العلة المزدوجة إنما هو من أجل التخلص من المقطع المغلق الثقيل غير المنبور^(٢) .

وقد قيل إن القراءة القرآنية متأثرة بلهجة قيس^(٣) (ابن جني ، المحتسب ، ص ٢٠) ، ومن المحتمل جداً أن تكون أولاء قد ظهرت في تلك المنطقة ومن ثم تسربت إلى الفصحى . وقد رأينا في منطقة قيس (فزارة) أنهم قد احتفظوا في الوقف بـ : -ai- ي في نهاية الكلمة ولكنهم في الوصل قصروها إلى -ê- بالإمالة ، ومن المحتمل جداً أن يكون التقصير بالإمالة قد حصل قبل همزة الوصل (الفصل ١٠ - فقرة cc) منذ وقوع أولي في العربية قبل أداة التعريف أي قبل همزة الوصل في العادة ، ومن المحتمل أن تكون الصيغة المستعملة في ذلك الموقع قد انتشرت في كل المواقع ، وإن أولي تلك قد أصبحت أولاء وليس أولي ؛ ربما لظهورها في جزء من منطقة قيس وليس في فزارة ، وأن -ي- -ai- تلك عوملت بشكل مختلف أو بشكل مختصر ، وقد أصبح النبر العالي ممكناً على امتداد تلك اللهجات^(٤) . بعض لهجات قيس قد يقال فيها أولي المناظرة لأولي التي عزاها ابن عقيل إلى لهجة تميم . ومن المحتمل جداً أن تكون أولي قد استعملت في بعض اللهجات الشرقية ، كما يقول ابن عقيل ولا يبدو أنها تكررت في الشعر بصورة خاصة ، في تلك المنطقة .

لا بد أن أولي تتحول في الحجاز إلى أولاً قبل همزة الوصل (في الفصل ١٠ - bb) وكذلك (GQ,iii,36) وهنا كما في لهجات وسط الجزيرة توزعت تلك الصيغة إلى حالات حيث لا تتبعها همزة الوصل كما في : ها أنتم أولاً (ء) تحبونهم في الآية ١١٩ / آل

(١) في الآية ١٦ من سورة البقرة : ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم...﴾ الآية .

(٢) والهمزة بالطبع همزة بين بين (فصل ١١ - y) ، ومثل هذه الهمزة التي تتبادل الإعلال معها الواو والياء ليست

منتظمة في العربية الفصحى مثل : قؤول (الجر ق و ل) ، وقائم (انظر الفصل ١١ - kk) .

(٣) وعلى وجه الدقة قبيلة غني ، هذه اللهجة التي يكثر فيها استبدال الأفعال الجوفاء بالواو والياء بالأفعال

المهموزة الوسط ، ولا بد أن تكون هذه العملية قد بدأت في الماضي الثلاثي والخبر كله لا يلزم عنه التعميم

بناء على تلك الصيغة ويسمى القراء (في اللسان ١٠ / ١) هذه الهمزة همزة التوهم .

(٤) وقيل إن في لهجة عقيل يقال هاؤلأئن (لين ص ٩٤٧ ب) وقد يكون هذا من قبيل محاولة أخرى لإيجاد

صيغة أخرى تقع قبل صامت وقبل همزة الوصل أيضاً .

عمران^(١)، وفي أولاً (ء) على أثري في الآية ٨٤/ سورة طه^(٢)، وكان من السهل جداً على القراء المسلمين أن يضموا أولاً إلى العربية الفصحى بزيادة الهمزة عليها^(٣).

وهناك دلالة أخرى لقراءة الرسم القرآني أولاً وليست أولاً وما ذلك إلا لأنها قد شاع رسمها في القرآن بإشباع الضمة^(٤)، إن إشباع المقطع الأول كما قال الأستراباذي^(٥) (شرح الكافية ١٣/٢) هو من قبيل التنوع المسموح به، وأما الزمخشري (المفصل ص ٥٦) فلم يُشر إلى تقصير أو تطويل فيها. إن الضمة في الشعر غالباً ما يكون قصرها متفاوتاً، حتى مع الحجازي عمر (شوارتز، عمر، ١٢٠/٤). إن طول الضمة أو قصرها ليس مجرد تنوع طارئ، ولكن الضمة الطويلة تمثل البديل المصطنع للام المشددة أو الثقيلة في اللغات الشقيقة للعربية. إن أولى الشرقية والحجازية يُتَبَر، طبعاً، مقطعيها الأول ولكن النبر في أولاً يعتمد على طول الألف وعلى تقصير المقطع الأول كما في: قتال في قيتال (انظر: بروكلمان في: (GVG, i, 76).

إن الضمة الطويلة في أولاً (wright, i, 265 B) بما احتفظ بها في القرآن، ولا بد أن تمثل النطق الحقيقي الواقعي فيه أي أولى في أولى^(٦). وصيغة أخرى من السامية الأم وهي اللّئي^(٧) التي استعملت في الحجاز اسم موصول، انظر فقرة التالية التي يمكن أن تعزز ما نذهب إليه عن الصيغة القديمة أولاً من أن أولئك في النسخ القرآنية المعتمدة قد اختلفت كتابتها دون الألف، باتّساق يرشح بقوة أنها كانت تُنطق أَلَيْك، في المخطوطات المسيحية القديمة حيث تشير الألف في العادة إلى الفتحة الطويلة، وهذه الكلمة غالباً ما تكتب دون ألف^(٨)، (انظر: Graf- sprachgebrauch, p. 16).

h - ٨ - يزعم الأشموني (١٢٠/١) أن «ذلك» تستعمل في لهجة الحجاز للإشارة إلى البعيد بينما تميم تستعمل «ذاك». وهذا الأمر مبني بجلاء على أنه لا يوجد في القرآن سوى ذلك، ولكن لا يبدو الأمر صحيحاً... إن جملة من الاقتباسات

(١) في قوله تعالى: ﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم...﴾ الآية. (المترجم)

(٢) في قوله تعالى: ﴿قال هم أولاء على أثري...﴾ الآية (المترجم)

(٣) لتصبح أولاً. (المترجم)

(٤) أي لم تكتب: ألا وإنما أولاً أي أشبعت ضمة الهمزة. (المترجم)

(٥) وما جاء في الكافية ٣١/٢-٣٢ هو «وربما تشيع الضمة قبل اللام نحو أولاً». (المترجم)

(٦) ربما يقصد اسم الموصول المستعمل في العاميات العربية المعاصرة وهو: اللّئي بمعنى الذي. (المترجم)

(٧) أي أولئك وليس أولاًئك (المترجم)

لـ«ذاك» التي قام بجمعها ركندورف (Syntakt, Verhältn, p.414-6) قد جاءت من الغربيين^(١) ووردت كذلك في بيت من الشعر يفترض أنه من لهجة طيء (انظر الفصل ٤ ، فقرة ٤ ، الاقتباس الثاني)^(٢) . والأشموني نفسه (١٢٢/١) يعد «هنالك» حجازية بعكس الأكثر منها شيوعاً «هنالك» معتمداً كذلك على القرآن .

i- ٩ - من الدليل الذي نمتلكه يمكن الاستنتاج أن لهجة الحجاز لم تستعمل «ذي وذو» الغربيتين اسمي موصول للمفرد (فصل ٤ ، فقرة aa ، و ٧/١٤) ولكنها استعملت «الذي» العربية الفصيحة كلهجة هذيل (فصل ٨- y) وجمع المؤنث يستعمل القرآن صيغة واحدة تكتب «والثي» (GQ, iii, 32) وتقرأ «اللائي» بدلاً من الصيغ المختلفة^(٣) التي تظهر في الشعر ؛ وهذا يناظر اللائي أو اللئي (فصل ١١ ، فقرة dd) وهي التي قرأ بها أبو عمرو البصري ومن البزّي^(٤) رواية ابن كثير المكي ويثبت أبو عمرو (ت ١٥٤هـ / ٧٧١م) أن هذه هي الطريقة التي تنطق بها قريش هذه الكلمة ، وقرأ ورش رواية نافع المدني : اللائي في الآية ٤ / من سورة الطلاق^(٥) ، بالضبط في التقاطع بين الصيغة الحجازية ونطق ما هو مكتوب (كل ذلك عن الأستراباذي ، شرح الكافية ٤١/٢)^(٦) ، ليس التأنيث أصيلاً في الصيغة ؛ ويبدو أنها استخدمت للمذكر أيضاً وقرأ الأخفش^(٧) النحوي السوري (ت ١٩٢هـ - ٤٠٩م) رواية ابن عامر

(١) أي من عرب غرب الجزيرة . (المترجم)

(٢) يقصد بيت الشعر الذي يروي لبجير بن غنمة أو غنمة الطائي وهو :

ذاك خليلي وذو يعاتبني يرمي ورائي بامسهم واشسلمه (المترجم)

(٣) يقصد مثل : اللاتي ، اللواتي ... الخ (المترجم)

(٤) البزّي هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة ، المؤذن المكي توفي سنة ٢٥٠هـ ، وهو أحد راويي ابن

كثير ، والثاني قنبل . (المترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى : ﴿واللاتي يشسن من المحيض ...﴾ الآية . (المترجم)

(٦) حيث جاء فيها عن قراءة ورش : «وقد تُسهّل الهمزة من اللاء بين الهمزة والياء لكونها مكسورة على ما هو

قراءة ورش . (المترجم)

وروش هو عثمان بن سعيد المصري توفي بمكة سنة ١٩٧هـ وهو راوٍ ثانٍ لنافع مع قالون . (المترجم)

(٧) هو أبو عبد الله هارون بن موسى الأخفش الذي أخذ عنه ابن ذكوان قراءة ابن عامر وقد جاء في شرح الكافية

في هذه القراءة ٤١/٢ : «ويحذف النون فيقال اللائي بهمزها بعد ياء ساكنة نحو القاضي وهو قليل في

المذكر ، قرأ الأخفش (واللائي يؤلون من نسائهم ...» الآية ٢٢٦ / من سورة البقرة . (المترجم)

الدمشقي في الآية ٢٢٦/ البقرة : واللائي يؤلون في : الذين يؤلون . وهذه اللائي أو اللّئي ، مع ذلك ، ليست إلا اسم إشارة : اللّئي المستعملة اسم موصول وهذه اللاؤون ، التي تُعزى - ويحتمل أن يكون صحيحاً - إلى لهجة هذيل (انظر فصل ٨ - فقرة 2) قد تكون مرحلة في تحوّل اللهجات العربية الغربية الوسطى من اللّئي إلى الذين . وهناك خطوة أخرى في التحوّل نفسه (ليس بالضرورة العربية الغربية) يُمكن أن تلاحظ في : اللّئي ، الـ ألّاء إلى الصيغة نفسها^(١) ، المستعملة غالباً في الشعر خاصة . (بروكلمان ، GVG, I, 324) وقد زيدت أل التعريف لأنها تُشعر بأنّ أل هي الجزء الأول من الذي ، ويظهر لي دائماً أن ال في الذي بمثابة أداة التعريف ؛ ومع ذلك فهو رأي كل من : بارث-Pro nom (inalbildung, p.157) وركندورف (Syntakt, Verhältn, p.601) وقد وجد كلاهما صعوبة في أن يأخذا في الحسبان العنصر لـ . ويبدو لي أنه لا يمكن فصل الذي عن هلالزه hallazeh العبرية ، واللّزیه ellazih الأمهرية^(٢) . والأخيرة من الواضح أنها إلّ= اللّئي يضاف إليها ذيك ، إن الصيغ المفردة والجمع في أسماء الإشارة موحدة كما في العامية العربية : هاذول=هاذ- أولاً . ويبدو في وقت ما من تاريخ العربية أنّ اللّئي - ullai قد استعملت أيضاً صلة موصول للمفرد . إن اللّئي الشائعة في العامية أنها قد أخذت^(٣) منها مباشرة^(٤) .

واعتماداً على النحاة يمكن أن تستعمل اللّاء (اللّو- فصل ١١ ، فقرة ee) للمفرد في العربية الفصحى ، وفيما بعد اتخذت اللّئي مرادفة للذي ، ويمكن أن يكون السبب (مع تعريفها بـأل) أنّ اللّئي قد حصل فيها حذف بعد تحريك نهاية الكلمات : للئي - llai ، لّلّ la ،

(١) يقصد الذين . (المترجم)

(٢) وهو أمر لا يحتاج إلى برهان فهذه لغات كانت في بادئ الأمر لهجات سامية ولكنها مع طول الأيام والابتعاد أطلق عليها لغات ؛ لما حصل فيها من تطوّر أبعد قليلاً عن السامية الأم من ناحية وفرّق بينها وبين أخواتها الأخريات وميّزها ولكن ليس إلى درجة القطيعة فبقيت تستعمل ألفاظ العدد والقراءة والضمائر وأسماء الموصول والإشارة ولكن بتحريف صوتي يتناسب مع كل منها على حده فلا غرابة أن يقابل : الذي في العربية : وهلالزه العبرية واللّزیه الأمهرية ، والربط الصوتي بينها واضح فأصلها واحد قد يكون الذي أو واحدة من الآخرين . (المترجم)

(٣) أي إن اللّئي قد أخذت من اللّئي . (المترجم)

(٤) يعتقد بارث أن اللّئي قد انبثقت من الذي بالتأكل ولم يُستدل على مثلها في العبرية وإن فكرة بارث قد رفضت تماماً من خبراء في اللهجات مثل كامبفماير وأوسترب (بروكلمان ، GVG, I, 324).

(انظر : لَ فيما بين النهرين في العراق وله في اليمن ، بروكلمان في المرجع السابق) ، وعليه يجب أن نشعر بأن لدينا حسماً ضئيلاً جداً ، ومن الممكن أن تكون الذي قد استعملت في البداية للمفرد والجمع مثل أُلِّي (انظر : بروكلمان GVG, ii,565) ، ويمكن أن يكون استعمال الذي للمفرد والجمع في اليمن (فصل ٤- فقرة aa) .

نظراً لدخول صيغة جديدة إلى اليمن في المرحلة نفسها فإن امتداد استعمال أُلِّي في المفرد ، والتطورات الحاصلة لم تترك أثراً في لهجة الحجاز . إنَّهما يخصان اللهجات التي أقيمت عليها العربية الفصحى . إن أصل الذي في وسط الجزيرة أو شرقها يمكن أن نتبينه من الفتحة الثانية : التي نشأت عن تقصير الألف في اللهجة التي تحولت فيها a i - ي إلى أَلَف a . ونفترض أن «ذو» في الحجاز قد استخدمت في المفرد قبل وصول الذي واستعمال أَلَاي ، وأُلِّي للجمع .

k - ١٠ - عوملت الأعلام والنكرات بما على وزن فعَالٍ على أنها مبنيات في الحجاز^(١) ، بينما تعامل في شرق الجزيرة معاملة الممنوع من الصرف^(٢) (سيبويه : ٣٧/٢ ، المبرد الكامل ص ٢٦٩) باستثناء جزء قليل من بني تميم ، ومع ذلك ففي التسهيل (ورقة ٧٩- ب) لابن مالك أن المنتهي من تلك الأسماء بالراء قد عومل معاملة المبنيات في شرق الجزيرة ، أيضاً^(٣) . ويفسر الأستراباذي (شرح الكافية

(١) فيقال : هذه حذام ، ورأيت حذام ، ومررت بحذام أي مبنية على الكسر في جميع أحوالها ومنه الشاهد :

إذا قالت حَذَامُ فصدّقوها فإن القول ما قالت حَذَامُ (الترجم)

(٢) أي يعرب إعراب الممنوع من الصرف للعلمية والعَدَل ؛ فحَذَامُ من حاذمة فيقال جاءت حذام ورأيت حذام ومررت بحذام . (الترجم)

(٣) ونص الخبر في المطبوع من كتاب التسهيل ص ٢٢٣ ط دار الكاتب العربي سنة ١٩٦٨ : «فَعَالٍ غير مصروف عند تميم معدولاً علماً لمؤنث كرقاش ، وبينه الحجازيون كسراً ، ويوافقهم أكثر تميم فيما لاه راء ، واتفقوا على كسر فَعَالٍ أمراً أو مصدرأً أو حالاً أو صفة جارية مجرى الأعلام أو ملازمة للنداء . . . » فالأمر كنزَال والمصدر كحمادٍ والحال كبداد والصفة كحلاقٍ للمنتية وبأفساقٍ . . . » والملاحظ أنه لم يأت بمثال على ذوات الراء كحَضَارٍ . (الترجم)

(١) ٦٤/١ بأن «ذات الرء من هذا القسم مبنية على الكسر للوزن والعدل المقدر لحضار، وإنما قدروا العدل فيها تحصيلاً للكسر اللازم بسبب البناء إذ كسر الرء مصحح للإمالة^(٢) المطلوبة المستحسنة»، على أي حال فإن الاستثناء يبرهن على أن هذا الانعطاف في منع صرف هذه الأسماء في مشرق الجزيرة العربية إنما هو ثانوي وليس أصلاً، بالرغم من مشابهة هذه الأسماء لأسماء أفعال الأمر مثل: نَزَال، ووجدنا من الصعوبة إثبات أنها أفعال أمر أصلية (انظر: بروكلمان، GVG، i, 345) ولا نستطيع كذلك كما يقترح بروكلمان أن نسوي بينها وبين صفة التأنيث فَعَال^(٣) في العربية والحبشية؛ لأن هذه الأخيرة لها إعراب عادي، وأن هناك تنوعاً واضحاً في هذه الصيغة فقد تأتي اسماً أو كنية ولقباً للرجال والنساء والأماكن ذكوراً وإناثاً (الاستراباذي، الكافية ٧٨/٤)^(٤)، وقد جمع فولرز، ZASS (xxii, 223) قائمة من هذه الصيغة أسماء لأماكن معظمها في اليمن وما جاورها. وما هو جدير بالإشارة إليه أن العرب تعد فَعَال مؤنث فَعَال (انظر الفصل الرابع-فقرة ٥) والصيغة الأخيرة عندما تستعمل في الأعلام تمنع من الصرف كأسماء

(١) نقلته بنصه من شرح الكافية ٦١/٤ لأن المؤلف اقتبسه عندما اختصره ففقد التوضيح الذي أرادَه الاستراباذي وفي مكان آخر من شرح الكافية ٧٩/٢ نقراً كلاماً أوضح في التعليل: «أما مذهب الأكثر من بني تميم وفصحائهم فإنهم يمنعون صرف الأعلام الشخصية إلا ما كان آخره راء نحو: حضار، فإنهم يبنونه... وغرض تخصيص البناء بلدي الرء قصد الإمالة إذ هي مستحسن والمصحح للإمالة ههنا كسرة الرء، وهي لا تحصل إلا بتقدير علة البناء؛ لأنه إذا أعرب ومنع الصرف لم يكسر وإذا بُني كسر دائماً. (المترجم)

(٢) إن فونيم الرء غالباً ما يعزل تماماً في النظام الفونولوجي العربي (كانتينو BSL.xliii, 122) وقد يشير هذا ولو جزئياً إلى مميزات الرء الصوتية خاصة تحملها للتنوع الكلي وهو ما يتضح في ظاهرة الوقف (انظر أيضاً:

(Pretzl, Islamica, vi, 323)

(٣) مثل نَوَار أو النَوَار وهي المرأة التي تنفر من الرية والعَوَان هي من البقر في منتصف عمرها. وهذه أسماء تعرب إعراباً عادياً فيقال جاءت نَوَار ورأيتُ نَوَارَ ومررت بنَوَارٍ بينما حَذَام مثلاً تظل كذلك وتعرب اسم فعل أمر وليست فعل أمر. (المترجم)

(٤) وما جاء في الكافية ٧٦/٢-٨٠: قَجَارٍ للفاجرة، يَأْكَاع (يا لكعاء)- وهما من الصفات المؤنثة وقَتَام اسم جنس للضبغ وحضار اسم كوكب وظفار اسم مدينة وحَذَام وبهَانٍ وسجَاح أسماء لأعلام مؤنثة. (المترجم)

الأعلام الأجنبية الأصل ولم تعد أعلاماً عربية ، ولكنها معدولة عن اسم الفاعل فاعل^(١) ، وإذا أضفنا إلى ذلك ظهور فُعال في فَعِيل في العربية اليمنية (فصل ٤- فقرة ٥) مع حقيقة أن فَعَالِي تظهر في الحبشة كاسم فاعل للمذكر ولا نستطيع أن نغفل أمراً مفاده أن فَعَالِي كانت صيغة يمانية أو بالأحرى أصلها عربي جنوبي وأنها تشبه الصيغة الحبشية فَعَالِي مع تقصير الصائت الأخير^(٢) بناء على ما جاء في الفصل ١٠- فقرة ii وما تعوزه الحماسة إلى حد ما تخصيص فَعَالٍ بصفة التأنيث إذ يمكن أن نرده إلى تأثير صيغة التأنيث فَعَال .

١١ - يخبرنا سيبويه (٣٩/٢) أن لهجة الحجاز تعامل أَمَسٍ معاملة الأداة^(٣) المبنية ، في حين أنها تُعرب في لهجات شرق الجزيرة ، وهو ما ورد في الشاهد : مذ أَمَس^(٤) . بالرغم من تواتر الأخبار عن النحاة على العكس فإن الجوهري (الصحاح : ٤٤٠/١) مُحَقِّقٌ بلا شك في قوله إن العرب جميعاً يعربون الكلمة حين تستعمل اسماً بكامل قوته^(٥) . وإن تيمماً لم تستعمل أَمَساً المنصوبة ، مع أن بعضهم عاملها ممنوعة من الصرف (ابن مالك ، التسهيل ورقة ٣٨- a) ، وعَقِيلٌ تصرفها إذا كانت اسماً (أبو زيد ، اللسان ٣٤٠/٢- ٣٤١) وبعض العرب تستعمل أَمَسَ في أَمَسٍ (ابن هشام في التاج ٩٧/٢) . ولا تسعفنا اللغات الشقيقة للعربية حيال الحركة في آخر الكلمات خاصة ويبدو أن الكلمة قد استعملت في أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية بنهايات ظرفية مختلفة .

m- ١٢ - وهناك احتمال ما على الأقل في لهجة مكة (أعني منطقة تهامة والحجاز) بأن

(١) أي حَذَام من حاذم وفَسَاق من فاسق ... الخ . (الترجم)

(٢) أي فَعَالِي : صارت فَعَالٍ . (الترجم)

(٣) الأولى هنا أن يقال : الظرف المبني وليس الأداة كما ذكر المؤلف وهي عندهم مبنية على الكسر وفي لهجة تميم

تعرب كما ذكر ولكنهم ينعونها من الصرف . (الترجم)

(٤) ربما يقصد الشاهد الذي ورد في الفصل ص ٣٧١ ط٢- دار الجليل - بيروت :

لقد رأيت عجباً مذ أَمَساً عجاظراً مثل السعالى خمساً

على أن أَمَسٍ مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعذل وليست مبنية على الفتح . (الترجم)

(٥) أي لم تستعمل ظرفاً وربما يقصد إذا كانت معرفة بدخول أل عليها أو جُمِعت أو صُعُرت أو أُضيفت أو نُكُرت .

(الترجم)

المثنى له صورة واحدة في الرفع وغيره من الحالات كما في شمال اليمين (انظر : فصل ٧ ، فقرة ٢٠١٠ بعدها) وهو ما ارتآه ابن هشام بتردد (في المغني ٣٧/١)^(١) على أنه حل للقراءة القرآنية المختلف عليها : «إن هذان لساحران» (الآية ٦٣/ سورة طه) . والصورة الأخرى الصحيحة للمثنى بالياء- يُن قد استعملت في جميع مواطنها في القرآن ، موافقاً لمستوى الفصحى ، في هذه الآية يظهر شذوذ لهجة أخرى حيث الجملة الاسمية المصدرة بـ«إن» يجب أن يُنصب فيها المبتدأ (انظر فصل ٣١- فقرة ٣١٠) الصورة الصحيحة للجملة يجب أن تكون إن هذين لساحران . الصورة اللهجية للجملة يجب أن تكون إن هذان لساحران والصورة البديلة المجردة من اللغة الأدبية المقابلة للصيغة اللهجية يجب أن تكون : إن هذين لساحرين ، وهي غير صحيحة البتة ، والحجازي الذي يرغب في أن يكون كلامه صحيحاً عليه أن يعقل وجوب عدم تغيير- إن (الألف والنون) إلى- يُن (الياء والنون) في الكلمة الثانية وخلال عملية نفسية معلومة لدى كل من يتعلم لغة أجنبية سيدرك أن صاحب هذه القراءة قد جاوز الحد القياسي وأمسك عن القيام بعملية الضبط مسبقاً في الكلمة الأولى^(٢) مما يضطر إلى تنقيح لهجي لا شائبة فيه ، إن عزو هذه القراءة غير القياسية بالألف والنون إلى اللهجة لا يستند إلى هذا الاستدلال فقط ، (في البخاري باب الأذان ، ١٤٥ ط كُرل) : «إن رجلي لا تحملاني» ولكن أبا الوقت^(٣) الذي يتمسك في العادة بالصحة النحوية وابن عساكر قرءا : «إن رجلاي» (القسطلاني ٦٢١/٢) وفي حديث آخر يستشهد به الأستراباذي هو قول الرسول [ﷺ] : «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه» (شرح الكافية ٢٧/٢)^(٤) ، وبما أن خبر كان

(١) حيث جاء فيه : «قيل : جاءت على لغة بلحارث بن كعب في إجراء المثنى بالألف دائماً كقوله :

إن أباه وأبا أباه قد بلغا في المجد غايتها (المرجم)

(٢) أي لم تقرأ : «إن هذين لساحران» .

(٣) هو الشيخ الزاهد المحدث عبدالأول بن الشيخ المحدث عيسى بن شعيب السجزي الهروي توفي ببغداد سنة

٥٥٣هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٣٠٣/٢٠ . الكامل في التاريخ ٤٣٦/٩ .

(٤) نقلت ما جاء في الكافية بنصه . (المرجم)

منصوب نتوقع أن يكون اللذان بالنصب أي «الذين»^(١) .

ويستشهد الأشموني (٧١/١) بحديث «لا وتران في ليلة واحدة» (مسند ابن حنبل ٢٣/٤ - سطر ٢١) ، ويقتضي أن يكون ما بعد لا النافية للجنس منصوباً^(٢) .

n- ١٣ - في لهجة خزاعة «لِكَ» الخ بدلاً من «لَكَ» ، (ابن مالك في التسهيل ورقة ٦٥-

ط) واعتماداً على اللحياني (اقتباس الرافعي ، التاريخ ١/١٤٤) فقد استعملت

اللهجات الأخرى الصيغة نفسها . ومن المحتمل أن «ل» الشائعة في العربية قبل

الأسماء قد استبدلت من «لَ» بتأثير «بِ» (بروكلمان في : GVG, i, 495) في

بعض اللهجات العربية الغربية أثر القياس في بقية الأمثلة وما هو فاش في لهجات

قضاة قولهم له وكذلك به ، مما يعني انقلاباً كاملاً لكلا الحرفين^(٣) (الكسائي ،

ابن جني في الخصائص ١/٣٥٩ ، ٤١١) و«بَ» قبل اللواحق تقع عقب تطورات

معينة في اللهجات البدوية والحضرية السورية (كانتينو Parlers, p. 208 أي في

منطقة قضاة القديمة . ومن المحتمل إلى حد ما أن «ل» و«بَ» قد تغيرت أماكنهما ؛

وتبدو عبارة الكسائي وكأنها تحريفٌ مازح يجري بين قبائل متجاورة والحقيقة قد

تكون في أن قضاة قد قالت به أو أن الأذاتين قد تبادلتا التماثل في تصريفهما ،

كما في العبرية (Bauer-Leander, Histor, Gramm. p. 636)

o- ١٤ - يقرر ابن دريد (في الاشتقاق ، ص ٤٠) أن أهل الحجاز على عكس القاعدة ،

wright, (i, 58 C) يشتقون من «فَضِلَ» المضارع يُفَضِّلُ ، والحالة الأخرى الوحيدة

التي يذكرها من هذا هي حَضَرَ يحضُرُ^(٤) ، ولم يُشِرْ بوضوح إلى أنها حجازية .

وفي الواقع إن هناك أفعالاً كثيرة من هذا النوع (انظر : Wright, loc, cit, Brock-

(١) يظهر أنه قد فات المؤلف أن «هما» ضمير الفصل وإن قواعد النحو تسمح أن يُرفع ما بعده على أنه خبر لضمير

الفصل ، على أن ضمير الفصل وخبره في محل نصب خبر كان ، إضافة إلى الصورة الأخرى القياسية وهي

النصب بعد ضمير الفصل . (المترجم)

(٢) أي « لا وترين في ليلة واحدة» مع الأخذ بعين الاعتبار ما يقوله البصريون من أن وترين مبني على الياء لأنه

مثنى في محل نصب إذا كان اسمٌ لا مفرداً ويجوز الكوفيون إعرابه : اسم لا منصوب . (المترجم)

(٣) يقصد أن الأصل أن يقال : له وبه أي فتح اللام وكسر الباء . (المترجم)

(٤) وعبارة ابن دريد في الاشتقاق ٦٤ ، تحقيق هارون هي : «أهل الحجاز يقولون : فَضِل الرجل يَفْضُلُ وهي شاذة

لم يجئ لها نظير إلا حَضِر يحضُر» . (المترجم)

elmann, GVG, i, 546 ومن أجل أسباب أخرى ذات طبيعة صوتية ، (انظر G.R.).

Driver: Problems of the Hebrew verbal system, p.64.

ويشير (السمعاني) من هذه العائلة عدة علماء أشهرهم أبو سعد عبد الكريم بن محمد تاج الإسلام صاحب كتاب الأنساب (توفي ٤٨٩ / ١٠٩٦) إلى عبارة لأحد النحاة القدماء إلى أن الصحيح في المضارع من أي فعل على وزن فَعِلَ يكون على يَفْعِلُ أو يَفْعُلُ ويعزز هذا ما سمعه بنفسه من مثل هذه الصيغ من بدو اليمن والحجاز (الأنباري ، نزهة الألباء ، ص ٤٥٩) . ولم يكن في استطاعتي التأكد إذا كان مثل هذه الصيغ ما زال استعماله جارياً في تلك المنطقة ، وربما يكون الغياب الكامل للقواعد التي تحكم حركة المضارع في العربية المغربية (بروكلمان في : GVG, i, 547) توجب ربط هذا الأمر بالهجرة التي لا حدود لها لبُدو الحجاز وبدو غرب نجد إلى المغرب ، بعد زمن من السمعاني بوقت قصير . علي أي حال ، يبدو أن هناك نزعة قد بدأت في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي في منطقة غرب الجزيرة تطوّرت كلياً في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، حتى بلغت شأواً كبيراً في السامية الشمالية (الشرقية والغربية) في وقت مبكر جداً .

p-١٥ - يفتح حرف المضارعة في الحجاز وهي القضية التي أشبعت مناقشة في الفصل السادس - فقرة i ، ويمكننا أن نضيف هنا اعتماداً على سيبويه (٢/٢٢٩) ، وابن هشام (بانت سعاد ، ص ٩٧) والأسترباذي (شرح الكافية ٢/٢٢٩) ، أن الحجاز هي المنطقة الوحيدة التي لم يكسر حرف المضارعة فيها وعبرة أبي عمرو^(١) (في الفصل والفقرة السابقين) هي الأقرب إلى الحقيقة .

ولم يرد في القراءات القرآنية الصحيحة إلا فتح حرف المضارعة وظهر في بعض القراءات الشاذة كسر حرف المضارعة (جمعها فولرز في Volkssprache, p. 129) واللافت للنظر في هذه أنها تظهر في مجموعات ، وعليه فإنّ عدداً من القراءات الشاذة تعطي خبراً كاملاً عن لهجة تميم ففي الآية ٣٥ من سورة البقرة : ﴿ لَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ . وفي الآية ١١٣ من سورة هود حيث توجد في آية واحدة تلتلتان : ﴿ لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾

(١) يقصد تعليقه لفتح حرف المضارعة إذا كان ياء ، فإنهم يستثقلون الكسرة مع الياء إذا كانت حرف مضارعة .

(الترجم)

فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ... ﴿٢٠﴾ (*) .

q-١٦ - الأفعال اللازمة التي تبدأ بالواو، تفتح ياء المضارعة قبل هذه الواو في اللهجة الحجازية في مثل: يُوَجِّلُ، وَيُوجِّعُ. وفي لهجة تميم تكسر ياء المضارعة وتتشابه معها الواو أي تمتصها الياء في نحو: يَبْجَلُ وَيَبْجَعُ. في إحدى لهجات قيس (وهي من اللهجات الغربية ولا تلتلث فيها) استعملت صيغة طالت فيها الفتحة، وكأنها من الأفعال المهموزة الفاء مثل: يا جَلْ، يا جَع (سيبويه ٦٧٢/٢، والأباري في المفضليات ص ٥٤٠، والجمهرة ١٠٥/٢). ويظهر مثال لهجة قيس: يالغان في شعر الحجازي ابن قيس الرقيات (٢٩/٦١)^(١) وفي لتاجل في لتوجل في الآية ٥٣ من سورة الحجر^(٢).

في بيت من الشعر لشاعر تميمي (النقائض ١/١٦٨- البيت ٧): فيبيجع، وربما تكون هذه صيغة مختلطة. وهناك قراءة أخرى للآية السابقة نفسها: لا تُوجَل وبعضهم قرأ يولغان في بيت من الشعر لابن قيس [الرقيات]. ومثل هذه الأمثلة شاع استعمالها في العاميات بكسر حرف المضارعة وفتحها^(٣). والضممة في تلك الصيغ نادراً ما تكون تقصيراً لـ: و^(٤)، وظهرت في لهجات شرقية أخرى غير تميم، حيث يُوَجِّل تصبح يُوجَل؛ تطابقاً مع ما سيأتي في فصل t، وإن أمثلة قيس بالألف شاعت ثانية في المضارع بصورتيه [كسر أوله وفتحها] وتسمع حالياً في مالطا والعراق، وعلى امتداد نجد (Brock- elmann, GVG, i, 599).

(*) لم يتكلم ابن جني على الآية الأولى (٣٥/البقر)، وتكلم على القلقل الثانية (فيتمسكم) في الآية الثانية (المحتسب ٣٣٠/١) فقال هي «قراءة يحيى والأعمش وطلحة بخلاف، ورواه إسحاق الأزرق عن حمزة (الآية)، ثم يقول: «هذه لغة تميم أن تكسر أول مضارع ما ثاني ماضيه مكسور، نحو: «لَمْتُ، تَعْلَمُ...»

(١) ويُعزى أيضاً لشاعر طيء أبي زيد (انظر كوفلر 128, xlvi, WZKM).

(٢) في قوله تعالى: «قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ» (الترجم)

(٣) إن إعلال الواو (بالقلب) إذا كانت فاء في المضارع، في العاميات أمر معقد وقد تكرر استعمال صيغ عدة جنباً إلى جنب محلياً. (كانتينو، حوران، ص ٢٣٤) وقد تكون بعض اللهجات في الجزيرة العربية قديماً قد اشتركت في إخراج بعض الصيغ.

(٤) وأما حالات تحول و إلى ضمة طويلة نادراً ما تحدث في غير المغرب، (بروكلمان: GVG, i, 19). وينسب ابن مالك (في التسهيل وجه ٨٠١- ب) تغيير أو إلى و كما في أولاد إلى أولاد إلى تميم ولا أثر لهذا في الحالة التي نحن بصدها كما نقول دائماً: إِبْجَل في إَوْجَل.

r- ١٧ - في التصريف الثامن^(١) من الأفعال التي تبدأ بالواو يحصل لهذه الواو في العربية القياسية بمائلة مع التاء كما في : أتزر ويتزر ويحصل في لهجة الحجاز تطويل لحركة السوابق^(٢) فيقال : أتزر ، يأتزر ، موتزر (المبرد ، الكامل ، ص ١٠٠) ، يأتزن ، يا تُعدون (ابن جني ، الخصائص ١/٤١٤) . وأمثلة التصريف الثامن من هذا النوع نادرة جداً في القرآن ، وإن الأمثلة التي تعرض تضعيفاً للتاء نحو : اتسق (الآية ١٨ - سورة الانشقاق)^(٣) ، واتقى تتكرر دائماً . ويحسن المرء أن هذه الأمثلة التي حصل فيها تطويل في التصريفين الثامن والأول (يا جُل وما يماثلها) ، لا تُعدّ ملائمة في الاستعمال الأدبي ، والكل يمكن أن يكون جزءاً من الخلط الذي ظهر في هذه اللهجة بين الجذور التي فاؤها همزة وتلك التي فاؤها واو (انظر الفصل ١١ - فقرة ff).

للمناقشة الماضي اللازم الأجوف الواوي أو اليائي انظر فصل ١٠ - فقرة لاوما بعدها .

q- ١٨ - ففي اللهجة الحجازية أيضاً : متنا في متنا (أبو عبيد ، الرسالة ، ص ١٥٥) ومعظم القراء يتبعون الاستعمال الحجازي . فمت غالباً تُقرأ في جميع المواطن عند حفص عن عاصم (المصحف المصري الملكي) . وفي الآية ٢٣ من سورة مريم^(٤) ، قرأ «مت» ابن كثير المكي وابن عامر الدمشقي وأبو بكر^(٥) ، وهم الذين يمثلون في العادة الكلام الحجازي . ولا يورد البيضاوي أية اختلافات في الأمثلة المكسورة في الآية ٣٤ - من سورة الأنبياء^(٦) ، وفي الآية ٨٢ - من سورة «المؤمنون»^(٧) ، وكذلك الآية ٣٥^(٨) منها . والمثالان الوحيدان بالضمّة في قراءة حفص هما في ظهور مُثم في آيتين متواليتين (في الآيتين : ١٥٧ ، ١٥٨ من سورة آل عمران)^(٩) ، ومثال آخر من شواذ اللهجة الشرقية يأتي في دُفعات^(١٠) (انظر الفقرة p

(١) على وزن افتعل . (المترجم)

(٢) كحروف المضارعة وميم اسم الفاعل - الخ . (المترجم)

(٣) قوله تعالى : ﴿والقمر إذا اتسق﴾ . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : ﴿فأجأها الخاض إلى جذع النخلة ، قالت يا ليتني مت قبل هذا...﴾ الآية . (المترجم)

(٥) هو شعبة بن عياش الكوفي أحد راويي عاصم . (المترجم)

(٦) قوله تعالى : ﴿... أفأن مت فهم الخالدون﴾ . (المترجم)

(٧) ﴿قالوا إذا متنا...﴾ الآية . (المترجم)

(٨) قوله تعالى : ﴿أبعدكم أنكم إذا متم...﴾ الآية . (المترجم)

(٩) في قوله تعالى : ﴿ولئن قُتلتم في سبيل الله أو متّم لمغفرة من الله...﴾ الآية ١٧٥ . (المترجم)

في قوله تعالى : ﴿ولئن متّم أو قُتلتم لآلى الله تحشون﴾ الآية ١٥٨ . (المترجم) انظر ص ٢٢٩

(١٠) أي لا يأتي المثال مرة واحدة ، وإنما المثال نفسه يذكر عدة مرات . (المترجم)

أنفأ) . في هذه الحالة الخاصة قد تأتي الضمة أيضا من أجل الانسجام الصوتي الذي تخلو منه اللهجة الحجازية كما رأينا (انظر الفصل ١٠ - فقرة ٢٠ وما بعدها) . والمثال الحجازي يحمله هنا نافع المدني وحمزة الكوفي ، والكسائي .

t- ١٩ - إن صيغ الماضي المبني للمجهول من الأجوف الواوي وما يسبق الواو من صوائت ثلاث صور من قبل العربية القياسية : هي سَيْطٌ في الحجاز وَسُوطٌ (كسرة بإشمام الضمة) في لهجات قيس وجزء من أسد ، وَسُوطٌ في لهجات تميم وفَقْعَسٌ ودَبَرُ المعدودتين ضمن فصحاء بني أسد (ابن هشام^(١) ، بانت سعاد ص ٦٩)^(٢) .

والفراء (اللسان ٩٢/١٤) هو الوحيد الذي يقول إن قبيلة أسد قالت : قِيلَ أو قَوْلَ في المبني للمجهول وفي القرآن في كل حالات الماضي الأجوف الواوي المبني للمجهول خُطت بالياء (قِيلَ ، غِيضَ في الآية ٤٤ / من سورة هود^(٣) ، وَسِيءٌ في الآية ٧٧ / من سورة هود^(٤)) ، ولا يسجل البيضاوي اختلافات . وقرأ الكسائي الكوفي كل الحالات بإشمام الضمة كسرة، (GQ 198، iii) وقد أسقطت اللغة الفصحى الصيغ التي يحصل فيها إشمام الضمة كسرة ، ولكن بالرسم الحجازي وفي أفواه الشرقيين والغربيين من أهل الجزيرة ، الذين ليس في لغتهم ضمة

(١) والنص كما جاء في شرح بانت سعاد لابن هشام ص ٨٠-٨١ تحقيق د . محمد الصباح : «ويجوز في أول سيط وشيط ونحوهما من فعل المفعول الثلاثي المعتل إخراج الكسر وهو لغة قريش ومن جاورهم وإشمام الكسر الضم وهو لغة كثير من قيس وأكثر بني أسد وإخلاء الضم وهو لغة بعض تميم وجميع فَقْعَسٌ ودَبَرٌ وهما من فصحاء بني أسد» وهناك فروق بسيطة لكنها ضرورية بين ما قاله المؤلف وما جاء في النص الأصلي فالنص الإنجليزي نسب الإشمام لقيس كلها ولبعض أسد والحقيقة أنه لغة لكثير من قيس وأكثر بني أسد ونسب النص الإنجليزي كذلك إخلاء الضم لجميع تميم ولدبر وفي النص الأصلي لبعض تميم ولدبر وليس دَبَرًا . (المترجم)

(٢) يزعم كوفلر - WZKM, xlviii, 73- دون ذكر المصدر أن الضمة الخالصة كانت تستعمل في لهجات دَبَرٍ وفقّس وهذيل وضبة وبعض تميم والضمة بالإشمام عند بعض قيس وأكثر أسد ، وصيغة بُوعٌ في بيت لأحد شعراء تميم وهو رؤية كما أخبر الكسائي (شرح شواهد المغني للسيوطي ص ٢٧٧) وابن الأعرابي (ابن يعيش ص ٩٧٦) وفي الديوان بيح .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بَعْدَ الْتَقَامِ الظَّالِمِينَ﴾ . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا...﴾ الآية . (المترجم)

مشمومة بالكسرة حظي النطق الهجائي بالفوز . ولم تُعدّ الصيغ بالضمّة الخالصة من الفصحى (السيوطي ، البهجة ، ص ٤٦) . تتوافق الصيغ الحجازية مع الآرامية الإنجيلية سيم (وُضع في مكانه) ، (Ezra, iv, 19, etc) ، ومع زُرّت المحيرة «أمسقت ، أكره» في رسائل تل العمارنة (٣٤، ١٢٧) ، وتتوازي الصيغ التميمية مع اسم المفعول العبرية مُول «مختون»^(١) ، ومع شومث Sumath الآرامية الإنجيلية الشاذة (Dan, vi, 18) ، وقد رفض باور- ليندر أن تكون عبرية (Gramm, Bibl, Aram, p.145) وهكذا من الممكن أن يكون المشالان الشائعان من أصول مختلفة ، وفي هذه الحالة فإنه من الصعب ، نوعاً ما ، أن نعدّ ما كان مشموم الضمة بالكسر من المنطقة الوسطى . وعليه يجب علينا في الوقت الحاضر أن نحتفظ بوجهة النظر القديمة التي ترى أن سُوط (بإشمام الضمة بكسرة) قد تطورت عن سَيْط ، وتحولت هذه الضمة إلى كسرة طويلة في غرب الجزيرة وإلى ضمة طويلة في شرق الجزيرة . بافتراضنا هذا القانون الصوتي نمتلك توضيحاً لبعض الظواهر الأخرى (الفقرة q أنفاً ، والفقرة u تالياً) .

u - ٢١ - يأتي اسم المفعول من التصريف الأول الأجوف اليائي في لهجة الحجاز على مثال : مَدِين ، وفي لهجة تميم على مديون^(٢) ، (ابن جني ، المحتسب ، ص ٢٨ ، وفي طبعة المقتضب ص ٣ ، ٢٣ ، وابن مالك ، التسهيل ورقة ١٠٩ - p ، وابن يعيش ص ١٤١٩) . ولهجة تميم هي الشائعة في العاميات (بروكلمان في : GVG, i, 609) والمثال الوحيد من هذا النمط الذي ورد في القرآن : مَهِيل (في الآية ١٤ - من سورة المزمل)^(٣) ولا يسجل البيضاوي أي اختلاف .

ويرجع المثال الخاص بالحجاز بلا ريب إلى مَدُون (بإشمام الضمة كسرة) مَدُون-مَدِين ، بالتغيير الصوتي نفسه الذي حصل في الفقرة السابقة وربما تكون لهجات وسط الجزيرة قد احتفظت بـ : مَدُون (بإشمام الضمة كسرة) . مع أننا لم نسمعها ، والظهور المتكرر لـ مَدِين ، والأمثلة المتشابهة في نصوص العربية الفصحى يشهد بوجودها على هذه الصورة وليس من

(١) بروكلمان (GVG, I, 613) وباور- ليندر يحذّر أكثر (Hist. Gramma, p.393) يبيّنان أن هذا تقصير لـ : مَزُول ، ويبدو أنه من الأنسب أن نتناوله كاسم مفعول مائل للماضي مثل : مَيث .

(٢) وقد وجدنا بيتاً من الشعر لشاعر من غربي الجزيرة وهو عباس بن مرداس من سُلَيْم (استشهد به هُول (Howell: 4/1503) ، والبيت هو :

قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سيد مَقِين (وبروى معين) . (الترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى : «يوم ترجف الأرض والجبال ، وكانت الجبال كثيباً مهيلاً» . (الترجم) .

الضروري أن يكون النمط التميمي هو الصيغة العربية الأقدم ، ولكنها قد تكون تشكيلاً قياسياً جديداً لـ : مَدُون . ويؤكد هذه الرؤية وجود أنماط جديدة ماثلة من الأجوف الواوي مثل : مَقْوُود في مَقْوُود ، مما لم يُعزَل إلى أية لهجة ، ولكنها قد تكون في شرق الجزيرة (ابن جني ، المقتضب ، ص ٣) .

v- ٢١ - الأفعال الماضية المعتلة الآخر بالياء المتعدية المسندة لضمير الغائب المفرد المذكر تكتب كالأسماء بالألف المقصورة ، التي كما سنرى ، تمثل : ي- ai (فصل ١٠- فقرة bb) أنه ينتهي بهما ، وعندما يتصل به ضمير^(١) ، بشرط ألا يكون واوي الآخر ، ويفترض بروكلمان : (GVG, i, 619) أن كلا الفعلين ينتهي بالألف المقصورة ، وهذه الألف المقصورة مجرد مظهر لتتوافق مع صوت العلة المزدوج في الصيغ التي تتصل بها الضمائر نحو : بَنَيْت بسبب بَنَيْ ، وغزوت بسبب غزا ، وهذا التمظهر نوع من التشكيل الصوتي وأكثر من ذلك قد يجبرنا على الافتراض أن هذه ي- ai- في آخر الكلمة ، تُسَدُّ في كثير من الأحيان مسد ي ، في ضوء النهايات يجب أن نتعامل مع مثال بنى على أنه كان ينطق بَنَيْ ، أي إن إعلال الصيغ مع اللواحق قد تحول كلية إلى ضمير المفرد^(٢) . وقد كانت هذه عملية ثانوية يمكن أن تلاحظ في مثل نَبَتْ وفي مثل الصيغة المختصرة رى من رأى ، (انظر الفصل ١١- فقرة i i) ، حيث كان الاتصال بالمعتل الآخر اليائي مقطوعاً قبل أن تتطور الألف في السامية الأم إلى ي- ai- . وإنه من المحتمل جداً أن يترتب علينا أن نقرأ الصيغ السبئية (وليس المينائية) بالواو والياء في أواخر الكلمات بنفس الكيفية : تَلَوْ وَبَنَيْ وَلن الصيغة التجريدية الأقدم احتفظت بها كما في : تَلَوْ ، وبَنَيْ (Leslau, Documents (Tigrigna, p. 117) والصيغ نفسها كما في الحجازية قد تأثرت بالخط الصفوي : أَتَيْ ، بَنَيْ (Littmann, Safaiticinscr, p. xiv) ، وهنا لا تظهر الياء في الأسماء ذات التجلي الإلهي قبل- إل^(٣) ، وهو ما يشير إلى حقبة

(١) أي في مثل : قضى ، وقضَيْ (قُضِيَ) . (المترجم)

(٢) أي قلبت الألف ياء أي تحول بنى إلى بَنَيْ من أجل إسناد الضمائر إليه . (المترجم)

(٣) مثل : جبرائيل ، ميكائيل ... الخ . (المترجم)

قديمة كانت تنتهي فيه هذه الأفعال بالألف^(١) ، ويمكننا أن نعد صيغ الماضي المنتهي بـ: -ي- ai- أنها قد تطورت في حقبة مبكرة جداً من اكتمال العربية ، في غرب الجزيرة العربية وجنوبها ، والأفعال الناقصة الواوية لم تتطور بالكيفية نفسها في غرب الجزيرة العربية ، ربما بسبب ما قد تثيره غزوة من التباس بينها وبين غزوا ، وفي العربية الجنوبية فقط تكتب الأفعال الناقصة الواوية بنفس الطريقة .

w- ٢٢ - في شمال اليمن (الفصل ٧- فقرة d) وفي طيء (فصل ٤١- فقرة I) الأفعال من نمط بَقِيَ تصير بَقَى ، وبالنظر إلى وجود التغيير نفسه في العبرية يتوجب علينا أن نعد هذا من التطور الشائع في العربية الغربية ، ومع ذلك فليس هو الشائع الوحيد بالنسبة إلى العربية الغربية وحقبة اكتمال العربية كما يرينا الفعل «فني» الصفوي ، الذي يمكن قراءته فَنِي ، مع إمكانية تامة لامتلاك لهجة الحجاز في وقت واحد صيغة بَقَى^(٢) ، وهذا يوجد في نص مشهود بصحته في حديث عن ابن التين (البخاري ، المساقاة ، ٩ ، انظر القسطلاني ٢٠٢/٤) حيث يقرأ رَقَى في رقي^(٣) ، مثل هذه الصيغ ربما استعملت في منطقة ما من الحجاز .

وتوجد في الشعر الحجازي صيغ من نمط بَقِيَ ، عوملت دائماً على أنها مؤلفة من مقطعين بدلا من ثلاثة ، ولكنها تنتهي بالياء المدية (الكسرة الطويلة) (انظر فصل ١٠- فقرة II). ومنها الصيغة «أخفي» أيضاً التي قرأها حمزة ويعقوب في الآية ١٧/ سورة السجدة^(٤) ، في «أخفي» ، بينما في أماكن أخرى تضاف إليها الفتحة لتتوافق مع نحو العربية الفصحى ، وصيغة اللهجة الحجازية في هذه الحالة يمكننا تكييفها وتوجيهها لتكون فعل مضارع مبني للمعلوم للمفرد المتكلم ، وهل لدينا هنا صيغة فصحي حذفت فتحتها الأخيرة كما يحدث أحياناً في الشعر مع فتحة النصب ، والنصب بعد الياء؟ ومثل هذا الحذف يظهر في حديث (البخاري ، البيوع ، ٩٨ ، القسطلاني ١٠٠/٤) حيث قرأها الكل إلا الزاهد أباً ذر : اشتريت بقرأ وراعيتها ، وأما أبو ذر فقد قرأ : وراعيتها ، والتفسير الصوتي ، بافتراض مسبق أن صيغ

(١) يعتقد ليمان بأن الأفعال المعتلة الآخر بالياء في الصغوية كما في العبرية والمثال الوحيد هو نجى ، الفعل اللازم ويمكن أن يكون : نَجَوْ الذي صار نَجِيَ لأسباب صوتية فقط .

(٢) أي تمتلك بَقَى جنباً إلى جنب مع بَقِيَ . (الترجم)

(٣) وحالة أخرى ربما تكون في الكلمة العربية المسيحية المبكرة : غَشَى في غشي (Graf - rachgebrauch,p9)

(٤) يقصد قوله تعالى : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين...﴾ الآية . (الترجم)

العربية الفصحى هي التي أصبحت سائدة في الحجاز ، يمكن تعزيزه بحقيقة أن اسم الفاعل للمؤنث من الأفعال المعتلة الآخر بالياء في لهجة طيء : رَضَاةً (الفصل ١٤ - الفقرة i) التي تظهر في القرآن في صيغتها العربية الفصحى : راضية الخ ، (في الآية ٩ / من سورة الغاشية^(١)) ، من آيات تنتهي بكلمات أخرى على شاكلة : فَاعِلَةٌ . بقي علينا أن نعدّ بقي في الحجاز ليست مشتقة من بَقِيَ ، وإنما شُكِّلَتْ قياساً على أن بَقِيَتْ مثل بَنِيَ التي من بَنَيْتُ ، وقد يكون من قبيل التنوير أن نجدول ثانية الأمثلة المختلفة من الأفعال الناقصة في اللهجة التي تخصنا هنا :

الماضي للمفرد المتكلم : بَنَيْتُ ، بَقِيْتُ ، غَزَوْتُ

الماضي للمفرد الغائب : بَنِيَ ، بَقِيَ ، غَزَا (غزو - الفصل العاشر - فقرة r) .

المضارع : يَبْنِي (فصل ١٠ / فقرة c) ، يَبْقِي (فصل ١٠ / فقرة dd) يغزو

x - ٢٣ - بالنسبة لاسم المفعول من الأفعال الناقصة اليائية لدينا عبارة لافتة للنظر للفراء (من القرآن/ الآية ٥٥ / سورة مريم في مخطوطة نورعثمانية فقط) فإنه بدلاً من مَرَضِيَّ قيل إنها في الحجاز مَرَضُو^(٢) ، وبالرغم من ذلك لم يقرأها أحد كذلك في القرآن .

y - ٢٤ - الأمر والمضارع المجزوم من الأفعال المضعفة العين شكلاً في لهجة الحجاز على مثال الفعل الصحيح مثل : امللْ ، ارددْ (سيبويه ١٦٢/٢ ، المبرد ، الكامل ص ١٩٢) ، وهذا ليس خاصاً بالتصريف الأول فقط ، ولكن بالتصريف الثالث أيضاً (ابن يعيش ص ١٣٢٤) وفي التصريف التاسع (ابن جني ، الخصائص ٢٦٩/١) ويحتمل في الأفعال الأخرى . وهذه الصيغ يحتمل أن تكون بوجه عام عربية غربية ، وفي بيت من الشعر لأبي كبير الهذلي : لم يُحْلَلْ ، ينطق في نهايته متوافقاً مع الاستعمال الحجازي (الحماسة ص ٣٨)^(٣) . ويلاحظ التبريزي على هذا بأنه من لهجة تميم ، ولكن لهجة تميم مختلفة تماماً كما سنرى حالاً . وبدون أن هذه حالة أخرى من الخلط بين هذيل وحنظلة . ويمكن أن يكون التبريزي قد

(١) في قوله تعالى : ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ . (المترجم)

(٢) ونص الخبر الذي نقله عن الفراء جاء في معاني القرآن ١٧٠/٢ - ١٧١ : وقوله : ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرَضِيًّا﴾ ، ولو

أُتَتْ : مَرَضُواً كان صواباً ؛ لأن أصلها الواو ، ألا ترى أن الرضوان بالواو . (المترجم)

(٣) الذين قالوا مرضياً بنوه على رضيت ومرضواً لغة أهل الحجاز . (المترجم)

احتفظ بهذه الصيغة المشوشة من عبارة تفيد أن الصيغ ذات الجذر الثلاثي من لهجة هذيل . والصيغ الثنائية استعملت أينما كان في شرق الجزيرة ، وإن اختلفت اللهجات في الصائت الأخير الذي كان في بداية الأمر حياًياً أي فتحة مختلفة خفيفة ، من أجل التخلص من التقاء ثلاثة سواكن ، وفي أسد وبعض تميم سُمعت وكأنها فتحة حين تتبعها همزة وصل ، وإلا فإنها كسرة (سيبويه ١٦٢/٢) ولهجات غَني وكعب وعقيل من قيس تحرك بالكسر : فِرْ ، مَلْ ، وَرْدْ (سيبويه السابق نفسه ، والزمخشري : الفصل ص ١٦٨) . وبعض تميم تحرك الآخر كتحرريك ما قبله نحو : فِرْ ، مَلْ ، رُدْ (سيبويه) (١) . وإنَّ هناك كثيراً من التناقضات في أخبار وردت عن مؤلفين آخرين ؛ مما لا حاجة لنا باستقصائه هنا . والنقطة الأهم هي أن عرب شرق الجزيرة قالوا فِرْ وفي غربها أفرز (٢) ، واستعمال العربية الغربية منفرد تماماً ، ومن اللغات الشقيقة ما يملك جذوراً ثلاثية للمضارع المضعف ، وتستعمل هذه أيضاً في حالة الرفع . واللغة الأمهرية التي تحتوي على النمطين ، وتستعمل ما فُكَّ إدغامه من الصيغ في حالة الرفع (٣) . وأما المدغمة من الصيغ فتلك التي تتماثل مع الصيغ المجزومة في العربية ، فإن الصيغ المختلفة الموجودة في الأدب لا تعطي إلا القليل من الدعم لما تشير إليه في غرب الجزيرة وشرقها ، ففي القرآن

(١) حيث يقول في ٥٣٢/٣ ط هارون : «اعلم أن منهم (يقصد العرب) من يحرك الآخر كتحرريك ما قبله فإن كان مفتوحاً فتحوه ، وإن كان مضموماً ضمموه ، وإن كان مكسوراً كسروه وذلك قولك : رُدْ وعَصْ وفِرْ يا فتى» . (الترجم)

(٢) حيث يقول سيبويه ٥٣٠/٣ : « فإن كان حرف من هذه الحروف في موضع تسكن فيه لام الفعل فإن أهل الحجاز يضاعفون لأنهم أسكنوا الآخر ، فلم يكن بدّ من تحريك الذي قبله لأنه لا يلتقي ساكنان . . . وأما بنو تميم فيدغمون المجزوم . . . فيسكنون الأول ويحركون الآخر لأنهما لا يسكنان جميعاً وهو قول غيرهم من العرب وهم كثير» أي في الحجاز يفكون الإدغام فيقال «ارْدُدْ وفي تميم يقال : رُدْ» . (الترجم)

(٣) مثل هذه الأمثلة موجودة في شعر العربية الفصحى (ابن كثير في اللسان ٢٣٢/٦ ، و wright, ii, 378). وفي اللسان حديث للخليفة عمر يقول فيه : يَغَرُّوكَ في يَغَرُّوكَ التي ربما ترجع إلى الانفراد الصوتي للراء .

لدينا يَرْتَدُّ (١) (الآية ٢١٧/سورة البقرة) (٢)، وكذلك أيضاً يَرْتَدُّ (في الآية ٥٤ من سورة المائدة) (٣)، ويشاقق الله (الآية ١٣- من سورة الأنفال)، وكذلك يُشَاقُّ الله (الآية ٤/ سورة الحشر) (٤)، ولم أجد فيها أي اختلاف وفي الآية ٢٨٢ من سورة البقرة يقرأ حفص «ولا يضارَّ» (٥)، ولكن عدداً كبيراً من قراء الحجاز الأوائل: عمر، الفتح، وابن عباس، وابن مسعود، وأبان بن عثمان، وعكرمة، والضحاك، أبي، والحسن البصري أيضاً ورد عنهم ما يشهد لقراءة: لا يُضَارَّر (الزمخشري، الكشاف، ص ١٨٤، Jeffery, Materials, p.30, 121) ومن الصعب علينا أن ننقاد إلى وجهة نظر ابن مالك (اقتباس السيوطي، الإتقان: ص ٣١٤) الذي يُقرُّ بوجود النمطين في القرآن ويرى أن «الله أنزل القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً، فإنه نزل بلغة تميم» (٦). و الخلط نفسه بين الصيغ في شعر عمر بن أبي ربيعة (شوارتز، عمر، ١٢٤/٤)، وعند شعراء شرق الجزيرة أيضاً.

وعند الشعراء، في شرق الجزيرة وغربها، تظهر صيغ فُكْ إدغامها في حالة الرفع مما يذكّر بالعربية الجنوبية والأثيوبية والآكدية، ويبدو لذلك أن كلا الطريقتين في صيغتي الأمر والمضارع المجزوم، قد سارا معاً على مساحة من الجزيرة وانضمما إلى العربية الفصحى في وقت واحد. وقد يكون صحيحاً أنه من ناحية أطراف شبه الجزيرة العربية إذ تختار جهة ما هذه الصيغة أو الأخرى أو تستعملهما معاً دون استثناء لإحداهما.

z- ٢٥ - يزعم ابن مالك (التسهيل ورقة ٩٠-ب) أن «هَلُمَّ» حين يستعملها الحجازيون بهذه الصورة يكون من الاستثناء في لهجتهم.

ومن الصعب أن نوافق على ذلك؛ لعدم تحليلنا الكلمة إلى «ها» مع الصيغة الأمرية لفعل متخيل هي لَمْ. ويذهب ابن جني (في الخصائص ١/١٧٣) بعيداً بافتراضه أن أصل

(١) يقصد قوله تعالى: ﴿... ومن يرتد منكم عن دينه...﴾ الآية. (المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه...﴾ الآية. (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى: ﴿... ومن يشاقق الله ورسوله...﴾ الآية. (المترجم)

(٤) في قوله تعالى: ﴿... ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب﴾. (المترجم)

(٥) في قوله تعالى من آية الذين: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين... ولا يضار كاتب ولا شهيد...﴾ الآية. (المترجم)

(٦) نقلت النص نفسه من الإتقان ٢٧٨/١ (ط دار الكتب العلمية). (المترجم)

الكلمة في الحجاز كان «الم» مع أوهام النحاة هذه ، قد يكون من المفيد أن نلاحظ أن تيمماً وسائر نجد قد صرّفوا هذه الصيغة الدّعوية على أنها فعل أمر (سيبويه ، فيما اقتبسها اللسان ١٠١/٦١)^(١) ، أي يقال للأثنى هلمّي ، ولجمع الذكور هلمّوا وهلمّمن (اعتماداً على الفراء في شرح الكافية للأسترباذي ٧٣/٢) وهلمّن أو هلمّن لجمع الإناث ، واعتماداً على ابن السكيت والليث (اللسان ، المرجع السابق) إن بني سعد (بن تميم وليس سعد بن بكر قرب المدينة) يصرّفون هلم^(٢) ، ويمكننا أن نفهم منها أن لهجة الحجاز لا تصرّف هلمّ . في القرآن الآية ١٥٠ من سورة الأنعام^(٣) والآية ٨١ من سورة الأحزاب^(٤) قد خرّط بها عدة أشخاص ولم يسجل البيضاوي أية اختلافات .

aa- ٢٦ - في لهجة سلّيم على تخوم الحجاز ، وأواخر الأفعال الماضية المضعفة ألحقت بقاعدة الثنائي (ابن مالك ، التسهيل ، ورقة ٩٠-ب) . ولكن الأمثلة جاءت من مصادر أخرى ، مثل : ظَلْتُ في ظَلَلْتُ (المصباح ، ص ١٠٦٢) وأَحَبْتُ في أَحَبَبْتُ (الليحاني في اللسان ٢٨١/١) ويظهر أن ابن مالك يلمّح إلى أن لهجة الحجاز بمعناها الضيق قد استعملت صيغاً ثلاثية ، ولكن المصباح يعزو ظَلْتُ إلى الحجاز ، وظَلْتُ إلى لهجة عامر ، جيران بني سلّيم (والأخيرة في بيت من الشعر لأزدي ، انظر الفصل ٦- فقرة h البداية) . ونجد في القرآن صيغاً ثنائية لظلّ وقرأ أصحاب القراءات الصحيحة في الآية ٩٧- سورة طه : ظَلَّتْ^(٥) ، وفي الآية ٦٥ من سورة الواقعة : ظَلَّيْتُمْ^(٦) . وقرأ ظَلَّتْ ابن مسعود ويحيى بن يعمر وقتادة ، وظَلَّيْتُمْ قرأها أبو حيوة ، وربما ابن مسعود ، وقرأ ظَلَّيْتُ أُبَيّ فقط ، وقرأ الجحدري ظَلَّيْتُمْ Jeffery.

(١) والخبر في اللسان مادة هلم : هلمّ في لغة أهل الحجاز يكون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والأنثى بلفظ واحد ، وأهل نجد يصرّفونها ، وأما في لغة بني تميم وأهل نجد فإنهم يجرونه مجرى قولك رُدّ .

وانظر كذلك سيبويه ٢٥٢/١ : «واعلم أن ناساً من العرب يجعلون هلمّ بمنزلة الأمثلة التي أخذت من الفعل

يقولون : هلمّ وهلمّي وهلمّوا وهلمّوا» . (الترجم)

(٢) فيقال : هلمّ ، هلمّا ، هلمّوا . (الترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى : «قل هلمّ شهداءكم ... الآية» . (الترجم)

(٤) يقصد قوله تعالى : «قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ... الآية» . (الترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى : «... وانظر إلى إلهك الذي ظَلَّتْ عليه عاكفاً ... الآية» . (الترجم)

(٦) في قوله تعالى : «لو نشاء لجمعناه حطاماً فظلتكم تفكهون» . (الترجم)

Materials, pp. 61, 97, 147) من الأفعال المضعفة من غط : فَعَلَ من حسّ ، مَسَّ ولا توجد صيغ مناسبة في القرآن ، من الأفعال على غط فَعَلَ هناك صيغ ثلاثية فقط مثل : شَقَقْنَا في الآية ٦٢ / سورة عبس^(١) وَمَدَدْنَا في الآية ١٩ / سورة الحجر^(٢) . وبجلاء دون تنويع من ذوات الأصل الثنائي . والمادة نادرة جداً بحيث لا تصلح للاستنتاج منها ، ويبدو أن الصيغ الثنائية تتمتع بامتداد إلى أوسع مدى في وسط الجزيرة .

إن عقيلاً التي تذكر غالباً مع قبيلتي قيس : غني وكلاب ، قيل إنها استعملت ظلت في الشعر بالرغم من أنها ليست من تلك اللهجة (أبو زيد ، اقتباس ابن جني ، الخصائص ٣٨٧/١) .

في شرق الجزيرة في لهجة بكر نماذج مختلفة من الصيغ الثنائية بصائت يقع بين أول الكلمة وآخرها : رَدْتُ ، مَرُّنَا^(٣) (سيبويه ١٦٤/٢)^(٤) .

ويمكن أن تشير الفتحة هنا لأكثر من صائت حيادي منزلق : مَرِّينَا . إن وجود الصائت يسمح بظهور نزعة اتجاه المواءمة بين الأفعال والتخطيط لحركة آخرها . وبعض العرب قالت : رَدَاتُ (الأستراباذي ، شرح الكافية ٧٣/٢) ، هذه الصيغة مع صيغة رَدَّيْتُ مما حصل فيها مماثلة كلية مع المعتل الآخر استعملت في العاميات . (بروكلمان : (GVG, i, 634)^(٥) ، وانظر كذلك الخريطة رقم ١٦ .

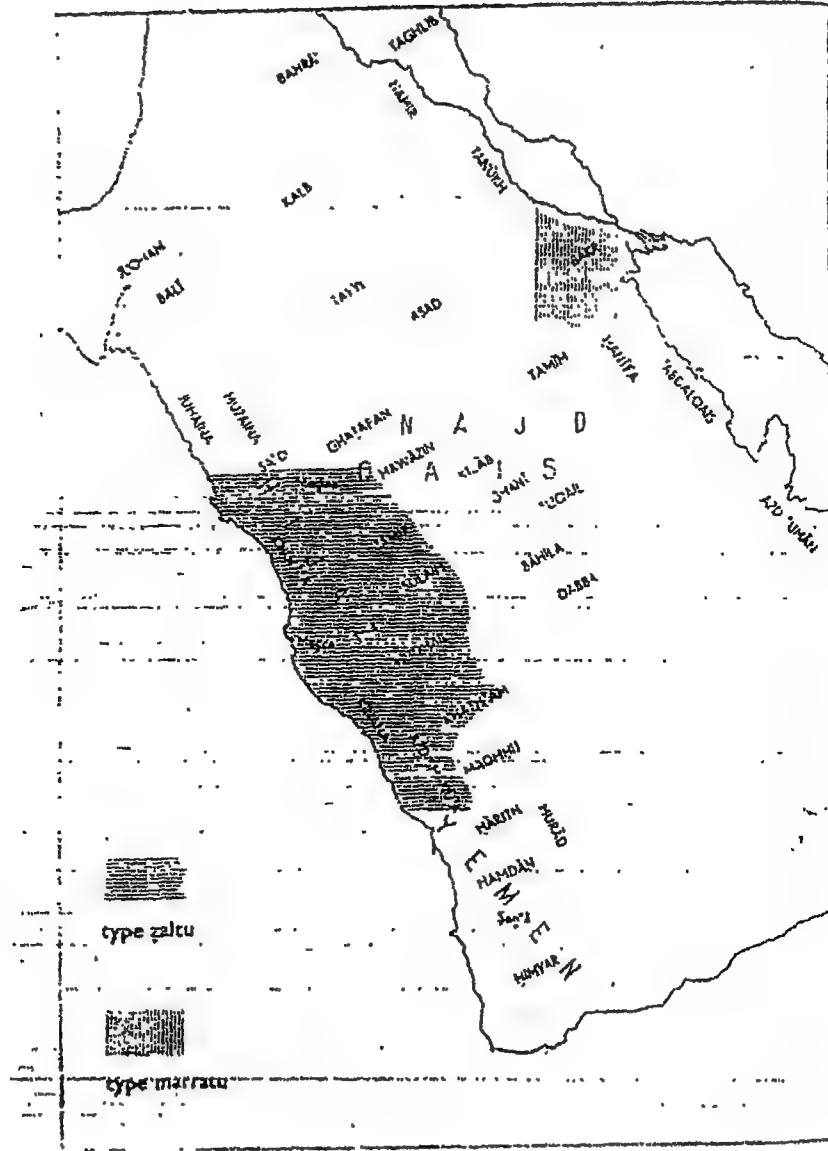
(١) في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَاقًا﴾ . (المترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا...﴾ الآية . (المترجم)

(٣) وليس مَرُّنَا (كما يكتب بروكلمان في : GVG, i, 633) وتظهر صيغ مشابهة في العربية المسيحية المبكرة : ودت ، (احبا raf- sprachgebrauch, p. 17) . من خلال الأمثلة البكرية يجب أن نقرأ : وَدَّتْ ، أَحَبَّنَا وليس وَدَّيْتُ ، وأحَبَّنَا ، مع إمكانية كتابتها بالياء .

(٤) وردت في الكتاب ٥٣٥/٣ : «زعم الخليل أن ناساً من بكر بن وائل يقولون : رَدَّنْ وَمَدَّنْ وَرَدَّتْ» . (المترجم)

(٥) بناء على ما ورد في التاج ٤١١/٧ : «قالت تميم ضيللت في ضللت ، بالتوافق الحركي (فصل ١٠ - فقرة ٢) فإن هذا على أية حال يوحى بأن لهجة تميم قد استعملت صيغاً ثلاثية ومن المشكوك فيه فيما إذا كان الخبر يمكن التعويل عليه فيه إثبات الصيغ الثلاثية أيضاً لنجد والحجاز .



الخريطة رقم ١٦- الصيغ الثنائية للماضي المعتل المضعف (فصل ١٢- فقرة (a a))

الفصل الثالث عشر

الحجاز- النحو

a- ١ - استناداً إلى عبارة لليزيدي (في المزهو للسيوطي ١٧٧/٢) : التمر والبُرُّ والشعير والبُسْر، ألفاظ مؤنثة في لهجة الحجاز ، مذكّرة في تميم . وهي في اللسان مذكّرة ، دون أية إشارة إلى أنها مؤنثة في أي مكان آخر . وفي بيت من الشعر للمتنخل الهذلي (١/٢) وُصِفَ البُرُّ بصفة مذكّرة وهي محكومة بالقافية . واعتماداً على الأخفش (اللسان ٩/١٢) : الطريق والسرائط ، والسبيل والسوق والزُّقاق ، والكلاء (اسم سوق البصرة)^(١) ألفاظ مؤنثة في الحجاز ومؤنثة في تميم . ووصفت الطريق في القرآن بصفة مذكّرة في الآية ٣٠ من سورة الأحقاف^(٢) والصراط في عدة آيات^(٣) ، والسبيل في الآية ٧٦ من سورة الحجر^(٤) . واعتماداً على الفراء فإنّ الصاع (مكيال عند العرب) مؤنثة في لهجة الحجاز ، مذكّرة في لهجتي أسد ونجد ، ولكن بعض الأسديين يؤنثها (المصباح) . وصوّاع القرية منها لفظاً مذكّرة في القرآن ، الآية ٧٢ سورة يوسف^(٥) .

وفي ملاحظة في أحد هوامش الكامل للمبرد (ص ٦٦٦ ، مخطوطة ليدن) عن ابن السكّيت أن لفظ عُنُق مؤنث في الحجاز ومذكّر في لهجة أسد^(٦) . وفي المصباح (ص ١٠٨٧) يستشهد بقول السجستاني بأن لفظ أغلب يُعامل غالباً معاملة المذكر ، وعنه أيضاً (في الأضداد ص ٧٥) أن لفظ «نخيل» مؤنث في الحجاز ومذكّر في غيرها من المناطق .

(١) في اللسان مادة كلاً : هو مرفأ السفن ومنه سوق الكلاء وهو موضع بالبصرة لأنهم يكلّون سفنهم هناك ...

والكلاء مجتمع السفن ومن هذا الاسم سمي كلاء البصرة لاجتماع سفنه . (المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى من الآية : ﴿... يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ (المترجم)

(٣) وقد وردت الصراط موصوفة بكلمة مستقيم نحو خمس وثلاثين مرة . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى : ﴿وإنها لَيسَبِيلٌ مقيم﴾ . (المترجم)

(٥) في قوله تعالى : ﴿قالوا نفقد صوّاع الملك...﴾ الآية (المترجم)

(٦) ومن ناحية أخرى فإنّ أبا زيد (اللسان ٢٨٦/٤) يؤكد في لهجة تهامة تذكير : عُصْدٌ وعُجْزٌ دائماً (انظر فصل

١٠ - h) بينما هم في الفصحى : عُصْدٌ وعُجْزٌ من جنس آخر .

ويقول ابن مالك (في التسهيل ورقة ٨٨-ب) ما كان من أسماء الجمع مفردة بالتاء من مثل تمر، يُعامل في الحجاز مؤنثاً، وفي لهجات تميم ونجد يذكر. ويقول الأستراباذي (شرح الكافية ١٦٢/٢) مثل هذه الأسماء كان مذكراً في الحجاز، ويؤنث في غيرها من المناطق. وهذا ليس صحيحاً بالتأكيد، وربما يكون من خطأ الناسخ ليس غير. والاتجاه العام للشواهد أن هناك طوائف معينة من الكلمات ظلت مؤنثة في الحجاز، وفي شرق الجزيرة وفي العربية الفصحى، وبناء عليه جزئياً في لغة القرآن، قد التزمت بهذه النزعة من أجل الانتظام والتوافق مع غاذج التذكير والتأنيث.

إن الأدلة من اللغات الشقيقة تدعم جزئياً فقط الرأي الذي يرى في لغة الحجاز أكثر محافظة على القديم، وتامار «التمر» مؤنثة في عبرية المشناه (انظر: المشناه، Tebul yom, iii,6)، ومع ذلك فبُورز العبرية، وبزري السريانية (حصرم العنب) مذكران، والعبرية سيؤوراه «بصراحة» ومثلها السريانية تمرثا يمكن أن تكونا مفردتين اسميتين. ودرج العبرية «الطريق» يستوي فيه التذكير والتأنيث. وشيبهيل «سبيل» وشوق «سوق» مذكران في عبرية المشناه والآرامية. ويمكننا أن نقارن العنق بـ«عُنْكَيْثَا» «الرقبة» الآرامية اليهودية الفلسطينية بالمؤنثة السريانية عَيْنَا «الرضيع، الفرع». والعبرية نَحْل والسريانية نَحْلَا «الوادي، الممر الضيق» مذكران.

بعض الكلمات الحجازية صارت مؤنثة لأنها مرادفة إلى حد ما لكلمات مؤنثة أصلاً، ولكن هذا بحد ذاته لا بد أن يَحْمِلَ شاهداً على أن امتداد صفة التأنيث في هذه الكلمات ليس ملحوظاً في الظاهر^(١) كذلك.

b-٢ - يدين سيبويه (٤/١، ٢٠٢-٢٠٣) مراراً خطأ التطابق بين الفعل والفاعل (لغة أكلوني البراغيث، (wright, ii,294C) ويعترف بأن بعض العرب تكلموا بها، ويصنفها الأستراباذي (شرح الكافية ٨٨/١) بأنها ملامح جاهلي، ولكنه لم يعين أصحاب هذه اللغة. على أي حال، يعزوها الصُّفَّار (عن ابن عقيل ص ١٢١) إلى هذيل، والخفاجي (شرح على درة الغواص ص ١٥٢) يعزوها إلى لهجة طيء (انظر فصل ٧-w، وفصل ٤١-hh). أمثلة هذا التركيب التي جمعها نولدكه (Zur

(١) ابن الأثير في اللسان ٣٨٠/١ يدعي أن كلمة ذهب كانت مؤنثة في لهجة الحجاز ولكنه مجرد افتراض (انظر: الأزهرى، المرجع السابق) نظراً لفشله في توجيه انتباهه إلى القرآن الآية ٣٤- من سورة التوبة. (يقصد قوله تعالى: ﴿... والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها...﴾ الآية).

(Gramma., p.78) وبروكلمان (GVG, ii, 74) وركندورف (Syntax, p.25) غالباً

من مصادر حجازية . ومن الطريف جداً أن يكون أحد مواطن ظهورها المعروفة هو شعر الفرزدق^(١) (1xi.5) في بيت يهجو به ضبّة . ويستعمل الفرزدق أحياناً ملامح من لهجات خصومه ليستخر منهم ، وعليه من المحتمل أن تكون لهجة ضبّة قد احتفظت بظاهرة التطابق هذه ، وهي ليست من القبائل العربية الغربية . بما أن ظاهرة التطابق بين الفعل وفاعله هي النهج العادي للغات الشقيقة العاميات ؛ يبدو أن التنبيه الصارم على ضرورة إفراد الفعل في الجملة الفعلية ، من الأمور المستغربة في تلك اللهجات التي شكلت القاعدة للعربية الفصحى .

c- ٣ - قال أهل الحجاز : مبروراً مأجوراً ، بينما لغة تميم تقولها بالرفع (اللسان ١١٧/٥) . وأهل تميم قالوا : بُعْدْ له وسُحْقْ بدلاً من الشائعة : بُعْدْ له (التاج ٣٠٣/٢ ، وليست في اللسان) . إن تعاقب النصب والرفع على التعجب هو توزيع جيد لأساليب العربية واصطلاحاتها ، ومن المحتمل ألا تكون هذه الأمثلة (إذا كانت صحيحة) شيئاً سوى تثبيت محلي لاستعمال غير راسخ ولكنها قد تخفي اختلافات أساسية لحالات من الاستعمال مجهولة لدينا .

d- ٤ - الأعداد من ٣-١٠ عند توظيفها توابع مذيّلة بالضمائر ، تُنصّب في الحجاز ، ولكنها في تميم تكون تابعة في إعرابها للمتبوع نحو : أَتَوْنِي ثَلَاثَتَهُمْ ، وفي تميم : ثَلَاثَتُهُمْ (سيبويه ٧٥١/١ ، الصحاح ١٣٠/١ الخ) . ويبدو أن لا شواهد في القرآن على هذه الحالة . ويصنّف اللغويون العرب النصب في الحجاز ، انطلاقاً من نظامهم النحوي ، على أنه حال ((wright, ii, 116D) ، وعلينا كذلك أن نعدّه من النصب الإسنادي أو الخبري (انظر : Reckendorf, syntax, p, 114) ومن المشكوك فيه فيما إذا استطعنا أن نستنتج من هذا التركيب أن مثل هذه الحالة مازالت باقية في الحجاز دون غيرها من المناطق .

e- ٥ - لأسباب سنتبينها في الأقسام الآتية ، إن الأدوات العاملة في الجملة نحو : إنَّ ،

(١) في شعر يهجو فيه الفرزدق بني ضبّة ، وهو من شواهد سيبويه ٤٠/٢ :

ولكن ديانِي أبوه وأمه بخَوْرَان يعصِرْنَ السليطَ أَقَارِبُهُ

وقبله : فلو كنتُ ضبياً صفحت ولو سرت على قدمي حيائه وعقارسه

والشاهد في يعصِرْنَ أَقَارِبُهُ الفاعلان النون والأقاربُ (الترجم)

أَنْ ، وغيرهما يمكن أن تأتي مخففة : إِنَّ ، أَنْ وعندها تفقد عملها ، ويُرفع اسمها بدلاً من نصبه . وبعض العرب ينصبون الاسم عند تخفيف هذه الأدوات أيضاً (سيبويه ٢٤٤/١ على عهدة من نثق به^(١) ، ابن جني في اللسان ١٧٥/٦١ ، الزمخشري ، المفصل ، ص ١٣٧) . وأنكر النحاة الكوفيون إمكانية ذلك (ابن هشام ، المغني ٢٢/١) ولكن الفراء أقر بوجود الضمائر مع الخفف منهما (التاج ١٢٨/٤) ، ويزعم الليث (اللسان ، المصدر السابق) : إن ناساً من أهل الحجاز يخففون وينصبون على توهم الثقيلة ؛ ولما كان من الطبيعي أن يتعذر ظهور اسم إن في القافية الشعرية كان من الصعب الاستدلال على ذلك أو البرهنة عليه . في القرآن تظهر إن المخففة قبل كلمات تستعمل كأسماء فقط في التعبير : «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا (٢) . . .» ، «وإن كلاً لَّمَّا (٣) . . .» . ويبدو من السياق أنه يعني شيئاً ما مثل : لأنهم كلهم معاً يقيناً . تختلف آراء الشراح بشكل كبير (انظر أيضاً فصل ٨ - ee) ولكن معظمهم يرى فيها إن المخففة من إن ، وربما تكون الجملة تعبيراً لهجياً .

وحري التعبير بـ : إِنْ كُلُّ في الآية ٣٢ - من سورة يس^(٤) ، وفي الآية ٤ - من سورة الطارق^(٥) ، وفي كلا الحالتين لا خلاف على عدم النصب . وفي الآية ١١١ - من سورة هود^(٦) قرأها معظم القراء بالرفع ، إلا قراء الحجاز بالنصب «كلاً»^(٧) . والأمثلة الشعرية مع الضمائر تسمح بافتراض النصب مع الصيغ المختلفة من الأداة ، نحو : لو أنك^(٨) - لو أنك لعله يقصد ما جاء في الكتاب ١٤٠/٢ : «وحدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول : إِنْ عَمراً لمُنطلق»

وأهل المدينة يقرؤون : «وإن كلاً لما ليؤفئهم ربك أعمالهم» يخففون وينصبون . (الترجم)

(٢) ٤ / الطارق . (الترجم)

(٣) ١١١ / هود . (الترجم)

(٤) يقصد قوله تعالى : «وإن كل لما جميع لدينا محضرون» . (الترجم)

(٥) يقصد قوله تعالى : «وإن كل نفس لما عليها حافظ» . (الترجم)

(٦) يقصد قوله تعالى : «وإن كلاً لما ليؤفئهم . . . الآية» . (الترجم)

(٧) سيبويه قراء المدينة ، ابن هشام قراء مكة والمدينة ، وأبو بكر ، والبيضاوي : نافع وابن كثير وأبو بكر ، أما ابن مسعود فقرأ إن كل إلا . والكل قرأها في الآية ١٤ / سورة ص في قوله تعالى : «وإن كل إلا كذب

الرسول . . . الآية» ، (القراءات الأخرى ، ص ١٣٧ ، ١٤٤ ، و Jeffery, Materials, p.48) .

(٨) في قول الشاعر :

فلو أنك في يوم الرخاء سألتني فراقك لم أبخل وأنت صديق . (المفصل/٢٩٩) (الترجم)

(الزمخشري ، المفصل ، ص ١٣٨) . ووردت أنك مرتين في بيت لعمره بنت عجلان الهذلية (ديوان هذيل ١٧/٧) ^(١) ، وبيت فيه : إنك في إنك للقشيري الأسدي ^(٢) ، (ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٣٥٤ - سطر ٣) وتشارك إن هنا مع «كا» بما يشكل ملمحاً للهجة العالية ، (انظر : فصل ١٢ - ٥) ، وقد وجدت ، بعد لأي ، حالة وحيدة يكون فيها الاسم منصوباً بوضوح مع إن ، في مصدر عربي ، أعني الحديث ، (في البخاري ، باب الهبة ، ٦) ، حيث يقرأ اليونيني : إن نساءك ينشدنك الله ، إن «نساءك» المكتوبة بالهمزة على السطر ، لا تُقرأ إلا منصوبة ، ويبدو أن للقسطلاني ٣٤١/٤ بعض الشكوك إزاء هذا التركيب عندما تبين له أن عليه أن يذكر صراحة بأن هذا في الواقع هو النص الموثق .

f-٦ - لا يمكن إنكار أنه من الصعوبة بمكان البرهنة على صدق عبارة الليث ^(٣) وقد يكون معناها الحقيقي أن الصيغ المخففة في حد ذاتها وُجدت في بيتها الأصلي وهو الحجاز حيث كان استعمالها بكامل تأثيرها وعملها ، خاصة أنها لم تستعمل قط في أماكن أخرى ، أو استعملت بصورة خاطئة في إعمالها (انظر : حالة ما ، فصل الآتي) ، والقيود التي أحاط بها النحاة الكوفيون هي ذات طبيعة نظرية بحتة ؛ ولحسمه ، من الضروري القيام بفحص الحالات التي استعملت فيها هذه الصيغ المخففة ، وفي حدود علمي ، لم تُعط أية قاعدة قط .

وسيكون لافتاً للنظر لو حلت إن وأن ، التي لها وظائفها العادية الخاصة بها ، محل إن وأن في استعمال نذ من متكلم ما . ويجب أن نكون على حذر من أن نضع في حسابنا تلك الحالات التي تأتي فيها لام بعد إن الشرطية ، التي لوجودها تُصنّف إن تلقائياً بأنها مخففة . وقد فعل هذا الزمخشري (في المفصل ، ص ١٣٨) في آيتين من القرآن (آية ٣ / سورة

(١) كذلك ابن يعيش ص ١١٣ : وأعيدت كتابتهما في الديوان بحيث لم يظهرا . (والبيت هو مع البيت قبله :

وقد علم الضيف والمرمولون إذا اغبرأفق وهبت شمالا

بأنك ربيع وغيث مريع وأنتك هناك تكون الثمالا) (المترجم)

(٢) يقصد قوله :

يقولون لي إنك شريت مداماً فقلت لهم : لا بل أكلت سفرجلا

(الشعر والشعراء ص ٣٤٤) (المترجم)

(٣) ما جاء في اللسان مادة أنن : «فأما من خفف (إن) فإنه يرفع بها ، إلا أن ناساً من أهل الحجاز يخففون

وينصبون على توهم الثقيلة ، وقرئ : «وإن كلاً لما ليؤنيهم» خففوا ونصبوا» . (المترجم)

يوسف^(١) ، (والآية ٧/ من سورة الأعراف)^(٢) ؛ حيث يتطلب السياق «إذا» بالتحديد ،
وهناك حالات محيرة لا يستطيع فيها الحسم إن كانت إن بمعنى إذا أم لا . كما في البيت
الذي قاله عبید الأسدي ٤/١ :
إن^(٣) بُدِّلَتْ أَهْلُهَا وَحُوشًا^(٤) ،
أو بيت عاتكة بنت زيد العدوية^(٥) :
إن^(٦) قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا

وَجَبَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

ولسبب غير مفهوم يصرُّ ابن مالك (في الألفية ١٩١ ، والأشموني ٢٢٩/١) على وجود
قرينة إن لم توجد اللام ، فهذه القرينة كلمة في السياق تعيّن وظيفة إن^(٧) .

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿... وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ . (المترجم)

(٢) يقصد قوله تعالى : ﴿... وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ . (المترجم)

(٣) ما لم يُشَرَّ إليه بالضبط الكتابي ، فأنا سأكتبها في حالة الرفع في الاستشهاد التالي ، بالطبع ربما كتبت يقصد
النصب . وقد اعتبر ليال في ترجمته أن : إن حرف شرط ، أما ركنندورف (Syntax, p. 129) فقد اعتبرها
الخففة .

(٤) يقصد البيت :

وَبُدِّلَتْ أَهْلُهَا وَحُوشًا وَغَيَّرَتْ حَالَهَا الْخَطُوبُ

ويلاحظ عدم وجود إن في رواية البيت (عبيد بن الأبرص ، شعره ومعجمه اللغوي ، د . توفيق أسعد :

ص ٢٨) ، انظر جمهرة أشعار القرب للقرشي ، وربما تكون (إن أَبْلِيتَ من ..) (المترجم)

(٥) والبيت بكامله كما في الفصل ص ٢٩٨ :

بِاللَّهِ رَبِّكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا وَجَبَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ (المترجم) ،

وفي الأشموني ٥٨٦/١ : شَلَّتْ يَمِينُكَ ...

(٦) والسياق يقتضي أن تكون إن شرطية ، واعتبرها الزمخشري (في الفصل ص ٨٣١) مخففة .

(٧) يقصد قول ابن مالك في الألفية :

وَحُفِّتْ إِنْ فَقِلَّ الْعَمَلُ وَتَلَزَمَ اللَّامُ إِذَا مَا تُهْمَلُ

وربما استغني عنها إن بدا ما ناطق أرادته مُتَعَمِّدًا

أي إذا خففت إن وأهملت فلا بد من وجود اللام لتفرّق بينها وبين إن النافية ، وإذا خلا الكلام من هذه اللام

الفارقة ، فلا بد من قرينة تعين كونها الخففة وليست النافية . (المترجم)

إذا تجاهلنا مثل هذه الحالات ، يمكننا أن نصل إلى استنتاجات محدّدة عن : إن لا تدلُّ على كامل الصيغة فقط إلّا مع الضمائر الملحقّة بها ، خاصّة ضمير الشأن (إلى ذلك أشار ابن مالك في الألفية ١٩٣)^(١) ، قبل الكاف وغيرها من الأصوات الطبقية ، قبل النون وقبل النفي (أو قبل اللام) وفي الأمثلة الآتية

g-٧ - قبل الكاف : إن كَذَتْ = إنك كَذَتْ (في الآية ٥٦^(٢) / الصافات من القرآن) ، وأنَّ كلُّ = أنَّ كلُّ (الخنساء ، ص ٧٧ ، البيت ٨) ، وبأنَّ كلُّ = بأنَّ كلُّ (حسان بن ثابت ، ص ٩٩- البيت ١٢) ؛ أنَّ كلانا = أنَّ كلينا (عمرو بن جابر الحنفي ، حماسة البحتري ، مصوِّرة ، ص ٣٢ ، بيت ٥) ؛ كأنَّ كشح^(٣) = كأنَّ كشحاً (النابغة الجعدي ، جمهرة أشعار العرب ، ص ١٤٦ ، البيت الثالث من أسفل الصفحة) ؛ أنَّ كلُّ = أنَّ كلُّ (أبو طالب ، ابن هشام ، السيرة ص ٢٤٩- البيت ١٥)^(٤) ؛ إنَّ كان = إنَّه كان (ابن سعد- ٢ب ، ص ١٣ ، بيت ٢١ ، ص ٤١ ، البيت ٧ ، IVA ، ٤٥ ، بيت ٢٥٢ الخليفة عمر في الأغاني ١٤٦/٩ ، البيت ٣ من أسفل عائشة ، في البخاري ، الصوم ٢٤ عثمان في البخاري ، الفضائل ، ١٣) ، إنَّ كنَّا = إنَّنا كنَّا (كعب بن زهير في الأغاني ١٤٦/٩) ، إنَّ كادت = إنها كادت (معاوية بن محسن الكندي في الطبري- التاريخ ١٠١٩/١- سطره) ، إنَّ كنت = إني كنت (ابن سعد ٢ت ، ص ١٣٠ ، سطر ١٦) ، (الأمثلة الثلاثة الأخيرة مع الضمائر الملحقّة بها في القسم الأخير) .

قبل الأصوات الطبقية والجيم ، كأنَّ جدول^(٥) (عبيد الأسدي ٣/٩) ، أنَّ جُرْحٌ = أنَّ

(١) يقصد قوله :

وإنَّ تُخَفِّفَ أنَّ فاسمها استكنَّ والخبر اجملَّ جملة من بعد أنَّ (الترجم)

(٢) يعني قوله تعالى : ﴿ قَالَ تَاللّٰهِ إِن كَذَبْتَ كَثَرَدِينَ ﴾ وهي الآية ٥٦ وليست ٥٥/٥٤ كما أورد المؤلف . (الترجم)

(٣) هذه رواية المطبوعة الأميرية سنة ١٣٠٨هـ من الجمهرة ولكن رواية النسخة التي حققها البجاوي ص ٦٢٤-

البيت الثلاثون :

وبانت كأنَّ كشعها طي ربطة إلى راجع من ظاهر الرمل أعفرا (الترجم)

(٤) لم أجد هذا البيت في ط دار الجليل ، تعليق طه عبد الرؤوف سعد . (الترجم)

(٥) يقصد البيت :

تذكّرهم ما إنَّ تحف مدامعي كأنَّ جدول يسقي مزارع مخروب .

وهو في ٣/٨ من الديوان حسبما جاء في كتاب عبید بن الأیصر ص ٥ . توفيق أسعد . (الترجم)

جُرحاً لضبيعة العبسي في عامر ، ط ليال ٣٤-ا ، سطره) ؛ بأن قومكم = بأن قومكم (المفضليات ٣٠/٩)^(١) ، كأنَّ غَرَبٌ = كأنَّ غرباً (علقمة التميمي ، أهلورد ، ستة شعراء ٨/٣١) ، ك- أن قَبَسٌ = ك- أن قَبَساً^(٢) (مجمع بن هلال التميمي ، الحماسة ، ص ٤٤٣) ، قبل قد مع الماضي ، أن غالباً ما تحل محل أنه (ركندورف - Syntax, p.126).
في الآيتين^(٣) : ٧ ، ٩ من سورة النور في : أن لعنة ... ، أن غضب ... وقرأ نافع ويعقوب البصري ، أن لعنة ... ونافع : أن غضب الله = أنه غضب .

بالرغم من أن الكوفيين لم يجوزوا النصب بعد الصيغ المخففة ، يمكننا أن نصيف هنا أن الأخفش والكوفيين أجازوا القياس بعكس البصريين ، على العبارات : إن قام لزيد وإن قعد لزيد^(٤) (الأشموني ٢٣٠/١) ، ولا شيء لافت للنظر في اختبار المثال الأول ، ولكنه ليس من عادة النحاة العرب ، أن يعطوا مثلاً ثانياً ما لم يصف شيئاً ذا دلالة على الأول . وفي هذه الحالة بالتأكيد سيكون أمراً غريباً ، وجوب أن يبدأ المثال الثاني بـ«قد» أيضاً ، وقد يكون هذا من قبيل الإبهام في عبارة الكوفيين التي تجيز إن في لأنه قبل الأصوات اللهوية .
h-٨ - قبل النون : المثال من البخاري في الفقرة e ، في آخر (كتاب الهبة ، ٦)^(٥) ، وإن

(١) والبيت في المفضليات لبشامة بن عمرو وهو نفسه ابن الغدير الغطفاني ص ٩٥- ٣٠/١٠ وليس ٣٠/٩ كما

قال المؤلف : بأن قومكم خيروا خصلتي من كلتاهما جعلوها عدولا (المترجم)

(٢) والبيت في الحماسة في قصيدة رقم ٢٤٩- ص ٢٠٣- ص ٢٠٤ بيت رقم ٩ :

عَبَاتُ لَهُ رَمَحاً طَوِيلاً وَأَلَّةٌ كَأَنَّ قَبَسَ يَعْلِي بِهَا حِينَ تُشْرِعُ . (المترجم)

(٣) الآية ٧- النور : «والحماسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين» (المترجم)

الآية ٩- النور : «والحماسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين» . (المترجم)

(٤) يبدو أن هذا يحتاج إلى توضيح فيقال : «إذا خففت إن فلا يليها من الأفعال إلا الناسخة ... نحو : وإن

كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله» ... ويقل أن يليها غير الناسخ ... نحو : إن يزيّنك لنفسك ... ومن

النادر قوله إن قتلت لمسلماً ، وإن قام لانا ، ولا يقاس عليه عند البصريين ، ويجيز الأخفش والكوفيون القياس

عليه (على المثالين) (انظر شرح الأشموني ٥٥٨/١ ، ط ٣ ، وشرح ابن عقيل ٣٨٢/١ ، وكلاهما بتحقيق

محمد محي الدين عبد الحميد) . (المترجم)

(٥) يقصد : «إن نساءك ينشدنك الله» . (المترجم)

نظنّك = إنّنا نظنّك (الآية ١٨- من سورة الشعراء)^(١) . وقبل اللام ، القراءة القرآنية : أن لعنة^(٢) (انظر : الفقرة السابقة ، الآية ٧ / النور) ، «وأنّ لو استقاموا ... لأسقيناهم» وأنّنا (الآية ٦١ / من سورة الجن)^(٣) ، «أنّ لو نشاء ... أننا» (الآية ١٠٠ / من سورة الأعراف)^(٤) . ويقول ابن مالك (في الألفي ١٩٥) وقليلٌ ذكر لو ...^(٥) ، أي إنّ ذكر أنّ الخففة بعد لو قليل . يقول الأشموني (٢٣١/١) ذكر لو قليل عند النحاة ، بالرغم من كثرته في كلام العرب .

قبل النفي «كأنّ لم ...» (الآية ٢٤)^(٦) - من سورة يونس ، ابن وقاص بن الحارث ، بما استشهد به هُول ١٥٧٧/٤ ؛ «أنّ ليس ...»^(٧) (٩٣ / النجم) ؛ أن لن^(٨) (٣ / القيامة) ؛ أن مع لا النافية للجنس (الحارث بن وعلّة الذهلي^(٩) ص ٩٧ ، وحريث بن جابر التميمي^(١٠) ، الحماسة ص ١٨٢ ، وطرفة البكري^(١١) ، طبعة هالورد ١٦/١٣) .

وأنّ مع لا الظرفية^(١٢) (أبو مخجن الثقفى ، تحقيق لانديبرغ ، ص ٧٢) . كذلك يجب أن نذكر أيضاً ألاّ الشائعة الاستعمال التي غالباً ما تسدّ مسدّ أن لا وأنه لا كما في أنّ

(١) في قوله تعالى : ﴿ وما أنت إلا بشر مثلنا وإنّ نظنّك لمن الكاذبين ﴾ (الترجم)

(٢) من الآية ٧- من سورة النور .

(٣) من قوله تعالى : ﴿ وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ﴾ .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ ... أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ... ﴾ الآية .

(٥) من بيت الألفية : فالأحسن الفصل بقْد ؛ أو نفي ، أو تنفيس ، أوّلُو ، وقليلٌ ذكرُ لُو (الترجم)

(٦) يقصد قوله تعالى : ﴿ ... فجعلناها حصيداً كأنّ لم تغنّ بالأمس ... ﴾ الآية .

(٧) من قوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ .

(٨) من قوله تعالى : ﴿ أبحسب الإنسان أنّ يجمع عظامه ﴾ .

(٩) يقصد قول الشاعر في الحماسة ص ٦٥ تحقيق د . عبد المنعم صالح :

وزعمتم أنّ لا حلومَ لنا إنّ العصا فُرعت لذي الحِلْم (الترجم)

(١٠) يقصد قوله في الحماسة ص ١١٦ تحقيق د . عبد المنعم صالح :

لعمرك ما أنصفتني حين سمّتي هواك مع المولى وأن لا هوى ليا (الترجم)

(١١) يقصد قوله : فلما رأى أنّ لا قرأَ يقرّه وأنّ هوى أسماء لا بدّ قاتله (الترجم)

(١٢) قد يقصد لا الطلبية : فلا في العربية نافية (بمعنى ليس والنافية للجنس ، والدخلة غير العاملة على المضارع

لنفي معناه) ولا العاطفة ، والطلبية ، والجوابية ، والزائدة . (الترجم)

لا^(١) . ومع ما وجدتُ مثلاً واحداً وهو : أَنْ ما لنا ذنبٌ (عمر بن أبي ربيعة) .
وهذا يجعلها تبدو وكأنَّ العنصر الجوهرى هنا هو بأنها مبدوءة باللام وليس بالنفي ،
ومن الحالات ما يمكن تصنيفه في نوع خاص به وذلك حين يأتي بعد أَنْ عبارة مثل : آخر
دعواهم أَنْ الحمد لله^(٢) (الآية ١٠ / من سورة يونس) ، كذلك الآية ١٤٠^(٣) - من سورة
النساء ، والآية ٨^(٤) - من سورة النمل ، وحالات أخرى تستعصي على التصنيف نحو : أَنْ
هالكٌ كلُّ^(٥) (لأعشى باهلة ، سيبويه ٢٤٣) ؛ أَنْ أذنا^(٦) = أَنْ أذني (للفرزدق التميمي ،
النقائص ٦٥/٥١) ؛ أَنْ أمنتِ وَأَنْ تهبطين^(٧) (وكلاهما لقاسم بن مَعْن ، العيني ، المقاصد

(١) وذلك حين توصل لا بأن المصدرية نحو : يجب ألا تهمل في عملك ، وبأن الخففة من الثقيلة نحو : أشهد أن
لا إله إلا الله ، وأشرت إليه ألا يتحرك . (المترجم)

(٢) من قوله تعالى : ﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وأخر دعواهم أَنْ الحمد لله رب
العالمين ﴾ (المترجم)

(٣) قوله تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أَنْ إذا سمعتم آيات الله ... ﴾ (المترجم)

(٤) قوله تعالى : ﴿ فلما جاءها نودي أَنْ بورك مَنْ في النار ... ﴾ (المترجم)

(٥) والبيت بكامله :

في فتية كسيوف الهند قد علموا أَنْ هالكٌ كل من يَخْفَى ويتعل (المترجم)
(٦) في بيت الشعر :

أَتَغْضِبُ أَنْ أَدْنا فتية حَزُنًا جهاراً ، ولم تغضب لقتل ابن حازم ؟
فاعتبر الأصمعي والكوفيون أَنْ شرطية ، وقرأها آخرون إنَّ ، واعتبرها المبرد أَنْ الخففة ولدينا هنا حالة واضحة
بعد أَنْ الخففة . (المترجم)

(٧) يقصد ما قاله القاسم بن معن قاضي الكوفة في الأشموني ٦٠٠/١ - ط ٣ :

إني زعيم يا نُؤْتُ — قةُ إن أمنتِ من السرُّاح

ونجوت من عرض المنو ن من العشي إلى الصباح

أَنْ تهبطين بلادَ قو م يرتعون من الطَّـلاح

وقد ضبط المؤلف التاء في أمنتُ بالضم وهي في النص بالكسرة . (المترجم)

٢/٢٧٩) ، إن الله^(١) (يحيى بن نوفل اليماني في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٦٥ ، البيت ١٦) ؛ وإن الحق^(٢) (الأشموني ١/٢٢٩ ، مجهول القائل) ؛ إن مالك^(٣) (مجهول ، المصدر السابق) ؛ أن يؤمّلون^(٤) (مجهول ، العيني ٢/٢٩٤) . إن يكاد^(٥) (الآية ٥١ - سورة القلم) . وفي المثل : «إن تزيّنك لنفسك وإن تشينك لهيه» (الزمخشري ، المفصل ١٣٨) ، ويمكن وضع إلا بدلاً من اللام والياء) . بعض ما ذكرنا من إن وأنّ يحتمل ألاّ يكن من الخففات .

i- ٩ - لشرح هذا التوزيع من الصيغ الخففة ، يمكننا أن نبدأ بالموافقة على وجهه نظر ركندورف بأن إن وأن هما الصيغتان القديمتان ، اللتان تطورت منهما إن وأن لأسباب معينة ، ((Syntakt, Verhältnisse, p.354) الصيغ القديمة ، مع ذلك ، بقيت في تراكيب تغيّرت فيها النون ، لأسباب صوتية ، إلى نون كالتّي تنطق في king^(٦) ، وذلك قبل الأصوات الطبقية ، وتتماثل مع اللام ، وربما مع الميم ، ويمكن أن تتغيّر إلى صوت غاري (حنكية) قبل الجيم والياء^(٧) .

الصيغ الجديدة إن وأن ، كذلك تغلّغت شيئاً فشيئاً إلى هذه التراكيب . ويمكن أن يكون التركيبان قد استخدما لفترة ما جنباً إلى جنب ، وقاد هذا أيضاً إلى بعض الشك في استعمالها مما ولّد أمثلة غير متنوعة ، وفي صورة موازية يمكننا أن نضرب مثلاً من العبرية ،

(١) البيت بكامله :

فغزوان حرّ وأم الوليد - إن الله هافى أبا شبرّمه (الترجم)

(٢) يقصد البيت من الأشموني (١/٥٨٢) :

إن الحق لا يخفى على ذي بصيرة وإن هو لم يعدم خلاف معانيد (الترجم)

(٣) البيت للطرمّاح بن حكيم وهو :

أنا ابن أبة الضّيم من آل مالك وإن مالك كانت كرام المعادن (الأشموني ١/٥٨٤) (الترجم)

(٤) والبيت لمجهول :

علموا أن يؤمّلون فجسادوا قبل أن يسألوا بأعظم سؤل (الأشموني ١/٥٩٩) (الترجم)

(٥) من قوله تعالى : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك ... ﴾ الآية .

(٦) هو تنويع صوتي للفونيم ، ويطلق عليه في علم اللسان الحديث : ألفوناً والتون قد تظهر في سبعة أو ثمانية

ألفونيات في العربية ، حسب ما يلحقها أو يسبقها من أصوات . (الترجم)

(٧) المماثلة التي تحصل لها مع الكاف والقاف والجيم وهي تغييرات عادية في نظر سيبويه ٢/٤٦٥ .

بالمضارع الذي من حروفه الأصلية النون التي يحصل بينها وبين ما يليها من الحروف الصامتة مماثلة (مثل : يَنْبُل - يَبُل) . ولا محل للمماثلة في الجذور التي يأتي فيها بعد النون حروف حلقيّة ، حيث التضعيف غير ممكن^(١) ، وأقل تساوقاً في الجذور بالقاف والصاد والجيم (في مثل Good) والزاي (وليس السين واتس) بوصفها حروفاً أصلية ثانية ، ويحتمل أن يكون السبب مع القاف والجيم (القاهرة) هو أن النون قد تحولت إلى (الوفون) آخر فاكستبت صفة الطبقيّة ، ومع الصاد والزاي (انظر ما سيأتي في سوف) .

k- ١٠ - ويعطي ابن مالك تفسيراً (في الألفية ١٩٤) عبر أبيات شعرية نحوية^(٢) :

وإنْ تُخَفَّفَ أَنْ فَاسَمَهَا اسْتَكَنَّ

والخبر أجعل جملة من بعد أن

وإنْ يكن فعلاً ولم يكن دُعَا

ولم يكن تصرّفه ممتنعاً

فالأحسن الفصل بقَدَّ ، أو نفسي ، أو

تنفيس ، أو لَو ، وقليلٌ ذكُرُ لَو

وهذا يغطي وجهة نظرنا ، ولا يُخرجها بأي حال . والحالات التي لم توضحها وجهة

نظرنا ، لم يكن لها نصيب في التفسير عند ابن مالك كذلك .

أمّا مع السين وسوف فهناك بعض الأمثلة القديمة : أَنْ سيكون^(٣) ، (الآية ٢٠ من سورة المزمل)^(٤) ؛ زعم الفرزدق أن سيقتل^(٥) (جرير ، تحقيق الصاوي ص ٣٨٤ ، البيت ٣) ، أَنْ

(١) هذا يدل على أن مماثلة النون في الجذور قد حصلت متأخرة ، بعد أن فقدت الأصوات الحلقيّة قدرتها على

التضعيف ، والتطوير الأخير بحد ذاته متأخر . (انظر : Sievers, Metrisch, Studien, i, 300, Bergsträsser,)

Hbr. Gramm. i, 152) كذلك برهن على هذا بملاحظة n في حالات مثل . Lipöl (Bergstr, ib, 108) في

صيغة المضارع نفعال حصل مماثلة قديمة للنون .

(٢) ذكرتها بنصها الذي جاء في الألفية وليس كما نشرها المؤلف بالإنجليزية . (المترجم)

(٣) يقصد قوله تعالى : ﴿... عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ...﴾ الآية . (المترجم)

(٤) وفي الآية نفسها قبل ﴿أَنْ سَيَكُونُ ...﴾ : ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ ...﴾ قد يترك أثراً ، (والثناء بالضم

وليست بالفتح كما ورد في نص المؤلف) . (المترجم)

(٥) بيت جرير بأكمله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مَرَبَع (المترجم)

سوف يأتي كلُّ ما قُدِّر^(١) (مجهول ، السيوطي شرح شواهد المغني ، ص ٢٨٠) . من الممكن أن تعترض الأداتان بين أن وخبرها (ومن ثمَّ يجب أن نعتبره منصوباً) ، وربما يكون المفتاح بالمماثل العبري السابق ، حيث الشين والزاي كانا يقيّدان المماثلة ، ولا أستطيع أن أقول ما التغيير الذي يجب أن يحصل للنون قبل السين ، فقد يكون قد اختلف بطريقة ما .

إن كثيراً من أمثلتنا تأتي من مصادر عربية غربية ، وهناك أيضاً أمثلة عربية شرقية لا شك فيها ، لا نستطيع أن ندّعي أنه لا يوجد شيء خاص في العربية الغربية من الصيغ الخفيفة ، وأمل ، مع ذلك ، أن أكون قد عرضت هذه الصيغ الماثورة بصورة ممتعة ومفيدة .

١- ١١ - هناك شروط خاصة بـ «كأن» ويتكرر ظهورها أكثر من إن وأن قبل الصوامت المبدوء بها دون غيرها ، وهناك بعض الاختلاف في الرأي في إعرابها والحالة التي تحكمها ، ويستشهد سيبويه ببيت من الشعر لمجهول ، كأن ثدياه حُقَّان^(٢) ، وأضاف أن الخليل أصرَّ على رفع «ثدياه» (٢٤٢/١) . واتخذ الخليل الموقف نفسه إزاء شاهد احتج به قبل هذا مباشرة :

كأن ظبية تعطو إلى وارق السِّلَم^(٣)

لأحد اليشكريين ، وهو يعني ، (انظر : قهرس الشواهد ، ص ٢٢٠ ، ٢٦) . وسمع الزمخشري الاستشهاد به : ظبية ، وظبية أو ظبية ؛ مما يشعر أن الخليل كان يبسط وضع القاعدة . ولا يعرف السيوطي (الجمع ١٨/٢) سوى «ظبية» ويستشهد بالبيت على زيادة أن . ويبدو أن هناك تشويشاً وخلطاً بين كـ أن (كأن) وـك . ولا يُقرأ بيت رؤية إلا بالنصب

(١) والبيت بكامله :

واعلم فعلم المرء ينفعه أن سوف يأتي كلُّ ما قُدِّرَا (شرح شواهد المغني ٨٢٨/٢) . (المترجم)

(٢) والبيت بكامله :

وَصَدْرُ مَشْرِقِ النَّحْرِ كأن ثدياه حُقَّانِ (المترجم)

في الكتاب ١٣٥/٢ ، وقال بعده : «وزعم الخليل أن هذا يشبه قول من قال وهو الفرزدق :

فلو كنت ضبيّاً عرفت قرابتي ولكن زنجي عظيم المشافر (المترجم)

والنصب أكثر في كلام العرب ...» وفي ١٤٠/٢ : «ينخفون وينصبون : كأن ثدياه حقان» ، وإن سيبويه يقول

زعم ولا يقول بصر ، فالزعم فيه شك والإصرار فيه تأكيد . (المترجم)

(٣) وبأكمله في الكتاب ١٣٤/٢ :

ويوماً توافينا بوجهٍ مقسّم كأن ظبية تعطو إلى وارق السِّلَمِ (المترجم)

(الملحق ٣/٤) :

كَأَنَّ وَرِيدِهِ رِشَاءِ اخْتَلَبَ ،

ولا مجال هنا لافتراض اللهجة الحجازية .

m- ١٢ - يقول ابن هشام (في المغني ٣٥/١) إن لغة الحجاز^(١) تنصب اسمي إنَّ وأنَّ وخبريهما ، ويستشهد بالحديث : «إنَّ قعر جهنم سبعين خريفاً» (صحيح مسلم ، الجنة ، ٣١ ، وكل النصوص المطبوعة ترويه بالرفع سبعون) ، وبيت من الشعر لعمر بن أبي ربيعة (ولا يوجد في ديوانه) ينتهي بقوله : إنَّ حُرَّاسَنَا أُسْدًا^(٢) . ويستشهد الأشموني (٢١٤/١) ببيت آخر للعجاج (الملحق ٥٠/٣٣) :

يا ليت أيام الصبا رواجعا

وبيت لمحمد بن ذؤيب العُماني أو لأبي نُخَيْلة ، انظر : الخزائن ٢٩٢/٤) بنصب الاسم والخبر بعد كأنَّ^(٣) ، وقد ذكرنا (في فصل ١٢- فقرة m) أن هذا الشذوذ قد يساعدنا في حل إشكالية : «إن هذان لساحران» (الآية ٦٣/ طه) ، وينقل الأشموني عن ابن سيده وغيره أن

(١) ما جاء في المغني ٣٦/١ : «إنَّ... تنصب الاسم وترفع الخبر وقد تنصبهما في لغة... ولم يقل لغة الحجاز ، ويظهر أن المؤلف في عزوه هذا قد استنتجه من الحديث الشريف الذي استشهد به وفي الشواهد التالية واحد لابن أبي ربيعة ، مع أن الحديث الشريف كما يقول محققاً كتاب المغني في الهامش لا يوجد في الصحاح وإنما في الترغيب والترهيب وله رواية أخرى وهي : «لو أن حجراً قُذِفَ به في جهنم لهورى سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها...» فلا حجة فيه . (المترجم)

(٢) والبيت بكامله :

إذا اسودَّ جنح الليل فلتأت ولتكنَّ خطاك خفافاً ؛ إنَّ حراسنا أسداً (المغني ٣٦/١) ، (المترجم)

(٣) والبيت :

كَأَنَّ أذنيه إذا تشوَّفاً قادمةً أو قلماً محرَّفاً . (الأشموني ١٣٨/١)

ويعلق ابن سلام في طبقاته ٧٨/١ بعد قول العجاج : «يا ليت أيام الصبا رواجعا» : وهي لغة لهم ، سمعت أبا عون الحرمازي يقول : ليت أباك منطلقاً ، وليت زيداً قاعداً . ويقول الشيخ محمد محي الدين في تعليقه على هذا الشاهد (كَأَنَّ أذنيه ، وكذلك ليت أيام الصبا) في شرح الأشموني ٥٣٨/١- الهامش) . الظاهر أنَّ ليت قد نصبت الجزئين معاً ، وقد تمسك بهذا الظاهر جماعة منهم الفراء وزعم ابن سلام أن ذلك لغة رؤية وقومه (أي بني تميم) ، وصرَّح أبو حنيفة الدينوري عن أبي زياد بأن نصب الجزئين بليت لغة بني تميم ، وقد اضطرب النقل عن الكسائي ، فذهب أبو حيان إلى أنه يجيز نصبهما بليت... . (المترجم)

قوماً من العرب تنصب بإن وأخواتها الجزئين معاً . كذلك ورد مثل ذلك عن الصبان^(١) ، ومعظم النحاة يرفضون ذلك كله . ويمكننا أن نأخذ بوجهة نظر ابن هشام بأنها لهجة عربية غربية ، وبما أنه من الواضح أنها ليست من الفصحى ، فلا محل للاستغراب من ندرتها . أما بالنسبة إلى ليت فتجيز العربية الفصحى نصب الاسم والخبر معاً (انظر :Fleis) الحجازي ، مما يمكن حمل نتائجه على نزعة وجدت في تراكيب عربية أخرى ، لاستيعاب تشبيه إن وأخواتها بأفعال القلب^(٢) . (Wright, ii,48 seq) ، مما يشعر بوضوح بوجود صلة بينهما ، خاصة إذا كان صحيحاً ما أبداه جيوج Geogje من ملاحظة (Wright, ii,83) ثم ما سارت فيه ليت ورأيت من اتجاه مضاد ، من أفعال القلب إلى الأدوات العاملة في الجمل . ذلك الإحساس اللغوي من المتكلم العربي استطاع النحاة أن يبلوروه باصطلاحهم على هذه الأدوات : الحروف المشبهة بالفعل .

n- ١٣ - على العكس من هذا ، يقرر الخليل (فيما ذكره سيبويه ٢٤٢/١) أن بعض العرب يرفع اسم إن ، ويضرب مثلاً لذلك : إن بك زيد مأخوذ ؛ مما يعني أن زيدا قد فُتن بك ولا معنى لإن هنا أكثر من نعم . والشواهد المحتج بها بعد ذلك مباشرة ليست بأن وإنما «كان»^(٣) ، وكلها أشبه بمحاولة لتفسير : إن هذان لساحران (٦٣/ طه ، انظر الفصل السابق) .

o- ١٤ - إن خبر كان قد يأتي مرفوعاً وليس منصوباً (انظر :Noldeke,Zur Gramma., p.38)

(١) له حاشية على شرح الأشموني . (الترجم)

(٢) وكأنه يشبهها به نظراً لأن أفعال القلب تنصب مفعولين ، وإن وأخواتها على لغة تنصب الاسم والخبر فهما كالمفعولين . (الترجم)

(٣) يقصد مثل :

ويوماً توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم (الترجم)

ومثل :

وصدر مشرق النحر كأن ثدياه حُفانٍ س (الترجم)

وجاءت بعد قول سيبويه ١٣٤/٢ : «وروى الخليل رحمه الله أن ناساً يقولون : إن بك زيد مأخوذ . . .» (الترجم)

المستشهد بها ذات أصل حجازي^(١). ومثل آخر من الحديث يثبت فيه الرفع خطأً ، (في البخاري ، المظالم ، ٢٥) : كان ذلك الشهر تسع وعشرون . ويلحظ القسطلاني (٢٧٤/٤) مثل هذه الحالات التي تتكرر في الحديث ، وحالة أخرى محكومة بالقافية ، يُنسب فيه البيت إلى أمّ عقيل ، زوجة أبي طالب ، وهي حجازية طبعاً :

أنت تكون ماجدٌ نبيلٌ
إذا تهبُّ شَمْلٌ بَلِيلٌ

(ابن عقيل ص ٧٧ ، الشنقيطي ٨٩/١) .

«وتكون» زائدة عند النحاة العرب ، وهذا غير مرجح إلى حد بعيد ، ولا يحمل معنى ذا بال ومن هذه الناحية فاللهجة الحجازية (إذا كان التركيب لهجياً) لا تختلف عن العربية الفصحى فقط وإنما أيضاً عن الإثيوبية والعربية الجنوبية الحديثة (انظر : Brockelmann, GVG, ii, 357) ، يجب أن نقف ضد تلك الحالات التي يظهر فيها فاعل كان التامة منصوباً نحو : «إلا أن تكون تجارة» (آية ٢٩ / من سورة النساء)^(٢) ، «إن كانت إلاً صحيحةً واحدة» (الآية ٢٩ / سورة يس) ، «إذا كان حين العصر» (البخاري ، الإجارة ١١ ، وانظر القسطلاني ١٣٣/٤) ، إنّه كثير الدوران في الإثيوبية (انظر : Brockelmann, GVG, ii, 357) ويحتمل أن يكون قد شاع في العربية الغربية ومن المشكوك فيه أن يكون قد حصل هذا مع اسم كان الناقصة لأن ذلك يسيء إلى شك مشابه في خبرها .

p- ١٥ - من أكثر الملامح شهرة في لغة الحجاز هي استعمال ما (ولا وإن) في الجملة الاسمية مشبهة بليس في المعنى والعمل ، وهذه ما الحجازية التي ناقشها سيبويه بالتفصيل (في كتابه ٢١/١-٢٣) ، ومن كل النحاة العرب التاليين له ، ومع ذلك

(١) والرفع في بيت الفرزدق :

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتي ولكن زنجي عظيم المشافر

(طبعة الصاوي ٢٦٢/١) ليس من هذا النوع ، وفي عجز البيت تعبير بالرفع . علي أي حال هناك بيت لأعشى

باهلة (انظر : سيبويه ٢٤٣/١ ، Geyer, clxxxvi) ، يظهر النصب بالتأثير (يظهر أنه يقصد البيت :

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يخفى ويتعل (الترجم)

(٢) الكوفيون هم فقط الذين اعتبروا كان تامة هنا . (الترجم)

فلسنا متأكدين من مدى تكرارها في الحجاز بهذه الوظيفة ، ولا من أصلها . واستناداً إلى ابن هشام (المغني ٦/٢) أنها استخدمت في تهامة ونجد ، بينما الجوهري (الصحاح ٥٧٧/٢) ينكر بصراحة أن تكون قد استخدمت في نجد ، باعتبار أن تلك المنطقة كانت مأهولة بقبائل من العربية الغربية ، إضافة إلى القبائل العربية الشرقية ، وكلاهما قد يكون صحيحاً ، ولم يكثر قط دورانها في المصادر الحجازية ، ولم أجد سوى شاهد واحد في ديوان عمر بن أبي ربيعة (٧/٢١٢) في الطبعة التي فيها الرفع) وثلاثة في القرآن ، اثنان منها استشهد بهما سيبويه (٢٢/١) : « ما هذا بشراً » (٣١/ يوسف) و« ما هن أمهاتهم » (٢/ المجادلة) . ويضيف سيبويه وينو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف^(١) . ويظهر ، كذلك ، أن هذه ليست مسألة جهل فقط ، وقرأ ابن مسعود الهذلي الآية الأولى بالرفع (Jeffery, Materials, p.49). وقرأ عاصم أحد القراء المشهورين ، الآية الثانية بالرفع ، (ولكن راويه حفصاً قرأها بالنصب) وقرأ ابن مسعود ، وربيعة بن خثيم ، وأبو مجلز «بأمهاتهم» (Jeffery, p.99-307). الحالة الثالثة : «فما منكم من أحد عنه حاجزين» (٤٧- الحاقة ، بلا خلاف) ، ولم يذكرها النحاة ربما لأنهم اعتبروها حالاً . إن تركيب ما مع الباء (انظر الفصل q- الآتي) تكرر وروده في القرآن .

(Bergstrasser, verneinungs-partikeln, p.35)

q- ١٦ - ليس لدينا دليل على النحو الأفضل لـ«ما» في حالة الرفع ، وهي المسماة عند النحاة «ما التميمية» التي لاقت إجماع النحاة وموافقتهم باعتبارها الأقيس في نظرهم ، ولكن ابن يعيش (ص ١٣٢) يذكر أن ما الحجازية أفصح ، ويقرر الأصمعي (ابن يعيش ص ١٣٣) بأنه لم يسمع قط ما مع النصب في شعر البدو^(٢) ، ويمكن الملاحظة أنه لم يقل بأنه قد سمع مع الرفع ، ومع ذلك هناك بعض الأمثلة الرفع فيها مؤكد عن طريق القافية :

وما كل من تلقى بذلك عالمٌ

(١) هذا نص كلام سيبويه ٥٩/١ . (الترجم)

(٢) ونص ابن يعيش ١٠٨/١ : « يروى عن الأصمعي أنه قال ما سمعته في شيء من أشعار العرب يعني نصب خبر ما المشبهة بليس » ، والفرق بين هذا النص وما ذكره المؤلف هو البدو/ والعرب ، وهو الفرق بين التعميم والتخصيص . (الترجم)

(العفيف بن منذر التميمي في الأغاني ٤٦/١٤) .
وما كلُّ ما في النفس لي منك مُظهِرٌ
(لأحد بني أسد في الحماسة ص ٦١٨ ، ياقوت ، المعجم ٨٠٥/٣) .
ما كلُّ ما يهوى امرؤ هو نائله
(طرفة البكري ، ط أهلورد ، ٢٠/١٣) .

في الحالات الثلاث ، التركيب نوعاً ما مشوش ، فالفصل بين ما وخبرها يمكن أن يكون هو السبب في الرفع ، وما دامت الثلاثة لعرب من شرق الجزيرة ، يستحسن أن نبقى عليها ، حتى يظهر غيرها ، شواهد على أن لهجات شرق الجزيرة قد استعملت ما مع الرفع^(١) ، ويبدو أنه يتوجب أن نقرأ للفرزدق (٢ ط هل ، رقم ٦٢٨ ، البيت ٢٨) ، ليس في الطبعة التي فيها : ما أحدٌ من قيس عَيْلانَ فاخراً عليه ولكن «فاخراً» ، وفي التعبير : ما أنا مُؤَاخِذُكَ (مُواخِذُكَ) بشيءٍ تقوله ، لسعد الحجازي (الطبري ، التاريخ ٢٣١٦/١) ، مُؤَاخِذُكَ (قرأها ابن هشام بمُواخِذُكَ) . وبيت الشعر لشاعر هوازن الصمة القشيري (الأغاني ١٢٧/٥) : فما حَسَنٌ أن تأتي الأمر يمكن قراءته حَسَنًا بالنصب ، على ضوء السمة العربية الغربية من لهجة هوازن ولم تكن قراءة امرئ القيس سهلة علينا (ط ، هالورد ، ملحق ٤٣/١٨) : وما هذا شطارة لا عب . (وفي السابق : ١٩/٢٤) وما أنتم قابلٌ ، وما حَوَّلَ (وعليها أن نضع في اهتمامنا : ولا) مع أننا لا نعرف تصنيف لغة كندة^(٢) بين اللهجات الغربية والشرقية .

١٧-٢ - جمع النحاة عدداً من الحالات التي جاء الرفع فيها مع «ما» ، حتى في لغة الحجاز ، أو كما وصفوها بأنها مبطلّة لعمل ما ، ومعظم هذه الحالات يبدو أنه أقيم على نظرية تتطلب أن يكون لـ«ما» قدرة للعمل أقل من ليس ، التي هي عماد هذا الصنف من العمل^(٣) . والكتاب العرب أنفسهم يعترفون بأن معظم هذه القواعد يُخترق باستمرار ، والنحوي الاتقائي ابن عبد النور^(٤) (MS. Bodl. ط. ١٢٧٩, f. 96) Uri, 1279, f. 96 يختار منها اثنتين هما : ألا يتقدم خبر ما على اسمها ، وألا

(١) فيشر (ZDMG, lxi, 936/ lxi, 597) يستشهد بحالات أخرى من المتنبي والمقري ولكنهما ليسا في عصر الاحتجاج .

(٢) على أساس أن امرأ القيس من كندة . (المترجم)

(٣) ركنلدورف (Syntakt, verhalt, p 331) يسمي هذه القواعد : «رزمة تقديرات علماء القرون الوسطى» .

(٤) لعله يقصد أحمد بن عبد النور الملقب توفي ٢٠٧هـ - صاحب رصف المباني . (المترجم)

ينتقض نفي خبر ما ، ويأتي اختراق القاعدة الأولى على يد الفرزدق (٣٤/٩) في بيت شعر له :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم

إذ هم قريشٌ ، وإذا ما مثلهم بشرٌ

وبعضهم قرأ مثلهم بالنصب^(١) (سيبويه ٢٢/١)^(٢) وهو بلا شك أفضل ويوضح ابن عبد النور بأن الفرزدق قد أراد تقليد لغة الحجاز ، ولكنه أخطأ لجهله بالاستعمال الدقيق لهذه اللهجة ، والشعر صحيح تماماً ، ولا بد لنا أن نوافق الزجاج (في الخزانة ١٣٠/٢) الذي يقول : كان الفرزدق تيمياً حقاً ، وكان كذلك مسلماً يقرأ القرآن ، وفي الحقيقة إن لغة الفرزدق سماتها شرقية خالصة ويحتمل أنه استعمل ما الحجازية باعتبارها صيغة عربية فصحي ، دون أن يأخذ بالطبع حذره من النحاة المتشددین بعده^(٣) .

s- ١٨ - والقاعدة لابن عبد النور لها شيء من الأهمية ، لأننا نفترض أن خبر ما بعد إلا ، يأخذ الحكم نفسه دون إلا ، إذا كان النصب بعد ما ملمحاً حقيقياً في اللغة . وفي حالة لا النافية للجنس ، الاسم المستثنى بدلاً لا يكون منصوباً بل يرفع ، والسبب ، بالطبع ، أن النصب بعد لا هذه هو الحالة السابقة للخبر ، وليس الحالة العادية ، (انظر الفقرة w- الآتية ، Reckendorf, syntax.p.505) بالنسبة لجملة الاستثناء التي يذكر فيها المستثنى منه (الاستثناء المتصل) يقول سيبويه (٣١٧/١) إن المستثنى يأتي مرفوعاً^(٤) في الحجاز وعند تميم كليهما كما في : ما أنت بشيء إلا شيء لا يُعْبَأُ به ، وفي لهجة الحجاز يكون المستثنى بليس منصوباً (انظر : الفقرة z- الآتية) . وفي الجمل التي لا يذكر فيها المستثنى منه ، أي صار المستثنى نحوياً

(١) العبارة بنصها في كتاب سيبويه ٦٠/١ : «وزعموا أن بعضهم قال وهو الفرزدق : (يقصد نصب مثلهم في قوله)

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريشٌ ، وإذا ما مثلهم بشرٌ

وهذا لا يكاد يعرف ... (المترجم)

(٢) كما ذكر الأستراباذي (شرح الكافية ٢٦٧/١) ، والخزانة (١٣٠/٢) : وبعض الناس ينصبون مثلهم .

(٣) وينكر البغدادي ١٣٠/٢ بأن الفرزدق قد ارتكب هذا الخطأ النحوي لأن البدول تطاوعهم ألسنتهم على النطق باللحن .

(٤) ويعلل في الكتاب هذا الأمر في ٣١٦/٢ : «ومن قبل أن (بشيء) في موضع رفع في لغة بني تميم ... وفي لغة أهل الحجاز في موضع منصوب ولكنك إذا قلت : ما أنت بشيء إلا شيء لا يعبا به استوت اللغتان . (المترجم)

معتَمداً على ما (أي الاستثناء المفرغ) ، لم يقصّر التقعيد النحوي في تتبعه بصرامة .

يكون الخبر في حالة الرفع ليس فقط في شعراء وسط الجزيرة وشرقها (علقمة ١٣/١٣ ، طرفة الملحق ٨/٤ ، الشنفرى اللامية ٩ ، جرير تحقيق الصاوي ص ٤١ ، سطر ٤ في القافية) وإنما أيضاً في مواطن عدة من القرآن ، ونادراً ما يأتي الخبر مع ما منصوباً^(١) (انظر: Bergstrasser, verneinungspartikeln, p.35) وفي النحو شاهدان ، الخبر فيهما منصوب بضممان القافية ، أحدهما :

وما الدهر إلا منجنوناً بأهله

وما صاحب الحاجات إلا مُعذَّباً

ويُعزى هذا البيت إلى شاعر مجهول ، أسدي ، أو سعدي ، في النهاية حجازي (انظر فهرس الشواهد ، ص ٨/٣٣) . وصدر البيت استشهد به الأسترباذي (شرح الكافية ٢٦٧/١) ودون «ما» عند ابن هشام (المغني ٦٩/١)^(٢) .

والشاهد الثاني استشهد به على عهد الفراء (في شرح الكافية للاسترباذي ٧٣٢/١) انطلاقاً من نظريته بأنَّ إلا تتحكم في النصب في أي سياق :

يطالبني عمي ثمانين ناقة

ومالي يا عفراء إلا ثمانيا

ويمكن أن تكون «ثمانيا» هنا مبتدأ ، «ولي» خبر ، ويعزو البغدادى (الخزانة ١٣/٢) هذا البيت إلى عروة بن حزام الجذري ، أي عربي غربي ، ويقول إنه نُقل خطأ ، والرواية صحيحة تنتهي في رأيه بـ«غير ثمانين»^(٣) .

t- ١٩ يرى النحاة العرب أن «ما» تعمل النصب في لغة الحجاز ، لأنَّ وظيفتها في الجملة الاسمية أن تقوم بدور ليس (مشبهة بليس) . ويرى ركندورف (Syntakt, Ve-rhalthn, p.331) أن السبب في ذلك صفتها العامة باعتبارها رابطة بين المبتدأ والخبر وبالتالي شبهها بليس . وفي الواقع إن النصب بعد ليس (ذات الأصل

(١) يقصد خبر ما المستثنى بإلا ، كما سيذكر في الشاهد التالي مباشرة . (المترجم)

(٢) وفيه ٧٦/١ ط دار الفكر العربي :

أرى الدهر إلا منجنوناً بأهله وما صاحب الحاجات إلا مُعذَّباً (المترجم)

(٣) أي الشطر الثاني يجب أن يكون : وما لي يا عفراء غير ثمانين . (المترجم)

الاسمي^(١)، وتستخدم فعلاً نافياً مثل ما ، (انظر : Noldke, Zur Gram-
ma., p.89)

ليس من السهل فهمه ، أكثر من كونه بعد ما^(٢) ، حيث النفي له الأولوية ، إنه من المؤكد أن النقطة التي انطلق منها تأثير القياس أولاً كان دخول الباء على الخبر ، بدلاً من النصب . وفي القرآن ، كما في غيره ، قدر أكبر بكثير من ما بالنصب أو بالرفع ، وعلى العكس من التركيبين الآخرين فقد جرى استعماله على امتداد الجزيرة العربية . ويبقى السؤال في تحديد تركيب ما والباء مع ما الحجازية أو التميمية ؛ وهو أمر نال قسطاً وافراً من تفكير النحاة العرب ، وينكر سيبويه (٣١٧/١) وابن مالك أن يكون له أدنى صلة بتركيب ما مع النصب ، بينما أبو علي الفارسي والزمخشري (في المفصل ص ٣٦) يقيدان الباء مع الخبر ، بما الناصبة (الأشموني ٢٠٣/١) ، وتمسك البيضاوي (٣١٧/٢) بالرأي الأخير ، والجدل في هذه المسألة نظري بحث . ويذكر الأشموني ملاحظة أكثر واقعية حين يضرب أمثلة تبرز أن (ما . . . ب) شائع في أعمال شعراء تميم . وإن نظرة شاملة على شعر الشعراء الستة يعطي نتائج ذات قيمة وقد ذكرت مرة واحدة في شعر النابغة الغريبي (١٧/١٦) ، وذكر أيضاً في شعر الشرقي طرفة البكري (٩٨/٤) ، ولم أعثر على وجود لها في شعر عنترة الغريبي وزهير ، وعلقمة التميمي ، وما دامت «ما» لم تذكر مع الرفع ولا مع النصب في شعرهم ، فإن ذلك يعني أنهم لم يستعملوها قط في جمل اسمية ، والشاعر الوحيد الذي كرّر استعمال (ما . . . ب) هو امرؤ القيس (١٨-١/٧١ ، ٤/٢٤ ، ٥٩/٥٢ ، ٢/٥٠) . في الملحق بشعر هذا الشاعر ١٨ ، لا توجد سوى حالتين دون الباء (انظر : فقرة q في آخرها) ، ولكن من المشكوك فيه أن تكون تلك القطعة له حقاً . ويذكر الفراء (الخزانة ١٣٤/٢) أن كثيراً من أهل نجد يجرونها خبر الجملة الاسمية المنفية بما ، حين يسبق الباء ، وإلا فإنهم يرفعونه ، وليس من الواضح ما الذي يمكن أن نخلص إليه من هذا لتدريب بقية النجديين عليه : على استخدام النصب ، كما فعل ابن

(١) في لهجة ضبة فقط تستعمل ليس فعلاً عادياً بتصريفها : لُستْ أو لُستُ (التاج ، ٢٤٤/٤)

(٢) إن أخذ «ما» من أسماء الاستفهام (Reckendorf, syntakt, verhalten. p.83) قد يترك أثراً قليلاً في الجملة الاسمية ، وربما لاتصالها بفعل النفي المصري «م» وإعمالها هو الأثر الأخير الباقي من أصلها . وممة العبرية توظف للتعبير عن المحظورات (Can, v, 8, viii, 4, Eculus, xiii, 2, xxxii, 4) كالميم المصرية (انظر - Garain). (G.R.Driver لأود أن أوجه شكري للبروفسور (G.R.Driver) لأنه لفت نظري إلى وجود ممة النافية في العبرية) .

هشام (انظر الفقرة p أنفاً) ، أم نستعملها في التركيب الجملي حسب الفراء والجوهري (المرجع السابق) ، على اعتبار أنهم لا يعرفون استعمال «ما» في الجمل الاسمية؟ والرأي الأخير يتناسب مع الإحصاءات التي تشير إليه حتى الآن .

u - ٢٠ - إن النافية عربية غربية بالدرجة الأولى ، وهو ما يمكن استخلاصه من الأمثلة التي جمعها نولدكه (Neue Beitrage, p.21, Zur Grammm, p.89) ، وركندورف (Syn-tax, p.45) وقد ذكر سيبيويه والفراء أن الخبر يأتي مرفوعاً بعد إن في الجمل

الاسمية ، أما الكسائي والمبرد فيجيزان النصب (الزمخشري ، المفصل ١٤٣ ، وابن هشام في المغني ٢٢/١^(١) يجيز الأمرين)^(٢) . ولم يذكر إلى أية لهجة تنتمي سوى أن ابن هشام يقول : إنه قد سمع النصب عند أهل العالية كما في «إن أحد خيراً من أحد إلا بالعافية» و«إن ذلك نافعك ولا ضارك» ، وجاء النصب في بيتين من الشعر مجهولي القائل :

إن هو مستولياً على أحد^(٣)

حيث النصب مضمون بالوزن العروضي (الأسترباذي ، شرح الكافية ٢٧٠/١ ، والخزانة ١٤٣/٢) ، وكذلك :

إن المرء ميتاً بانقضاء حياته^(٤)

(العيني ، المقاصد ١٤٥/٢) .

وتظهر إن النافية في القرآن ، مع إلا (في الآية ٢٩/ من سورة الأنعام^(٥) والآية ١٥٥/ من سورة الأعراف^(٦)) بحيث يكون الخبر فيهما مرفوعاً (انظر : الملاحظات في فقرة s أنفاً) . والنصب بعد إن بناء على ما ذكره البيضاوي وابن هشام (المغني ٢٢/١) فقد جاء في

(١) فقد جاء في المغني : ١٩٠-٢٠٠ عن إن النافية هذه : «إذا دخلت على الجملة الاسمية لم تعمل عند

سيبيويه والفراء ، وأجاز الكسائي والمبرد إعمالها عمل ليس ... سمع من أهل العالية «إن أحد خيراً من أحد

إلا بالعافية» ... وما يتخرج على الإهمال الذي هو لغة الأكثرين ... الخ» . (الترجم)

(٢) والعيني (في المقاصد ١٤٥/٢) يقول إنها أصبحت محل جدل وخلاف بين البصريين والكوفيين .

(٣) هذا صدر البيت ، وعجزه : إلا على أضعف المجانين . (الترجم)

(٤) هذا صدر البيت ، وعجزه : ولكن بأن يُبقَى عليه فيخذلاً . (الترجم)

(٥) في قوله تعالى : ﴿ وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا ... ﴾ الآية .

(٦) في قوله تعالى : ﴿ ... إن هي إلا فتنتك ... ﴾ الآية .

قراءة مختلفة لسعيد بن جبير الكوفي (ت ٧١٣/٩٤) ، في الآية ١٩٤/ سورة الأعراف : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ﴾ . والطريق الصحيح لفهم هذه القراءة بينه أبو حيان (الخرزانه ١٤٦/٢)^(١) حين قال إنها توقع في تناقض^(٢) بين القراءتين وللتخفيف من وقع ما قاله أبو حيان ، يمكننا إعادة بناء القراءتين كالآتي :
أ . إِنَّ الَّذِينَ ... عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ : إنها القراءة الصحيحة ، مع الخصوصية الحجازية التي نوقشت في فقرة m آنفاً .

ب . إِنَّ الَّذِينَ ... عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ ، إِنَّ الْخَفْةَ بِمَعْنَى إِنَّ (انظر : e سابقاً) . يمكن أن تعتبر قراءة توفيقية ، ولكن بالنسبة لنظرية النحاة فإن الخففة ليست عاملة ، وإذا جعلناها إِنَّ النافية لا تصفي مزيد معنى ومهما كان الأمر فإن القراءة لا يمكن أن تخدم الحالة التي تتلوها .
إن النصب بعد إِنَّ يبدو أنها لا تتفق مع القاعدة ، وباعتراهم جميعاً أَنَّ «ما إِنَّ» لا يعملان النصب . ومع ذلك فإن هناك شاهداً بالنصب بعد «ما إِنَّ» مما يعطي انطباعاً بأنها خالية من التزييف :

بنى غدانة ما إِنَّ أَنْتُمْ ذَهَبًا
ولا صريفٌ ولكن أَنْتُمْ الْخَرْفُ^(٣)
(الأسترباذي ، شرح الكافية ٢٦٧/١ ، الخرزانة ١٢٤/٢ ، عن ابن السكيت) .

(١) في المنهج ص ٦٥-٦٦ ذكر الشاهد ، ولكن التفسير والشرح لم يُعط .

(٢) وقد ذكر وجه هذا التناقض في الخرزانة ١٦٦/٤ بقوله : «إن الجماعة يقرءون بتشديد النون وفتحها ورفع عباد وأمثالكم وذلك إثبات ، وقراءة سعيد على هذا التخريج نفي وورد بعده رد هذا التناقض ١٦٧/٤ : «إن التناقض الذي توهمه مدفوع ، لأنهم أمثالهم في أنهم مخلوقون وليسوا أمثالهم في الحياة والمنطق ، وقراءة سعيد على هذا التخريج أقوى في التشنيع عليهم من قراءة الجماعة» . (المترجم)

(٣) يبدو أن المؤلف قد تجاهل الرواية الأخرى للشاهد التي تهمل (ما) وهي :

بنى غدانة ما إِنَّ أَنْتُمْ ذَهَبٌ .

وربما لأجل أن يخدم ما أراد أن يوحى به من أَنَّ «ما إِنَّ» تركيب واحد عامل وليس هو «ما» زيدت عليها «إِنَّ» فأبطلت عملها وهو ما يجمع عليه النحاة العرب ، حتى إنه عندما تكلم فيما سبق عن مبطلات ما عن العمل ذكر اثنتين مستنداً إلى المالقي ابن عبد النور وتجاهل اقتراح «ما» بأن الزائدة وهو موضوع حديثنا هنا ، وتكرار ما وهي بما يتفق عليه النحاة وهو ما ذكره ابن مالك في الألفية بقوله :

إعمال ليس أعملت ما دون إِنَّ ... (المترجم)

وبنو غدانة إحدى عشائر تميم ، ولكن كلمة صريف (كذلك في الخزائنة) ذات أصل عربي جنوبي ، تفترض مؤلفاً من جنوب غربي الجزيرة العربية . في الوقت الذي لا يوجد فيه أمثلة مقبولة لـ : إن مع الباء ، هناك مثال لـ : ما إن مع الباء في بيت من الشعر للمتنخل الهذلي (ط هل ١/٤) .

v - ٢١ - يخبرنا الزمخشري (المفصل ، ص ٣٦ ، انظر السابق ص ١٦) أن «لا» في لغة الحجاز مشبهة بليس أيضاً . ويضع عدداً من الشروط تشبه شروط إعمال ما الحجازية إضافة إلى قيد آخر وهو أن يكون المبتدأ والخبر نكرتين ، وشرح ابن مالك تابعوا الزمخشري . ويبيدي سيبويه (٢٢/١) عدم موافقته كما في رأي بعضهم وينكر الأسترباذي (شرح الكافية ١١٢/١ ، ٢٦٦) هذا التركيب مرتين معارضاً رأي صاحب الكافية نفسه ، مقترحاً بأنه شاذ . ويزعم ابن عقيل (ص ٨٢) أن تميماً استعملت لا في جمل اسمية مع رفع الخبر ، ولم يرد في القرآن هذا التركيب بنص الخبر ، وترد لا في الجمل الاسمية للعطف والتنسيق فقط حيث تحل محل غيرها من النافيات (٣٣/ لقمان^(١) ، ٤٠/ يس^(٢) ، ١٠/ الممتحنة^(٣) ، ٣-٥/ الكافرون^(٤)) والخبر في كل هذه الحالات مرفوع ، دون أي خلاف في قراءتها . ويمكننا أن نقول أن لا تشبه ليس في هذه الحالات ، ولكنها لا تخلفها في ملامح تركيبها كلها . ولكننا لا نعرف ما إذا كان يُقرأ بيت الشعر الآتي لعمر بن ربيعة بالرفع أم بالنصب (٤/٢١٢) : لا الدار جامعة/ جامعة ولو جمعت ، كذلك بيت زميله حاتم الطائي العربي الغربي : فلا صححو ولا الغيم جائد^(٥) (٢/٣٩) ، والرفع مؤكد بسبب القافية ، و«لا» في الشاهدين للتنسيق والعطف كما هي في الشاهدين اللذين وردا في الأشموني ٢٠٤/١ للاستشهاد للنصب :

(١) في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً... ﴾ الآية . (الترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار... ﴾ الآية . (الترجم)

(٣) في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذي آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات... فلا ترجعهن إلى الكفار لا هن حلٌ لهن ولا هم يحلون لهن... ﴾ الآية . (الترجم)

(٤) يقصد قوله تعالى : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا أعبد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد... ﴾ (الترجم)

تعرّز فلا شيء على الأرض باقياً
ولا وزرٌ مما قضى الله واقبياً

وهو مجهول القائل ، والثاني :

وحلّت سواد القلب لا أنا باغياً
سواها ولا عن حبها متراخياً

وينسب إلى النابغة الجعدي الشرقي وكلا الشاهدين مع بيت عمر تتناقض مع قاعدة الزمخشري التي تشترط مبتدأ نكرة . والشاهد ، إن دل على شيء ، فإنه في الواقع يتعارض مع فرض النصب في الحجاز ، ولا بد من الملاحظة أن الخبر في كل الشواهد المحتج بها حتى الآن ، من أسماء الفاعلين ، إلا في القرآن (١٠ / المتحنة) ^(١) . وهذا يجعل من الصعب ربط التركيب العربي بالاستعمال العبري في المشناه باستخدام *lo* أقبل *eyn* قبل أسماء الفاعلين (Segal, Grammar, p. 162). في عبرية المشناه ، أيضاً إن هناك تكراراً خاصاً لأسماء الفاعلين المنفية المعطوفة ، والاستعمال في كلا اللغتين نشأ أولاً من الشواهد التي تتعاطف فيها أسماء الفاعلين من صيغ الأفعال المحدودة ، (كما في شواهد القرآن) . وبالنسبة للنصب ، في الشواهد التي يظهر فيها فإنه من غير المؤكد أنها تبرهن على وجوده ، ويجب كذلك أن نعول على شواهد القرآن حيث يفرض غياب الخلاف بأن النصب في أوقات قديمة لم يكن قد استعمل في مثل هذه الحالات . إن استعمال لا في الجمل الاسمية من أصل مختلف ، ولها وظيفة مختلفة عن استعمال ما وإن ^(٢) .

يجب أن يستبعد من هذه المناقشة الأمثلة التي تظهر فيها لا ناقصة ولكنها في الحقيقة لا النافية للجنس ، كما في بيت شعر لسعد بن مالك البكري (الحماسة ، ص ٢٥٠ ، البيت الرابع) الذي ينتهي بقوله :

فأنا ابن قيس لا براح ^(٣)

(١) يقصد قوله تعالى : ﴿... لا هنّ حلّ لكم ولا هم يحلونّ لهنّ ...﴾ الآية .

(٢) هناك أمثلة لـ : (لا ... بـ) على الرغم من أنه لا يوجد أمثلة لـ : (إن ... بـ) : وردت مرتين : معطوفة في بيت من الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي ، معاصر لعبد الملك (الأغاني ١١٨/٤ ، بيت ٦) ، وغير معطوفة في بيت الخطيئة (ZDMG, 47/77, o/68).

(٣) هذا عجز البيت وصدرة : من صدّ عن نيرانها ، وفي الكتاب : من قرّ وقد ورد غير مرة فيه : ٥٨/١ ، ٢٩٦/٢ وهو بكري وليس قيساً كما ورد في الكتاب . (الترجم)

الذي ناقشه اللغويون العرب باستفاضة ، وتأخذ بتفسير سيبويه (٣١٠/١) وفي دائرة الشعر وجدنا بيتاً من الشعر لمرة بن ذهل البكري :

فلا وكل ولا رث سلاحي

وترجمها نولدكه : (Delectus,p.41) فأنا لست جباناً ولا سلاحي مثلوماً . وربما على المرء أن يفسرها أنه (لا أمل لديه في قبيلته) ، فإنه ليس جباناً ولا . . وفي الشاهدين كليهما الرفع بعد لا النافية للجنس ، كما هو الحال في الشعر أحياناً (انظر : Reckendorf, syntax, p.119) . والشيء نفسه محتمل حقاً في البيت الآتي :

نصرتك إذ لا صاحب غير خاذل^(١)

(مجهول القائل ، ابن هشام ، المغني : ١٩٥/١) .

حيث غير حرف جر^(٢) ، ومن المشكوك فيه كذلك ما إذا كان علينا أن نضم إلى شواهد الرفع بلا ، تلك التي يكون فيها المبتدأ جملة مؤولة^(٣) مثل : لا عليكم أن لا تفعلوا (البخاري ، القدر ، ٤ ، القسطلاني : ٣١٥/٩) .

لو lo العبرية البابلية تشبه في استخدامها إين eyn حين يكون المبتدأ في حالة المصدرية (المصدر المؤول) مثل : lo tobh heyoth ha-'adham lebhaddo «ليس من المستحسن للرجل أن يعيش وحيداً» أو oth ken lonakhon la'a أليس من الملائم أن تفعل ذلك . (Ex.,viii,18)

w- ٢١ - يقول الزمخشري (المفصل ص ١٥) يمكنهم في لغة الحجاز ، أن يذكروا الخبر في الجملة التي تحتوي على لا النافية للجنس في مثل : لا رجل في البيت ، في حين في لغة تميم لا يثبتونه ، فلا يقولون : لا رجل . ويثبت الأستراباذي (شرح الكافية ١١٢/١) أن الزمخشري هو صاحب هذه الملاحظة . وهي بجلاء أقيمت على حقيقة أن لا النافية للجنس نادراً جداً ما تظهر دون خبر ، باستثناء قليل من العبارات . (انظر . Bergstrasser, Verneinungspartikeln,p.57)

واعترض الجزولي على هذا الخبر بقوله : « بنو تميم لا يلفظون به (يقصد الخبر) إلا أن

(١) وعجز البيت : فُبُوتُن حصناً بالكماة حصينا . (الترجم)

(٢) لا أظن أن المؤلف يقصد أن تكون حرف بالمعنى الحرفي لهذا الاصطلاح ولكنه يقصد أن ما بعدها مجرور ، ولكن بالإضافة . (الترجم)

(٣) حيث يمكن تأويل هذه الجملة بمصدر يكون مبتدأ نحو : لا عليكم عدم فعلكم . (الترجم)

يكون ظرفاً أي ليس وصفاً ، كذلك يعلّق الأندلسي بقوله : لا أدري من أين جاء نقله (يقصد الزمخشري) ولعله قاسه ، والحق أنّ بني تميم يحذفون الخبر حين يكون جواباً لسؤال ، أو إذا قامت قرينة غير السؤال دالة عليه ، وإذا لم تقم فلا يجوز حذفه ، وعليه يجب الإتيان بالخبر عند بني تميم كما هو عند أهل الحجاز (انظر الأسترباذي ، السابق نفسه) والسمة النظرية الخالصة لكل ما قام من حوله كانت من ملاحظة أبقاها الزمخشري على بيت من الشعر ورد في ديوان حاتم الطائي (٦/٥٠) وهو :

ولا كريم من الولدان مصبوح^(١)

ولا بدّ أن يكون حاتم قد أخذ هذا من لهجته الحجازية^(٢) . ويثبت الخبر بعد لا عند الفرزدق والأخطل ، وشعراء من شرق الجزيرة ، ولكنه قد يكون أقلّ مما هو في العربية الغربية . والتركيب دون الخبر ، بالطبع ، أقدم ، منذ أن كان النصب أصلياً في الخبر (Noldeke, Zur Gramm., p.47; Recokndorf, syntakt. Verhalten., p.343) .

بالطريقة التي وردت في القرآن ، لا يختلف نفي الجنس في وظيفته عن التراكيب مع ما وليس ، وهذا يمنح شيئاً من القيمة الجوهرية لافتراض أن لا النافية للجنس قد نشأت في أجزاء أخرى من الجزيرة العربية ، حيث استمرت تستخدم بوظيفتها الأصلية في الأخبار ، ووردت إلى الحجاز على أنها صيغة عربية فصحي .

x- ٢٢ - في جمل الاستثناء المنفي التي لا يكون فيها المستثنى من جنس المستثنى منه نحو : ما جاء أحد إلا حماراً (الاستثناء المنقطع)^(٣) ، وفيه ينصب المستثنى في لغة أهل الحجاز ، في حين في لغة تميم يكون المستثنى تابعاً للمستثنى منه (سيبويه ٣١٩/١) ويقرأ أهل الحجاز في القرآن الآية ١٥٧ من سورة النساء : «ما

(١) وهذا عجز البيت وصدّره : إذا اللقاح غدت ملقى أصرتها

ونسب هذا البيت أيضاً لرجل من بني النُبَيْت في هامش المفضل ص ٢٩ ، ومن العيني في شرحه على شرح الشواهد في حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٧/٢-١٨ ، وهذا النُبَيْتي اسمه عمرو بن مالك بن أوس . (المترجم)

(٢) وفي التعليق على ملاحق الديوان أن هذا البيت ليس لحاتم ، أنّه لرجل من بني النُبَيْت من المدينة ، وهي ملاحظة لا توجد فرقاً في الدلالة .

(٣) إنها نفس الوظيفة في عبرية المشناه والسريانية «إلا» .

لهم به من علم إلا اتباع الظن»^(١) وتوجد في شاهد شعري لعباس بن مرداس السلمي (ابن هشام ، السيرة ، ص ٨٦٥ ، رقم ٨) :

ولم يكن/ بنا الخوف إلا رغبةً وتحزماً^(٢)

والأمثلة بالرفع تأتي كلها من مصادر شرقية : بكري (الحماسة ص ٢٤٩ ، بيت ٢) في القافية ، وأسدي (الطبري ، التاريخ ١/١٩٥٢ ، بيت ٦) ، الأخطل التغلبي ، ط الصالحاني ، ٢/١ جران العود النميري (ط القاهرة ١٣٥٠ ، ص ٥٢) ، الفرزدق التميمي (ط باوتشر ٦٦/٦٣) ويروي سيبويه (١/٣٢٠) أبياتاً من الشعر تقرأ على الوجهين ، أهل الحجاز يقرؤونها بالنصب ، في حين يقرؤها التميميون بالرفع .

إنه من المشكوك فيه فيما إذا كان التمييز بين الاستثناء المنقطع والمتصل هو العامل الحاسم حقاً في هذا الصدد ، وقد ذكر سيبويه (١/٣١٨) أن المستثنى بإلا في أي جملة استثناء منفي ، قد يكون منصوباً في إحدى اللهجات «بعض العرب الموثوق بعربيته» كما في : ما مررت بأحد إلا زيداً ، وهذا من الاستثناء المتصل .

ومن حالات النصب في القرآن : الآية ٤٦ - من سورة النساء^(٣) ، والآية ٦٦^(٤) - النساء أيضاً بقراءة ابن عامر^(٥) ، والآية ٩٨ - من سورة يونس^(٦) ، والآية ٨١ - من سورة هود^(٧) (قراء الجمهور إلا ابن كثير وأبا عمرو) ، والآية ١١٦ - من سورة هود^(٨) ، وذكر فيها كلها المستثنى إلا الآية ٤٦ - من سورة النساء . ولم يحظ هذا التركيب بموافقة النحاة ، فالبيضاوي

(١) في الآية ٦٥/ النمل : ﴿لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...﴾ اتخذها ابن مالك شاهداً على لهجة تميم (من الخزانة ٢/١٣٤) الذي نطق بها حجازي ، وبالتأكيد فإن السبب الذي عولمت على أساسه معاملة الاستثناء المنقطع ، ديني خالص .

(٢) صدر البيت : وبتنا بنهي المستدير ولم يكن ... (المترجم)

(٣) في قوله تعالى من الآية : ﴿... فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ . (المترجم)

(٤) في قوله تعالى من الآية : ﴿... ما فعلوه إلا قليل منهم...﴾ الآية . (المترجم)

(٥) أي بالنصب ، وهي قراءة أبي وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر ، وبالرفع قراءة الجمهور (انظر البحر المحيط ٢٨٥/٣ - ط دار الفكر) . (المترجم) .

(٦) في قوله تعالى : ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنقمها لإيمانها إلا قوم يونس...﴾ الآية . (المترجم)

(٧) في قوله تعالى : ﴿... ولا يلتفت أحد إلا امرأتك...﴾ الآية . (المترجم)

(٨) في قوله تعالى : ﴿... إلا قليلاً من ألحينا منهم...﴾ الآية . (المترجم)

يسمى قراءة الجمهور في الآية ٨١/ هود بأنها على غير الأفصح ، ويخلص الزمخشري (المفصل ص ٣١) من هذه المشكلة إلى إلحاق إلا بالاستثناء غير الموجب (من أجل تجويز النصب)^(١) . ويحتمل أن تكون الحقيقة في أن الفرق الحقيقي لا يقع في لغة الحجازيين إلا الاستثناء المتصل والمنقطع ولكن بينهما من جهة ، وبين الاستثناء المفرغ ، حتى هذا الفرق يهمل أحياناً ، والاتجاه دائماً إلى نصب ما بعد إلا .

واستبدل الأستراباذي (شرح الكافية ٢٢٨/١) بتقسيم سيبويه قسمًا واحداً أكثر تعقيداً يتكون من عدة حالات حيث المستثنى منه يمكن حذفه دون أن يؤثر ذلك في المعنى ، في الحالة التي تجعل فيها تميم المستثنى يتوافق مع المستثنى منه في الحالة الإعرابية ، وفي حالات أخرى لا يمكن حذفه ، حيث ينصبه التميميون وجوباً كما في الآية ٤٣- من سورة هود : «لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم» .

z- ٢٤ - في لغة الحجاز ينصب المستثنى في الاستثناء المنفي بليس ، أو بكان المنفية (أبو عمرو بن العلاء ، في المغني لابن هشام ٢٢٧/١) . وهذا يختلف عما يحصل مع ما الحجازية (في الفقرة s أنفاً) . ويرد في القرآن مثل هذه (الآية ٥٣- الأنفال^(٢) ، الآية ١٩^(٣) - يونس^(٤) ، وفي السيرة (لابن هشام ص ٣٨٣ ، السطر ٢٠ ، الطبري ، التاريخ ١٠٣٥/١- سطر ٣) . ويضيف أبو عمرو أن تميماً ترفع مثل هذه الحالات ويضرب مثلاً بقوله : ليس الطيب إلا المسك ، أما معاصره عيسى بن عمّر فأدهشه هذا القول ، وثبتت له صحته من أحد التميميين مباشرة (انظر : الفصل الثاني فقرة s) وقد احتج سيبويه (٣١٧/١) بشاهد^(٥) لأوس بن حجر التميمي على النصب في أسلوب (ليس ... إلا) . ولا يعني هذا أكثر من أن التركيب التميمي لم يستعمل إلا في تميم ، حين لا يريدون أن يستخدموا العربية

(١) يقصد المؤلف ما قاله الزمخشري في الفصل ٦٨ من الاستثناء : «جائز فيه النصب والبدل وهو المستثنى من

كلام تام غير موجب كقولك ما جاءني أحد إلا زيداً وإلا زيداً ...» (المترجم) .

(٢) في قوله تعالى : «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية ...» (المترجم)

(٣) هي قوله تعالى : «وما كان الناس إلا أمة واحدة ...» الآية .

(٤) ومن أجل الآية ٩٢/ من سورة يس : «إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون» ، انظر فصل p- أنفاً .

(٥) وهو في الكتاب ط هارون ٧١٣/٢ :

يا ابْنِي لُبَيْتِي لَسْمًا يَبْدُ إِلَّا يَدًا لَيْسَتْ لَهَا عَصْدُ . (المترجم)

الفصحى . هل كان عرب الحجاز يصرون على النصب مع ليس ، ويتخلون عن النصب مع ما وإلا؟ ربما يكمن الجواب بمحض المصادفة في الشواهد التي تأتي دائماً مع ما من الاستثناء المفرغ؛ في حين أن الشواهد مع ليس ... الخ يأتي فيها المستثنى منه في العادة ، ولذلك بنيت على النزعة التي ذكرت في الفقرة الأخيرة^(١) .

aa - ٢٥ - يقول النبي ﷺ [في حديث له (ابن سعد : IVB/ 46 ، سطر ٧) «أسامة أحبُّ الناس إليَّ ما حاشا فاطمة» . وغالباً ما يتم شرحه : أسامة هو الأعزُّ لدي من بين الرجال ، وفاطمة غير مستثناة . وزيدت في رواية الطبراني «ولا غيرها» بما جعل الشرح خالياً من الخطأ تماماً . واعتبر ابن مالك (ابن هشام ، المغني ١/ ١٠٩) ما حاشا بنفس معنى حاشا^(٢) ، بناء على أنها من لغة النبي^(٣) . ويتعارض هذا من ابن مالك مع ما أخبر به (في الألفية ١٣٣) من أن «حاشا» ليس من الضروري أن تصحبها ما^(٤) . ولم يجوز شارح الألفية الأشموني ١٧٢/٢ : قام القوم ما حاشا زيداً . وهي الجملة نفسها التي يوردها ابن مالك في المعنى للاستدلال على صحة ما يقول وصدِّرها بقوله : إنَّه قد يقال أحياناً .

ويحتج ابن هشام والأشموني ، كدليل آخر ، ببیت آخر للأخطل التغلبي (ص ١٤٦ ، سطر ١٠) وهو :

رأيت الناس ما حاشا قريشاً

فإننا نحن أفضلهم فعلاً

ويبدو أن الأخطل قد أراد عدم الاستثناء حقاً ، ومهما يكن من أمر فإنه لا أصل لعزو

(١) والحالة الوحيدة التي جاءت بالنصب مع الاستثناء المفرغ في القرآن في الآية ٣٩ / الإسراء : «هل كنت إلا بشراً» وهذه مسألة بلاغية ، واعتبرت سؤالاً حقيقياً وبالتالي انتظم بنصبها .
(٢) أي الاستثناء .

(٣) ويبدو أن المؤلف استعمل لفظة Language لغة وليس كلام النبي عليه الصلاة والسلام كما جاء في المعني والفرق واضح فكلمة لغة تعني النظام اللغوي أما الكلام فتعني أنها من مفردات النبي ﷺ ، وليست مزيدة من غيره . (المترجم)

(٤) بقوله في الألفية :

وكخلا حاشا ولا تصحب «ما» وقيل «حاش» ، وحشا» فاحفظهما . (المترجم)

هذا الاستعمال للحجاز .

bb- ٢٦ - وحاشا في الأصل اسم متبوع بالمجرور (انظر : Reckendorf, syn- takt. Verhalten., p.426)، والمعهود في العربية أن تأتي مع : ما خلا وما عدا بزيادة ما في جملة فعلية ، كما في الفقرة السابقة ، ويأتي بعدها الاسم منصوباً ، ولم يجوّز سيبويه الاستعمال الأخير^(١) ، ولقيت تردداً من الزمخشري^(٢) (في الفصل ص ٣١) اعتماداً على المبرد . ويستشهد الأشموني (انظر : الفقرة الأخيرة) بنخبة من العلماء^(٣) الذين يجيزون النصب بحاشا ، والشواهد الصحيحة من شرق الجزيرة : الأخطل (انظر أعلاه) ، وجُميح الأسدي (المفضليات ٤/١٠٩)^(٤) .

cc- ٢٧ - إلى جانب الجملة ذات الوجهين تمتلك العربية وسيلتين أخريين لإفادة التوكيد بوضع أحد عناصرها في موضع مميز من الجملة^(٥) . وأولها التوسّل بأما التي تؤكد الجزء غير المميز (غير المؤكد) في الجملة ، انظر : الزمخشري (في المغني لابن هشام ٥٤/١) : «إذا ما قصدت زيد ذاهب ، وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت : أما زيد فذاهب»^(٦) . والكلمة التي تأتي بعد أما تأخذ اسمها من خلال وجودها^(٧) وبالتالي الرفع (Reckendorf, syntakt. Verhalten., p.309).

(١) بقوله في ٣٤٩/٢-٣٥٠ : «وأما حاشا فليس باسم ولكنه حرف يجر ما بعده كما تجرّ حتى ما بعدها . . . ألا ترى أنك لو قلت : أتوني ما حاشا زيداً ، لم يكن كلاماً . . .» . (الترجم)

(٢) لأنه يقول في الفصل ص ٦٨ بداية عن ضرب من الاستثناء يكون «مجزوءاً أبداً وهو ما استثنى بغير وحاشا . . .» ثم يذكر أي المبرد بالنصب دون أن يوضح موافقته أو عدمها : «والمبرد يجيز النصب بحاشا» . (الترجم)

(٣) يقصد ما جاء في الأشموني ١٦٥/٢ (مع حاشية الصبيان) : «الصحيح جواز (النصب بحاشا) فقد ثبت بنقل أبي زيد وأبي عمر والشيباني والأخفش وابن خروف وأجازه المازني والمبرد والزجاج . . .» . (الترجم)

(٤) يقصد قوله في المفضليات ص ٣٦٧/١٠٩ :

وينورواحة ينظرون إذا نظر الندى بأنف خثم

حاشى أبا ثوبان إن أبا ثوبان ليس بكمة قدّم (الترجم)

(٥) إنني أفضل استخدام اصطلاح (extraposition) من وضع يسبرسن) على اصطلاح Casus pendens أو nominative absolute. مما يوحي بمفاهيم غير مقصودة .

(٦) نقلت العبارة بنصها من المغني ٥٩/١ . (الترجم)

(٧) فقد تأتي مبتدأ أو خبراً ، وقد يكون جملة شرطية وقد يكون منصوباً مفعولاً به أو غيره . (الترجم)

أما الوسيلة الثانية فبالقديم ، بتقديم ما يقع عليه الاهتمام عن موضعه الأصلي في جملته كما في : إياك نعبد (الآية ٥- الفاتحة) . وقد تتقدم الفاء الجملة الصغرى كما في : الله فاعبد (الآية ٦٦/ سورة الزمر) . وكما نرى في الأمثلة ، التركيب الثاني يؤكد بقوة اللفظ المتقدم المراد بيان أهميته ، ويتشابه النمطان فيما بعد والكلمات التي بعد أما (دائماً مع الفاء) تُنصَّب حين تتطلب الجملة الصغرى تلك الحالة ، وعليه وجدنا «فأما اليتيم فلا تقهر»^(١) ، الآية ١٧- من سورة فصلت التي قرأها ابن عباس ، والأعمش ، وابن أبي إسحاق بالنصب «أما ثموداً فهديناهم»^(٢) ، وهذا أمر شائع في الطلب والتحذير (سيبويه ٥٨/١) ، ويبدو أن الأمر ليس مرتبطاً بأية لهجة .

ومع ذلك فهناك أمثلة تأتي فيها ما بعد أما منصوباً ، أيّاً كانت الحالة المفضلة للاسم في الجملة الصغرى ، ومهما اختلفت اللهجات . ويناقش سيبويه (١٦٢/١- ١٦٥) مثل هذه الحالات بشكل واسع ، وعرضه ينقصه الوضوح ، ويتعامل مع مقولات منطقية يبدو أنها لا تتيح إمكانية كبيرة للتمييز النحوي ، وسأقوم بتلخيصها بقدر ما أستطيع :

dd - ٢٨ - في مثل الحالات : أما علماً فعالمٌ ، أما علماً فلا علمٌ عنده حيث الاسم المقدم مُصَدَّرٌ نكرة ، والأصل فيه النصب ، ويرفع في لغة غميم ، مع أن النصب في لغتها أحسن . وهناك مثال للنصب وهو عبارة منسوبة إلى رجل من الحارث (الحماسة ، ص ٢٥ ، سطر ٢١) :

أما قتلاً فليست قاتلاً

ee - ٢٩ - أما في حالة أما العلمُ فلا عالمٌ ، مع مصدر معرفة^(٣) ، ففي لغة الحجاز ينصبون ويرفعون ، والتميميون يرفعون دائماً . وهناك مثال آخر هو بيت شعر للمخزومي أي الحجازي (انظر : Schawahid- Indices, p.24, a, l)

أما القتالُ فلا قتالٌ لديكم^(٤)

ff - ٣٠ - أما إذا كان المتقدم اسم ذات كما في : أما عبيدٌ فذو عبيدٍ أو : أما العبيدُ فذو

(١) الآية ٩- الضحى . (المترجم)

(٢) انظر البحر المحيط : ٤٩١/٧ . (المترجم)

(٣) لا شك أن هناك اختلافاً في المعنى لم نستطع إدراكه .

(٤) هذا صدر بيت ، وعجزه : ولكن سيراً في عراض المواقب . وهو في الخزانة شاهد على حذف الفاء أي

الرواية فيه : أما القتال لا قتال لديكم . (المترجم)

عبيد . وهي في اللهجات كلها بالرفع ، ويزعم سيبيويه أنه سمع من العرب من يقول : أما ابن مُزْنِيَّة فأننا ابن مُزْنِيَّة . وما دامت مساكن مُزْنِيَّة ملاصقة للمدينة (انظر : خوالسكي ، قيس بن الخطيم ص ١٤ ، البيت الأول) ، وعليه يمكننا أن نعتبرها عبارة لحجازي ، وقد عرف يونس (سيبيويه ١٦٤/١) أن بعض العرب يقولون هذا التركيب بالنصب^(١) .

gg- ٣١ - والدرجة الآتية هي التي سماها سيبيويه صفة^(٢) ، ويبدو أن الاصطلاح قد استعمل بمعناه الواسع ، والنموذج هو : أمّا علماً فعالمٌ ، وينصب في اللهجات كلها ، ويحتج سيبيويه بمثال آخر باسم موصوف : أما صديقاً مصافياً فليس بصديق مُصافٍ ، وبمثاله - بالرغم من أنه اسم فاعل - : أمّا جابياً فلا (البلاذري ، الفتوح ، ص ٣٠٣) والسمة الوصفية أقوى في : أما صادراً فوسيقه^(٣) جميل (قطامي التغلبي ٥٩/٧) . ونستطيع أن نقول إن النصب على الحالية .

hh- ٣٢ - إن تحليل سيبيويه للمنصوبات مختلف في الحال والتمييز ، وهذا ما يسلم به ركندورف (syntakt. Verhalten., p.793) . ويبدو من المرجح أن النصب يمتد قياساً من هذه الحالات ، حيث جرى تسويقها بالمكان الواقعي للكلمة المتقدمة : فالنمط الأصلي لـ «أما علماً فعالمٌ» . هو : هو عالمٌ علماً ، وسيبيويه نفسه يستخدم هذا المعيار حين يرفض مثل : أما عبيدٌ فذو عبيد ، على أساس أنه لا أحد يقول : هو رجل عبيداً . وهجر اللغويون المتأخرون تصنيف سيبيويه الذي يشوبه التعقيد ، فالزمخشري في الفصل لم يتعامل قط مع هذا النمط ، أما ابن مالك (في التسهيل ورقة ٤٣-أ) فلم يقل سوى أن النصب في : أما علماً فعالم ، لغة حجازية ، وأهل الحجاز كذلك يرفعون ، ولم يذكر الأشموني (٣٤/٤) الاختلافات اللهجية ، ويعزو إلى قريش من مثل : أما العبيد فذو عبيد ، (وهو التركيب الذي ساقه سيبيويه) ، وأما قريشاً فأننا أفضلهم ، ومن أحسن ما قيل إنه من المسموع

(١) ففي الكتاب : ٩٨٣/١ ط هارون : أن أقواماً من العرب يقولون : أما العبيد فذو عبيد ، وأما العبيد فذو عبيد . (المترجم)

(٢) في قوله في الكتاب ٣٨٧/١ : «وما ينتصب من الصفات حالاً كما انتصب المصدر الذي يوضع موضعه ولا يكون إلا حالاً . . . أما علماً فعالم . . .» (المترجم)

(٣) الوسيقة هي الغنيمة . (المترجم)

(الذي لا يخضع للتنظير النحوي)، وتعليقه هذا يرفض عملياً شرح سيبويه لهذه التراكيب .

ii - ٣٣ - يمكن أن يكون لعسى تركيبان في العربية الفصحى ، إحداهما غير المتصرفة (التامة) (على التجريد من الضمير) : الرجلان عسى أن يفعلا . والأخرى أن تتطابق مع المبتدأ تذكيراً وتأنيثاً ، إفراداً وتثنية وجمعاً : الرجلان عسياً أن يفعلا . ويعزوها سيبويه (٤٢٦/١) إلى الاختلاف اللهجي ، ولم يخصص . ويعزو البيضاوي (٢٦٣/٢) المجردة من الضمير إلى لغة الحجاز ، وعسى المتصرفة بالإضمار لغة تميم ، ويثبت السيوطي (في البهجة ، ص ٣٣) العكس . ووردت عسى في القرآن فاعلها جمع ومثنى في الآية ٢١٦ - من سورة البقرة^(١) ، وفي الآية ١١ من سورة الحجرات^(٢) ، وقرأ ابن مسعود الهذلي وأبي المدني : عَسَوْا وَعَسَيْنَ (Jeffery, Material, p.93,304) وفي الآيتين ظهرت عسى مرتين ، وهما ليستا بمرتبة واحدة وربما يعود ذلك إلى اختيار الصيغة غير المتصرفة (المجردة من الضمير) ، ووردت عسى المتصرفة (بالإضمار) مرتين أيضاً : في الآية ٢٢ - من سورة محمد : ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا﴾ ، وفي الآية ٢٤٦ - من سورة البقرة : ﴿... هل عسيتم ... ألا تقاتلوا﴾ . أن تكون عسى بمعنى ربما غير كاف ، وبودي أن تكون يجرؤ ، وقد يكون هذا هو المعنى الأصلي للفعل ، وقرأ نافع الآية ٢٢ - من سورة محمد : عَسَيْتُمْ بدلاً من عَسَيْتُمْ . وهذا تطابق صوتي مع عَسِي ، وهي صيغة لهجية لعسى يَعْسُو «يصبح كبيراً وقوياً» (اللسان ٢٨٣/١٩) . إن حلقة الوصل هي : (ليكون قادراً من أجل انتقال المعنى ، انظر : الأثيوبية كَهَلَا- kehla ، والآرامية البابلية كَهَل - khl- قادر ، وكَهَلَّ العربية (تَمَّ نَمُوهُ)^(٣) .

(١) في قوله تعالى : ﴿... وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ الآية . يبدو أنه فات المؤلف أن المصدر المذلول (أن تكرهوا ، أن تحبوا) في محل رفع فاعل ، وقد يقصد هنا دلالة الجمع . (المترجم)

(٢) في قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يستخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن﴾ الآية .

(٣) يمكننا أن نقارن العبرية hō'i التي تعني بدأ ، جرؤ ، أكمل ، كل هذه المعاني تعود إلى «ليكون قادراً» والكلمة لكي تكون مشابهة للكلمة الهذلية آلى - يقوى (ابن دريد - الجمهرة ٨٨١/١) . انظر الميلاء ٢٥٣/٢ .

ويستشهد الأستراباذي (شرح الكافية ٣٠٣/٢) بمثالين يأتي فيهما بعد عسى اسم ليس أن: عَسَيْتُ صائماً، والمثل: عسى الغيورُ أبوساً (اللسان ٣٤٤/٤)^(١)، إن عسى غير المتصرفة بمائلة لكلمة المشناه العبرية: yākhōl = إنه قادر في مثل: yākhōl tāqēphāh 'ālāw " mishnatho يمكن أن تكون دراسته صعبة جداً عليه » (Aboth,iii,8) في كلا المثالين تتبدى الظاهرة السامية النادرة للفعل المبني المجهول حقاً، ويشعر ذلك بأنه لا بد أن يكون هناك أكثر من تشابه بمحض الصدفة، وإن استعمال الصورة غير المتصرفة لا بد أن يكون قد نشأ في مكان ما من الجزيرة العربية (ربما في منطقة لها اتصال بالعبرية) وانتشر، ومع ذلك لم تخلف التركيب المبني للمعلوم القديم، أما فيما إذا كانت الحجاز هي مركز هذا الإشعاع، فلا يمكننا قول ذلك.

kk- ٣٤ - يقرر اللحياني (التاج ٢٦٢/١) فيما نقله الكسائي والأصمعي، أن تناسق الجمل الذي تأتي فيه أفعال في حالة الرفع بعد أفعال الطلب والتمني، شائع (لغة فاشية) في الحجاز، ويضيف ابن الأثير (في المرجع السابق) أنه يتكرر في أعمال الشافعي، والأمثلة النثرية المستشهد بها كلها من مصادر عربية غربية (Reckendorf, syntakt.,p.383, Brockelmann,GVG,ii, 525): في الآية ٧٧ من سورة البقرة^(٢)، وكذلك الآية ٨٤^(٣) منها، والآية ٦٤ من سورة الزمر^(٤) (حيث يقرأ ابن مسعود بالجزم، انظر Jeffery, Material,p.27)، وفي الحديث، والسيرة، ونثر على لسان شاعر هنلي (الحماسة ص ٤٠، سطر ٢٢). وأما الأمثلة الشعرية فهي من شرق الجزيرة، أعشى باهلة (٣٠/٤-١)، وطرفة البكري (٥٤/٤)^(٥). ولا

(١) بالرغم من اعتراض بروكلمان (GVG,ii, 514,n.1) وصعوبة العلاقة بين الأصوات الصغيرة، يبدو أنه من

الأفضل عدم اعتبار عسى مرتبطة بالعبرية āsāh التي قد تعني أولاً لها قوة على

(٢) في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾. (المترجم)

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ خَلَدْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ...﴾ الآية. (المترجم)

(٤) في قوله تعالى: ﴿أَنْفَعِرَ اللَّهُ تَآمُرَتِي أَحْبَدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾. (المترجم)

(٥) هذا البيت ذكره رايت (Wright (2/27 A) مثلاً على الانقطاع في الجمل المتصلة المتعاطفة واستشهد به البيضاوي على الرفع ٧٠/١، وسيبويه والتبريزي (الحماسة ص ٤٣٨)، وانظر دي جوج في ملاحظة على رايت.

يتحدث سيبيويه عن لهجة (٤٠/١) ولكنه يقول إن هذا التركيب يندر أن يُتكلم به ، وهذه ملاحظة دالة لاتصاله الدائم بقبائل عرب شرق الجزيرة ، ومن الواضح أن التركيب المعطوف أقدم ، ولكن في العربية الغربية ظل شائعاً في الحديث اليومي ، ولكنه في شرق الجزيرة أقرب إلى الأسلوب المهجور ، ويستعمل للضرورة الشعرية ، والعاميات اتبعت في هذا الجانب الاستعمال العربي الغربي .

١١- ٣٥ - أورد سيبيويه في كتابه (٤٠١/١) أنه قد يجزم الفعل بعد أفعال الطلب في أسلوب الجمل المتعاطفة ، ويحتج بالآية ٣١/ سورة إبراهيم : «قل للذين آمنوا يغفروا . . .» و«كلّمي رسولَ الله يكلمُ . . .» (البخاري ، الهبة ، ٨) : وادعُ عباد الله يأتوا مددًا (الخزاعي في السيرة لابن هشام ، ص ٨٠٦ ، سطر ٤) الخ . سنرى أن الأفعال المستخدمة ليست مخصصة للطلب ، ولكن عند الجزم ليس من الضروري أن يكون هناك نصٌّ على معنى الأمر . يلاحظ ركندورف (Reckendorf, syn-takt. Verhalten., p.62) أن الاعتماد المتزايد من الجزم على العلاقة النحوية يتركز بقوة على موقعه في الجملة الشرطية . ولا يوجد في الحقيقة ما يعترض طريقتنا في اتخاذ هذه الحالات (الأمثلة) جملاً شرطية عادية مع فعل الأمر باعتبارها أجوبة أمر (انظر : syntakt. Verhalten., p.498) دون افتراض أي حذف (كما فعل رايت A. 83/٢) . أنها تشبه عبارة : أمره ففعل ، أمر تتطلب مفعولاً مثل قال تماماً ، ولا توجد خصوصية حجازية في هذه التراكيب ؛ وعليه فالأمثلة المعطاة آنفاً من مصادر حجازية .

mm- ٣٦ - يبدو أن لغة الحجاز قد رفعت بدلاً من الجزم ، حيث لا فعل للقول أو الطلب ، ويورد الفراء (Orientalia, xv, 182) أمثلة على ذلك : «إِنَّا زَيْنًا السَّمَاء . . . لا يَسْمَعُونَ . . .» من الآيات ٦ ، ٧ ، ٨- الصافات . و«كذلك سلكناه . . . لا يؤمنون به . . .» من سورة الشعراء ، و«لا» هنا حلت محل «أن لا» وأهل الحجاز وحدهم الذين يرفعون مثل هذه الحالات ، في حين يجزمها الآخرون .

nn- ٣٧ - يقول الزمخشري (المفصل ص ١٤٧) أن بعض العرب يرفعون حتى بعد أن وكذلك قرأ ابن مجاهد وابن مُحَيِّصَن في الآية ٢٣٣/ البقرة : «أراد أن يتم الرضاعة» في حين يقرؤها الآخرون : يُتِمُّ . ومثال آخر لأبي محجن الثقفي (تاريخ الطبري ٢٣١٦/١) :

أخاف . . . أن لا أذوقه

وربما يتوجب علينا ألا نعتبر الرفع بعد أن ملمحاً في لغة الحجاز ، ولكن الأحرى أن نقول إن أهل الحجاز اعتادوا أن ينسّقوا الجمل مع الرفع ، وأحياناً يرفعون مع جمل أن غير المألوفة أيضاً . ومن حيث القراءة القرآنية ، قد يكون هناك تناقض بين القراءتين من الخلط في دمجهما نحو : أراد يتم وأراد أن يتم وفي بيت شعر لجهول (في الخزانة ٥٥٩/٣) :

أن تقرأن . . . وأن لا تشعر^(١)

قال الرؤاسي (السيوطي في الجمع ٣/٢) : «فصحاء العرب ينصبون بأن وأخواتها الفعل ، ودونهم قوم يرفعون بها ودونهم قوم يجزمون بها» . والجزم «بأن» يعزوه اللحياني (ابن هشام ، المغني ٩٢/١) إلى بني صباح من ضبة ، ويبدو أنه قد انتشر باتساع في الوسط الشرقي من الجزيرة العربية وشاهدها بيت لامرئ القيس (٤٠/٤)^(٢) . وشاهد آخر لجميل العذري (الشنقيطي ٣/٢)^(٣) . ويذهب اللحياني إلى القول (السيوطي ، الجمع : ٤/٢) بأن بعض العرب يجزمون بلن والتركيب المستشهد به يؤذن بأنه استعمال أدبي فهو لابن الأعرابي^(٤) .

ويذكر اللحياني (الشنقيطي ٤/٢) أن بعض العرب يجزمون النواصب وينصبون الجوازم ، لا بد من الإشارة أن الجزم في الشاهدين لا يعتمد على أفعال الطلب ، و عليه فالتركيب هناك لا تخص ما نوقش في الفقرة II السابقة .

(١) والبيت بكامله :

أن تقرأن على أسماء ويحكمنا مني السلام وأن لا تشعرأ أحدا . (المترجم)

(٢) جاءت على «أن يأتنا» من النحاة (انظر الشنقيطي ٣/٢) ، (وياقوت ١٦٠/١) وفي الديوان صححت «ياتيا» .

(٣) وهو الشاهد :

أحاذر أن تعلم بها فتردّها فتركها ثقلاً عليّ كما هيا .

وأما شاهد امرئ القيس :

إذا ما غدونا قال ولدان أهلتا تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نخطب . (المترجم)

(٤) فيما أورده المؤلف أخطاء في النقل : أولها أن القول لأبي حيان وليس للحياني (انظر السيوطي ، الجمع ٤/٢) ،

والبيت المستشهد به لأعرابي وليس لابن الأعرابي كما في المغني ٣١٥/١ ، وهو :

لن يخب الآن من رجائك من حرّك من دون بايك الحلقة

وهو الذي ذكره السيوطي في الجمع ٤/٢ بعد قوله وحكى (يقصد أبا حيان) الجزم بلن لغة . (المترجم)

aa- ٣٨ - مع أن النحاة العرب يرفضون الاعتراف به (ابن هشام ، المغني ، ٥٩/١) فإن هناك شكاً ما بأنّ إمّا في العربية تستعمل كإذا ، إنها شقيقة إمّا الأثيوبية^(١) . والأمثلة التي جمعت في مختلف كتب النحو ، عربية غربية خالصة : في القرآن الآية ٢٦/ من سورة مريم^(٢) ، والأسود بن يَعْفُر النهشلي (المفضليات ص ٤٥١)^(٣) ، وجابر بن رألان الطائي (الحماسة ١/٣٠٠)^(٤) ، وحسان بن ثابت (١٤/١٣) . ومن قيس ، الغربي عنتره إنّ عربية غربية أصلية ، أم من العربية الفصحى ، وهذا ما لا نستطيع أن نبتّ فيه .

aa- ٣٩ - قال الأخفش (الأسترباذي ، شرح الكافية ١١٨/٢) منذ لغة أهل الحجاز وأما مذ فلغة بني تميم وغيرهم ويشاركون فيها أهل الحجاز ، ولم ترد كلتاها في القرآن . واستعملت منذ وحدها من بعض بني سُلَيْم ، عن أبي حيان (المنهج ، ورقة ١٧٢-أ) وتنقل كذلك عن اللحياني قوله إنّ بني عَبِيد من غني يقولون مُذّ (الأسترباذي ، السابق نفسه) وهذا يشبه التوسط بين مُذّ العربية الشرقية ، ومُنْذ ، ومُنْذُ العربية الغربية كما في مُذّ المنسوبة إلى عُكْل . وقيل إن بعضهم يستعمل مُذّ قبل همزة الوصل .

qq- ٤٠ - ويبدو أن هناك خلافات في إعراب هذه الأداة . وينقل أبو حيان عن النحاة الكوفيين قولهم إن بني أسد وبني تميم يرفعون ما بعد مُذّ (ويضيف اللحياني ، ضبة والرياب ، وعبيد وسُلَيْم) في حين مزينة وغطفان وعامر وقبائل قيس المجاورة يجزّون ما بعدها (انظر الخريطة رقم ١٧) . ويقول الأخفش إن أهل الحجاز يجزّون ، وبني تميم يرفعون . ومن الصعب القول بأن هذه الأخبار لها علاقة بالفروق بين

(١) وربما إمّ العبرية ، التي إذا كانت هي الأصل ، لا بد أنها قد حصل فيها نوع من المدّ والمثالان الآخران أضافهما برجستراسر (Gramm,i,148) ، مِنْ وإمّ فهما عند الأعراب مِنْ ، إمّ ، وربما إمّا وهِنْ وهما في الأصل متباينتان ، وتلوّثتا مع طول الوقت . (المترجم)

(٢) قوله تعالى : ﴿...فَلَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي...﴾ الآية . (المترجم)
(٣) والبيت :

إمّا تَرَيْنِي قد بليت وغازني ما نيل من بصري ومن أجلادي (المترجم)
(٤) والبيت :

إمّا تَرَيْنِي ما لنا أضحي به خَلَل فقد يكون قديماً يَرْتُقُ الخَلَلَا (المترجم)

استعمال الرفع ، والجر كما رسمها النحاة (انظر : wright,ii,173) ويبدو أن الأخير مصنوع وفيه تكلف . ويحلل ركندورف (syntakt. Verhalten.,p.237): رأيته مُنْذُ (= مُنْذُ) يومان . إذا اتفقنا على أن «ذو» اسم إشارة ، أفضل أن أربط وجود منذ بـ«زه» المستخدمة مع الاصطلاحات الزمنية في عبرية الإنجيل (انظر : Gisenius, Grammar,p.443 وأن أترجم منذ يومان كما في العبرية : (Gen.,xxvii,36) حل محلي مرتين ، إن تعبيراً مثل : منذُ يوم الجمعة ، الوظيفة الأصلية غامضة ، وأعدت الطريقة باتجاه التسوية بين منذ ومن وإعرابها بالجر^(١) . إذا كانت اللهجات العربية الغربية بهذا قد انحرفت عن التركيب النحوي المبكر لهذه الأداة ، فإنها قد احتفظت بالصيغة الأقدم منها . ويظهر لي في الواقع حتى الصيغة الشرقية ، يمكن شرحها بصورة أبسط ، على أنها نشأت في ظل الشروط الصوتية للعربية الغربية .

إن اسم الإشارة العربي الشرقي كان «ذا» الذي يمكن أن يكون قد اختصر إلى - ذ أو ذو ، ولكنها في العربية الغربية - ذي (انظر : فصل ٧ فقرة u ، ١٢ فقرة e) التي في تطورها الصوتي العادي (فصل ١٠ ، ii) تصبح «ذ» ، ومنذ تطورت إلى مُنْذُ بتأثير الأصوات الشفوية ، والكسرة الأخيرة بصيرورتها حركة حيادية (وكأنها حذفت كلها) حدثت لها مماثلة . ومرة أخرى بفعل قانون لوحظ قديماً في غرب الجزيرة فقط (فصل ١١ - qq) مُنْذُ صارت مُنْذُ ، والأخيرة صارت مُنْذُ ، بحذف واحد من الحرفين المدغمين . وقد تكون هذه التغيرات قد حصلت في لهجات قيس كالتطورات التي حصلت في العربية الفصحى ، وأخذت مكانها في اللغة الأدبية في شرق الجزيرة بهذه الصورة .

٢٢- ٤١- في الأسئلة الملحقة بـ«مَنْ» ، يضع أهل الحجاز الاسم الذي يأتي بعدها في الحالة نفسها التي يأتي بها في الجملة الخبرية ، فإذا قلت : رأيت زيداً . يكون السؤال عند أهل الحجاز : من زيداً؟^(٢) وسائر العرب يقولون : مَنْ زيد؟ (سيبويه ٣٥٦/١) . وهذه ملاحظة مفيدة للاستعمال العامي ، يصعب استخراجها من المصادر الأدبية . ويصر سيبويه على أن هذا أمر خاص بالأعلام من الأسماء ، ولكن

(١) في المرحلة التالية تحل منذ محل من . وجاء هذا في بيت من الشعر لزمير الغربي (١/٤ و Schawahid- In- indices ص ١٠٥-٢٣) . والبديل ورد في زمن الحريري (الدرة ط ثورك ص ٦٧) ، وتكتمل في عاميات اليوم .

(Brockelmann, GVG, ii, 542) .

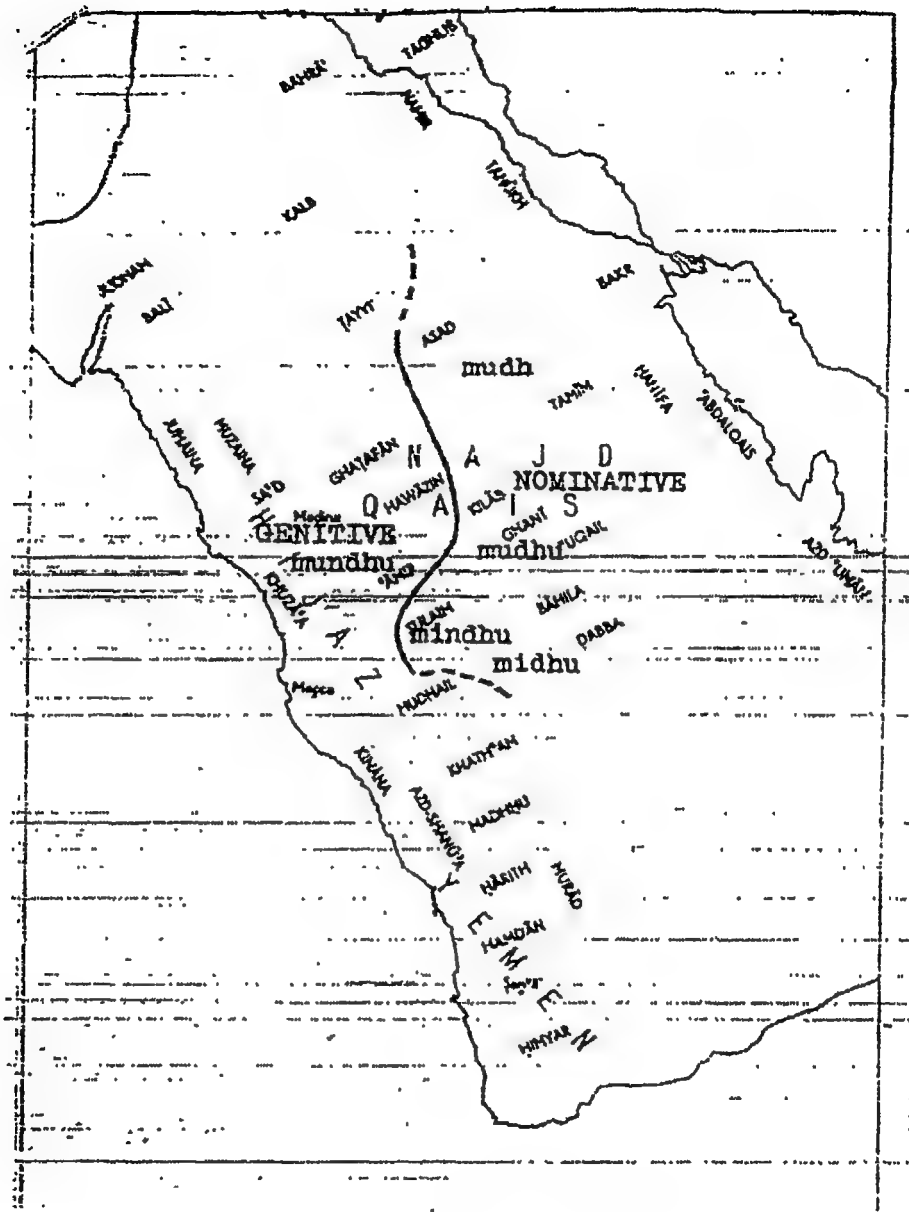
(٢) النصب على الحكاية . (المترجم)

الأستراباذي (شرح الكافية ٦٣/٢) يستشهد بخبر عن يونس ، نقله المبرد ، ولا وجود له بأي حال في النسخة المطبوعة من كتاب سيبويه وهو أنه يمكن أن نقول : من أخوا زيد؟

ss-٤٢ - يقول الرافعي (التاريخ ١/١٤٥) إِنَّ مَنْ المعربة تستعمل في الأسئلة الملحقة فقط نحو : مَنْ ، مَنِي ، مَنْ ، مَنْ ، مَنْ ، الخ . (انظر wright,ii,275) قيلت في لهجة الحجاز ، وللأسف لم يذكر مصادره . وإذا كان هذا صحيحاً فإنه يقيم صلة بين لغة الحجاز ، والصيغة الأثيوبية : مَنْ ، وفي النصب مَنْ ، والأكدية مِين^(١) . والصيغ بالضم الطويلة ما زالت تستعمل للدلالة على المبتدأ في العاميات ففي لهجة الفلاحين الفلسطينية : أَنْ^(٢) ، وفي حلب مَنْ (Driver, Grammar,p.38).

(١) في الأوغاريتية إن مي في مقابل مَنْ فلا بد أن تكون الياء صوتاً صامتاً ، مما يدل على إعرابها نحو : مِيُو ، مِيِي ، مِيَا ، وفي تنظيم جوردون- مِيَا (Grammar,p.32) ، لأن الرفع لم يجد تأييداً كلياً من صيغ اللغات الشقيقة .

(٢) كما هو معروف في الفلسطينية : مَنْ وَأَنْو وليس مَنْ . (المترجم)



الخريطة رقم ١٧: أحوال ما بعد منذ (١٣ - ٩٩)

الفصل الرابع عشر

طيء

a- ١ - لم يكن لقبيلة طيء شأن كبير أيام النبي ﷺ في موطنها ، منطقة حائل هذه الأيام ، فَصَلَتْهُمْ صحراء النفوذ عن الهلال الخصيب ، وكانت روابطهم السياسية بشكل رئيس مع قبائل نجد ، كما هو الحال مع عشيرة تميم من يربوع الذين هوجموا في رَجَلَةِ التَّيْس^(١) . وكانت طيء من بَعْدُ ، بالنسبة للسريان واليهود البابليين والفرس الاسم الدال على العرق العربي . (انظر أيضاً : Baily, JRAS., 1939,89). وهذا يعني أن أرضها في قديم الزمان كانت أكثر اتساعاً وتغطي مساحة من منطقة قبائل قضاعة المتأخرة وإذا كان الأمر كذلك فإنه يتيح لنا أن نتوقع وجود بعض الآثار من جهتي : لغة تلك القبائل ، ومواقعها . ولسوء الحظ فإن ما نعرفه عن لهجات قضاعة قليل جداً ، التي ، كما يقول لَمِنْز Lam-mens (Arabie Occidentale, p.308) ، «يبدو أنها عاشت خارج التطورات العامة لشبه الجزيرة العربية ؛ بل يمكننا أن نقول خارج حياة العرب» . ومن المظاهر المعروفة التي تربط قضاعة بطيء وغيرها ، التلثة ، مع قبائل ما زالت شرقية ؛ في مثل هذه الأحوال يمكن أن تكون طيء حلقة وصل . وللربط المكاني لديّ مثال واحد فقط هو الأدوات ، في مِيقَةِ كَلْب (Noldeke, Zur Gramm.,) وإذا كانت هذه هي الأودية نفسها فإنها تدل على تغير صوتي مطابق تماماً للهِجَّة طيء ، (انظر ما سيأتي في فقرة I) ؛ بما يُؤْذَن باتخاذها دليلاً على أنها كانت مشغولة من قبيلة طيء منذ القدم .

b- ٢ - تُعَدُّ قبيلة طيء من حيث النسب من بين القبائل اليمنية ، والروايات المعتادة الواردة عن هجرتهم تردُّهم إلى اليمن . وإن موطنهم الأصلي الذي سكنوه كان الجوف في اليمن ، أي بجوار قبائل شمال اليمن ؛ التي تكشف لهجة طيء عن بعض

(١) موضع بين بلاد طيء وديار بني أسد ، وفيه أصابت بنو يربوع وبنو سعيد طيئاً وأسدأ وضبة ، وكانت ضبة تحولت عن بني تميم إلى طيء ، تركوا حلف بني تميم فقتلهم بنو أسد ، وأسرتهم . (انظر معجم ما استعجم للبكري ٢٩٣/١ - حرف الواو) . (المترجم) .

علاقات التجانس مع لغتها . ويمكننا أن نقوم بتوضيح هذه العلاقات بهذه الطريقة ، ولكن للمرء أن يقول إن كلتا اللهجتين^(١) قد احتفظت بلامح عربية غربية قديمة هجرتها لغات هذيل والحجاز ، التي كانت أكثر اتصالاً بنجد^(٢) . وهناك روايتان إزاء السكان السابقين لمنطقة طيء ، وأكثرهما شيوعاً هي أن قبيلة طيء قد قامت بطرد قبيلة أسد (انظر : Caussinde Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes : avant l'Islam, I, 103) ، أما الأخرى فقد ساقها ياقوت (المعجم ١/١٢٧) : وهي أن سكان جبلي طيء كانوا يسمّون الصُّحَّار . وتغلبت عليهم طيء وتولّت أمر لهجتهم وتوارثتها ، بحيث أصبحت لهجة طيء هي لغة صُحَّار ، فالأسماء الموجودة هي أسماء البُلْدَات في عُمَان وفي اليمن^(٣) . وفي الأخيرة ، بجوار صُعْدَة ، توجد قبيلة أخرى بذلك الاسم (الهمداني ، الجزيرة ، ص ١١٩) . وقيل (في معجم ياقوت ٣/٣٦٨) كانت جزءاً من قُضَاعَة ، وعرفت بأسماء قبائل مختلفة من تلك المجموعة . إن المادة اللغوية الأساسية تستوقف النظر ، ويمكن أن تفسر بعض الشواذ والغريب في اللهجة .

c- ٣ - إن عرب شمّر ، الذين يسكنون هذه الأيام أرض طيء ، يعتبرون أنفسهم من نسل هذه القبيلة ، ولا يعرف إلا القليل من لهجتهم . غير أن كائنينو قد قام بجمع بعض المفردات (Parlers, p.230 seq) لا يمكن من خلالها إثبات الاتصال الوثيق ، إلا من السُّمة التي بحث أمرها في الفقرة الآتية ، وإن إعادة البحث والنظر في لهجة شمّر أصبح ضرورياً .

(١) يقصد لهجة قبائل شمال اليمن ، ولهجة طيء . (الترجم) .

(٢) إذا وافقنا على الفكرة التي تقول إن عرب غرب الجزيرة قد هاجروا في موجات متتالية من الشمال إلى مواقع سكناهم التاريخية ، يمكننا أن نقول إن قبائل شمال اليمن هي آخر موجة من المهاجرين في ذلك القطر ؛ بما ينبغي أن يربنا شيئاً من علاقات التجانس اللغوية مع طيء ، التي مكثت بقرب الموطن الأصلي . إن وجود بعض طيء في شمال اليمن (انظر : Wegghausen, Reste arab, Heidendum, p.129) ، كان من الممكن أن يحمل بعض هذه القبيلة شيئاً من هجرتها .

(٣) وهما أجأ وسلمى (الترجم) .

(٤) وهي موطن صنع القماش الصحاري ، ويمكن أن تكون كلمة صحر قد ذُكِرت في النقوش العربية الجنوبية (٤١٩، ٤٠٧، CIH) في عهد شمّر يهُرْعَش .

d- ٤ - يقول فولرز (Volkssprach, p.7) إن لغة طيء لم تكن ضمن الائتلاف الذي يسمى العربية ؛ في حين أن تولدكه يزعم أنها كانت ضمن هذا الائتلاف (Neue Bei- trage, p.5) واعتبر الفيلسوف الفارابي^(١) لغة هذه القبيلة ضمن قائمة اللهجات الصحيحة بالرغم من أنها كانت في ذيل القائمة^(٢) . مما يعني أن قبيلة طيء قد ساهمت بقدر ما في الحركة الأدبية التي تحمل ملامح العربية الفصحى وهي بدورها اكتملت بمساهمة عدد كبير نسبياً من شعراء طيء الجاهليين ، الذين اتفقت أعمال اللغويين ، بلا خلاف ، على صحة لغتهم . وقد اشتركت لهجة طيء مع لغة الحجاز بلامحها الخاصة الفارقة ، فذو الطائية (فقرة ٧ الآتية) قد عرفت بأنها تنوع مكاني في العربية الصحيحة .

e- ٥ - يقول ابن القوطية (Libro, deiverbi, p.5) إن طيثاً لديها توسع في اللغات ؛ مما يعني إمّا وفرة من اللهجات ، أو وفرة من الملامح اللهجية المميزة ، ومن الصعب استخلاص شيء ذي بال من هذا الخبر دون سياقه .

f- ٦ - إن وصفاً عاماً للهجة طيء يختفي وراء مفردة القطعة . وقد ورد هذا في اللسان (١٥٩/١٠) للإشارة إلى نزعة للقطع الصارم في الكلمات عند النداء كما في : يا أبا الحكّ في : «يا أبا الحُكَم» . مثل هذا الترخيم وجد في شعر جميع القبائل ؛ ولا يوجد في شعر طيء ، مما يُشعر بنزعة مثيرة للانتباه في هذا الاتجاه . ولم ترد مثل هذه الصيغة في شعر أي من شعراء طيء ، على الأقل عن طريق اللغويين ، وكذلك في غير النداء . وعليه سيذكر اللسان (١٦٢/٢٠) المنا في «المنازل» في بيت شعر للأخطل^(٣) ، وكذلك الحما في الحمامة في بيت شعر للعجاج . وأكثر

(١) في كتابه الألفاظ والحروف ما اقتبس السيوطي في الاقتراح (حيدر آباد ص ١٩) ، ورأيه في هذه القضية طريف ، سيما أن بعضهم لم يعتبره لغوياً ، ولم يعط صفة صحة اللغة إلا لبعض طيء .

(٢) يبدو أن المؤلف قد أخذ بيانه من السيوطي الذي ذكر بعض طيء ، من ناحية ، وذكرها في آخر القائمة ، مع أن نص الفارابي ذكر القبيلة باسمها دون كلمة بعض ، وذكرها قبل هذيل كما في ص ١٤٧ من نص كتاب الحروف كما أثبتته المحقق محسن مهدي (دار المشرق ، بيروت ١٩٦٨) ، وليس الألفاظ والحروف كما في المزهر أو الاقتراح للسيوطي . (المترجم) .

(٣) وهو كما جاء في اللسان مادة نزل :

أَمَسَتْ مَنَاها بِأَرْضٍ مَا يَلْفُها بِصَاحِبِ الهَمِّ إِلا الجَسْرَةَ الأَجْد . (المترجم)

من ذلك ما يضيفه اللسان إلى العبارة بأنَّ القطعة كالعنينة في لهجة تميم . والعنينة عند النحاة هي نزعة إلى قلب الألف عيناً ، ومن المحتمل أنها تشير إلى أكثر من ملمح صوتي (انظر : فصل ٨ - فقرة q) وما يلاحظ في عامية شمر في أيامنا النزوع إلى حذف التاء والميم والنون واللام والراء والياء ، والتخفيف منها في آخر الكلمة ، (Cantineau, parlers, p.230) ، وهكذا تفقد كثير من الكلمات بما في أواخرها من الصوامت . ومثل هذا الأسلوب يستحسن أن يسمى «القطع» . وربما لا يكون من قبيل الصدفة أن المثال الذي ضربه اللسان ينتهي بالميم . ويمكن لهذا الملمح أن يأخذ دوراً في شرح التطور الذي سيأتي وصفه في الفقرة z الآتية . وإن العامية اليمنية قد تخففت من الميم والنون واللام في أواخر الكلمات (Rossi, RSO, xvii, 236) ، وربما نحن هنا في مواجهة ملمح آخر شائع في غرب الجزيرة العربية^(١) . وهناك صعوبة تتمثل في فهم كيفية تقييد القطعة مع تاء التانيث (انظر فقرة y الآتية) .

g - v - ولا يوجد أي دليل في لهجة طيء على أنها تشارك اللهجات العربية الشرقية في نزوعها إلى إسقاط الصوائت القصيرة ، والميل إلى المماثلة ، والتوافق الحركي ؛ على تميز النهر في العربية الشرقية (انظر الفصل ١٠ / فقرة m) وفي الواقع فإن هذه النزعات أضعف في لهجة أسد ، أقرب الجيران إلى طيء ، من لهجة تميم مثلاً . ولا توجد أمثلة على إسقاط الصوائت لتسجيلها في هذه اللهجة . وما زال غياب هذه الملامح يتناسب تماماً مع الصفة العامة للعربية الغربية في لهجة طيء^(٢) .

h - ٨ - إن الوحدة الصوتية الصغرى للكلمة في لهجة طيء قد جاء في عبارة الطائي ، قيل

(١) ويذكر إبراهيم أنيس في كتابه اللهجات ص ٧ قائمة بالمناطق المصرية التي تخفف لهجاتها في الوقف من أواخرها الصامتة ، وحجلاً لو كان هناك تصنيف آخر ، ولكن هذا الملمح يتوافق إلى حد كبير مع الصفة العربية الغربية في العامية المصرية .

(٢) ويستشهد كوفلر بمثال على التوافق الحركي : (Wzkm, xlviii, 264) سُدُوس الطائية في مقابل سُدُوس اليمنية (اللسان ٤١٠/٧) ، ولكن هذا اسم لعشيرة تشكلت مستقلة في كل منطقة ، وليست كلمة للدلالة على العبادة كما يعتقد كوفلر .

إنه حاتم الطائي (حاتم/ ٣) : لا أرسو ولا أتمعدد^(١) . ويعني ذلك عند الشرح : لا أقول : زَقَرُ في صَقَر ، والزُّرَاط في الصراط ولا أنوي أن أكون من معدد . إن نطق الزاي بدلاً من السين بجوار- وليس التماس والاتصال المباشر- المفخم هو من خصائص لهجة كلب (الزمنخشري ، المفصل : ص ١٧٧ ، اللسان ٣٧/٦) . ويوجد التغيير نفسه تماماً في عامية تدمر وهي منطقة كلب القديمة ، حيث تنطق كلمة سقف : زَقَفاً ، وسقيفة زَقِيفَة . حتى الصاد في الكلمة البدوية المقترضة : جَمَصُ (الجيم= قاف) تصير : «جَمَزَ» (بمعنى العذو) ومع ذكر القاف ، من ناحية أخرى ، الزاي تصير سيناً كما في : سَقاق في زَقاق (كانتينو ، لهجة تدمر ، ص ٥٠ وما بعدها) . إن مؤشراً لتوضيح هذه الظاهرة يأتي من عامية بلدة أردنية هي الصلُط (السلُط) ففي جوار الأصوات المفخمة يظهر الخلط بين السين والزاي والصاد في مثل : الزُّرَاط ، السراط ، والصُّرَاط ، وزَقَر ، وسَقَر ، وصَقَر . . الخ (Littmann, volk- sposie, p.4) والاعتماد هنا على النزعة الصوتية ، التي لاحظها جيداً كانتينو في تدمر والصحراء السورية (اللهجة العربية في تدمر ، ص ٣٩ وما بعدها) وهي التي تقوم عليها الكلمة سواء أكانت مفخمة أم غير مفخمة ، وفي الحالة الأولى تتحوّل الصوامت كلها إلى التفخيم (مثل هذه اللهجات لديها طاقم من الصوامت^(٢) المفخمة تغطي مواضع النطق كلها) . وقد أعطت هذه في لهجة بني العنبر بروزاً لصيغ مثل : الصوق في السوق ، وصويق في سويق (ابن السكيت ، القلب ، ص ٤٢ ، الجمهرة ٤٤/٣) . والصيغة الأخيرة سُجِّلَت أيضاً لبني عمرو بن تميم (يونس ، اقتباس ابن سلام ، الطبقات ، ص ١٢) .

وفي الحقيقة إن مثل هذه الصيغ قد أخذت مدى واسع الانتشار ، للبرهنة على الاستعمال الواسع للصرط في السراط ، وهو من أصل لاتيني هو Strata. ويقرّر الخليل (القسطلاني ٣/٤) أنه في العربية الصحيحة كل صاد مسبوقه بالقاف في الكلمة عينها ،

(١) المأخوذ من قول الشاعر :

إلههم ربي وربّي إلههم فاقسمت لا أرسو ولا أتمعدد

أي لا يلفظ الصاد والسين زايّاً ، وهذا القول يتناقض مع ما نقل عن حاتم عندما أُسِرَ وطلب منه أن يُفصد ، أي

يذبح ، قال : «هكذا فَرَدَي أَنَّهُ ، يريد فصدي أنا» . (المترجم)

(٢) يميّز كانتينو (حوران ، ص ٨٦) بين هذه الأصوات المفخمة والمفخّمتات حقاً .

يمكن أن تستبدل سيناً . وفي لهجة كلب يأخذ عامل آخر دوره وهو : إنَّ الصاد كانت صوتاً مجهوراً^(١) . وقد برهن على وجود الصاد المجهورة ابن خالويه (الرافعي ، التاريخ ، ١٠٩/١) . إن السين التي أصبحت مفخمة في هذه اللهجة قد تكون في الوقت نفسه اكتسبت الجهر ، وتستوقفنا هنا بعض النقاط في هذا المجال نحو : لِمَ تضرَّكتْ هذه النزعة أثرها في السين دون غيرها من الصوامت؟ ولماذا ، على الأقل عند اللغويين ، عملت مع القاف دون غيرها من الأصوات المفخمة؟ وأخيراً ، فإن الصاد التي كانت مجهورة في لهجة كلب تحوَّلت إلى صوت مهموس في استعمال العاميات الحديثة في تلك المنطقة . ثم لِمَ هذه الزاي التي أوجدها تفخيم السين ، فقدت صفة التفخيم ، ولم تفقد جهرها ، وعليه تمَّ انفصالها عن الصاد القديمة؟ ومهما كانت الأجوبة على هذه التساؤلات فإن هناك قليلاً من الشك في أن تغيير الصوت مرتبط في معظمه بالكلمة التي أوجدها النبر الزفيري ، وأن غيابها من لهجة طيء القديمة ذو دلالة^(٢) .

i- ٩ - في الوقت الذي لا نعرف فيها شيئاً عن الصوائت البسيطة في اللهجة ، فقد علمنا ما فيه الكفاية عن التغيير الصوتي في الكسرة والياء والفتحة (-ي) إلى الألف ã وبلا شك فإن السبب الرئيس لذلك هو أن شعراء طيء قد استعملوا مثل هذه الصيغة ولا يمكن تقليده صحيحاً من أجل البحر الشعري . ويذكر سيبويه

(١) إن صوت الظاء كان في العربية القديمة ، طبعاً ، هو الذال المفخمة كما هو مطلوب في التجويد ، وليست هي الزاي المفخمة في اللهجة المصرية المعاصرة . يمكننا الملاحظة هنا أنه في العربية القديمة كل صامت مفخم يقابل زوجاً من الأصوات غير المفخمة ، أحدهما مجهور والآخر مهموس : فالطاء يقابلها التاء والذال ، والصاد يقابلها السين والزاي ، والظاء يقابلها التاء والذال ، ومن المحتمل الضاد يقابلها الشين واللام (انظر فصل ٤/ m) وليس من دلالة صوتية سواء في الصوت المفخم بالجهر وعدمه ، ولهذا يمكن أن تكون الظاء صوتاً مجهوراً في العامية اليمنية الحديثة ، والقاف مجهورة في معظم العاميات البدوية (انظر المناقشة بالتفصيل من كانتينو ، BSL, xliii, III-12)

(٢) إن عمليات مشابهة قد تشرح حقيقة أن «سينقُ الآشورية» (بمعنى السلاسل) . قد صارت في العبرية والآرامية «زقيم» و«زقأ» . وإذا كانت سينقُ شقيقة العربية «ضنَّك» والعبرية «صنَّوق» (بمعنى السجن) ، لا بد أن يكون لدينا الأنواع الثلاثة من الإبدال . وربما تكون شقيقتها العربية هي «شنَّق» .

(٣١٧/٢) رُضِيَ^(١) في رُضِيٍّ، ونُهِىَ في نُهِيٍّ مما تتيح له وتسمح به العربية الفصحى، ولا نعرف مدى ارتباطها بلهجة طيء. والأمثلة عديدة جداً تفوق الحصر كاملة مثل: رُضِيَ في بيت شعر لزيد الخيل^(٢) تضمنه القافية (الجمهرة ١٤٣/٢)، وَلِيَ في وَلِيٍّ (المفضليات ص ٧٦٧)، وَبَقِيَ في بَقِيٍّ في بيت لزيد الخيل أيضاً (JRAS, 1907, P. 859)، وَرَضِيَ في رَضِيٍّ (شرح الحماسة، ص ٧٧)^(٣). وقد حصل تقصير للألف مع المؤنث في بُنْتُ^(٤)، في بيت لشاعر طائي مجهول (الحماسة، ص ٧٧)، وَبَقْتُ (الصباح، ٤٤٨/٢). ويحدث التغيير نفسه في اسم الفاعل المؤنث، وصيغ أسماء الفاعلين نحو: خاظئة، في خاظِية^(٥) مؤنث خاظ (اللسان ٢٥٤/١٨)، وناصاة في ناصية.

وفي عبرية المشناة «نوصاه»^(٦) (بمعنى الشعر، وتحت)، (أبو عبيد، الغريب المصنف اقتباس السيوطي، في المزهرة ١٤١/١، ابن سيده في اللسان ٢٠٠/٢٠ مع شاهد لحريث ابن عَنَاب^(٧)). وبداة وقرأة «سكان البادية والقرية»، (اللسان ٣٨/٢٠، ٢٠٠)؛ وجارة في جارية (الفراء، اللسان: ٢٦٨/٢٠). ومن غير أسماء الأفعال أعْرِفُ مثلاً واحداً وهو: تَوْصاة

(١) الحركة الناتجة من هذا الاختصار ترسم في مصادرها أحياناً ألفاً مقصورة، وأحياناً ألفاً قائمة، وما دامت الألف المقصورة تنطق في هذه اللهجة -أي- ai، بالإضافة إلى أسباب أخرى وهي مؤكدة تطبيقاً بأن الألف هي الشكل الصحيح وتكتب مقصورة قياساً على بنى وما شابهها. وسأكتب الألف فيما سيأتي هكذا ؟.

(٢) جاء في الكتاب ١٨٨/٤: أفني كل عام متأتم تبعثونه على ميخمر توتموه وما رُضاً. (المترجم)

(٣) هناك مثال دال على كيفية تخلص اللغويين من الصيغ اللهجية وهو بيت شعر في الجمهرة ٣٢/١ فيه كلمة سَقَى. وفي اللسان ٤٦٥/١ أعيدت صياغة البيت بحيث ظهرت سَقَى بدلاً من سَقَى.

(٤) في الحماسة ١٠١/١ قال بعض بني بُولان من طيء:

نستوقد الثبيل بالحضيض ونصب مطاد نفوساً بُنْتُ على الكرم (المترجم)

(٥) وهي المكتنزة من كل شيء. (اللسان مادة خطا).

(٦) انظر: مشناة حولين ٤/٣، والتلمود البابلي: شَبْتُ (وجه ٨٢ ب) وفي عبرية الكتاب المقدس الكلمة تعني «ريش الجناح» والجذر (ن ص ي) له صلة بالطبع بالجذر العبري (ن ص ص) والترجوم الآرامي ن ي ص (ينبت).

(٧) والبيت الذي قصده لعناب الطائي:

لقد أذنت أهل اليمامة طيء بحرب كناصة الحصان المشهري. (المترجم)

في توصية ، مصدر للتصريف الثاني (الفراء ، المرجع السابق) ، يمكننا أن نضم إلى ما سبق «أداة» المذكورة في الفقرة a أنفاً .

k - ١٠ - والصيغ من هذا النمط ليست محصورة بأي حال بلهجة طيء وحدها ، وقد ورد هذا بإجمال عند ابن سلام (الطبقات ، ص ١٢) : بَقَى وَفَنَى ، وهما لغتان لطيء ، وقد تكلمت بهما العرب ، وهما في لغة طيء أكثر . وإنما في شك كبير إذا كان باستطاعتنا الموافقة على هذا الإجمالي ، ومن المثير للعجب أن نجد التغيير نفسه في صيغ تكلم بها شعراء من مُزَيْنَة ، جيران طيء ، كذلك عُدَّت من بين قضاة . وقد جاء على لسان معن بن أوس «أُخْلَى» (شوارتز ١/٥) ^(١) . كذلك استعمل زهير «فنى» ^(٢) (ابن سلام ، الطبقات ، ص ١٢) . وقد يكون للهجة مُزَيْنَة نصيب من التطور الصوتي نفسه وبما أننا لم نسمع قط بأن تغيير هذا الصوت قد حدث في لهجة قيس أو في نجد ، وأنه لأمر يثير العجب إذا ما وجدنا صيغاً مشابهة في أعمال الشعراء من الطرف الآخر لنجد .

وعليه فإن طفيلاً الغنوي قد استعمل نُهَى ^(٣) (سيبويه ٣١٧/٢ ، وليس في الديوان) ، وَفَنَى (JRAS, 1907, P.859). إن امرأ القيس الكندي من أقدم الشعراء المعروفين لدينا ، يذكر في بيت من شعره (٢/٢٩) : «بَنَاء» في مكان بَانِيَّة ، وقد قيل إن هذا الشاعر كان يقضي بعض أوقاته في منطقة طيء ، ومن المحتمل جداً أنه في تلك الفترة كان يلتقط شيئاً من كلامهم الخاص . إن إجماع مصادرنا في عزو هذا التغيير الصوتي إلى طيء يجعل من الصعب الافتراض بأنه كان شائعاً في جميع أنحاء نجد . ولا يبقى لدينا سوى أن نستنتج أنه في بدايات شعر العربية الفصحى عرفت أبنية طيء بأنها من الإبدال اللهجي الذي

(١) كذلك بروكلمان (GVG, i, 619) الذي كتبها أُخْلَى ، بعكس ما جاء في اللسان (٢٦١/١٨) وفيه أُخْلَى .

(٢) في بيت شعر يقول فيه :

ترُبُّع صَارَةً حَتَّى إِذَا مَا فَتَى الدُّحْلَانُ عَنْهُ وَالْإِضَاءُ . (المترجم)

(٣) فقد جاءت نُهَى في بيت من الشعر هو :

لَزَجَرَتْ قَلْباً لَا يَرُبُّعٌ إِلَى الصَّبَا إِنَّ الْقَوِيَّ إِذَا نُهَى لَمْ يُعْتَبَرْ . (المترجم)

أما فَنَى فهي في بيت شعر له أيضاً هو :

فلما فَنَى مَا فِي الْكَتَائِنِ ضَارِبُوا إِلَى الْقَرَمِ مِنْ جِلْدِ الْهَجَانِ الْجَوْبِ (المترجم)

يمكن استعماله في الرخصة الشعرية ؛ مما يجعل لطيء مكاناً مهماً في ائتلاف العربية القديمة . ويبدو أن التغيير الصوتي نفسه لم يكن محصوراً في طيء ، وقد يكون شائعاً في النصف الشمالي من العربية الغربية^(١) . على الأقل فإننا قد عرفنا وبعمدة موثوقة أن التغيير قد حصل في لهجة الحُرث في شمال اليمن (فصل ٧ / d) . ويمكن أن يكون التغيير نفسه قد حدث في لغة الحجاز ، ولكنه حلّ محلّ مثل : بَقِي^(٢) (انظر : فصل ١٢ / w)^(٣) ، هذا التغيير الصوتي كان شائعاً في شمال غربي الجزيرة العربية ، والكنعانية ، حيث نجد في العبرية : بوناه في بانية مؤنث بونة في باني^(٤) .

وهذا التغيير الصوتي يقدّم في رأيي أيضاً ، كحد أدنى ، شرحاً لحقيقة أن الفعل الماضي للمفرد المذكر الغائب لا يمثله في العبرية الفعل المتوقع : بانو من بَنَى بل الفعل باناه الذي ورد في حروف تل العمارنة : قَبَا (قال) ، لَقَى (أخذ) . ومع بقية الأشخاص فإن الأفعال الثلاثية (يُذ - yodh) حيث توجد في العبرية في جميع الأفعال المتصرفة بعد النمط الحياضي ، وهي موجودة كذلك في تل العمارنة : بَنِت ، لَقِت (Bohl, sprach der Amarna, p.47) ، ولا نملك إجابة على السبب الذي يجعل المفرد الغائب وحده يمتلك الصيغة الأكثر دوراناً في كل الأفعال . إذا صارت بَنِي بَنَى بعد التغيير ، والتمثيل لها بـ $a > o$ ، يكون من السهل أن نحسب حساب الألف النهائية في الصيغة . ويبدو لي أن هذا الشرح يقدّم بعض الفوائد في مقابل تلك التي تقوم على القياس في كتب النحو . من أجل تفصيلات أكثر للجانب العبري من هذه المشكلة ، انظر المليلاه ٧٤٢/٢ وما بعدها . وفي العبرية أيضاً صيغ ترد أحياناً باليُوز- الصامتة نحو : بوخياه (Thr., I, 16)^(٤) وهذه قد تكون بالنسبة للقياس ، ويمكن أيضاً أن تمثل استعمال قسم من المنطقة الناطقة بالعبرية ، التي لم يحصل فيها تغيير للصوت ، أو

(١) وإنه بالنسبة لوجهة نظرنا إن الألف في الصيغ كلها قد حلت محل الكسرة والياء والفتحة ، في المغرب حيث تأثير العربية الغربية قوي ، وقد يكون قد امتد إلى مصر ، والعراق وإسبانيا وهي لهجات فيها الكثير من عناصر العربية الغربية (بروكلمان : GVG, I, 621)

(٢) وليس بَقِي . (الترجم)

(٣) وعلى قدر علمي لم يعرض هذا التغيير الصوتي في الصيغ الاسمية ، في أي نص حجازي الأصل ، ولكنه لا يفصح بجلاء أن مثل هذه الصيغ لم يستعمل في اللهجة .

(٤) في العبرية : حاسايا (انظر فقرة cc القادمة) .

للعنصر غير الكنعاني ؛ إذا وافقنا على الفكرة التي ترى في العبرية مزيجاً من لغات عدة .
على أي حال فإن التغيير مؤرخ في الكنعانية ، في ماضي المفرد المذكر الغائب وفي اسم
الفاعل المؤنث ، ولا بد أن يكون قد حصل بعد التوقف عن أول تغيير للألف إلى ألف مالة
(انظر : فصل ١٠ / فقرة s) ، وبالتأكيد بعد أن بدأت كل من العربية الغربية والكنعانية
بالبروز باعتبارهما لغتين منفصلتين . وعليه يجب أن نتوقع أن ذلك القسم على الأقل من
العربية الغربية بقي على احتكاك كافٍ بالناطقين بالكنعانية بحيث يتأثر بتغيير الصوت
الذي حدث في تلك اللغة . وليس هذا هو الموضع الذي يُعمل فيه خارج المفاهيم التاريخية ،
خاصة وأنه يحدث في فترة مظلمة من تاريخ العرب (انظر الخارطة رقم ١٨) .

١١ - في تغيير الكسرة والياء والفتحة مجتمعة بالألف يبدو أنها ليست الياء الوحيدة
التي تأثرت بوقوعها بين صائتين . وحسب ابن مالك (التسهيل ورقة ٧٧-أ) فإنَّ
الياء في آخر المضارع ، إذا كانت مسبوقة بالفتحة ، فإنها تحذف قبل نون التوكيد
الثقيلة ، وهذا يعني بوضوح أنَّ تَرْضِيَنَّ الفعل المؤكد من تَرْضِيَنَّ ، قد صار تَرْضَانَّ .
وفي الحقيقة إن المثال الوحيد الذي أعرفه لمثل هذا التغيير هو : لَتَغْنَنَّ في لَتَغْنَنَّ ،
في بيت من الشعر لحُرَيْث بن عَنَاب (الشنقيطي ٤٥/٢) فيكون لدينا هنا حالة
من تحويل الكسرة والياء والفتحة مجتمعة إلى كسرة طويلة (ياء مدية) مع التقصير
في المقطع اللصيق . على كل حال ، إذا كان الافتراض الذي سيأتي فيما بعد في
الفقرة dd صحيحاً بحيث يمكن على أساس منه أن تتغير الكسرة الطويلة (الياء
المدية) في المضارع من الثلاثي الناقص ، إلى ألف في اللهجة ، فإنَّ الكلمة موضوع
حديثنا- يجب أن تُقرأ لَتَغْنَنَّ من لَتَغْنَنَّ ، بما يُخْرِجُ ابن مالك . ولا تُحَسِّمُ صحة
الأمر إلا بأمثلة أخرى .

m- ١٢ - يقول الفراء (في التاج ٢/٢) في لغة طيء وبعض أسد تقلب الياء المجاورة للعين ،
جيماً وآخرون (في اللسان أيضاً ١٤٤/٣) ينسبون هذا التغيير الصوتي إلى قضاة
فقط . والمثال الوحيد على ذلك هو : هذا راعٍ خرج مَعَج ، في : هذا راعيٌ خرج
معي . ومن الملاحظ أنَّ في راعٍ شبه صائت مُضَعَّفٌ وهو الياء التي تصير جيماً
مُضَعَّفٌ ، ولا يوجد في معي ياء أبداً (إلا في الكتابة العربية) ولكن الموجود كسرة
طويلة تتغير إلى كسرة وجيم بصورة ما ، بتأثير من العين .

ويحصل خلط في كل مكان تقريباً بين هذا الملمح وبين تغيير صوتي معهود جيداً في
لغة تميم : إي- إج كما في إجل في إئل ، فُقَيْمَج في فُقَيْمِي «وَفُقَيْم من حنظلة» (سيبويه

٣١٤/٢، ٣٤٢، الصحاح ١/١٤١، الخ، الفصل ٨/ فقرة t). إن تشديد الياء^(١) هذا يمكن أيضاً أن يكون قد حصل في لهجات أقصى الغرب، ولكنه من المشكوك فيه جداً أن يكون حصول هذا التغيير متعلقاً بوجود العين. ويبدو كأنها مأخوذة من كلمة العَجْجَة التي اعتيد إطلاقها على سمة لهجية في لغة قضاة. في عبارة اللسان قيل إن العججة في قضاة كالنعنة في تميم، وهي التي نوقشت آنفاً في فقرة f، وكما وصف الاصطلاح الأخير الانطباع العام فإن كلام تميم أقيم على ما عابه الجيران، وخمّنه اللغويون على أنه يعني التغيير من أن إلى عَن، ولذلك لا بد أن تكون العججة اصطلاحاً عاماً. وبما أن عَجَّ تعني صَرَخ فإنه من الراجح أن يدل ذلك على ما يلفت النظر إلى تنعيم قضاة، والفراء هو الوحيد الذي خصّ طيئاً بهذا الاصطلاح، وربما كان في ذهنه حقاً تغيير إي إلى إج، وخمّن أنه المقصود بالعججة. ويبقى لدينا شك كبير في إمكانية اتخاذ عبارة الفراء دليلاً على أن تغيير إي إلى إج قد حدث في طيء^(٢).

n-١٣ - يقول الطائيون «حَوْتُ» في حيث (الليحاني في اللسان ٢/٤٤٤، ابن هشام، المغني ١/٦١١)، وفي بعض المصادر قيل إن الصيغة تميمية، ويقولون: أوثق في أثني (الصفدي، شرح اللامية: ١٤/٢). وفي اللهجة ما يغير ذلك نحو: مَحَيْتُ في مَحَوْتُ (اللسان ١٢/٩٣١) ولا نستطيع أن نستخلص من هذا بأن الناقص الواوي والناقص اليائي قد تساويا في هذه اللهجة، كما يحصل معهما في العبرية. ولا أنه قد حصل خلط بين -يَ و-و (ai au). وصيغة حَوْتُ، كغيرها من التغييرات غير المنتظمة مع الواو والياء، توجد في لغة الحجاز (انظر فصل ١١، فقرة i) وانظر حُبَلُو في حُبَلَى في فقرة ee القادة.

o-١٤ - إن هناك أمثلة مختلفة من إبدال الباء من الميم، وعكسه تنسب إلى هذه اللهجة.

(١) ومن الصعب جداً إثبات أن الياء والجيم متقاربان جداً في النطق، انظر الإسبانيّتين: ج=ي «١»، والألمانية الشمالية تُي=ج «نعم»، وفي الساميات: رَجِيم=رِيم «عال» الخ... وفي لهجة مَسُو من النيجرية-Lilla (mann,ZASS,xiii,149) وتبدو بعض اللهجات العربية غير المعروفة كالتنجرية في تغيير شبه الصائت «الياء المفردة»، جيماً. ويقتبس ابن يعيش ص ١٣٩٠ من أبي زيد بيتاً لشاعر مجهول: حتى إذا أُمَسَّجَتْ وأُمَسَّجَا. في أُمَسَتْ، وأُمَسِّي. إن الياء المصمتة، التي لا بد أن تكون قد وجدت في أُمَسَّيْتُ في وقت ما، ليست هي نفسها التي في طيء في مثل: لَقَيْتُ (انظر cc الآتي) ولكنها تذكر بالعربية الجنوبية.

(٢) عن صوت الجيم في طيء، انظر الملاحظة في الفقرة i/ الفصل الرابع.

فقد قالوا : حَبَلْتُ فِي حَمَلْتُ (الميداني ، اقتباس فريتاخ Einführung,p.98) ،
وَمَجَّحَ فِي بَجَّحَ (براو في دائرة المعارف الإسلامية ٢٦٤/٤)^(١) . والخلط نفسه ،
وهو أكثر شيوعاً ، قد نُسبَ إلى بكر أو إلى مازن بن بكر (من الفاسي في التاج
١٤٢/١) ، وشكّل موضوعاً للنوادِر (الأغاني : ١٣٦/٨) . وهي في العربية الجنوبية
(كما في : بَنَ فِي مَنَ) ، وفي الحميرية (Praetorius, Amb., spr.p.57) ، وفي عبرية
المشناه ((Segal, Diqduq leshon ha-Mishnah,p.38) ، في مثل : yabhneh. وقد
أعدَّ كوفلر (wzkm,xlvii,71) قائمة من الأمثلة في العربية ، دون تخصيصها بأيّ
من اللهجات . وقد يكون التغيير ليس لهجياً ، وبالتأكيد لم يجر نقله بطريقة واحدة
في أي لهجة . وبعلقتها الخاصة بمازن بن بكر يمكن أن تكون قد اشتُقَّتْ من
استخدامهم الخالفة في : بِاسْمُكَ؟ بدلاً من ما اسمك؟ وإنه قد سُمع في صنعاء
في أيامنا هذه بِسْمَك (Rossi,San'a,p.8).

p-١٥ - يقول اللغويون العرب إنهم في طيء يقولون طُسْتُ في طُسُّ (الفراء في الصحاح
١٢٤/١) ، وَلَصْتُ فِي لَصُّ (السابق ، والحياني في اللسان ٣٥٦/٨) أي يقلبون
السين والصاد الثانية تاءً . والصيغة الأخيرة^(٢) استعملت عند بعض أهل
المدينة . وبالطبع لا يوجد تغيير صوتي هنا ، ولكن الصيغتين قريبتان من الكلمتين
الأصليتين في اللغات التي اقترضت منها : دَسْتُ الفارسية وليستيس Lestes
اليونانية . وهما في لغة طيء من الصيغ المهجورة أكثر من كونها شواهد على الوقت
الذي كانت فيه القليلة على اتصال مباشر بغير العرب .

q-١٦ - هناك بعض الأمثلة على تَغْيِيرِ العين إلى أَلِف . ويذكر الفراء (اقتباس ابن
السكيت في القلب ، ص ٢٤) أنه النهج العام للهجة ، ويضرب أمثلة نحو : دَأْنِي
(دَعْنِي) ، تَأَلَى اللّهُ (تَعَالَى اللّهُ)^(٣) ، وليس لدى الأزهري علم (التاج ١٢/١٠)
عن هذا التغيير في لغة طيء . ويعزو أَدُّ (ساعد) وما شابهها إلى لغة الحجاز .
والشاهد الذي يسوقه يحتوي على : يُؤْدِيهِمَ للطرمّاح الشاعر الطائي (٨/٤٨) . وقد

(١) ورد في اللسان ٣/٤٢٥ : مَجَّاح (يعنى من يتفاخر بما لا يملك ، يمانية) . (المترجم)

(٢) أي لَصْتُ فِي لَصُّ . (المترجم)

(٣) ربما يقصد تعالى الله لأنه ترجمها إلى الإنجليزية بهذا المعنى . (المترجم)

وجدنا أنهم في الحجاز وغيرها ينزعون من العين صفتها الحلقية^(١) (فصل ١١ / e) ، ويجعلونها ملمحاً نموذجياً للعربية الغربية ، ولا توجد معلومات مقبولة عما حدث للحاء في اللهجة .

r- ١٧ - نزع حلقية العين قد يكون بنطقها همزة أو بإخفائها اعتماداً بالطبع على الهمزة الأصلية في اللهجة . وفي هذا يقول الأزهري (التصريح من اقتباس هـ ٨٢٤/٤) إن بعض القبيلة ينطقون الهمزة ، وبعضهم الآخر لا يفعلون ذلك . ويَشْكُ في أن يكون هذا الخبر هو خلاصة الملاحظات التي نقلناها آنفاً ، الأدلة غير المباشرة متناقضة .

فمن ناحية وإخى في أخى (Nashwan, Extracts, p, 114) نفرض مقدماً حذف الهمزة نصف الصائتة (انظر فصل ١١ / ff) . ومن ناحية أخرى في سُوْدَد من سوْدَد (ابن دريد ، الاشتقاق ، ص ١٣٠) همزة ليست من الجذر . إقحام مثل هذه الهمزة كان من ملامح لهجة كلب المجاورة لقضاة ؛ حيث يقال دأبة في دأبة وشأبة في شأبة (أبو زيد في اللسان ١٤/١ ، ابن يعيش ، ص ١٣٢٦) . ورمز الهمزة هناك ليس بالضرورة أن يمثل الوقفة الحنجرية ، ولكن يمكن أن تكون دليلاً على مقطع شديد مزدوج نشأ من صعوبة نطق صائت طويل في مقطع مغلق . وهذا السبب الصوتي لظهور الألف لا ينطبق على سوْدَد . ويمكننا مقارنة هذا بظاهرة وجدها رودوكناكس Rhodokanakis في عامية ظفار (ظفار ٨٩/٢) .

إن كلمة مثل شاجع يمكن أن تُلفظ اختصاراً شاءجَع والسبب الذي يقف وراء تطور هذا المقطع الشديد المزدوج هو الرغبة في الاحتفاظ بطول الألف (الفتحة الطويلة) إزاء النزوع إلى تقصير الصائت الطويل غير المنبور . إذا كان هذا هو التفسير لسُوْدَد الطائية فعليه لا بد أن يكون من الضروري أن نفترض بأن الكلمة المنبورة هي (سوْدَد) وليست سوْدَد التي في العربية الفصحى . ويوجد عدد كاف من المعطيات تفترض إدراج الهمزة غير المحققة في مقاطع طويلة حتى في المواضع التي لا يمكن افتراض التناوب النبري فيها .

(١) ربما يقصد أنهم ينطقونها همزة بمعنى أنهم يعطونها صفة مخرجة أخرى وهي الحنجرية . (المترجم)

بلغنا أن كلمة «ساق» تنطق في لهجة كَبْعَز «سَاقاً» (المخصص، ٥٢/٢)^(١)، ونصّرُ اللسان (٣٥/٧) الذي يتضمن هذه الصيغة يبدو أنه محرّف، للأسف، ومن الواضح أنها لهجة خاصة. في النص بيت من الشعر لجريز (لم أحققه) مستشهد به على الشكل الآتي: أَحَبُّ الْمُؤَدَّانِ (انظر: فصل ٧/٤) إليك موسى^(٢). وفي الآية ٥٠ من سورة النجم قرأ نافع وأبو عمرو: عاداً أَلْأَلَى بدلاً من «عاداً أَوَّلَى» (البضاوي). ويقول البضاوي (١٨٧/٢) عن السُّوْق في السُّوْق بأن الهمز بسبب الضم^(٣) الذي يسبقها، أي إن الميل إلى إبدال الصوائت الطويلة بصائت قصير وهمزة كان من أكثر المنطوق بالضمّة الطويلة. على كل حال، في لهجة صنعاء، التي تظهر فيها هذه النزعة، يكون المنطوق بالألف (الفتحة الطويلة) وليس بالضمّة نحو: مَالٌ في مال (Rossi, ROS, xvii, 234). ويبدو أن ما ورد من قبيل ظاهرة التنغيم. وهذا يذكر بالدغارية واللاتفية حيث تحل الهمزة محل نغمات معينة في اللهجات الشقية.

s- ١٨ - يزعم ابن السكيت (اقتباس الراجعي، التاريخ ١٣٨/١) أن الهمزة تُبدل هاء في لغة طيء ومن الأمثلة التي ضربها: هِنٌ في إِنْ، ولهَنُك في لَأَنُك. ولكنها لا تعزى إلى الطائيين (قطرب في اللسان ١٧٨/٦١، الزمخشري، الفصل، ص ١٧٥). والمثال الثاني ذكره سيبويه (في اللسان ١٧٣/٦١) مع ملاحظة طريفة هي: «وليس كل العرب تتكلم بها». ومن الصعب القول هنا أننا نتكلم عن تغيير صوتي. إن الكلمة التي تعني إذا، تبدأ بالهاء في الأوجارية (Gordon, Gram-mer, p. 91)، وفي الآرامية البابلية، والمينائية والقتبانية، الكلمة التي تقابل إنَّ العربية هي هِنٌ في العبرية. ويبدو أن توزيع الصيغ بالألف والهاء بين اللغات المختلفة لا يقوم على مبدأ واحد منظم. ولكنه من الطريف أن نرى لهجة طيء

(١) وقد قرأ ابن كثير المكي في الآية ٤٥٤ من سورة النمل: «عن سَأَقِيهَا» في «سَاقِيهَا»، والآية ٣٣ من سورة ص: «بالسُّوْق» في «بالسُّوْق» (وقرأ أبو عمرو بن العلاء بالسُّوْق)، والآية ٢٩ من سورة الفتح: «على سُوْقِهِ». ولا يوجد مطلقاً سَاق في ساق. ويظن البضاوي أن الهمزة في سُوْق بسبب الضمة الطويلة (الواو المدية)، ومن ثم انتقلت إلى سَأَقِيهَا. وسُوْق في العبرية لا يلاحظ فيها وجود للألف.

(٢) جاء في اللسان ٣١٥/١٥: بلغنا أن العجاج الضبّي قال: عَالَمٌ في «عَالَمٌ» وخَاتَمٌ في «خَاتَمٌ» ولكن رؤية ولده لا يشاركه هذا النطق. وربما يكون هذا من غرائب أو شذوذ قدامى الناطقين لللهجة ضبّة.

(٣) ربما يقصد الضم وهو الأَوَّلَى، أي الضمة الطويلة في السين. (المترجم)

تتفق في هذا الجانب مع اللغات السامية الشمالية .

t- ١٩ - إن الضمير المتصل للمفردة المؤنثة الغائبة في الوقف هو الهاء الساكنة المفتوح ما قبلها -هـ- ، وفي الوصل : ها (الجمهرة : ٢٣٤/١) . والشاهد لعامر بن جُوَيْن وهو : فلم أَرْ مثْلَها خُبْائِةً واجِداً^(١)

وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَ مَا كُنْتُ أَفْعَلُهُ .

وصيغة مثلها لا تشوبها شائبة بضمّان البحر الشعري «الطويل» . إن توزيع الصيغتين يعزّز نظرية بروكلمان (GVG,i,312) من أنْ- اه- ah العبرية ، في الأصل للوقف ومن العاميات الحديثة في شمال غرب الجزيرة ، احتفظت التجمعات البدوية الصغيرة بـ: هـ- . ما شَمُرَ والبدو الرُّحْلَ لديهم -هـ- ah- ، في حين أن قسماً من الخوالد الذين يعيشون في الأردن لديهم -هـ- ah- بعد الصامت ، وها بعد الصائت (Cantineau, parl ers,p.78,182) . أولئك البدو ، الذين نعتبرهم أكثر التصاقاً بطيء ، قد ورثوا صيغة الوقف القديمة . في نقش النمار : العرب كله^(٢) أي كل العرب تعني بوضوح : العرب كُلُّهُ .

u- ٢٠ - إن اسم الإشارة للمؤنث في طيء هو : تاء ، وليست «هذه» العربية الشرقية (انظر فصل ١٢ ، فقرة f) واستعملت تا كذلك في أجزاء أخرى من الجزيرة العربية وقد صرّح بنسبتها إلى طيء أبو عبيد (من اقتباس فريتاج : p.100 Einleitung) ومن الجدير بالملاحظة أن كاتب نقش النمار قد استخدم : تِي أوتِي وليس تا .

v- ٢١ - إن اسم الموصول في اللهجة هو : ذو . وأقدم من ذكر ذلك هو الفراء (في اللسان ٣٤٨/٢٠) ، ومن أصغر منه بقليل السجستاني (الرافعي ، التاريخ ١٤٠/١) ، وفي حين يقرر السجستاني وابن مالك (التسهيل ورقة ١١ ب) ومعظم اللغويين (انظر الأسترابادي ، شرح الكافية ٤١/٢) أن «ذو» تستعمل للمفرد والمثنى والجمع ، وللتذكير والتأنيث ، وفي كل الحالات الإعرابية^(٣) ، فإن غيرهم يشبتون تصريفها

(١) صححت ما وقع في الجمهرة من خطأ بكتابتها خُبْائِة ، والسيوطي (في شرح شواهد المغني) يذكر خُبْائِة وكل النصوص بما فيها سيويوه ١٢٩/١ فيها خُبْائِة واحد ، مما يترك الشطر الثاني في مهب الريح .

(٢) دون حركات في النقش . (المترجم)

(٣) وجدنا الطائيين يستعملون «ذو» الجر ، في الشعر ، في الحماسة ، ص ٥١٥ سطر ٦ . وفي النثر (انظر : المرجع السابق ، ص ١٤٨ سطر ٢٠) (لعله يعني شرح الكافية هنا) .

جزئياً أو كلياً ويجعلونها أشبه بـ«ذو» الملكية^(١). ويخبر الفراء عن متسول في جامع الكوفة أنه استعمل «ذات» للمفردة المؤنثة (هول ٥٨٨/١)، ويستشهد ببيت من الشعر لرؤية التميمي (الملحق ١/٧٠) فيه «ذوات» لجمع المؤنث (اللسان ٣٤٨/٢٠)، ويفترض أن أجزاء مختلفة من طيء ربما يكون لديها استعمالات مختلفة في هذا المجال، مثل الشاهد الذي ورد في الاختيارات النحوية والحقيقة التي تظهر لي أن «ذو» الأصلية قد استخدمت لكل من التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، كالعبرية «زو» المناظرة لها. ومع مرور الوقت سقطت من الاستعمال واختلطت بـ«ذو» الملكية، بنفس الطريقة التي هُجرت فيها «زو» العبرية، واختلطت بـ«زه» بمعنى هذه، (انظر: بارث - Pronominal bil- dung, p.153) في نقش النمارة، استخدمت ذو اسماً موصولاً: ذو أَسَرَ التاج. وفي نقش حجر ٧٦٢م، يبدو أن دء- d' قد استعملت اسماً موصولاً في عبارة: mn = y'r d' 'ly mnh (من يغيّر ذا (؟) عليّ منه). (فوق الأرض أو عليها: انظر: Lidzbarski, ZASS, Xxii, 195)، وكتبت d' على أنها اسم إشارة في سطر ٨؛ وإذا كنا على صواب فيما قدّمناه، فإن الخلط نفسه قد حصل هنا كما في العبرية.

w- ٢٢ - إن استعمال «ذو» اسماً موصولاً يقرب من ربط لهجة طيء على الأقل بالعناصر الأساسية في اللغة العبرية. ما دامت «زو» العبرية لا تستعمل إلا في الشعر، ومهجورة، قد يجعلنا نتجراً، إذا اتفقنا على نظرية الخلط، أن نستخرج العنصر غير الكنعاني. الافتراض غير محتمل، لا بد أن تُردّ الصيغة إلى الوراء، إلى الفترة السابقة على انفصال العربية الغربية واللغات الأخرى. ومهما كان فإن لغة طيء هي الوحيدة من اللهجات العربية الغربية التي تمتلك اسماً موصولاً من هذا النمط. في الجنوب ظهرت على شكل «ذي»، الذي من المحتمل أن يكون له صفة ثانوية (انظر فصل ٤/ aa)، خاصة أن هناك أدلة ما على الوجود السابق لـ «ذو» في عُمان. في العربية الشرقية والوسطى يستعملون (الذي)، التي تفترض وجود الصيغة المختصرة (ذي) في وقت ما (انظر أيضاً فصل ٢١/ I). بهذه الطريقة قد تلتقي العربية الشرقية مع الآرامية، حيث زي= ذي هي أقدم صيغة يمكن الوصول إليها. وبهذا يكون لدينا حدّ لهجي بين الكنعانية والآرامية قد استكمل بوضوح في شبه الجزيرة العربية. (انظر: الخريطة رقم ٢٠).

(٢) يقصد: ذو بمعنى صاحب وهي من الأسماء الستة المعهودة في العربية. (المترجم)

x- ٢٣ - إن أداة التعريف أم ، على الطرف الآخر من منطقة العربية الغربية (نشوان ، Extracts,p,39 ، والزمنخشري ، المفضل ، ص ٩٦١ ، ٤٧١ . . الخ)^(١) . وإن شعراً لبجير بن عَنَمَة (أو عَنَمَة) البولاني ، ورد في اللسان ٣٤٧/٢٠ شاهداً على «ذو» يشتمل على : أم- سهم وام- سَلَمَة^(٢) . انظر الفصل الرابع / x.

y- ٢٤ - بناء على ما نقل عن الصاغانبي (التاج ٦٥/٤) فإن هذه اللهجة تنطق هاء التأنيث في أواخر الكلمات عند السُّكْت تاء . وقد ورد في الصحاح (١٥/٢) وفي اللسان (٣٨٣/١٠)^(٣) نصوص تثبت هذا التحقيق باعتباره لغة ، ولكنها لا تنسبه لطبيء ، مثل الحَجَفَة التي ظهرت في القافية في شعر يعزى لشاعر يدعى سُور الذئب^(٤) ، الذي لا يُعرَف عنه شيء .

(١) إن أكثر الاستعمالات اللاحقة للنظر جاءت عند الطائي في الحماسة ص ٨٤١ ، البيت ٢٠ : وذو بيته بسماء . بما يمكن أن يكون بيم- سماء أو بالسما . أليس هذا نوعاً من الصيغة الآرامية (دي بيثيه بي- شميًا) ؟ فإنه بالتأكيد سترجح أن مثل هذه الصيغة قد أبقت عليها تقلبات النسخ .

(٢) ليست سَلَمَة كما وردت عند المؤلف بل هي السَلَمَة بكسر اللام وهي واحدة السَلَم بمعنى الحجارة والبيت كما جاء في اللسان مادة سلم وعزاه ابن بري لبجير بن عَنَمَة الطائي (وهو من تركيب صدر بيت على عجز آخر وصحة روايته) :

وإن مولاي ذويعاتبني لا إحنَة عنده ولا جَرَمه
ينصرني منك غير معتذر يرمي ورائي بامسهم وامسَلَمَة
يقصد السهم والسَلَمَة . (المترجم)

(٣) جاء في اللسان مادة حجف : «ومن العرب من إذا سكّت على الهاء جعلها تاءً فقال : هذا طلحت ، وخبز الذُرْت» ، والحجفة هي الترس . (المترجم)

(٤) ذكرت أبياته في لسان العرب للاستشهاد على استعمال الحَجَفَة بمعنى الترس المصنوع من الجلد ومنها :

ما بال عين عن كراها قد جَفَّتْ
وشَقَّها من حزنها ما كَلَفَتْ
كأنَّ عَوَّاراً بها أو طَرَفَتْ
ومنها

بل جَوَزَ تيهاءَ كظهر الحَجَفَتْ

قطعتها إذا المها تحوَّفتْ (المترجم)

وشعر آخر نُسب إلي أبي النجم العجلي (اللسان ٣٦١/٢٠) وهو بأي حال ليس طائياً ، وفيه عدة أسماء بالتاء في القافية . ولكنه يكشف عن نفسه وكأنه نكتة بما يذكره من : مَتْ في مَهْ وما . وإنه لضعيف في التدليل على ارتباط هذا الملمح بطيء . وإنه من الأفضل أن يستشهد به للجنوب البعيد (فصل ٤/أ) .

ولا بد أن تكون اللهجات الشمالية الغربية قد احتفظت بالتاء ، لأنها ظهرت بانتظام في الأسماء العربية في المخطوطات اليونانية واللاتينية التي كتبت قبل ٣٠٠م مثل : دُمُته ، سُبُته ، مَائِبُته أودِنُثس (فولرز p.158 Volkssprache) بورتُشت ، بُريكة (Waddington,) No2396 ، وفي الحروف النبطية (انظر .Cantineau,Nabateen,ii,171).

كُتّاب السريان والبيزنطيين في القرون : الخامس والسادس والسابع ، من ناحية أخرى ، نسخوا علامات التأنيث العربية في أواخر الكلمات : فتحة (نولدكه p.6.N.3 Hausgafna) ، وقد حاولت بقوة أن أربط هذه مع كل الانزياحات الطائية في هذه المنطقة بقصاعة ، ولكن المادة نادرة جداً حقاً لمثل هذه الخلاصة .

z- ٢٥ - بعكس الاحتفاظ الممكن بالتاء مع المفردة المؤنثة تسقط الألف وتاء التأنيث من آخر جمع المؤنث في الوقف (قطرب في المفصل للزمخشري ص ١٧٦) . وقد برهن على صحة هذه الظاهرة في العاميات البدوية في الصحراء السورية ونجد (Wetzstein, Can- (ZDMG,xxii,182;Socin Diwan,iii,107; tinau, parlers,p.20) إن الصفة الصوتية الخالصة للتغيير تظهر من خلال الموقع في عامية نِعم في شيرق سورية ، حيث تكون التاء ضعيفة ولكنها مسموعة . وفي شمر ، الذين يدعون انحذارهم من طيء ، حيث تتبع الألف ياءً ضعيفة مثل : إِبْقَراي = بقرات ، تماماً كما في الماضي للمفردة المؤنثة : كتوباى = كَتَبْتُ (Can- tineau, p.133) ، إن في تلك العاميات قسماً من الضعف العام لصوامت معينة في أواخر الكلمات ، الذي ظننا (في فقرة f) أيضاً أن لغة طيء القديمة احتفظت به (١) . لإمكانية حدوث هذه الظاهرة في الجنوب (انظر فصل ٧/ فقرة k).

aa- ٢٦ - ليس لدينا بيان فيما إذا كانت لهجة طيء تكسر حروف المضارعة كما هو الأمر في شرق الجزيرة . أم تفتحها كما هو الحال في غرب الجزيرة (انظر فصل ٦/ i ،

(١) حسب الأشموني ١٦٠/٤ قيل في طيء هيها في هيها ، وهذا يؤيد رأينا أن التغيير كان صوتياً خالصاً . إذا لم يُشك في أن عبارة الأشموني تقوم على أحكام نظرية وليس على العادة التقليد .

وفصل ١٢ / p). إذا كانت نظريتنا في أن استعمال الكسر مع حروف المضارعة قد تطوّر في المنطقة الكنعانية ، ومن ثم امتد وانتشر في شرق الجزيرة (انظر : Jour- of Jewish Studies, I, 26، nسيكون من غير المعقول أن نفترض تأثر لغة طيء ، أو أنها في الواقع قامت بدور الناقل للصيغ الجديدة . ومهما يكن فإن شكاً كبيراً يدور حول العبارة التي يمكن أن نوردها ، من أجل ذلك ، وهي قول المرزوقي (في التاج ٣١٣/٧) إن صيغة إخال أصيلة في لهجة طيء . هذه الصيغة ، التي كانت مستعملة عبر الجزيرة كلها ، ومن الراجح أنه ليس لدينا ما نضيفه حول كسر المضارعة أو التثنية . (انظر للمزيد فصل ٨ / bb).

bb- ٢٧ - إن تصريف الأفعال اللازمة المعتلة الوسط بالواو من النماذج القديمة ، كما في الحجاز (انظر : فصل ١٢ / s) تقول طيء : مِتْ في مِتْ (الجمهرة ٢٩/٢) وما دُمْتُ في ما دُمْتُ (المرجع السابق ٤٨٥/٣) . ومِتْ وردت في شعر الطرماح الطائي (١٦/١) . في حين أن أفعال المضارعة في لهجة الحجاز ، في حدود ما أعرف ، هي : يموت ، ويدوم ، يقابلها في طيء : يَمَاتُ ، يَدَامُ (انظر : الجمهرة ٤٨٥/٣) . بالنسبة لـ«يَمَاتُ» فإن بروكلمان (GVG, I, 608) يعتقد أن الألف قد استُردّت بالقياس ، لأن الفعل بالواو (الضمة الطويلة) في سائر اللهجات السامية الأخرى ، وربما يكون أيضاً من قبيل أن أقدم اللهجات العربية الغربية قد احتفظت بصيغة يَمَاتُ ، وقد استعملت في عاميات حديثة كثيرة (مثل : سوريا ، انظر : Driver, Grammar, p. 91) ويثبت ابن يعيش (ص ٧٥٢١) أن المضارع من الأجوف الواوي قد نُطِقَ بالإمالة ، مع أنه لم يعيّن اللهجة التي يقال فيها ذلك ، ومن الصعب أن يكون هذا من قبيل الانضمام العادي إلى الإمالة في اللهجات الشرقية مع عدم وجود الكسرة . وعليّ أن افترض أن استعمال يَمِيتُ ، وَيَدِيمُ (بالإمالة) النخ جارٍ في بعض اللهجات العربية الغربية ، وبحكم القياس فإن ماضيها بالإمالة : مِيتَ ، وَدِيمَ (انظر : الفصل ١٠ / y وما بعدها) . والقياس الكامل بين الأفعال من مثل : قُمْتُ : يَقُومُ ، وَزِدْتُ : يَزِيدُ ، لا بدّ أن يُولَّدَ : مِتَ : يَمِيتُ (دون إمالة) . إن الفعل المُمَال يَمِيتُ الذي ذكره ابن يعيش ، هو حل وسط بين يَمِيتُ (دون إمالة) ، وبين يَمَاتَ التي يتطلبها النظام النحوي ، الذي لا يمكن فهمه إلا عند وجود الماضي مِيتَ (بالإمالة) ، ويمكننا أن نتوقع وجود الألف الممالة مع الأفعال المسندة للغائب ، كما في اللهجات العربية الغربية .

cc- ٢٨ - إن التغيير الصوتي من الكسرة والياء والفتحة مجتمعة -ي- إلى الألف a الذي نوقش آنفاً في الفصل السابق/ فقرة نجعل أمثلة الأفعال الثلاثية الماضية اللازمة غير ثابتة الصيغة ، وهي التي أقحمت في هذه اللهجة : بَقِيْتُ ، بَقِيْتُ ، بَقِيْتُ ، بَقْتُ . إن «بَقْتُ» للمفردة المؤنثة الغائبة ، بتحقيق النحاة وورودها في الشعر ، وإنه لغريب حقاً أن نجد راوية قديماً كاللحياني يصريح بأن الصيغة الطائية هي لَقِيْتُ في مقابل لَقِيْتُ الشائعة . وقد وردت في بيت شعر لطائي مجهول (اللسان ١٨٤/٤) :

لم تَلَقْ خيل قبلها ما لَقِيْتُ

من غِبِّ هاجرة وسير مُسَاد^(١)

«وتبعها قوله مفسراً : إنه يقصد أن يقول لَقِيْتُ وهذَّه طائية^(٢)» . ولا بد من أن يكون قد تمَّ الاحتفاظ بصيغة الفعل بالتقليد ، كما أنه لا شيء يمنع قراءة لَقِيْتُ . إنها تشبه بدقة : حاسيَّاه العبرية - (Ps.lvii,2) hāsaiyāh ، التي من الصعب تماماً أن نجد لها تفسيراً . دون بيانات أخرى سيكون من غير الممكن أن نقول إنها صيغة طائية حقاً . كذلك مما يجب أن يوضع في الحسبان : أَمَسَجَتْ في أَمَسَتْ ، التي يفترض مسبقاً أنها أَمَسَيْتْ (انظر : الملاحظة في فصل ١٤ / فقرة m).

dd- ٢٩ - إن مضارع : قلا ، قلى في لغة طيء : يقلا ، يقلى (اللسان ٥٩/٢٠ ، السيوطي ، شرح شواهد المغني ، ص ٨٣) ، وشاهد يقلى في اللسان مجهول القائل^(٣) . أما شاهد يقلى الشعري فلأبي محمد الفَقَّعَسِي^(٤) ، من القبيلة المجاورة لأسد .

(١) يبدو أن المؤلف قد وجَّه الخبر وإن لم يخرج به عن المقصود فالرواية في اللسان مادة لقي : «قال ابن سيده : ولقاء طائية ، أنشد اللحياني :

لم تَلَقْ خيل قبلها ما قد لَقْتُ من غِبِّ هاجرة وسير مُسَادِ

فالفعل لَقَّى أسنده ابن سيده وليس اللحياني ، والبيت روايته ما قد لَقْتُ وليس ما لَقِيْتُ كما رواه المؤلف رابن ولَقْتُ دون الياء بالضرورة بفتح القاف والشاهد ربما لا يكون طائياً كما أفاد المؤلف ، حيث لم ينسب في اللسان . (المترجم)

(٢) والحقيقة أنها تلفيق بل من وضع المؤلف رابن لأن ما بعد الشاهد المذكور يورد صاحب اللسان قولاً لبيت يذكر فيه لَقِي ومصدرها أو اسم المرة منها وهو : لَقِيَه لَقِيَةً واحدة وَلَقَاَةً واحدة . . . (المترجم)

(٣) فقد جاء في اللسان في مادة قلا : «تقول قلاه يقليه . . . ويقلاه لغة طيء ، وأنشد ثعلب :

أيام أمِّ العَمْرِ لا تَقْلَاهَا . (المترجم)

(٤) وهو : يقلِي الغواني والغواني تقليه . (المترجم)

ويمكن تفسير هذا بسهولة بافتراض أن «قلى» الطائية تمثل قَلِيَّ، ومثل هذه الصيغة قد سجّلت في الواقع من ضمن العربية الفصحى على عهدة كثير من الرواة في نص اللسان . على كل حال يقرّر ابن مالك (في التسهيل ، ورقة ٧١- ب) إن الجميع ، باستثناء طيء ، يلتزمون الكسر في المضارع ، بما لأمه ياء وعينه غير حلقيه ولا أرى أي معنى لهذا سوى أنه إذا كان الآخرون يقولون : بَنَى : يَبْنِي ، فإن الطائيين يقولون : بَنَى : يَبْنَى ، أو بالأحرى ، بناء على الاستعمال العربي الغربي (فصل ١٠ / فقرة ff: بَنَى : يَبْنَى . والموضوع أقل غرابة مما يبدو ، وذلك لأن في العبرية بعض الآثار من التعميم المشابه لهذا النمط غير المتعدّي ، ومن المضارع دون لواحق أو سوابق : yirseh. Yibhneh ، يمكن أن يرد إلي : يَبْنِي ، ويرضّي ، بنفس القدر الذي ترد فيه إلى : يَبْنِي ، ويرضّي . (انظر : Bauer- Leander, Hist. Gramm.,p.407) ، ولكن tibhkeynah للجمع المؤنث الغائب يمكن أن تكون مشتقة من تَبَكَّنَ . إن الأمثلة القليلة التي تحتفظ بالياء قبل اللواحق ، تظهر كلها بالفتحة في الوقف : tibh'āyūn أنتم تطلبون أو تبحثون) ، (ye'ethayu ستأتون) ، (ye'ethāy ēn (يأتيني) . بالرغم من أن شقيقتها بكسر المضارع . وفي أسماء الأعلام بالياء ، مكسورة أو مفتوحة ، من هذه الجذور ، التي بلا شك تمثل غالباً الصيغ النادرة من المضارع (انظر : Gees, 23) (AJSL,xxvii,300seq,and Rabi, Journal of J.S.i.23) المنتهي بالياء تظهر بصورة مركبة (مثل : Ya'asī' ēl, yahzī'el, yir'īyyāh) ، ولكن الألف ، والفتحة والياء : -ي -ai في الأسماء ليست متبوعة بعنصر روحاني : yahdai, ya'anai, ye'dai, yishwāh, yimnāh, الخ . والاستثناء الوحيد من هذا : يشوي - yishwi ، التي جاءت في ترجمة التوراة السبعينية^(١) . والجذور العربية الشقيقة في هذه الأسماء لها مضارع ينتهي بالياء غالباً . ولا يخرج هذا تماماً عن المسألة التي أثارها العبرية في إحدى درجات التحويل ليس للماضي فقط ولكن للمضارع أيضاً من الأفعال المتعدّية الناقصة اليائية بعد كونها أمثلة للزوم . وهذا يمنح شيئاً من المعقولية لخبر ابن مالك^(٢) . وإذا كان ما استخلصناه مقبولاً ، فإننا بحاجة إلى مثال آخر هنا يثبت الشبه الشديد بين اللهجات الغربية والعبرية لتطوّر حدث بعد انفصال اللغتين .

(١) ترجمة يونانية للتوراة قام بها ٢٧ عالماً يهودياً في ٧٢ يوماً . (المترجم)

(٢) ربما يقصد ما جاء في أول الفقرة من التزام الجميع الكسر في الناقص اليائي . (المترجم)

ee - ٣٠ - لقد ورد في مصادرنا ثلاث صيغ بطيء بديلة للمثال : حُبْلَى : بعضهم قال : حُبْلَى والآخرين حُبْلَوْ ، وكلاهما على حد سواء في الوقف والوصل (سيبويه ٣١٤/٢) ؛ ومنهم من يقولها بالهمز في الوقف : حُبْلَا (الأزهري ، التصريح ، من اقتباس هول ٨٢٤/٤) . وتأثير عدم ظهور الهمزة على تصريف الأسماء التي تنتهي بـ : -ai- ي و u-^(١) قد نوقش في فصل ١١ / فقرة ee الأسماء التي تنتهي بألف التانيث الممدودة «إناء» حين تقصر بحذف الهمزة ، تصبح عند الجر : إِنَي ، وفي الرفع : إِنَو ، وحُبْلَى على المثال نفسه .

في بعض مناطق طيء ربما استبقوا الرفع على أنه صيغة فريدة ، وغيرهم احتفظ بصيغة الجر . ورواية سيبويه الذي سمع مثل هذه الكلمات أحياناً في إحدى الحالات الإعرابية وأحياناً أخرى في غيرها ، يؤدي إلى خلاصة أن الطائيين يستعملون صيغاً مختلفة بقدر اختلافهم .

ومن الراجح تماماً أنهم في تلك المناطق حيث تم الاحتفاظ بالهمزة جزئياً على الأقل فإن الأسماء التي تنتهي بـ -ai فالأقرب أنها انضمت إلى ما يماثلها من أسماء التانيث الممدودة . ff - ٣١ - بناء على ما ذكر ابن القوطية (Libro dei verbe, p.5) فإن لهجة طيء تصوغ المصدر الميمي من المثال الثلاثي الواوي على مثال : مَفْعَل . ففيها : مَوَعِد في مَوَعِد ، ومَوَزَن في مَوَزَن . وهذا يجب ربطه بخبر آخر ورد عن ابن مالك (في التسهيل ، ورقة ١/٥٧) الذي يقول فيه : «يصاغ من الفعل الثلاثي «مفعَل» والتزم غير طيء الكسر مطلقاً في المصوغ ؛ مما صحّت لامه وفاؤه واو . . .»^(٢) . وعليه فإنهم في طيء يقولون : موضع في موضع . . الخ . ويبدو أن هناك بعض الاعتماد على التناغم الحركي أو الإيقاعي في العمل الذي يفضل توالي «مَو» (أي ميم مفتوحة وواو ساكنة وفتحه) في مقابل «مَو-» (أي ميم مفتوحة وواو ساكنة وكسرة) .

gg - ٣٢ - تقول طيء وكلب «مِن» قبل ألف الوصل بدل «مِن» (الحياني في اللسان ٣١١/٧١) . ومن أجل مناقشة مستفيضة لـ «مِن» انظر فصل ٧ / فقرة ٥ . hh - ٣٣ - إن لغة طيء كغيرها من اللغات العربية الغريبة (انظر فصل ١٣ / فقرة b) . تطابق بين الفعل والفاعل في الجملة الفعلية (الحفاجي ، شروح درة الغواص ص ١٥٢) .

(١) في مثل : حُبْلَى ، حُبْلَا . (المترجم)

(٢) نقلت ما جاء في النسخة المطبوعة من الكتاب بنصه في ص ٢٠٨ . (المترجم)

الإضافات

- ص ٢٩ ، الببليوجرافيا : حمودة عبد الوهاب - القراءات واللهجات ، القاهرة ، ١٩٤٨ . إن توزيعاً ذا أهمية للمشاكل قد قام بمناقشته فولرز ، معتمداً على تفسير أبي حيان (انظر ص ٨) مما لم أستطع الحصول عليه ويحتوي على معلومات جديدة .
- ص ٤٢ فقرة d: نشر صلاح الدين المنجد كتاب اللغات في القرآن عام ١٩٤٦ ، الذي يشبه إلى حد بعيد رسالة أبي عبيد . وعليّ أن أقوم بملاحظة الاختلافات في هذه اللغات في طبعة أخرى .
- ص ٧٩- رقم ٩ ، انظر فورلاني . . . ويمكن أن تكون الكلمة موجودة في العبرية إذا كان التنقيح في ٣٢/٨ صحيحاً . (انظر درايفر : الملاحظات على صمويل ، ص ٣٦٤) .
- ص ١٧٢- فقرة m: إن مثلاً قديماً لهذا قد يكون في الآشورية : أنا قائي (تتأق) انظر وقد تكون من قبل العربية يناقاط (الرُضْع) - (انظر ٢٨/١٦ Gen) أينق العربية انظر تُسِمَرَن ، أكّد ، (Fremwörter, etc, 1915, p.50).
- ص ١٧٨- فقرة : يعضو النحاس (ت ٣٣٨هـ) هذا إلى كثير من هوازن وهذيل . (أبو حيان ، استشهد به حمودة ص ٢٨) .
- ص ١٩٢- فقرة f: انظر للمزيد ، فك ، العربية ، ١٩٥٠ ، ص ١٠ .
- ص ٢٤٣- فقرة a: إن قصة المأموم (٨١٥/٢٠٠) حكاها الطبري في تاريخه ١١٤٨/٣ ، ويتكلم عن وقوع الكاف مكان القاف باعتباره أمراً شائعاً في لهجة حمير فقط .
- ص ٢٤٥- فقرة c: يدعي التبريزي (١١٠٨/٥٠٢) أن أنطى موروثه من العرب العاربة من سكان الحجاز قبل التاريخ (عن أبي حيان ، من اقتباس حمودة ، ص ١٢٣) . وهل يعني هذا أنها من أصول عربية غريبة .
- ص ٢٧٦- فقرة hh: إن صيغة ناء قد نسبت في الحقيقة إلى هوازن ، وكنانة ، وهذيل وأهل المدينة (أبو شامة ، إبراز المعاني ، ص ٣٧٩- واقتبسها حمودة ص ٢٨) .
- ص ٣٠٢- فقرة r: ربما بدأت من الماضي حيث : اوتزر- أوتزر- إيتزر بناء على ما جاء في الفقرة t ، ثم امتدّ الصائت الطويل إلى الصيغ الأخرى قياسياً .
- ص ٣١٩- عدد ٢ : إن رسم كاه هي طريقة مدونات البحر الميت ، التي تحتوي مثل هذه المهجورات نحو : (hu'ah هي hi'ah هو) ، انظر الأوجاريتية ، والعربية الجنوبية ، والعربية الأسبانية حووت ، وحيت .

- ص ٣٥٩- فقرة e: حُرَيْث بن عَنَاب الطائي : (الحماسة ص ٦٥٠) يتهم عشيرة بني ثعل الطائية بأنهم يتكلمون لغة غير مفهومة .

- ص ٣٧١- سطر ١٢ : بناء على ما أورده حمودة ص ١٢٢ مقتبساً من كتاب الهمز لأبي زيد ، اللهجة لكليب وليست لكلاّب وإذا كان هذا صحيحاً يجب أن يكون له صلة بتغيير أو إلى أ في المقطع المغلق المعروف عن اللهجة المجاورة ، غَنِي ، ص ١٥٣ أن تحوّل ياجوج وماجوج إلى ياجوج وماجوج معزو من ناحية أخرى إلى أسد جيران طيء (الفراء عن أبي حيان من اقتباس حمودة ص ١٢٥) . وهذا هو التغيير نفسه الذي حدث في طيء في كلمة سُودَد .

الفهارس الفنية

- ١- فهرس الآيات القرآنية
- ٢- فهرس الأشعار
- ٣- فهرس اللغة
- ٤- فهرس اللغات
- ٥- فهرس القبائل
- ٦- فهرس الأعلام
- ٧- فهرس مراجع التحقيق والترجمة

فهرس السور القرآنية

الصفحة	الآية	السورة
٦٩	٢٢٢	البقرة
٧٩	١٠٢	
١٧٩	٣٨	
١٩٦	٣٨	
١٩٧	٦٠	
٢١٢	٨٦، ٨٥، ٨٣، ٣، ١١٠	
٢١٩	٢٤٨	
٢٥٨	٢٨٢	
٢٦٣	٢٨٣	
٢٦٨	١٤	
٢٦٩	١٥	
٢٧٣	٢٤٦	
٢٩٢	١٦	
٢٠١	٣٥	
٣١٠	٢٨٢، ٢١٧	
٢٤٨	٢٤٦	
٣٤٩	٨٤، ٧٧	
٣٥٠	٢٣٣	
١٥	٢٢٢	
٦٩	٢٢٢	
٧٩	٧٧	آل عمران
٢٢٩	١٥٨ ١٥٧	
٢٦٥	١٤٦	
٢٧١	٤٩	
٢٩٠	١١٩	

الصفحة	الآية	السورة
٢٩٣	١١٩	
٣٠٣	١٥٨، ٥٧	
٦٩	٨٥	النساء
٧٧	١٢٨	
١٩٦	٤	
٢٦٨	١٤٢	
٢٨٠	٩	
٣٢٤	١٤٠	
٣٣٠	٢٩	
٣٤٢	٦٦، ٤٦	
١٥	٨٥	
٣١٠	٥٤	المائدة
١٧٨	١٦٢	الانعام
٢١٢	٥٢	
٢٢١	٥	
٢٣١	٦٣	
٢٥٨	٢٦	
٢٧٠	٢٦١	
٣١١	١٥٠	
٣٣٦	٢٩	
٢٣٤	٩٣	الأعراف
٢٧٣	٦٠	
٣٢٠	٧	
٣٢٣	١٠٠	
٣٣٦	١٥٥	
٦٩	٧٥	الأنفال
٢٥٢	٤٢	

الصفحة	الآية	السورة
٢٦٠	٢٤	
٣٤٣	٥٣	
١٥	٥٧	
٧٩	٦٩	التوبة
١٠٤	٦٩	
٣١٦	٣٤	
٨١	١٠	يونس
٣٢٣	٢٤	
٢٨٣	١٤	
٣٢٤	١٠	
٣٤٢	٩٨	
٣٤٣	١٩	
٧٧	٢٧	هود
٢٧٣	٣٨	
٣٠١	١١٣	
٣٠٤	٧٧، ٤٤	
٣١٨	١١١ ..	
٣٤٢	٨١، ١١٦	
١٧٩	١٩	يوسف
٢٦٢	٤٣، ٥	
٢٧٧	٣١	
٢٨٣	١١٠	
٣١٥	٧٢	
٣٢٠	٣	
١٦٥	٧، ٦	الرعد
١٩٦	٦	
٢٢١	٢١	ابراهيم

الصفحة	الآية	السورة
٢٨٨	٢٢	
٣٥٠	٣١	
٢٦٠	٤٤	الحجر
٣٠٢	٥٣	
٣١٢	١٩	
٣١٥	٧٦	
٢٧٦	٣٨	الاسراء
٦٩	٥١	
١٥	٥١	
٨٠	٧٤	
٢٠٠	٦٣	الكهف
٢١٢	٢٨	
٢٨٥	٩٧	
٢٠٣	٦٢	مرم
٢٢٩	٦٦، ٣٢	
٢٦٣	٧٤	
٢٧٠	٥	
٢٧٩	٢٦	
٣٠٣	٢٣	
٣٥٢	٢٦	
١٧٨	١٨	طه
٢١٩	٣٩	
٢٦٨	٩٤	
٢٧٧	١٠	
٢٨٩	١٨	
٢٩٣	٨٤	
٢٩٩	٩٣	

الصفحة	الآية	السورة
٣١١	٩٧	
٣٢٨	٦٣	
٧٨	٩٨	الانبياء
٢٧١	٤٣	
٢٨٣	٨٨	
٣٠٣	٣٤	
٢١٢	٧٨	الحج
٢٤٨	٣٤	
٢٠٤	١١٠	المؤمنون
٢١٢	٤	
٢٣٠	٥٣	
٢٥٨	٦٥	
٣٠٣	٨٢	
١٦٥	٥٨	النور
٢١٢	٣٥	
٣٢٢	٩٠٧	
٣٢٣	١٨	الشعراء
٣٥٠	٢٠٠ ، ٢٠١	
٢٧٣	٢٠	القصص
٢٥٩	٢٠	العنكبوت
٢٠٢	٥٤	الروم
٣٣٨	٣٣	لقمان
١٦٥	٣١	
٣٠٧	١٧	السجدة
٢٧٧	١٩	الاحزاب
٣١١	٨١	
٢٧٥	٢٥	سبا

الصفحة	الآية	السورة
٣١٨	٣٢	يس
٣٣٠	٢٩	
٣٣٨	٤٠	
٣٤٣	٩٢	
٣٢١	٥٦	الصفافات
٣٥٠	٨٠، ٧٠، ٦	
٧٧	١٢٥	
٨٠	٢٢	ص
٢٥٨	١٣	
٣١٨	١٤	
١٦٨	٦٠	الزمر
٢٣٨	٧	
٣٤٩	٦٤	
٢١٢	٤١	غافر
٢٢١	٤٧	
٢٨٣	٥١	
٢٥٨	٩٤	فصلت
٣١٥	٣٠	الأحقاق
٢٤٨	٢٢	محمد
٢٠٠	١٠	الفتح
٢٤٨	١١	الحجرات
٢١٢	٢٠	النجم
٣٢٣	٩٣	
٢٨٢	٤٠، ٣٢، ٢٢، ١٧	القمر
٢٦٦	٢٤	الرحمن
٢٥٨	٩	الواقعة
٢٥٩	٦٢	

الصفحة	الآية	السورة
٣١١	٦٥	
٢٧٧	٢١	الحشر
٣١٠	٤	
٣٣٨	١٠	المتحنة
٣٣٩	١٠	
٢٩٤	٤	الطلاق
٣٢٥	٥١	القلم
٣٢٤	٨	النمل
٣٣١	٤٧	الحاقة
٢٧١	١	المعارج
٣٢٣	٦١	الجن
٣٠٥	١٤	المزمل
٣٢٦	٢٠	
٣٢٣	٣	القيامة
١٠٠	٣٥ ، ٢٨	النبأ
١٠١	٥٣	
٣١٢	٦٢	عبس
٣٠٣	١٨	الانشقاق
٣١٨	٤	طارق
٣٠٨	٩	الغاشية
٢٣٩	١٦ ، ١٥	الفجر
١٧٤	٩	العاديات
٢٤٥	١	الكوثر
٣٣٨	٥ - ٣	الكافرون

فهرس الأشعار

١٦	طَرَفْتُ	(أ)	
١٦	الحجفتُ	٣٦٤	والإضاء
١٦	تجوّفتُ		
	(ج)	(ب)	
		٢٢٠ ١٩	أضرِبُهُ
١٥	نثِيجُ	١٣٥	أشْفِرْبُهُ
١٦	حَلْجَا	٢٧٦	بالرجائبِ
١٠	بالعشجِ	٣١٧	أقارِبُهُ
		٣١٧	عقارِبُهُ
	(ح)	٣٢٠	الخطوبِ
١٥	سَبَّحَ	٣٢١	مخروبِ
٣٢	فالرُّحَا	٣٢٨	خُلْبِ
٢٤	الرُّزَاخِ	٣٣٤	مُعْذِبًا
٢٤	الصباحِ	٣٥١	تخطبِ
٢٤	الطَّلَاحِ	٣٦٤-	يعتبِ
٣٩	لأبراحُ	٣٦٤	المجوبِ
٤٠	سلاحِي		
٤١	مصبوخُ	(ت)	
		٤٨	طويتُ
	(د)	٩٨	جَرَمَةٌ
١٧	أقليدا	٢٤٨	الخبِيتُ
٤٢	قَوْدُ	٢٤٨	المستमितُ
٥٧	يسودُ	٣٣٦	حياته
١٩	البردا	٣٧٦	جَفَّتْ
٦٧	غَدِ	٣٧٦	كَلَّفَتْ

	(س)	٣٢٠	مُعْتَمِد
١٨٦	الرأس	٣٢٠	الْمُعْتَمَدُ
٢٣٢	النَّسَا	٣٢٥	مَعَانِد
٢٩٨	خَمْسَا	٣٢٨	أُسْدَا
		٣٣٦	أَحَد
	(ص)	٣٥١	أَحْدَا
١٠٣، ١٨	فَوْقَصُهُ	٣٥٢	اِجْلَادِي
٢٥٠	لَوَامِصًا	٣٥٩	الْأَجْدُ
٢٥١، ٢٥٠	خَائِصًا	٣٦١	وَلَا أَمْتَحَدُ
		٣٧٩	مُسَادٍ
	(ع)		(ر)
١٢٠	رَتَوْعُ		أَثْرًا
١٤٨	أَصْنَعُ	١٧	زَمِيرُ
١٧٨	مَصْرَعُ	١٣٤	مَشْمَخِرَا
١٨٧	الضَّبِيعُ	١٨٢	تَذِرُ
٣٢٢	تُشْرَعُ	١٨٧	مُسْكِرَا
٣٢٦	مَرَّع	٧٣	أَعْفِرَا
٣٢٨	رَوَاجِعَا	٣٢١	الْمَشَافِرُ
		٣٢٧	قُدْرَا
	(ف)	٣٢٩	النَّحْرُ
١٢٩	دَنَفُ	٣٣٠	الْمَشَافِرُ
٣٢٨	مَحْرَفَا	٣٣٢	مُظْهَرُ
٣٣٧	الْخَرْفُ	٣٣٣	بَشْرُ
	(ق)	٣٥١	تَشْعِرَا
٦٧	دَقِيقُ	٣٦٣	الْمَشْهَرُ
١٨٠	مُوثِقُ		
٢٩١	انْطَقَا		

٣٣٠	يَلِيل	٣١٨	صديق
٣٣٢	نائلة	٣٥١	الحلقة
٣٤٤	فعالا	٣٥١	لا أذوقه
٣٤٦	قاتلا		
٣٥٢	الخللا	(ك)	
٣٧٣	افعلّهُ	١١٦	عَصِيكَ
		١١٦	إليكَ
		١١٦	أَنِيكَ
		١١٦	قَفِيكَ
١٧	السلم	١٨٠	عصيكَا
١٨٠، ١٧	مسلمة	١٨٠	اليكَا
١٨	جرمه	١٨٠	قفيكَا
٢٣	طمطم		
٦٨	مسجوم		
٨٢	الضخم	(ل)	
٨٩	السلم	١٦١	خُصِل
٩٨	أُمسَلِمَة	١٨١	طويل
٩٨	أُمسَلِمَة	١٨١	يُنْتَعِل
١١٨	طِمْطِم	١٨١	ينتعل
١١٨	طِمْطِم	٢٣٢	الخلا
١١٨	طِمْطِم	٢٦٨	بالسَّحْلِ
١٤٥	لصمّا	٢٧٧	خليلا
١٤٧	لصمّا	٣١٩	شمالا
١٤٨	عقيم	٣١٩	سفرجلا
٢٤٧	مسجوم	٣٢٠	ما تُهْمَل
٢٥٠	المخدّم	٣٢٢	عُدولا
٢٥٣	تكرّما	٣٢٣	قاتله
٢٧٣	الرّجم	٣٢٤	ينتعل
٢٩٤	أُمسَلِمَة	٣٢٥	سؤل

(م)

	(هـ)	٣٢٣	الْجِلْمِ
١٧	سَخَامُهَا	٣٢٤	حَازِمٍ
١٧٧	تَلَفْتَهُ	٣٢٥	شُبْرَمَةٍ
١٨٧	تَبَاعَلُهُ	٣٢٧	السَّلَمِ
١١٤٩	تَرَاهَا	٣٢٩	مَقْسَمٍ
١٤٩	عَلَاهَا	٣٣٣	نَعْمَتُهُمْ
١٤٩	حَقَّرَاهَا	٣٤٢	تَحْزَمًا
١٤٩	أَبَاهَا	٣٤٥	خِثْمٍ
١٤٩	أَبَاهَا	٣٤٥	فَدَمٍ
١٤٩	غَايَتَاهَا	٣٤٦	لَدَيْكُمْ
٢٥٠	أَشْوَالِهَا	٣٦٣	الْكَرَمِ
		٣٧٦	جَرَمَةٍ
		٣٧٦	اِمْسَلَمَهُ
٣٢٦، ٣٢٣	(و)		
	لَوْ		
	(ي)		
٩٨	تَبْكِي	٢٠	أَصَابِينَ
٩٨	يَبْرُدْشِي	٢٤	فَوْمَتَانِ
١٦٨	الْمَلَاوِيَا	٩٩	أَصَابِينَ
٢٣٢	الْحَيَا	١٣٤	أَرْقَانِ
٢٨٩	بِالْمَرْضِيِّ	١٣٤	فَوْمَتَانِ
٣٢٣	لِيَا	١٤٨	ظَبْيَانَا
٣٣٤	ثَمَانِيَا	١٦١	شَبِيَانَا
٣٣٩	بَاقِيَا	٢٥٣	فَيْفَنِي
٣٣٩	مَتْرَاخِيَا	٣٢١	أَنْ
٣٥١	هَيَا	٣٢٥	الْمَعَادِنِ
		٣٢٦	أَنْ
		٣٢٧	حُقَّانِ

فهرس اللغة

٢٩٦ - ٢٩٣	اللي ، اللاي	١٥١	أبي ، أباً
٩٥ ، ٩٤	أم	١٥٢	أبت ، أبه
١٠١ ، ٩٧		١٥٣	أب
١١٨ ، ١١٠		١٧٢	أبيننا (أبِثْناء)
٣٧٦ ، ١٢٠		١٧٢	أد (يد)
٢٢٩ ، ٢٢٨	أما	٢٤٦	أدى
٣٤٥ ، ١٨٧	أما	٢٨٠	أدفوه (أدفئوه)
٣٤٦		٢٧٢ ، ٢٣٣	أفعي
٣٧٩	أمسجت	٣١١	أحبّت (أحبّبت)
٢٩٨	أمس	١٧٤	أحد (أعهد)
٩٠	أمطى	٧٧	إيم
٣١٧	أن	١٥١	أخا
٢٨٧	أن ، آن (أنا)	١٣٧ ، ١٣٨	إخال
٢٧٢	إناء	١٨٤ ، ١٨٥	
١٨١	آناء	٣٧٨	
٢٥٧	أنبئاء (أنبياء)	١١٠ ، ١٥١	أخواك
٢٢١	أنبؤ (أنباء)	٢٠٣	أخذ
٣٢٩ ، ٣٢٨	أن	١٥٣	أخ
٨٩ ، ٨٨	أنطى	١٧٢	ألب (يلب)
١٢٦ ، ٩٠		١٨٢ ، ١٨٣	اللذ
٢٤٥		٢٤٠	
١٧٢	أرقان	١٦٠	اللذي
٢٨٤	أسبال (سُبل ، سُبل)	١٨٣	اللذون
٨٠	أشط	١٨٣ ، ٢٩٤	اللائي
٨٨	أعطى	٢٩٥	
٣٦٤ ، ٣٥٧	الأوادة	١٨٣ ، ٢٩٥	اللاؤون

أو كف	٢٧٤	إبن (ابن)	١٦٦ ، ١٦٧
أونق (أيتق)	٣٦٨	أسادة	١٦٧
أوصد	٢٧٤	أشك	١٦٧
(أنثذ) أو (انثذ)	١٨٦	أد	١٦٧
أواب	١٦٣	أجوهم	١٦٧
أوانت (أوانت)	٢٦٠	إشاح	١٦٨
أريمة	٢٥٥	إلد	١٦٨
أيس	٢٧٥	إعاء	١٦٨
أوم	١٧٣٠٧٧	إقاء	١٦٨
أل التعريف	٩٧/٩٥	إضاء	١٦٨
أنحل (الخلم)	٩٦	إجدان	١٦٨
أنقشم (القشم)	٩٦	إرث	١٦٨
أنهند (الهند)	٩٦	إذن	١٦٨
أنصريف (الصريف)	٩٦	أذفر	١٦٨
أنطيم	٩٦	أصل	١٦٨ ، ١٦٩
أن (أداة تعريف)	٩٦ ، ٩٧	أقية	١٦٩
أنى	١٠٠	أرقان	١٧٢
إن (الخففة)	١٠٢ ، ٣١٧ ،	أناة	١٧٢
	٣٢٧	أسماء	١٧٢
ن (الخففة)	٣١٧ - ٣٢٧	إتى	١٧٤
مالا ، أمالي	١٠٢ ، ١٠٣	إم (أم)	١٧٨ ، ٢٠٥
تيكا (أيت)	١١٦ ، ١٢١ ،	إنى (أنا)	١٨١
	٢٣٩	إنو	١٨١
لاك (إليك)	١٤٣	إخوان	١٨٥
يضاً (أيضاً)	١٤٣	إحدى	١٨٥
لك (إليك)	١٤٣	إذا	١٨٦
ذناه (أذنيه)	١٤٨	إذ	١٨٦
وَاب	١٦٣	إن (النافية)	٣٩٩٨٦

أما ، إِمَّا	١٨٧	إِنَّ (بمعنى نَعَمْ)	٣٢٩
إحدى عَشْرَةَ	١٩٨	إِنْ (المشبهة بليس)	٣٣٠ ، ٣٣٦ ،
أرومة	١٩٩		٣٣٨ ، ٣٤١ .
إِسْوَة	٢٠٥	إِلَّا	٣٣٤ ، ٣٣٣
أولياهم	٢٢١	أما (المؤكدَة)	٣٤٥ ، ٣٤٦
أَنَّى	٢٣٨ ، ٢٣٤	إِمَّا	٣٥٢
إِيسَى	٢٣٤	﴿إِيْمَنَ﴾	٢٦٣ ، ٢٦٤
إِلَيَّ	٢٣٨	اتَّخَذَ	٢٦٣
إليك	٢٣٨	أَتَمَّرَ	٢٦٤
إلى	٢٣٨	أَنْتُمْ (عائِثَم)	٢٦٤ ، ٢٦٥
﴿أكرمَن﴾	٢٣٩	أريت (أرايت)	٢٦٥ ، ٢٧٤ ،
﴿أهانَن﴾	٢٣٩		٢٧٦ ، ٢٧٧ .
ارْمُ	٢٤٠	أَقْرِبَاكَ	٢٦٨
اغزُ	٢٤٠	أَسْمَاي (أسمائي)	٢٧٠
اخشَ	٢٤٠	أَقَايِن (أفان)	٢٧٢
اثنين	٢٤٢	أولاء ، أولى	٢٧٣ ، ٢٩١ -
أعدى	٢٤٦		٢٩٣
﴿أفَذَة﴾	٢٥٨	استاع (استطاع)	٢٨٦
ايتَرَزْ ، ياتَرَزْ ، سَمَوْتَرَزْ ،	٣٠٣ ، ٢٦٣	أعطيْتُكَه	٢٨٨
اتَّسَقَ	٣٠٣	﴿اشترؤوا﴾	٢٩١
اتَّقَى	٣٠٣	أَخْلَى	٢٦٤
﴿أخْفِي﴾	٣٠٧	إِجْلَ (إِثْل)	٢٦٦
امْلَلْ	٣٠٨	إقْلِيد	٤٥
اردُدْ	٣٠٨	بَعَلَ	٢٢ ، ٧٧
أغْلَبَ	٣١٥	بداة	٣٦٣
أكلوني البراغيث	٣١٦	بَدِي	٢٧٩
إنكَّه	٣١٩	بِهَا (بهاء)	٢٦٩
إِنْ (الشرطية)	٣٢٠ ، ٣١٩	بَلَّاسَ	١٩٢

٢٦٩ ، ٢٣٨	بَلَى (بالإمالة)	٢٥٠	بَن (بل)
٢٤٢	بَيْت (بيت)	٢٤١ ، ٢٣٨	بَنِي
١٧٩	﴿بُشْرِي﴾	٣٠٨ ، ٣٠٦	
٢٨٩ ، ٢٤٠	تَا ، يَه	٣٨٠	
٣٧٣ ، ٢٩١		٣٦٤	بَنَاء
٣٦٩	تَاكَى اللّٰه (تعالى اللّٰه)	٣٠٧ ، ١٤٢	بَقَى
٢١٩ ، ١٩٠	تَابُوهُ (تابوت)	٣٦٤ ، ٣٦٣	
٢٢٠		٣٧٩ ، ٣٦٣	بَقَّتْ
٢٦٩	تَحْيَى (تحية)	٢٥٧	بريئة (برية)
٢٦٣	تَخَذَ (اتخذ)	٣٦٩	بَاسْمُكَ (ما اسمك؟)
٧٨	تَلَّمَ	١٦٥	بَيَضَات
٣١٦ ، ٣١٥	تَمَر	٢٧٩	بَدَايَة بَدَاءَة
٨٢	تَنَسَّمَ	١٦٧	بِنُ
٣٦٦	تَرْضَنَ	١٩٩	بَعِيرٌ
٢٦١	تَرِيَّة (ترية)	١٩٢	البطريق
٨٠	تَشَبَّصَ	٣١٧	بُعْدُ لَهُ وَسُخْقُ
٣٦٣	تَوْصَاة	١٧٤ بَنَتْ	﴿بُعْثِرَ (بُعْثِر)﴾
٢٩١	تَيَلَّمَ	٣٦٣	
٣٠٠	﴿تَقْرِبَا (تقربا)﴾	٣١٥ ، ١٣٣	بُرَّ
٩٢	تَوَخَّرَ (تأخر)	٣١٥	بُسْر
٩٢	تَفَاوَلَ (تفاءل)	٣٦٤ ، ٣٠٧	بَقِيَ
٢٤٠	تَه	١٢١	يَهْلَكَ
٢٥٩	تَدَابَانَ (تدأبان)	١١٠	بعيراك
٢٧٩	﴿تَرَيْنَ (تراين)﴾	١٥١	بَا (أبو)
٢٨٥	تَقَتَّلَ (تقتل)	١٥٢	بَيِّي ، بوي (أبي)
٢٨٦	تَحَدَّرَ (تتحدر)	٣٠٠ ، ٢٠٠	﴿بَهْ ، بَهْ﴾
٢٨٦	﴿تَرْكَنُوا﴾	٢٠٠	﴿بَدَارُهُ﴾
٣٠١	﴿فَتَمَسَّكُمْ﴾	٢٠٢	يَخْلُ ، يَخْلُ

٣٦٨، ٢٥١	حَوْثُ (حَيْثُ)	٢٥٨	﴿تَجَرَّوْا (تَجَارَوْا)﴾
٢٦٩	حِيا (حِياء)	١٦٣	الثَّاقِبُ
، ٢١٢، ٨٥	حِيوَة (حِياة)	١٦٣، ١٦٤	جَدَثٌ، جَدَفٌ
، ٢١٤، ٢١٣		٧٨	جَفَنُ
٢١٨		٧٨	جِيهَلُ
٢٢٧، ٢٢٤	حَقِيقٌ	١٦٥	جَمَرَاتُ
٢٧٢	حَدَوُ	٣٦٣	جَارَاةٌ (جَارِيَة)
٢٧٢	حَدَوُ	١٦٤	جَوَزَاتُ
٢٠٣	حَج (حَجَج)	٢٦١، ٢٦٢	جَبُونَه
٢٦٧، ١٨٦	حِينِثٌ	٢٦٥	جَبْرِيلُ
١٧٧	حَقْوُ	٢٢٤، ٢٢٥،	جِيءَ (جَاء)
٣٨١، ٣٦٨	حَبْلِي	٢٢٧	
٣٨١	حَبْلًا	٢٠١	جُهْدُ
، ٢٣٤، ٢٣٣	حَبْلِي	١٩٦	جُمْعَة
٣٨١		١٢٧	جُعْصُوصُ
٣٦٨	حَبْلُو	١٢٩	جُشْمُو (جُشَم)
٢٦٠	حُدَيَّا (جُدَيَّاء)	٢١٩	جَبْرُوه (جَبْرُوت)
١٩٦	حُسْنُ	٢٢٤	جَبَلٌ (جَالٌ)
١٠٨	حَنِجٌ	٢٤٣	جَبْرَمُ
٢	حَبِلٌ	٢٦٠	جَزٌّ (جَزْءٌ)
١٩٩	حَصَادُ	٢٦١	جُزُو
١٠٣	حَبَبُهُ	٢٧٦	جَبِثُ (جَبَثُ)
١٢١	حَسْنُكَ	٢٣٠	جَارٌ (جِيرٌ)
١٢٢	حَيْرَانٌ، حَيَوْنُ	٣٦٩	حَبَلْتُ
٢٠٨	حُصْمَهُ	٣٧٦	حَجَفْتُ
٢٠٨	حَسَدُوا	٣٤٥	حَاشَا
٢٣٨	حَتَّى	٧٨	حَصَبٌ (حَطَبٌ)
٢٤٦	حَطَا (عَطَا)	١٠٥	حَتَّى (بِالْإِمَالَة)

٢٦٩	دَأْنِي	٣١٢	حَسَّ
٢٨٢	دَكَر	٣٥٩	الحَمَا (الحَمَامَة)
٣٧٨	دَمَتُ	٣٥٩	أَبَا الحَكَّ (الحَكَم)
١٠٤، ٥٠	دَو (أداة نفْي)	٢٥٢	الحُلُوى
١٠٤	دَأ		
١٢٨	دَيْتَش ، دِيوتَش (ديك)	٧٨	خَبَالَاه (وَأَسْفَاه)
٢٣٣	دَعَا	٢٤٨	خَبِيت
٢٧٨	ذَأَى	٢٥١ ، ٢٥٠	خَيْص
- ١٥٧، ١٠٤	ذِي	٧٩	خَلَاق
، ٢٨٩، ١٦٠		١٢٥	خَمَر
٢٩٤		١٦٤	خَرَص
، ١٠٣، ٤٨	ذَو	٧٨	خَشَف (خَزَف)
، ١٥٩، ١٠٤		٧٩	خَصِين
، ٣٥٩، ١٦٠		٣٧٢ (هـ)	خَاتَم
٣٧٤، ٣٧٣		٣٦٣	خَاظَاة (خَاظِيَة)
٢٠٦	ذُكِر	؟	خَيْبَ
، ١٥٨، ١٥٦	ذَا	، ٢٢٤، ٢٢٣	خَيْفَ
٢٩٠، ١٥٩		٢٢٧، ٢٢٦	
؟	ذَهَبَ	٢٥٣	خُصُوءَة
١٥٨	ذَوء	١٥٢	خَاي (أَخِي)
٢٩٣	ذَلِك	١٨٠	خَلِيلَاي
٢٩٤، ٢٩٣	ذَاك	٢٠٨	خَشَبَة (خَشَبَة)
٣٧٥، ١٥٦	ذَات	٢٦٦	خَاطِين (خَاطِثِين)
، ٢١٣، ٢١٢	الرَّبَا ، الرُّبُو	٢٥٢	دُنْيَا
٢١٩		٣٧١	دَائِبَة (دَائِبَة)
٢٥٩	رَدَا (رَدَاء)	١٥٢	دَاب
٢٥٩	رَدُ (رَدَّء)	١٥٢	دَمَا

٢٤٢	رَوَم	٢٧٦ ، ٢٧٤	راء ، راء
٢١٢ ، ٨٥	زَكوة (زكاة)	٢٥٤ ، ٢٧٧	
٢١٤ ، ٢١٣		٢٦٨	رَاد (رائد)
٢١٨		٣١٢	رَدْتُ
٣٦١	زَقَر (سَقَر)	٣٦٣	رُضا
٢٠٣ ، ٢٠٢	زُعَم	٢٧٧	رَيْتُ
٢٢٨ ، ٢٢٤	زَيْد	١٦٤	رجا
٢٢٨ ، ٢٢٤	زَيْغ	٨٠	ركن
٢٧٣	زنى ، زِناء	٧٩	رَحِمَ
٣٦١	زراط	٣٠٧	رقي
٢٠٢	زَهْو	٨٠	رقد
٣٦١ ، ٣١٥	زُقاق	٢٦٨ ، ٢٦٧	رايا
٢٣٠ ، ٢٢٥	زِيل	٣٦٦	راعِج
٢٢٨ ، ٢٢٧	زار (يزور ، زُرْتُ)	٢٢٧ ، ٢٢٥	رين
٣٦١	زَقَف (سَقَف)	١٩٩	رئى (رائى)
٣٦١	زَقِيفَة (سَقِيفَة)	٩٣	رَجَلَيْتُهُ
		١٩٩	رصاص
٢٣٣	سُقِيها	٢١٣	رجاة
٣١٥	سبيل	٢٦٣ ، ٢٦٢	ري
٩	سدوس	٢٦٣ ، ٢٦٢	رُيّا
	سَال (سِيل) ٢٦٣ - ٢٦٨	٣٠٩	رُدّ
٢١٤	سَلُومَن	٢٠٤	رُضوان
١٩٨	سمرة	٢٠١	رُفَع
٣٧٢	سَأَق	٢٦٦	روس
٢٦٩	ستنبني	٣٠٨	رضا
٨٠	سَوَقَم	١١٦ ، ١٢١	رَأَيْكُ
٢٧٧	سحاة	١٤٦	رَجْلان
٢٧٥ ، ٢٧٤	سَلْتُ ، سَال ، يَسِيل	١٦٤	رَجى ، رجا

٢٠١	شُهْد	٢٧٨	سَقَاءَة
٢٦٤	شُتْمَاه (شُتْمَا)	٣٦١، ٣١٥	سِرَاط (صِرَاط)
٢٧٠	شُرَكَائِي	٣٠٥، ٣٠٤	سَيْط
٣١٢	شَقَقْنَا	٢٨٤	سُبُل ، سَبُول ، أَسْبَال
		٣٧١	سُودِد
٢٧٧	صَلَاة	٢٠٤	سُخْرِيَا
٢١٣، ٢١٢	صَلَوَة (صَلَاة)	٢٠٥	سُمّ
٢١٧، ٢١٤		٣٦١، ٣١٥	سُوق
٢١٩، ٢١٨		٣٧٢	
٣٣٨، ٣٧٧	صَرِيف	٣٦١، ٣١٥	سُوق
٢٣٣	صَوَّرِي	٣٧٢	
٣٦١	صَوِيْق (سَوِيْق)	٣٠٤	سُوط
٢٥١	صَيَاغ	٩٣	سُخَام
٢٥١	صَيَّام	١٢٢	سِرْنَا
٢٢٤، ٢٢٣	صَيَّرَ	١٢٢	سَارِين
٢٢٨		١٧٩	سَعْدِيك
١٩٦، ١٩٥	صُدْقَة	٢٨٥	سَيْفَقْدُونِي
٨١	صُئِي		
٣٦١	صُوق	٣٧١	شَابَّة
٣١٥	صُوع	٨٠	شَحَبَ
٧٩	الصَّخْفَة	٢٦٩	شَانِيك (شَانْثَك)
١٩٧	صِدْقَات	٦٩	شَرْد
٢٣٣	صَقَوِي	٢٢٨	شَاط
٣٦١	الصِّلْط (السِّلْط)	٣١٥	شَعِير
١٩٦	ضَلَع ، ضِلَع	٢٢٤، ٢٢٧	شِيء
٢٠٢	ضَعْف (ضَعْف)	٢٧٢	
٢٧٢، ٢٢١	الضَعْفُو	٢٤١	شَعْرَة
٢٢٨، ٢٢٤	ضَبِق	٢٧٢	شَرِي

١٩٨، ١٩٧	عَشْرَةٌ	١٣٢ (هـ)	ضَلَلْتُ
١٨٠	عَصِيَّهُوْ	٢٨٠	﴿ضِعَافًا﴾
١٨٠، ١٧٨	عَصِيَّ		
٢٨٩		٨١	طَفَال
١٨١، ١٠٠	عَصُوْ	٣١٥	طَرِيق
١٠٥، ٧٠	عَتَّى (حَتَّى)	٣٦٩	طَسْتُ (طس)
١٧٤ - ١٧٢		٢٢٤، ٢٢٣	طَيْبَ
٨١	عَزَبَ	؟	طَوَالِ الْأَيْدِ
٨١	عَزِيقَةٌ	١٠٨	طَيْبٌ
١٧٨	عِظَاءَةٌ		
٩٠	عِلْوَضُ	٨١	ظَنَرُ
٢٠٥	عِدْوَةٌ	٣١١	ظَلْتُ، ظَلَلْتُ، ظَلَّ
١٢٥	عَنْبَ		
٢٠٥	عِشْوَةٌ	٥٤	عَ (حَرْفُ جُرٍّ مِنْ عَلَى)
١٦٥	عِيرَاتُ	٢٧٧، ٢٧٨،	عِبَاءَةٌ
٢٠١	عُقْرُ	٢٧٩	
٢٠٢	عُجْزُ	١٧٣	عَدَيُّ
١٦٤	عُغِلَ (جَمْعًا لَعَسَل)	١٩٥، ٢٠٢	عُضْدُ
١٩٩	عُسْرُ	١٥٤، ١٥٦	عَلَّ
٧٧	عُمَرُ	١٤٣	عَلَاهَا (عَلَيْهَا)
١٢٧، ١٢٦	عَذَقَ	١٤٣	عَلَاكُم (عَلَيْكُمْ)
١٢٨	عَمْرُو	١٧٢ (هـ)	عَالَمٌ
١٤٣	عَانَ (عَيْن)	١٧٩، ٢٨٩	عَلَيَّ
١٤٨	عَيْنَانِ (فِي عَيْنَيْنِ)	١٧٦، ٢٤٧،	عَنْ (فِي أَنْ)
١٦٥	﴿عَوْرَاتُ﴾	٣٦٨	
١٧٥	عَصْرُ	١٧٦، ٢٤٧	عَنْ (فِي أَنْ)
١٧٦	عَتَرَ (حَتَرَ)	٣٤٨	عَسَى، عَسِي
٢٨٨، ١٧٩	عَلَيْكَ	١٢٦، ١٢٧	عَشَقَ، عِشَقَ

	عَصَا	١٨٠، ١٨١	٣٦٤	
١٢٥	عُنُقُ	٣١٥، ١٩٦	فتح	
٢٣٤	العشا	٢٣٣	فَتِي	
٩	عَصَى	٢٣٥	فَوْر	
١٩٥	عُزَى	٢٣٥	فَخَذَ ، فَخَذَ	
٣٠٩	عَيْنَ (عَيْن)	١٤٣، ٢٤٢	فَرَّ	
٩	عَلِيَا	٢٥٢	فَوْم	
٢٨٩	عَصَايَ	٢٨٩	فِي	
٣٦٦	عَلَيْشَ (عليك)	١١٩	فَقِّمَج	
٢٠٢	عَصِيكَ (عَصِيَّت)	١١٦، ١٢١،	فَقَّرَ ، فَقَّرَ	
٢٨٥		١٨٠	فَكِّنِي (فليني)	
٣٠٠			فَضِلَ (يَفْضُلُ)	
	عُدَر	٩٣		
٨١	غُلُوقن	١٢٣	قَفَخ	
١٨٠، ١٧٨	غُدوة ، غداة	١٢	قَفِي	
٢٣٨	غزا	٢٣٣، ٣٠٦		
٣٨٠، ٣٧٩	غزاة	(يغزوا) ٣٠٨	قلا	
٢٣٣	غزاة	٢٧٨	قَلَّهِي	
٢٧٦	غزوتُ	٢٦٣	قَرَأْتُ (قَرَأْتُ)	
٢٤٣	غُلامهُو	٣٠٦	قَصَصَ (جصص)	
٣٦٣	غُلَامِيَّيْكَ	٢٠٠	قراءة	
٢٤٠	غير (حرف جر)	٢٦٠	قَتَلَ ، قَتَلُوا	
٢٥٢		٣٤٠	قِيَامَ قِيَوْم	
٢٠٤			قَبِلَا	
٢٠٤	فَنِي	٣٠٧	قَدَوَة	
٢٥٣، ٢٠٤	فَال	٢٧٥	قَنَوَان	
٢٥٣، ٢٠٤	فَرْسِيك	١٩٢	قَنِيَان	
٢٥٣، ٢٠٤	فنا (فنى)	١٤٢، ٣٠٧،	قُنِيَة	

٣٢٢	ك (ضمير المتكلم)	٢٣٠ ، ٢٣١	قير (فار)
٥٤	كُ (الحميرية)	٢٥٨	قِرَا (قرأ)
٣٢١ - ٣٢٣ ،	كَانَ	٢٦٧	قرايات (قراءات)
٣٢٧ -		٢٠٣	﴿قِرِّي﴾
٣٢٩ كي		٢٤٣	قصم
٩			قرية
٢٧٣	كَلاَ	٢١٤	قَوْمَ (قام)
٣١٥	كَلاَّ	٢٥٣ ، ٢٠٤	قُنُوْة
٢٥٩	كَمَاة (كمأة)	٢٥٨	قُرَان
٣٢٩ - ٣٣٥	كَانَ	٢٥٢	قُصوى
١٠٠	كَذَاب ، كِذَاب	٢٤٤	قردا (جردا)
١٥٠ ، ١٤٩ ،	كَلا ، كَلِّي	١٢٧	قات
١٥١		١٢٧	قعصوص
١٩٥	كَلَمَة (كلمة)	١٢١	قَلْكَ (قلت)
٢٥٣	كَلُوْة	١٧٧	قَبَّح
٩٢	كُبَار ، كُبَار	١٧٧	قَبَّح
٨١	كركور	١٧٧	قبع
٩٢	كُنَّار	١٧٧	قَبْض
٩٣	كَسَاب	١١٦ ، ١٧٩ ،	قَفَيْنِكَ
١٢٢ ، ١٢١	كُنْكَ ، كَوْنَن	٢٣٨ ، ٢٣٥	
٢٠٠	كُمُ	١٨٠ ، ١٨١	قفاً
٢٢٥ ، ٢٢٤ ،	كِيدَ (كاد)	٢٦٩ ، ٢٢٤	قِيلَ (قال)
٢٢٨		٢٣٨	قفاي ، قفاكا
٢٣٤	كافرين	٢٤٤	قمل
٢٦٥	كَائِن ، كائن ، كاي	٢٦٩	قاضي
		٣٠٤	قُول ، قِيلَ
٣٣١ ، ٣٣٠ ،	لا «المشبهة بليس»	٣٨٠ ، ٣٧٩	قلا ، قلى
٣٣٨ ، ٣٣٣			

لَبِيشَ (لبيك)	١١٩	ما	٣٣٠، ٥٠ -
لَهْنُكَ	٣٧٢		٣٣٦
لَحِيَّة	٢٠٣	مَبْرُوراً مَأْجُوراً	٣١٧
لَمَّا	؟	مَدَه (مَدَح)	٣٤٧
لِن	؟	مَدِين ، مَدْيُون	٣٠٥
لَقَيْتَ	٣٧٩	مَحَيَّتُ	٣٦٨
لَصَّتْ	٣٦٩	ما حاشا	٣٤٤
لو	١٦٠ ، ١٦١	مِنْهُمْ	
لَكَ	٣٠٠	مَجَّحَ (بَجَح)	٣٦٩
لَسْتُ	؟	مَلَك	٢٥٨
لَشَّ (لَكَ)	١١٩	مَلَاك	٢٥٩
لَشَّ (لَكَ)	١١٩	مَحَلُّ	٣٠٩
لَقَضَ (لَقِيض)	١٣١	مَنْ	٣٥٤ ، ٣٥٣
لَدَاكَ (لَدَيْكَ)	١٤٣	مَنْوَة (مَنَاء)	٢١٢
لَبَّيْكَ	١٧٩	مَنْوُ ، مَنَا (مَنْ)	٣٥٤
لُحِدَ (لَحَد)	٢٠١	مَقُود ، مَقُود	٣٠٦
لَمَهُ ، لَمَهُ	٢٠٥	مَرَا (مَرَأَة)	٢٥٩
لِنْتُ	٢٢٧	مَرْضُوءُ	٣٠٨
لَدَى	٢٣٨	مَارْيُون	٨١
لُون (لَوْن)	٢٤٢	مَرْنَا	٣١٢
لَوَانٌ (لَوْ أَنْ)	٢٥٥	مَشَا اللّٰه	١٢٠
لَيْكَة (الْأَيْكَة) ❖	٢٥٨	مَت (ما)	٣٧٧
لَكَة	٢٨٨	مَتَى (بِالْإِمَالَة)	١٨٥ ، ١٨٦ ،
له	٣٠٠		٢٣٨
لَيْتَ	٣٢٩	مَثَلَات	١٩٧
لَيْسَ	٣٣٠ ، ٣٣٢ -	قَطِي	؟
	٣٣٤ .	مَوْضِع	٣٨١
(ليس ... إلا ...)	٣٤٣ ، ٣٤٤	مَوْزَن	٣٨١

١٤٨	منخران (منخرين)	٣٨١	موعد
٢٧٢، ١٧٨	﴿محيي﴾ (محيي)	؟	مَع
	مولي	٣٦٦	مَعج (معي)
١٧٩		٢٢٣ - ٢٢٥،	مَيْت
١٧٤	مَحْم (مَعْم)	٢٢٨	
١٩٦	مَلِك ، مَلِك	٧٨	مِجْهَل
٢١٩	مَلَكُوة (ملكوت)	١٥٤، ١٥٣،	مِل
٢٦٠، ٢٥٨	﴿مَشْمَة مشامة﴾	٢٦٥، ١٥٦	
٢٦١	مَرْء (مرء)	٢٧٢	ملطى
؟	مَرْء	٣٥٩	الْمَا (النازل)
٣٠٥	﴿مهيل﴾	١٥٤	منا (مِنْ)
٣١٢	مَسَّ	٤٨، ٣٥٢،	مَنْدُ
٣١٢	مَدَدْنَا	٣٥٣	
٣٤٣ - ٣٤١	(ما... إلّا...)	٢٠٠	مَنْهَم
٢٦٤	مُؤْمِن (مُؤْمِن)	١٥٤، ٣٨١	مَنْ
٢٦٦	الْمُنْشَات (المنشآت)	٢٦	الْمَرْء (المرء)
٢٦٨	مُسْتَهْزُونَ (مستهزئون)	٢٠٥	مَرِيَة
٢٧٣	المَلَا (ملا)	٢١٢، ٢١٣	مَشْكُوة (مشكاة)
٢٨٦	﴿الْمُدَّثِر (المدثر)﴾	٢٠٤	مَصْحَف
٢٧٢	مَال ، مَال	٢٢٥، ٢٢٨،	مَت
		٢٢٩، ٣٠٣،	
٢٧٦	نَا ، نَاء ، نَأى	٣٢٨، ٣٧٨	
٢٥٧، ٢٤٦	نَبِيء	١٣٤	مَطُو
٩٠	نَاض	١٢٦	مَزَار
٦٩	نَغْض	٣٥٢، ٣٥٣	مُدْ ، مُدْ
٢٤٦، ١٧٤	نَحْم (نَعْم)	٦٩	مُقَيْت
٢١٩، ٢١٢	نُجُوة (نجاة)	٢٨٨	﴿مُصْرِخِي﴾
٣١٥	نَخِيل	١١٩	مَعَش (مَعَلْ)

٢٢٣	هَيْبَ (هَابَ)	٤٢١	نَسِي ، نَسَى
٢٨٣	هَدَّ (هِنْدَ)	٩٠	نَاش
٣٧٢	هِنَ (إِن)	٣٦٣	نَاصَاة (نَاصِيَة)
١٥٣	هِنَ		نَطَا
؟	هَوَذَا	١٥٦ ، ١٦٤ ،	نَعِمَ (نَعَم)
؟	هَوَّلَاءَ	١٧٤ ، ٢٠٢ ،	
١٥٣	هَوَّرَ	٢٠٣ ، ٢٤٦ .	
١٧٩ ، ١٧٨	هَدَيَّ	٢٣٠	نِير (نَار)
١٨٠	هَدَايَ	٢٠٣	نَحْيِي (نَحْي)
٩٧	هَنَّا (إِنَّا)	١٣٧	نَسْتَعِين
١٢١ ، ١٩٧	هِنَ (الْحَيَانِيَة)	١٦٥ ، ١٦٦ ،	نِعَمَات
٢٠٠ ، ٩٧	هَمَّ	١٩٧	
٢٨٨		٣٦٣ ، ٣٦٤	نَهَى (نُهْي)
٢٦٠	هَيَّةَ (هَيَاة)	١٩٩	نُسْر
١٥٣	هوء ، هيء	١٨٤	نَرَبِّه (نَرَبْه)
٢٤٠	هَكَذَا	٢١٤	نَجْوَى
٢٨٨ ، ٢٠٠	هُنَّ	٤٣٣	﴿نَادَاه (نَادَاه)﴾
٢٩٤	هَنَّاك ، هَنَّاك	٢٣٤	نَصَارَى
		٢٥٩	نَشَاة (نَشَاة)
٨٢	وَهَر		نَوَّةَ (نَوَاة)
٢٤٧	وَيَهَكَ	٢٧٣	نَبَأ
	وَكَّدَا ٢٧٤	٢٩٧	نَزَال
٩٢	وَاحَى		
٩٢	وَاحَذَ	٢٤٠	هَاز
٣٦٣	وَلَى (وَلِي)	٢٤٠ ، ٢٩٠	هَذِي
١٠٣	وَقَصَه	٣١١	هَلْمُنْ
٩٢	وَاصَى	٥٠ ، ٣١١	هَلْمْ
؟	وَسَمَ (وَسِمَ)	١٧٨	هَوِي

١٨٤	يَعْرِوْكَ	٨١	وصي
٣٠٢	يَّجْلُ	٩٢	واتى (أتى)
١٦٤	يَخِيفُ	٩٣، ٨٢، ١٦	وثب
٢٠١	يَفْرُغُ	١٦٩	وَقِيَّة (أَقِيَّة)
٢٠٢	يَجْنُحُ	٢٢٧	وَهَبَ
٢٣٤، ٢٣١	يَضْرِبُ (يَضْرِبُ)	٩٢	واخذ (أخذ)
٢٣٧، ٢٣٣	يَحْيَا، يَحْيَى	٣٧١، ٩٢	واخى (أخى)
٣٨٠، ٢٣٧	يَرْضَى	٩٢	واسى أسى
٢٣٨	يَخْذِي	١٢١، ١١٦	وَلَذُكُ
٢٣٨	يَحْمَى	٢٤٧	ويهك
٢٣٨	يَبْنُ	٢٦٤	ويَلْمُهُ (ويلُّ أمه)
٢٣٨	يَغْزُ	٢٧٠	وراي (ورائي)
٢٤٠	يقضي	١٤٣	وان (أين)
٢٤٢	يَوْم (يَوْم)		
٢٥٤	يُقْتَلُ	١٥٢، ١٤٧	يرا
٢٥٥	يَال (يا آل)	٩٣	يديئُهُ (يداه)
٢٥٨	يَسَمُ (يَسَامُ)	٣٧٨	نِيام
٢٥٨	يَتَوْن (يَتَاوَن)	٢٣٤، ٢٣١	يَضْرِبِي
٢٧٥، ٢٥٨	يَسَلُ (يَسَالُ)	٣٠٠	يَفْضَلُ
٣٠٢	يَجْعُ، يَوْجَعُ، ياجعُ	٣٠٢	ياجَلُ
٣٠٢	يالغان	٣٧٨، ٢٢٨	يماتُ
٣٠٣	ياتزن	٣٧٨	يَمِيتُ
٣٠٣	ياتعدون	٢٥٤، ٢٧٩،	يرى
٣٠٨	يُحْلَلُ	٢٨٢	
٣١٠	﴿يَرْتَدُّ (يَرْتَدُّ)﴾	٢٥٤	يرأى
٣١٠	﴿يُشَاقِقُ﴾	٤٥	يس
٣١٠	﴿يُضَارُّ (يُضَارَر)﴾	١٨٢	﴿يأت﴾
٢٦٨	يَبْنُم (يا ابن أم، يبنوم)	١٦٩، ١٤٢	يَا زُعْهُمْ (وازعهم)

۲۶۹	يستهدي
۲۶۹	يرمي
۲۷۴	يوكڭد (يوكڭد)
۲۷۴	يوصيد (يوصيد)
۲۷۴	يوكف (يوكف)
۲۷۴	يذر
۳۶۹	يؤديهم
۸۱	يغزب

-

فهرس اللغات

١٠٩	التحمير
٢١٠، ٦٨، ١٩	التضجّع
٣٧٨، ٣٥٧، ٣٠٢، ٣٠١، ١٣٧، ١٣٦، ٦٨، ٤٦، ١٩	الثلثة
٦٨، ٤٨، ١٩	الرئة
١١٩، ٢٥	الشننة
١١٧، ٦٧	الطمطمانية
٢١٠، ٦٨، ٤٨، ١٩	العجرفية
٣٦٨، ٢٠٩، ٤٩، ٤٨	العجعة
٣٦٨، ٣٦، ٢٥٥، ٦٧، ٤٩، ١٩	العننة
١١٨، ١٠٩	الغتم (الغتمة)
٢٠٩، ٦٨، ٦٧، ٤٨	الغممة
١٧٣، ٧٠	الفحفحة
٦٦	فراية العراق
١١٩، ٦٨، ١٩	الشفشفة
٣٦٠، ٣٥٩	القطة
٦٧، ١٤	الكسكة
٢٤٥، ٦٧، ٢٥، ١٤	الكشكة
١٢٠، ٦٨، ١٩	الخلخانية

فهرس القبائل

الألف

٦٥	الأحقاف
٢٠٢، ١٤٥، ١٣٨-١٢٥، ١٠٣، ٧٦، ٤٩، ٤٤	الأزد
، ١٧٥، ١٧٤، ١٤٥، ١٣٧، ١٢٦، ٦٠، ٥٦، ٤٩، ٣٦	أسد
، ٣١٥، ٣٠٩، ٣٠٤، ٢٨٢، ٢٢٤، ١٩٩، ١٨٢، ١٨١	
. ٣٥٣	
١٩١، ١٣٦، ٦٣	أعجاز هوازن

الباء

٢٥٠	باهلة
٣٦٩، ٣١٢، ٢٠٠، ١٤٦، ٦٧، ١٤	بكر
٦٨	بهراء
١٢٠، ٢٤	تغلب
، ١٢٩، ٩٩، ٧٠، ٦٤، ٥٦، ٤٩، ٤٥، ٤٣، ٣٨، ٣٦	تيم
، ١٩٨، ١٩٦، ١٧٥، ١٧٤، ١٦٥، ١٦٤، ١٤٦، ١٣٦	
، ٢٥٩، ٢٥٤، ٢٤٤، ٢٢٤، ٢٠٢، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩	
، ٣٠٢، ٢٩٨، ٢٩٦، ٢٩٢، ٢٨٩، ٢٨٤، ٢٧٧، ٢٧٣	
، ٣٣١، ٣١٧، ٣١٦، ٣١٥، ٣١١، ٣١٠، ٣٠٨، ٣٠٤	
، ٣٥٢، ٣٤٨، ٣٤٦، ٣٤٣، ٣٤٢، ٣٤١، ٣٤٠، ٣٣٨	
٣٦١	

التاء

٦٤	تيم السفلى
٣٣١، ١٩٠، ١٦٤	تهامة

الطاء

٦٥، ٦٤

ثَقِيف

الجيم

٦٧، ٦٦

جَرَم

الحاء

٣٦٥، ١٦٠، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٢، ١٤١، ٦٠
١٥٤، ١٣٨، ٩٢، ٨٨، ٨٤، ٦٩، ٥٦، ٤٠، ١٤
٣٦٩، ٣٦٥، ٣٥٣، ١٩٧، ١٨٩، ١٨٣
٨٦
١٤٦، ١٤٥، ١٤٣، ١٤١، ٩٧، ٨٨
١٢٤، ١٠٧، ١٠٥، ٩٣، ٧٦، ٦٧، ٦٢، ٥٤

حَارِث

الحِجَاز

حَرْب

حَضْرَمَوْت

حَمِيْر

الخاء

٢٠٢، ١٦٠، ١٥٦، ١٥٣، ١٤٦، ١٤١، ٨٠
٣٠٠، ١٦٤، ٦٣، ٤٩
٢٤٨

خِثْعَم

خِزَاعَة

خَيْبَر

الدال

٣٠٤

دَبْر

٣٠٤

دُبَيْر

الذال

١٦١

ذَهْل بَيْن شَيْبَان

الراء	٣٥٢	الرباب
	٢٨٢، ٢٠٠، ١٦٠، ١٤٦، ١٣٦، ٣٦	ربيعه

الزاي	١٥٣، ٤١	زُييد
-------	---------	-------

السين	١٧٩	سراة
	٢٤٥، ١٧٤، ٨٨، ٧١	سعد بن بكر
	٣١١، ٢٤٧	سعد بن زيد مناة
	١٥١	سفیان بن أرحب
	٣٥٢، ٣١١، ٩٢	سُلَيم

الشين	١٢٠، ١١٩	شمر
	١٦١	شبيان

الصاد	٣٥١	صباح
-------	-----	------

الصاد	٣٤٢، ٣٥١، ٣١٧، ٢٠٩، ٢٠٤، ١٤٧، ١٤٦، ٦٨	ضبة
-------	---------------------------------------	-----

الطاء	٤٢، ٤٩، ٧١، ٨٨، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ١٠٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٥١، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٩، ٢٢٩، ٢٤١، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٩١، ٢٩٤	طيء
-------	---	-----

٣٨١ - ٣٥٧، ٣١٦، ٣٠٨

العين

٣٣٦، ٣١٩، ٢٨٨، ٢٠٤، ٢٠٠، ١٩١	العالية
٣٥٢، ٣١١، ١٦١	عامر
١٣٥، ١٠٣	عبد القيس
٣٥٢	عبيد
٢٦٠	عجلان
٩٣	عَدَن
١٤١	عُدرة
٦٦	عِراق
٣١٢، ١٩٦، ١٨٣، ١٧٥، ١٣٥، ٣٨، ٣٦	عقيل
٣٥٢	عُكَل
١٩١، ٦٤	عليا هوازن
٣٧٥، ١٥٩، ١٥٤، ٨٣	عُمان
٣٦١	عمرو بن تميم
٥٢	عنبر
١٣٥	عنزة

الغين

٣٥٢، ٣٨	غطفان
٣١٢، ٣٠٩، ٩٠، ٣٦	غني

الفاء

٢٩٢، ٢٣٤	فزارة
٣٠٤	فقعس
١٨٤	فقيم

القاف

٢٠٢، ١٩٠، ١٣٧، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٦، ٦٣، ٦٢	قُرَيْش
٣٤٧، ٢٨٠، ٢٥٧	
٢٥٠، ٢٠٩، ١٧٥، ١٥٤، ١٤٧، ٦٨، ٦٦، ٢٧، ٤٩	قُضَاعَة
٣٦٨، ٣٦٤، ٣٥٧، ٣٠٠	
٦٥	قُعَيْن
١٧٥، ١٦٤، ١٦٣، ١٥٨، ١٣٦، ٩٩، ٨٨، ٧٠، ٦٥	قَيْس
٢٥٠، ٢٤٠، ٢٣٣، ٢٢٤، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ١٨٢	
٣٦٤، ٣٥٣، ٣٥٢، ٣١٢، ٣٠٤، ٣٠٢، ٢٩٢، ٢٨٩	

الكاف

٣٧٢	كَبْعَز
٣٠٩	كَعْب
٣١٢، ١٣٥	كِلَاب
٣٨١، ٣٦١، ٢٥٠، ٢٠٤، ١٥٤	كَلْب
١٩٠، ١٧٠، ١٦٣، ١٤٦، ١٤٢، ١٤١، ٧٩، ٧٠	كَنَانَة
٣١٢، ٢٠٤	
٣٣٢	كُنْدَة

اللام

٢٤٧، ١٣٥، ١٠٣	لَحْم
---------------	-------

الميم

٣٦٩	مازن بن بكر
٣٦٩، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٣٧، ٨٨، ٧٩	المدينة
١٤١	مراد
٢٩٨، ٢٤٥، ٢٤٣، ١٦٦، ١٥٠	مكة

النون

، ٢٣٨، ٢٠٣، ١٩٧، ١٦٦، ١٦٣، ٥٩، ٥٦، ٣٦
، ٣٣٥، ٣٣١، ٣١٩، ٣١٦، ٣١٥، ٣١١، ٢٧٢، ٢٤٤
٣٤٦

نجد

نمير

الهاء

١٤١
، ١٠٥، ١٠٠، ٧٠، ٦٥، ٦٤، ٦٢، ٦١، ٤٩، ٤٠
، ٢٠٢، ١٨٧-١٦٣، ١٥٦، ١٤٢، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦
٢٠٣
٢٨٤، ١٥١، ١٤١
٢٠١، ٦٢، ٣٨

هَجِيم
هَذِيل

همدان

هوازن

الياء

٢٨٩
، ١٦١-١٤١، ١٠٧، ١٠٥-٧٥، ٦٢، ٥٦، ٤٩، ٤٥
، ٢٩٦، ٢٧٤، ٢٤١، ٢٣٨، ٢٣٠، ١٨٢، ١٨١، ١٧٧
، ٣٧٢، ٣٦٥، ٣٠١، ٢٩٩، ٢٩٨

يربوع
اليمن

فهرس الأعلام

١٣، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٣٩، ٤٠، ٦٠، ٦٤، ٦٨، ٦٩،	محمد النبي ﷺ
٧١، ٧٢، ٩٨، ١٠٢، ١٢٣، ١٧٥، ١٨٩، ٢٠٢،	
٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٠، ٢٩١،	
٢٩٩، ٣٤٤، ٣٥٧، ٣٨٠، ٣٨١،	

الألف

٣١٠	أبان بن عثمان
٢٧، ٦٠	إبراهيم أنيس
١٠٧	أبرهة
٢٤٥، ٢٦٨، ٢٨٥، ٣١٠، ٣١١، ٣٤٨،	أبيّ
٢٧٠، ٣٤٩،	ابن الأثير
٣٣٢، ٣٣٣،	أحمد بن عبدالنور
١٦، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٩،	الأخطل
٤٧، ١٤٦، ٢٦٨، ٢٩٤، ٣٢٢، ٣٥٢،	الأخفش
٢٨	إدموندبيلك
١٤٢	الأرحبي
٤٢	الأزرقى
١٤٧، ١٩١، ٢٤٦، ٣٦٩، ٣٧١،	الأزهري
١٦، ١٧، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٩٩، ١٤٦، ١٦٥، ١٨٠،	الإستراباذي
١٨٣، ٢٣٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠١، ٣١٦،	
٣٣٤، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥٤،	
٢٥١، ٢٧٧،	أبو الأسود الدؤلي
٣٥٢	الأسود بن يعفر النهشلي
١٨، ٤٣، ١٧٦، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٢٣، ٣٢٨،	الأشموني
٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧،	
٤١، ٦٦، ٦٧، ١٨٤، ١٨٩، ١٩١، ٢٤٨، ٣٣١، ٣٤٩،	الأصمعي

١٦٨، ١٢٣	ابن الأعرابي
٣٤٩، ٣٢٤	أعشى باهلة
٢٨٧، ٢٥٠	الأعشى
١٨٣	الأعلم العقيلي
٣٤٦، ٢٨٨، ٢٨٥، ١٩٦، ١٦٥	الأعمش الكوفي
٣٦٤، ٣٥١، ٣٣٥، ٣٣٢	أمرؤ القيس
٢٢٤، ٦٣	الأنباري
١٥٦	أنس بن مُذْرِك
٣٤٣	أوس بن حجر التميمي
١٠٧	أوليس جالوس

الباء

٢١٣	بارت
٢٩٥، ٢٤٥، ٢٣١، ٢٢١، ١٨٣	بارث
٣٠٥، ١٦٦، ١٥٢، ١٤٥	باور
٣٧٦، ٩٨، ١٨	بجير بن عنمة الطائي
٢١٤، ٨٨، ٨٧، ٨٥	براقمان
٢٥٤	برتزل
٢٥٤، ٢٣٣، ٢٢٢، ٢٢١	براجستراسر
٢٥٦، ٢٢١، ١٦٦، ١٥٣، ١٣١، ٨٩، ٥٩، ٢٥	بروكلمان
٣٧٨، ٣٧٣، ٣٠٦، ٢٩٧، ٢٥٢، ٢٣٣، ٢٢٧	
٤٢	ابن بري
٢٩٤	البزّي
٢٤٤	بشار بن برد
١٢٠	البعيث
٣٣٤، ١٧	البغدادى
٢٩٠، ٢٨٠	أبو بكر الصديق
١١٦	البلاذري

١٢٥، ٩٥	بلاو
١٠٧	بُلْنِي
١٠٣	بهاء الدين الجَنْدِي
٢٨	بيتسون
٢٣٩، ٢٣٤، ٢٣٣	بيركلاند
٣٤٨، ٣٤٢، ٣٣٦، ٣٣٥، ٣١١، ٣٠٥، ٣٠٤، ٢٧٨	البيضاوي
٣٧٢	

التاء

٣٠٩، ٣٠٨، ٢٨٤، ١٢٧	التبريزي
٤٥، ١٧	تبع
٢٨	تريتون
٣٤، ٢٣، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٧، ١٦، ١٣	تشيم رابين (المؤلف)
٣٠٧، ٧٠	ابن التين

الطاء

٢٠٦	ثابت
٦٦	ثوربيك
٢٨٢، ٢٧٦، ١٩	الشعالبي

الجيم

٤٥٢	جابر بن رألان الطائي
٢٦٨	الجاربردي
٢٧	جب
٣١١	الجحدري
٣٤٢	جزان العود النميري
٥١	الجرمي
١٤٢	جرومان

٣٧٢، ٣٣٤، ٣٢٦، ٢٦٥، ١٤٦	جرير بن عطية التميمي
٢٥٧، ٢١١	الجزري
٣٤٠	الجزولي
١٣٥	أبو جعفر يزيد بن القعقاع - المدني
١٤٢	جلاسر
٣٤٥	جميع الأسدي
٣٥١	جميل بن معمر العذري
٣١٠، ٢٨٦، ٢٨٥، ٢٥٠، ١٦٩، ١١٧، ٨٥، ٦٣	ابن جني
٣٣٦، ٣٣١، ٢٩٨، ٢٦١، ٢٥١، ١٩١، ١٤٨، ٩٨	الجوهري
٢٦٧، ٢٠٨، ٩٥، ٧٥	جويتاين
٢١٧، ٥٩	جويدي
٣٢٩	جيوج

الحاء

٣٧٣، ٣١٥، ٢٢٥، ٢٢٤، ١٤٨	أبو حاتم (السجستاني)
٣٦١، ٣٣٨، ٢٥٣، ٤٦	حاتم الطائي
٣٤٦	الحارث بن خالد الخزومي
٣٢٣	الحارث بن ويلة الذهلي
٦٥، ٢١٠	الحجاج
٣٢٣	حريث بن جابر التميمي
٣٦٦، ٣٦٣	حريث بن عتاب
٨٠٢، ٦٦	الحريري
٣٥٢، ٣٢١	حسان بن ثابت
٥	الحسن (٩)
٣١٠، ٢٨٩، ٢٧٠، ٢٤٥، ١٧٩	الحسن البصري
٤٢	الحسين بن المهذب المصري
١٦٩	حصيب (حصيب) الضمري
٣٣١، ٣١٠، ٣٠٣، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٠٠	حفص الكوفي

١٣٥، ١٨١، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١١، ٢٢٣، ٢٢٥،
 ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٨٨، ٣٠٤، ٣٠٧،
 ١٦، ١٧، ٤٣، ٤٤، ١٨٢، ١٨٣، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٥٢،
 ٣١١

حمزة بن حبيب الكوفي

أبو حيان «الأندلسي»
 أبو حيوة

الخاء

٦٩ خالد بن سلمة
 ٤٢، ١٦٥، ٣٦٢ ابن خالويه
 ٣١٦ الخفاجي
 ٢٠٦ خلف الأحمر
 ١٤٣، ١٤٨، ٢٤٨، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٦١ الخليل بن أحمد الفراهيدي
 ٣٢١ الخنساء

الدال

٢١١، ٢٨١ الداني
 ٧٣ أبو داود
 ١٨٦ دخيل بن حرام الهذلي
 ٢٨ درايفر
 ٢٤٣ ابن درستويه
 ٤١، ٤٣، ٤٤، ٩٢، ١٠٠، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤،
 ١٩١، ٢٢٩، ٢٤٧، ٣٠٠ ابن دريد
 ٤٢ الدريني
 ١٨٤ دكين بن رجاء الفقيمي
 ٨٣ دلمان
 ٢٧٠ دي ساي

الذال

١٧٨، ١٨٥، ١٨٦، ٢٦٨ أبو ذؤيب الهذلي

أبو ذر الغفاري
ذو الرمة

٣٠٧
١٥٨

الراء

الرؤاسي

٣٥١

رؤبة

٣٧٥ ، ٣٢٧ ، ١٤٨

رايت

٢٣٢

الراعي النميري

٢٣٢

الرافعي

٣٥٤ ، ٢٠٣ ، ١٥٤ ، ١٥٣

ربيع بن خثيم

٣٣١

ركندورف

٢٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٢٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ،

٣٥٣

رمضان عبدالنواب

٢٥

رودو كناكس

٣٧١ ، ١٥٧ ، ٨٨ ، ٨٣

روسي

٧٥ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢٠٨

الزاي

الزجاج (أبو اسحق)

٣٣٣ ، ١٥٤

الزخشري

٦٦ ، ١٦٥ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،

٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣

زياد الأعجم

١٩

أبو زيد الأنصاري

٤١ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٦٧ ، ١٨٥ ،

١٩٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥

زيد بن ثابت

١٢٣

زيد الخيل (الطائي)

٣٦٣

زهير بن أبي سلمى

٣٣٥ ، ٣٦٤

السين

٣٧٦	سؤر الذئب
١٨٦	ساعدة بن جؤية الهذلي
١٨٦	ساعدة بن عجلان
٩٥	سبر لجر
٢٢٥، ٣٥	سَرَو
٣٣٢	سعد «الحجازي»
٣٣٩	سعد بن مالك البكري
٣٣٧	سعيد بن جبير
٣٧٢، ٣١٥، ٢١١، ٢٧٨	ابن السكيت
٣٦٤، ١٤٢، ١١٧	ابن سلام
١٠٠، ٩٨، ٧١	سليمان البستاني
٣٠١	السمعاني
٢٤٥	ابن السمين
٢٤٨	السموأل
٢٨٤	السهيلي (عبدالرحمن بن عبدالله)
١٥٧، ١٥٦، ١٥٢، ١٥٠، ١٣٥، ٤٩، ٤٣، ٢٠، ١٩	سيبويه
٢٣٤، ٢٣١، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٠٦، ١٦٠	-
٣٢٨، ٢١٠، ١٨١	ابن سيده
١٢١، ٢٨	سيرجنت
١٤٧، ١٣٧، ١١٩، ١١٨، ٤٩، ٤٧، ٤٣، ٤٢، ١٧	السيوطي
٣٢٧، ٢٣٧، ٢٣٠، ١٧٦، ١٧٣، ١٦٤	

الشين

٢٨	شاخت
٣٤٩	الشافعي
٣٠٣، ٢٢٩، ٦٦	شعبة (بن عياش) الكوفي (ابو بكر)
٣٣٤	الشنفرى

شوارتز

٥٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،
٢٨٣

الصبا

٣٧٦	الصاغانى
٣٢٩	الصبان
٢٥٣	صخر الغي الهذلي
٣١٦ ، ١٦٠	الصفار
٣٣٢	الصُّمة القشيري

الضبا

٣٢٢	ضبيعة العبسي
٣١٠ ، ١٢٦	الضحاك

الطاء

٢٨٥	الطبري
٣٤٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٢ ، ٣٢٣	طرفة بن العبد البكري
٣٧٨ ، ٣٦٩ ، ٢٤٦	الطرماح
٣٦٤	طفيل الغنوي
٢٥٣	الطماحي
٧١	طه حسين

العين

٣٢١ ، ٢٩١	عائشة بنت أبي بكر
٣٢٠	عاتكة بنت زيد العدوية
٢٦٣ ، ٢٤٩ ، ٢١١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠ ، ١٩٦ ، ١٨١ ، ١٠١	عاصم بن أبي النجود الكوفي
٣٣١ ، ٣٠٣	
٣٧٣	عامر بن جوين الطائي

١٨١، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٧٦، ٣٠٣، ٣٤٢	ابن عامر الدمشقي
١٨٧، ٣٤٢	عباس بن مرداس
٦٢	ابن عبدالبر
٦٦	ابن عبدربه
١٤، ٢١، ٢٢	عبدالرحمن أيوب
٢٠٩	عبدمناف بن ربيع الهذلي
١٧٨، ٣٤٦	عبدالله بن أبي إسحق الحضرمي
٤١	عبدالله (أو عمر) الزعفراني (أو الدومي)
١١٦	عبدالله عباس الرازي
٦٣، ٢٦٨، ٢٧١، ٣١٠، ٣٤٦	ابن عباس
٢٠٢، ٢٥١	عبدالله بن عمر
٣٠٢	عبدالله بن قيس الرقيات
٢٢	عبدالمملك بن مروان
٣٢٠، ٣٢١	عبيد بن الأبرص
٤٤٢، ٥٠، ٧٩، ٨٠، ٢٢٩، ٣٧٣	أبو عبيد (القاسم بن سلام)
٤١، ١٢٠، ١٤٨، ١٩٧، ١٩٨	أبو عبيدة
٦٤، ٧٠، ٢٨٥، ٣٢١	عثمان بن عفان
٣٢٨، ٣٥٩	العجاج
٣٣٤	عروة بن حزام العذري
٢٩٠	عروة بن مسعود
٣٣٢	العفيف بن منذر التميمي
٤٣، ١٤٦، ١٨٣، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٣٨	ابن عقيل
٣٣٠	أم عقيل (زوجة أبي طالب)
٣١٠	عكرمة
٣٢٢، ٣٣٤، ٣٣٥	علقمة بن عبدة التميمي
١٠١، ٢٠٩	علي بن أبي طالب
١١٨	عمران بن حطان
٧٠، ٢٠٢، ٢٨٠، ٢٨١، ٣١٠، ٣٢١	عمر بن الخطاب

٥٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ،	عمر بن أبي ربيعة
٢٩٣ ، ٣١٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩	
٣١٩	عمرة بنت العجلان الهذلية
٣٢١	عمرو بن جابر الحنفى
٢٢٣	أبو إسحق (عمرو بن عبدالله السبيعي)
٤٥ ، ٥١ ، ٦٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٠ ،	أبو عمرو بن العلاء البصري
٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،	
٣٧٢	
٢٨٤	عمرو بن معد يكرب
٢٣ ، ١١٨ ، ٢٣٤ ، ٢٨٧ ، ٣٣٥	عنتر
١٧٨ ، ٢٥٥ ، ٣٤٣	عيسى بن عمر

الغين

٢٨ غليزر

الفاء

٣٥٩	الفارابي
١٦ ، ٧٠ ، ٨٦ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، ٢٥٧	ابن فارس
١١٧ ، ٣٣٥	الفارسي (ابو علي)
٢٥٣	فايل
٦٠ ، ٢٥٤ ، ٢٧٠	فتزشتاين
٤١ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٦٠ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ،	الفراء
١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،	
٢٢٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٢ ، ٢٨٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ،	
٣١٨ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ،	
٣٧٣ ، ٣٧٥	
١٦٠ ، ٢٣٢ ، ٢٧٣ ، ٣٩٧ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ،	الفرزدق
٣٤١ ، ٣٤٢	

١٨٤، ١٦٧، ٤٩، ٣٥	فريتاج
٩٠	فل
٥٢، ٢٨	فلوجل
٦٠	فليش
٣٧٩	الفقعسي (أبو محمد)
١٣، ٢١، ٢٢، ٢٧، ٣٥، ٣٩، ٥٩، ٧١، ٨٩، ١٦٦،	فولرز
١٧٢، ١٧٤، ١٨٥، ١٩١، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٧٥،	
٢٧٨، ٣٥٩	
٢٠٨، ٢٨	فيرث
٥٩، ١٣٥، ١٨٧، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٣٢	فيشر

القاف

٨٧	القاري
٣٢٤، ١٩٠	القاسم بن معن
٦١	القالبي (أبو علي)
٣١١، ٦٦	قتادة
٢٦٦	ابن قتيبة
٣١٩، ٢١٩	القسطلاني
٣١٩	القشيري الأسدي
٦٠	أبو قلابة الجرمي
٦٩، ٤٣	القلقشندي
٣٨١، ٣٥٩	ابن القوطية
٢٧٦، ٢٦٦	قيس بن الخطيم
٧٧	قيس بن الملوح (مجنون ليلي) العقيلي

الكاف

٢٤٦، ٢٤٥، ١٠١، ٩٨، ٩٤، ٨٤، ٢٧	كامبفاير
٢٨، ٨٩، ١٨٩، ١٢٨، ١٣٥، ١٤٥، ١٦٨، ٢٠٨،	كانتينو

٣٠٨	٣٦١، ٣٥٨، ٢٦٠
٣٤٢، ٣٠٣، ٢٧٠، ٢٦٥، ٧٠	أبو كبير الهذلي
٢٧٦، ٢٢٣	ابن كثير (أبو الفدا)
٢٨	كثير عزة
٢٢٩، ٢٢٥، ٢١٣، ٢٠٤، ٢٠١، ١٥٦، ١٣٥، ١٠٠	كرنكو
٣٤٩، ٣٣٦، ٣٠٤، ٣٠٠، ٢٨٠، ٢٣٨، ٢٣٣	الكساني
٣٢١	كعب بن زهير
٢٨٧	كعب (شاعر)
٢٩١	كعب الغنوي
٣٢	الكلبي (محمد)
١٩٧	كلوديوس بطليموس
٢٥٩	الكميت
١٤٧	كيلا

اللام

٢٦٥	لبيد بن ربيعة العامري
٣٧٩، ٣٥٢، ٣٤٩، ٣٠٠، ١٦٥	الليثاني
٣٦	ليسلاو
٦٩، ١٥	أبو الليث السمرقندي
٣١٩، ٣١٨، ٣١١، ٢٧٦، ٢٠٢	الليث
٣٥٧	لَمِنَز
١٢١، ١١٦، ١١١، ١٠١، ٥٩، ٩٤، ٨٤، ٧٥، ٦٠	لنديرج (كونت دي)
١٢٣	
٣٠٥، ١٥٢، ١٥٤	لندر

الميم

٦٠	مارسيز
----	--------

١٧٧، ١٧٦، ٢٨	مارسيل كوهين
٢٤٧، ٢٤٥، ٢٤٣، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ٨٧	مالتزان (مالتسان)
٢٥٢، ١٦٠، ١٥٠، ١٤٩، ١٢٩، ٩٩، ٤٣، ٢٨	ابن مالك
٣٣٨، ٣٢٦، ٣٢٣، ٣٢٠، ٣١٦، ٣١١، ٣١٠، ٢٩٦	
٣٧٣، ٣٦٦، ٣٤٧، ٣٤٤	
٣٥٤، ٣٤٥، ٣٣٦، ٣١٥، ٢٠٩، ١٩٢، ١٢٠، ٦٦	المبرد
١٤٧	المتلمس
٣٣٨، ١٨١	المتنخل الهنلي
١٨٥	أبو المثلّم الهنلي
٣٥٠، ٢٢٠	ابن مجاهد
٣٣١	أبو مجلّز
٣٢٢	مجمع بن هلال التميمي
٣٥٠، ٣٢٣	أبو محجن الثقفي
٧٠	محمد الأمير
٣٢٨	محمد بن ذؤيب العماني
١٠١	محمد بن نشوان
٣٥	ابن مُحيصن
١٧٠	المرادي
٣٧٨، ١٨٥، ١٨٤	المرزوقي
٣٤٠	مرة بن ذهل البكري
٢٨٢، ٢٦٨، ٢٤٦، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٧٢، ٧٠	ابن مسعود (عبدالله الهنلي)
٣٤٩، ٣٤٨، ٣٣١، ٣١١، ٣١٠	
١١٩	المسعودي
٢٨١	ابن مطروح
٦٧	معاوية
٣٢١	معاوية بن محسن الأسدي
٣٦٤	معن بن أوس
٢٩٠	المغيرة بن شعبة

٢٨٤، ٢٥١، ١٤٨	المفضل
١١٧، ٩٤، ٩٣، ٨٧	المقدسي
٢٣٨	ابن مقسم
٢١٢، ٢١١	مكي بن أبي طالب
٢١٥، ٢١٤	ابن منظور
٢٨٠، ١٥٩، ١٥٨	المهدي
١٤٢، ١١٦، ١٠٥، ٥٠	مولر
٩٥، ٧٥	ميتووش

النون

٣٣٩١، ٣٣٢١، ٢٢٣	النابعة الجعدي
٣٣٥، ٢٩١، ٢٨٩، ٢٣٤، ١٦٨	النابعة الذبياني
٣٠٤، ٢٨٤، ٢٨٠، ٢٧٠، ٢٥٧، ٢٢٩، ٢٢٣، ٢٠٤	نافع
٣٧٢، ٣٤٨، ٣٢٢	
٥٩	نالينو
٣٧٨	أبو النجم العجلي
٣٢٨	أبو نخيلة
١٢٦، ١٠٣، ٩٧، ٩٦، ٩٢، ٩٠	نشوان (الحميري)
٢٢	نصر بن عاصم الليثي
٢٨١	أبو نُعَيْم
٦٢	ابن النقيب
٩٨، ٢٤	النمر بن تولب
٣١٦، ٢٦٩، ٢١٩، ١٥١، ١٢٩، ٩٦، ٥٩، ٢١	نولدكه
٣٥٩، ٣٤٠، ٣٣٦	
٧٠، ١٦	النيسابوري

الهاء

٥٩	هارتمان
----	---------

٥٩	هارون الرشيد
٢٨١	أبو هريرة
٢٣، ٧١، ٩٨، ١٥٠، ١٥١، ١٧٤، ١٨٣، ٢٢٠،	ابن هشام
٢٩٩، ٣٠١، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٤،	
١٦، ٢٤، ٤٤، ٨٦، ٩٦، ١٠٨، ١١، ١١٢، ١١٥،	الهمداني
١١٦، ١١٨، ١٢٢، ١٤١، ١٤٢، ١٤٦، ١٥١،	
١٧٧	هوّيت
٦٠	هومر
٧١	(هوميروس)
١٠٢	هومل
١٤٦، ٣٢٣	هول

الواو

٦٢، ٦٩	الواسطي (أبو بكر)
٢٩٤	ورش
٣٢٣	ابن وقاص بن الحارث
١٦، ١١٦، ١٢٠، ١٢١	أم وهب بن منبه
١٦	وهب بن منبه
٤٨	ويلش

الياء

١٧٣	اليازجي
١٩١	ياقوت الحموي
٤٥، ٣٢٥	يحيى بن نوفل
٢٨٨	يحيى بن وثاب
٢٢، ٣١١	يحيى بن يعمر
١١٦	يزيد الأول
٣١٥	اليزيدي

١٣٤	يشكر بن عمرو
٣٢٢، ٣٠٧	يعقوب
٢٤	يعلى بن الأحول
٣٧٨، ٣٣١، ٢٢٤، ١٥١، ٤٨	ابن يعيش
٣٥٤، ٣٤٧، ١٧٨، ٦٠، ٤١	يونس بن حبيب
٣١٩	اليويني

فهرس مراجع التحقيق والترجمة

- ١- الاتقان في علوم القرآن : للسيوطي ، ط٢ ، البابي الحلبي ، مصر .
الاتقان في علوم القرآن : للسيوطي ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٢- الإقتراح في علم أصول النحو : تحقيق محمد أحمد قاسم ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ٣- البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي ، ط٢ ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ٤- بين العربية ولهجاتها والعبرية : د . محمد بحر عبدالمجيد ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- ٥- التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر ، إخراج وتعليق د . رمضان عبدالتواب ، الرياض ، جامعة الرياض ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ٦- جمهرة أشعار العرب : لأبي زيد محمد القرشي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، بلا طبعة أو تاريخ .
- ٧- الحروف : للفارابي ، تحقيق محسن مهدي ، دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٧٠م .
- ٨- خزانة الأدب : عبدالقادر البغدادي ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ٩- الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط٢ ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت .
- ١٠- دراسة الصوت اللغوي : د . احمد مختار عمر ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
- ١١- ديوان الحماسة : لأبي تمام الطائي ، تحقيق عبدالمنعم أحمد صالح ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، بلا تاريخ .
- ١٢- السيرة النبوية : لابن هشام ، تقديم وتعليق طه عبدالرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت .
- ١٣- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : تحقيق محمد محي الدين عبدالحמיד ، ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- ١٤- شرح شافية ابن الحاجب : للأسترباذي ، تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفراف ، ومحمد محيي الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٠هـ - ١٩٧٥م .

- ١٥- شرح شواهد المغني : للسيوطي ، تصحيح محمد محمود الشنقيطي ، لجنة التراث العربي ، دار مكتبة الحياة .
- ١٦- شرح كافية ابن الحاتب : للأسترباذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ١٧- شرح المفصل : لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- ١٨- الشعر والشعراء : لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق د . مفيد قمحية ، ومحمد أمين الضناوي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ١٩- صفة جزيرة العرب : للهمداني ، تحقيق محمد علي الأكرع ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، ودار الآداب ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .
- ٢٠- طبقات فحول الشعراء : لابن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، بلا تاريخ .
- ٢١- فقه اللغات السامية : كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب ، جامعة الرياض ، ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م .
- ٢٢- فقه اللغة المقارن : د . ابراهيم السامرائي ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- ٢٣- فقه اللغة وأسرار العربية : لأبي منصور الثعالبي ، دار مكتبة الحياة ، دون ط ، وتاريخ .
- ٢٤- الكامل في اللغة والأدب : للمبرد ، مؤسسة المعارف ، بيروت .
- ٢٥- الكتاب : سيبويه ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م .
- ٢٦- لسان العرب : لابن منظور ، ط ٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- ٢٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٢٨- «مغني اللبيب عن كتب الأعريب» : لابن هشام الانصاري ، تحقيق د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، ط ٢ .

اللهجات العربية القديمة

في غرب الجزيرة العربية

يتناول هذا الكتاب لهجات غرب الجزيرة العربية القديمة في الحجاز واليمن وهذيل وطيّ، بحثاً عن سمات العربية التي اختلفت من هذه اللهجات.

وكان هذا الكتاب، وما يزال، مرجعاً في بابيه لكل باحث متخصص في اللهجات العربية القديمة، فلا تكاد تجد دراسة في لهجات العرب القديمة تخلو من إشارة إليه أو إحالة عليه؛ نظراً لإحاطته وغزارة معلوماته، وسعة اطلاع مؤلفه على كتب التراث، ودقة تحليلاته، وكثرة مقارناته، وقدرته على الربط والتعليل، مع أمانة في النقل وصحة التوثيق. وكان حافظاً لي أن أضع النسخة العربية من هذا الكتاب بين أيدي قراء العربية وباحثيها، حرصت فيها على أن أقوم بكل ما يلزم الترجمة من تعليق أو توثيق أو مراجعة أو تفسير وتوضيح، وكأنه تحقيق لنص تراثي عربي قديم، مؤملاً، بمشيئة الله، أن تكون النسخة العربية في مستوى النسخة الإنجليزية.

وعلى الله التوفيق وقصد السبيل.

المترجم

د. عبد الكريم مجاهد

